

ايقاظ الهمم في شرح الحكم ، تاليف ابن عجيبة ، أحمد بن
محمد-١٢٢٤هـ كتب سنة ١٣٠٦هـ

٢ج/في مجلد (٣٤٠ق) ٢٣ س ٥ر٢٣×١٨سم

نسخة جيدة ، خطها نسخ مقروء ، طبع عدة طبعات
آخرها سنة ١٩٦١م .

النشرة المصرية للمطبوعات ٦١-١٩٦٥م : ٥٤،

الأعلام ١ : ٢٣٤

١- الشعائر والتقاليد الأخلاق الاسلامية
أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ ج- شرح
الحكم العطائيه د- شرح ابن عجيبه على الحكم
العطائيه .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

ان اولى ما عقد عليه الجنان ونطقت به السنة الفصاحة
والبيان وخطت به اقلام البنان حمد الفتاح العليم
الكريم المنان الحمد لله الذى ملاء قلوب اوليائه
بمحبته واختص ارواحهم بشهود عظمته وهيا
اسرارهم لحمل اعباء معرفته فقلوبهم فى روضات
جنات معرفته يحبرون وارواحهم فى رياض ملكوته
يتنزهون واسرارهم فى بحار جبروته يسبحون فاستخرجت
افكارهم يواقيت العلوم ونطقت السنتهم بجواهر الحكم
ونتائج الفهوم فسبحان من اصطفاهم لحضرته واصطفاهم
واختصهم بمحبته فهم بين سالك ومجذوب ومحب
ومحبوب افناهم فى محبة ذاته وابقاهم بشهود آثار
صفاته والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد منبع
العلوم والانوار ومعدن المعارف والاسرار ورضى
الله تعالى عن اصحابه الابرار واهل بيته الاطهار
اما بعد كل شيء وقبله ومعه فعلم التصوف من اجل
العلوم قدرا واعظمها محلا وفخرا واسناها شمسا وبدرا
وكيف

وكيف لا وهو لباب الشريعة ومنهاج الطريقة ومنه
تشرق انوار الحقيقة وكان اعظم ما صنف فيه الحكم
العطائية التى هى مواهب لدنية واسرار ربانية
نطقت بها افكار قدوسية واسرار جبروتية ولقد
سمعت شيخ شيخنا مولاى العربى يقول سمعت الفقيه
البنانى يقول كادت حكم ابن عطاء الله ان يكون وحيا
ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرءان لجازت بكلام الحكم
او كما قال ولقد طلب منى شيخنا العارف الواصل
المحقق الكامل سيدى محمد البوزيدى الحسنى ان
اضع عليها شرحا متوسطا يبين المعنى ويحقق المبنى
معتمدا فى ذلك على حول الله وقوته وما يفتح الله به
من خزائن علمه وحكمته او ما كان مناسبا لتلك الحكمة
من كلام القوم فاجبت طلبته واسعفت رغبته رجاء
ان يقع به الامتاع ويعم به الانتفاع وما توفيقى الا بالله
عليه توكلت واليه انيب وسميته ايقاظ الهمم فى
شرح الحكم جعله الله خالصا لوجهه العظيم بجاه
نبينا المصطفى الكريم عليه افضل الصلاة وازكى
التسليم والنقدم بين يدى الكتاب مقدمتين
احداهما فى حد التصوف وموضوعه وواضعه
واسمه واستمداده وحكم الشارع فيه وتصور مسائله
وفضيلته ونسبته وثمرته والمقدمة الثانية فى ترجمة
الشيخ وذكر محاسنه اما حده فقال الجنيد هو ان يميتك
الحق عنك ويحييك به وقال ايضا ان تكون مع الله بلا علاقة

وقيل الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني
وقيل هو اخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام
وقيل ان لا تملك شيئا ولا يملكك شيء وقيل استرسال
النفس مع الله على ما يريد **وقيل** التصوف مبني على
ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل
والإيثار وترك التدبير والاختيار **وقيل** الاخذ
بالحقائق والإياس مما في ايدي الخلائق **وقيل** ذكر
مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع **وقيل**
الإناخة على باب الحبيب وان طرد **وقيل** صفوة القرب
بعد كدرة البعد **وقيل** الجلوس مع الله بلا هم **وقيل**
هو العصمة عن رؤية الكون **والصوفي** الصادق علامته
ان يفتقر بعد الغناء ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة
وعلامة الصوفي الكاذب ان يستغني بعد الفقر ويعز
بعد الذل ويشتهر بعد الخفا قاله ابو حمزة البغدادي
وقال الحسن بن منصور الصوفي وحداني الذات لا يقبله
احد ولا يقبل احدا **وقيل** الصوفي كالارض يطرح عليه
كل قبيح ولا يخرج منه الا كل مليح ويطاه البر والفاجر
و**قالوا من اقبح كل قبيح** صوفي شحيح وقال الشبلي
الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق لقوله تعالى و
واصطنعتك لنفسي ثم قال ايضا الصوفية اطفال في حجر
الحق **وقيل** الصوفي لا تقله الارض ولا تظله السماء يعني
لا يحصره الكون **وقال** الشيخ زروق رضي الله عنه **قد حد**
التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الالفين ترجع

كلها



كلها لصدق التوجه الى الله تعالى وانما هي وجوه
فيه والله اعلم ثم قال والاختلاف في الحقيقة الواحدة
ان كثر دل على بعد ادراك جملتها ثم هو ان رجع لاصل
واحد يتضمن جملة ما قيل فيها كانت العبارة عنه
بحسب ما فهم منه وجملة الاقوال واقعة على تفاصيله
واعتبار كل واحد على حسب ما له علما وعملا و
حالا وذوقا وغير ذلك والاختلاف في التصوف من
ذلك فمن اجل ذلك الحق الحافظ ابو نعيم رحمه الله
بغالب اهل حليته عند تحلية كل شخص قولا من اقوالهم
يناسب حاله قائلا وقيل التصوف كذا فاقتضى ان كل
من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف
وان تصوف كل احد صدق توجهه فافهم اه **وقال ايضا** — كذا
قاعدة صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه
الحق تعالى وبما يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرطه
ولا يرضى لعباده الكفر فلزم تحقيق الايمان وان
تشكروا يرضه لكم فلزم العمل بالاسلام فلا تصوف الا
بفقه اذ لا تعرف احكام الله تعالى الظاهرة الا منه ولا فقه الا
بتصوف اذ لا عمل الا بصدق توجه ولاهما الا بايمان اذ لا
يصح واحد منهما بدونه فلزم الجمع لتلازمهما في الحكم
كتلازم الارواح الاجساد اذ لا وجود لها الا فيها كما لا كمال
لها الا للاشباح الا بها ومنه قول مالك رحمه الله **من
تصوف ولم يتفقه** فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف
فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق **قلت** تزندق

الاول لانه قائل بالجبر الموجب لنفي الحكمة والاحكام وتفسق
الثاني لخلو علمه عن صدق التوجه الحاجز عن معصية الله
وعن الاخلاص المشروط في الاعمال وتحقق الثالث لقيامه
بالحقيقة في عين تمسكه بالحق فاعرف ذلك اذ لا وجود لها
الا فيها كما لا كمال له الا به فافهم اه واما موضوعه فهو
الذات العالية لانه يبحث عنها باعتبار معرفتها اما بالبرهان
او بالشهود والعيان فالاول للطالبين والثاني للواصلين
وقيل موضوعه النفوس والقلوب والارواح لانه يبحث
عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الاول لان من عرف
نفسه عرف ربه واما واضع هذا العلم فهو النبي صلى الله
عليه وسلم علمه الله له بالوحي والالهام فنزل جبريل عليه
السلام اولا بالشريعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة
فخص بها بعضا دون بعض واول من تكلم فيه واظهره
سيدنا علي كرم الله وجهه واخذه + عنه الحسن البصري
وامه اسمها خيرة مولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه
وسلم وابوه مولى زيد بن ثابت توفي الحسن سنة عشر
ومائة واخذه عن الحسن حبيب العجمي واخذه عن حبيب
ابو سليمان داود الطائي توفي سنة ستين ومائة واخذه
عن داود ابو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي رضي الله
عنه واخذه عن معروف الكرخي ابو الحسن سري بن مغلس
السقطي وتوفي سنة احدى وخمسين ومائتين واخذه
عن السري امام هذه الطريقة ومظهر اعلام الحقيقة
ابو القاسم محمد بن الجنيد الخراز اصله من نهاوند ومنشاه
العراق

العراق تفقه على ابي ثور وصحب الشافعي فكان يفتي على
مذهب ابي ثور ثم صحب خاله السري وابا الحارث المحاسبي
وغيرهما وكلامه وحقائقه مدون في الكتب توفي رضي
الله عنه سنة سبع وتسعين ومائتين وقبره ببغداد مشهور
يزار ثم انتشر التصوف في اصحابه وهلم جرا ولا ينقطع حتى
ينقطع الدين ومن رواية اخرى اخذه عن سيدنا علي رضي
الله عنه اول الاقطاب سيدنا الحسن ولده ثم عنه ابو محمد
جابر ثم القطب سعيد الغزواني ثم القطب فتح السعود ثم
القطب سعد ثم القطب سعيد ثم القطب سيدي احمد المرواني
ثم ابراهيم البصري ثم زين الدين القزويني ثم القطب
شمس الدين ثم القطب تاج الدين ثم القطب نور الدين ابو
الحسن ثم القطب فخر الدين ثم القطب تقي الدين الفقير بالتصغير
فيهما ثم القطب سيدي عبد الرحمن المدني ثم القطب الكبير
مولاي عبد السلام بن مشيش ثم القطب الشهير ابو الحسن ال
الشاذلي ثم خليفته ابو العباس المرسي ثم العارف الكبير
سيدي احمد بن عطاء الله ثم العارف الكبير سيدي داود
الباخلي ثم العارف سيدي محمد بحر الصفا ثم العارف ولده
سيدي علي بن وفا ثم الولي الشهير سيدي يحيى القادري
ثم الولي الشهير سيدي احمد بن عقبة الحضرمي ثم الولي الكبير
سيدي احمد زروق ثم سيدي ابراهيم الفحام ثم سيدي علي
الصنهاجي المشهور بالدوار ثم العارف الكبير سيدي عبد
الرحمن المجذوب ثم الولي الشهير سيدي يوسف الفاسي
ثم العارف سيدي عبد الرحمن الفاسي ثم العارف سيدي

محمد بن عبد الله ثم العارف سيدى قاسم الخصاصى ثم
العارف سيدى احمد بن عبد الله ثم العارف سيدى
العربى بن عبد الله ثم العارف الكبير سيدى على بن عبد الرحمن
العمرانى الحسنى ثم العارف الشهير شيخ المشايخ سيدى
ومولاى العربى الدرقاوى الحسنى ثم العارف الكامل المحقق
الواصل شيخنا سيدى محمد بن احمد البزيدى الحسنى ثم
عبد ربه واقل عبيده احمد بن محمد بن عجيبه الحسنى ثم
عنه خلق كثير والمنة لله العلى الكبير واما اسمه فهو علم
التصوف واختلف فى اشتقاقه على اقوال كثيرة ومرجعها
الى خمس اولها انه من الصوفة لانه مع الله كالصوفة الم
المطروحة لانذ بيرله الثانى انه من صوفة القفا للينها
فالصوفى هين لين هى الثالث انه من الصفة اذ جملته
اتصاف بالمحامد وترك الاوصاف المذمومة الرابع انه من
الصفا وصح هذا القول حتى قال ابو الفتح البستى رحمه الله
فى الصوفى • تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا جهلا وظنوه مشتقا من الصوف
• ولست امنح هذا الاسم الافتى • صافى فصوفى حتى سمى الصوفى •
الخامس انه منقول من صفة المسجد النبوى الذى كان منزلا
لاهل الصفة لان الصوفى تابع لهم فيما اثبت الله لهم من
الوصف حيث قال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشى يريدون وجهه وهو الاصل الذى يرجع
اليه كل قول فيه قاله الشيخ زروق رحمه واما استمداده
فهو مستمد من الكتاب والسنة والهامات الصالحين وفتوحات
العارفين وقد ادخلوا فيه اشيا من علم الفقه لمس الحاجة
اليه

اليه فى علم التصوف حررها الغزالى فى الاحياء فى اربعة كتب
كتاب العبادات وكتاب العادات وكتاب المهلكات وكتاب
المنجيات وهى فيه كمال لا شرط الا ما لا بد منه فى باب العبادات
والله تعالى اعلم واما حكم الشارع فيه فقال الغزالى انه
فرض عين اذ لا يخلو احد من عيب او مرض الا الانبياء عليهم
السلام وقال الشاذلى من لم يتغلغل فى علمنا هذا مات
مصرا على الكبائر وهو لا يشعر وحيث كان فرض عين يجب
السفر الى من ياخذه عنه اذا عرف بالتربية واشتهر الدواء على يده
وان خالف والديه حسبما نص عليه غير واحد كالبلالى
والسنوسى وغيرهما قال الشيخ السنوسى النفس اذا غلبت
كالعدو اذا فجاء تجب مجاهدتها والاستقامة عليها وان خالف
الوالدين كما فى العدو اذا برز قاله فى شرح الجزيرى وما احسن
قول القائل

• اخاطر فى محبتكم بروحى • واركب بحركم اما واما •
• واسلك كل فج فى هواكم • واشرب كاسكم لو كان سما •
• ولا اصغى الى ما قد نهانى • ولى اذن عن العذال صما •
• اخاطر بالخواطر فى هواكم • واترك فى رضاكم ابا واما •

واما تصور مسائله فهى معرفة اصطلاحاته والكلمات
التى تتداول بين القوم كالاخلاص والصدق والتوكل
والزهد والورع والرضى والتسليم والمحبة والفنا والبقا وكالذات
والصفات والقدرة والحكمة والروحانية والبشرية وكمعرفة
حقيقة الحال والوارد والمقام وغير ذلك وقد ذكر القشيرى
فى اول رسالته جملة شافية وقد كنت جمعت كتابا فيه مائة

من حقائق التصوف سميته معراج التشوف الى حقائق
التصوف فليطالعه من اراده ليستعين به على فهم كلام القوم
ثم قلت بل التحقيق فى مسائل هذا العلم انها القضايا التى
يبحث عنها السالك فى حال سيره ليعمل بمقتضاها ككون
الاخلاص شرطا فى العمل وكون الزهد ركنا فى الطريق وكون
الخلوة والصمت مطلوبين وامثال هذه القضايا فهى من
مسائل هذا الفن فينبغى تصورها قبل الشروع فى الخوض
فيه علما وعملا والله تعالى اعلم واما فضيلته فقد تقدم
ان موضوعه الذات العالية وهى افضل على الاطلاق
فالعلم الذى يتعلق بها افضل على الاطلاق اذ هو دال باوله
على خشية الله تعالى وبوسطه على معاملته وباخره على
معرفته والانقطاع اليه ولذلك قال الجنيد لو نعلم ان
تحت اديم السماء اشرف من هذا العلم الذى نتكلم فيه مع
اصحابنا لسعيت اليه وقال الشيخ الصقلى رضى الله عنه
فى كتابه المسمى بانوار القلوب فى العلم الموهوب قال وكل
من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو
من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم
الذى لا يدرك والبحر الذى لا ينزف وقال ءاخر اذا رايت
من فتح له فى التصديق بهذه الطريقة فبشره واذا رايت
من فتح له فى الفهم فيه فاغتبطه واذا رايت من فتح له
فى النطق فيه فعظمه واذا رايت منتقدا عليه ففر منه
فرارك من الاسد واهجره وما من علم الا وقد يقع الاستغناء
عنه فى وقت ما الا علم التصوف فلا يستغنى عنه احد فى وقت
من

من الاوقات واما نسبته من العلوم فهو كلى لها وشرط فيها اذ
لا علم ولا عمل الا بصدق التوجه الى الله تعالى فالاخلاص شرط
فى الجميع هذا باعتبار الصحة الشرعية والجزاء والثواب
واما باعتبار الوجود الخارجى فالعلوم توجد فى الخارج
بدون التصوف لكنها ناقصة او ساقطة ولذلك قال السيو
طى نسبة التصوف من العلوم كعلم البيان مع النحو
يعنى هو كمال فيها ومحسن لها وقال الشيخ زروق رضى الله
عنه نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد لانه مقام
الاحسان الذى فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ان
تعبد الله كانك تراه الحديث اذ لا معنى له سوى ذلك اذ
مداره على مراقبة بعد مشاهدة او مشاهدة بعد مراقبة وان
لا لم يقم له وجود ولم يظهر له موجود فافهم اه ولعله اراد
بالمراقبة بعد المشاهدة الرجوع للبقاء بشهود الاثر بالله
واما فائدته فتهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب او
تقول ثمرته سخاوة النفوس وسلامة الصدور وحسن الخلق
مع كل مخلوق واعلم ان هذا العلم الذى ذكرنا ليس هو لقلقة
باللسان وانما هو اذواق ووجدان ولا يؤخذ من الاوراق
وانما يؤخذ من اهل الاذواق وليس ينال بالقيل والقال
وانما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة اهل الكمال والله ما افلح
من افلح الا بصحبة من افلح وبالله التوفيق واما ترجمة الشيخ
فهو الشيخ الامام تاج الدين وترجمان العارفين ابو الفضل
احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن احمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامى نسبا

المالكى مذهبا الاسكندرى دارا القرافى مزارا الصوفى حقيقة
الشاذلى طريقة اعجوبة زمانه ونخبة عصره واوانه المتوفى
فى جمادى الاخيرة سنة تسع بتقديم التاء وسبعمائة قاله
الشيخ زروق وقال فى الديباج المذهب كان جامعا لانواع
العلوم من تفسير وحديث وفقه ونحو واصول وغير ذلك
كان رحمه الله متكلما على طريق اهل التصوف واعظا
انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقه قلت وقد شهد له شيخه
ابو العباس المرسى بالتقديم قال فى لطائف المنن قال لى الشيخ
الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين يريد مذهب
اهل الشريعة اهل العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل
العلم الباطن وقال فيه ايضا لا يموت هذا الشاب حتى يكون
داعيا يدعو الى الله وقال فيه ايضا والله ليكونن لك شأن
عظيم والله ليكونن لك شأن عظيم قال فكان بحمد
الله ملا انكره وله من التاليف خمسة التنوير فى اسقاط
التدبير ولطائف المنن فى مناقب شيخه ابى العباس
وشيخه ابى الحسن وتاج العروس وهو مؤلف منهما ومفتاح
الفلاح فى الذكر وكيفية السلوك وله ايضا القول المجرد
فى الاسم المفرد والحكم الذى اردنا ان نتكلم عليه
ومضمنه من علوم القوم اربعة الاول علم التذكير والوعظ
وقد حاز منه اوفر نصيب وهو لمقام العوام وتستفاد مواده
من كتب ابن الجوزى وبعض تاليف المحاسبى وصدور
كتب الاحياء والقوت وتحبير القشيرى وما جرى مجراها الثانى
تصفية الاعمال وتصحيح الاحوال بتحلية الباطن بالاخلاق
المحمودة

المحمودة وتطهيره من الاوصاف المذمومة وهذا حظ المتوجهين
من الصادقين والمبتدئين من السالكين وقد حاز منها جملة
صالحة ومادتها من كتب الغزالى والسهروردى ونحوهما الثا
الثالث تحقيق الاحوال والمقامات واحكام الاذواق والمنا
والمنازلات وهو نصيب المستشرفين من المريدين والمبتدئين
من العارفين وهذا النوع من اكثر ما وقع فيه ومادته من
مثل كتب الحاتمى فى المعاملات والبونى فى المنازلات
الى غير ذلك الرابع المعارف والعلوم الالهامية وفيه منها
ما لا يخفى لكن كتبه ملئت بشرحها لا سيما التنوير ولطائف
المنن اللذان هما كالشرح لجملة هذا الكتاب وبالجملة فهو
جامع لما فى كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة
البيان واختصار الالفاظ والمسلك الذى سلك فيه مسلك
توحيد فلا يسع احدا انكاره ولا الطعن فيه ولا يدع للمقتدى
به صفة حميدة الا كساه اياها ولا صفة ذميمة الا ازالها عنه
باذن الله كما قال الشيخ ابن عباد فى وصف التنوير وهما
اخوان من اب واحد وام واحدة قاله سيدى احمد زروق
فى بعض شروحه ولما كان علم التصوف انما هو نتائج الاعمال
الصحيحة وثمرات الاحوال الصافية من عمل بما علم اورثه الله
علم ما لم يعلم بدأ بالكلام على العمل فقال من علامة الاعتماد
على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل الاعتماد على الشىء
هو الاستناد عليه والركون اليه والعمل حركة الجسم والقلب
فان تحرك بما يوافق الشريعة سمى طاعة وان تحرك بما
يخالف الشريعة سمى معصية والاعمال عند اهل الفن على

ثلاثة اقسام عمل الشريعة وعمل الطريقة وعمل الحقيقة
اوتقول عمل الاسلام وعمل الايمان وعمل الاحسان او
تقول عمل العبادة وعمل العبودية وعمل العبودة اي
الحرية اوتقول عمل اهل البداية وعمل اهل الوسط وعمل
اهل النهاية فالشريعة ان تعبده والطريقة ان تقصده
والحقيقة ان تشهده اوتقول الشريعة لاصلاح الظواهر
والطريقة لاصلاح الضمائر والطريقة لاصلاح السرائر
واصلاح الجوارح بثلاثة امور بالتوبة والتقوى والاستقامة
واصلاح القلوب بثلاثة امور بالاخلاص والصدق والطما
والطمانينة واصلاح السرائر بثلاثة امور بالمراقبة
والمشاهدة والمعرفة اوتقول اصلاح الظواهر باجتناب
النواهى وامتثال الاوامر واصلاح الضمائر بالتخلية من
الرذائل والتحلية بانواع الفضائل واصلاح السرائر وهى
هنا الارواح بذلها وانكسارها حتى تتهذب وترتاض
بالادب والتواضع وحسن الخلق واعلم ان الكلام هنا انما
هو فى الاعمال التى توجب تصفية الجوارح او القلوب او
الارواح وهى ماتقدم تعيينها لكل قسم واما العلوم والمعا
والمعارف فانما هى ثمرات التصفية والتطهير فاذا تطهرت
الاسرار ملئت بالعلوم والمعارف والانوار ولا يصح الانتقال
الى المقام حتى يحقق ماقبله فمن اشرقت بدايته اشرقت بها
نهايته فلا ينتقل الى عمل الطريقة حتى يحقق عمل الشريعة
وترتاض جوارحه معها بان يحقق التوبة بشروطها ويحقق
التقوى باركانها ويحقق الاستقامة باقسامها وهى متابعة
الرسول

الرسول صلى الله عليه وسلم فى اقواله وافعاله واحواله فاذا
تزكى الظاهر وتنور بالشريعة انتقل من عمل الشريعة
الظاهرة الى عمل الطريقة الباطنة وهى التصفية من
اوصاف البشرية على ماياتى فاذا تطهر من اوصاف البشرية
تحلى باوصاف الروحانية وهى الادب مع الله فى تجلياته
التى هى مظاهره فحينئذ ترتاح الجوارح من التعب ومابقى
الاحسن الادب قال بعض المحققين من بلغ الى حقيقة الاسلام
لم يقدر ان يفتر عن العمل ومن بلغ الى حقيقة الايمان لم يقدر
ان يلتفت الى العمل ومن بلغ الى حقيقة الاحسان لم يقدر ان
يلتفت الى احد سوى الله اه ولا يعتمد المريد فى سلوك هذه
المقامات على نفسه ولا على عمله ولا على حوله وقوته وانما
يعتمد على فضل ربه وتوفيقه وهدايته وقسمه يده قال تعالى
وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة وقال تعالى
ولوشاء ربك مافعلوه ولوشاء ربك لجعل الناس امة
واحدة ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك وقال صلى
الله عليه وسلم لن يدخل احدكم الجنة بعمله قالوا ولا انت
يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته فالاعتماد
على النفوس من علامة الشقاء والبؤس والاعتماد على الاعمال
من عدم التحقق بالزوال والاعتماد على الكرامة والاحوال من
عدم صحبة الرجال والاعتماد على الله من تحقق المعرفة بالله
وعلامة الاعتماد على الله انه لا ينقص رجاؤه اذا وقع فى العصيان
ولا يزيد رجاؤه اذا صدر منه احسان اوتقول لا يعظم خوفه
اذا صدرت منه غفلة كما لا يزيد رجاؤه اذا وقعت منه يقظه

قد استوى خوفه ورجاؤه على الدوام لان خوفه ناشئ عن
شهود الجلال ورجاءه ناشئ عن شهود الجمال وجلال الحق
وجماله لا يتغيران بزيادة ولا نقصان فكذا ما ينشأ عنهما
بخلاف المعتمد على الاعمال اذا قل عمله قل رجاؤه واذا كثر
عمله كثر رجاؤه لشركه مع ربه وتحققه بجهله ولو فنى عن
نفسه وبقى بربه لاستراح من تعبه وتحقق بمعرفة ربه ولابد
من شيخ كامل يخرجك من تعب نفسك الى راحتك بشهود ربك
فالشيخ الكامل هو الذى يريحك من التعب لا الذى يدلك على التعب
من دلك على العمل فقد اتعبك ومن دلك على الدنيا فقد
غشك ومن دلك على الله فقد نصحك كما قال الشيخ ابن
مشيش رضى الله عنه والدلالة على الله هى الدلالة على نسيان
النفس فاذا نسيت نفسك ذكرت ربك قال تعالى واذكر ربك
اذا نسيت اى ما سواه وسبب التعب هو ذكر النفس والاعتناء
بشؤمها وحظوظها واما من غاب عنها فلا يلقى الا الراحة واما
قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد اى فى تعب فهو خاص
باهل الحجاب او تقول خاص باحياء النفوس واما من ماتت
فقد قال تعالى فيه فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم اى فروح الوصال وريحان الجمال وجنة الكمال
وقال تعالى لا يمسهم فيها نصب اى تعب ولكن لا تدرك الراحة
الا بعد التعب ولا يحصل الظفر الا بالطلب حفت الجنة بالمكاره

ايها العاشق معنى حسننا * مهرنا غال لمن يخطبنا
جسد مضنى وروح فى العنا * وجفون لا تذوق الوسنا
وفؤاد ليس فيه غيرنا * واذا ما شئت ادّ الثمنا

فان

فافن ان شئت فنا سرمدا * فالفنا يدنى الى ذاك الفنا
واخلع النعلين ان جئت الى * ذلك الحى ففيه قدسنا
وعن الكونين كن منخلعا * وازل ما بيننا من بيننا
واذا قيل من تهوى فقل * انا من اهوى ومن اهوى انا

وقال فى حل الرموز ثم اعلم انك لا تصل الى منازل القربات
حتى تقطع ست عقبات العقبة الاولى فطم الجوارح عن المخالفات
الشرعية العقبة الثانية فطم النفس عن المألوفات العادية
العقبة الثالثة فطم القلب عن الرعونات البشرية العقبة الرابعة
فطم النفس عن الكدورات الطبيعية العقبة الخامسة فطم
الروح عن البخورات الحسية العقبة السادسة فطم العقل
عن الخيالات الوهمية فتشرف من العقبة الاولى على ينابيع الحكم
القلبية وتطلع من العقبة الثانية على اسرار العلوم اللدنية وتلوح
لك فى العقبة الثالثة اعلام المناجات الملكوتية ويلمع لك فى العقبة
الرابعة انوار المنازلات القربية وتطلع لك فى العقبة الخامسة
انوار المشاهدات الحبية وتهبط من العقبة السادسة على
رياض الحضرة القدسية فهنالك تغيب بما تشاهده من
اللطائف الانسية عن الكثائف الحسية فاذا ارادك لخصوصية
الاصطفائية سقاك بشربة بكاس محبته شربة
تزداد بتلك الشربة ظمأ وبالذوق شوقا وبالقرب طلبا
وبالسكر قلقا اهـ المراد منه تتميم اشكل على بعض الفضلاء
قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون مع قوله صلى
الله عليه وسلم لن يدخل احدكم الجنة بعمله الحديث
والجواب ان الكتاب والسنة وردا بين شريعة وحقيقة

او نقول بين تشريع وتحقيق فقد يشرعان في موضع ويحققان في موضع اخر في ذلك الشئ بعينه وقد يحققان في موضع ويشرعان فيه في اخر وقد يشرع القرءان في موضع وتحققه السنة وقد تشرع السنة في موضع ويحققه القرءان فالرسول عليه السلام مبين لما انزل الله قال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم فقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هذا تشريع لاهل الحكمة وهم اهل الشريعة وقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدكم الجنة بعمله هذا تحقيق لاهل القدرة وهم اهل الحقيقة كما ان قوله تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله تحقيق وقوله صلى الله عليه وسلم اذا هم احدكم بحسنة كتبت له حسنة تشريع والحاصل ان القرءان تقيده السنة والسنة يقيدها القرءان فالواجب على الانسان ان تكون له عينان احداهما تنظر الى الحقيقة والاخرى تنظر الى الشريعة فاذا وجد القرءان قد شرع في موضع فلابد ان يكون قد حقق في موضع اخر او تحققه السنة واذا وجد السنة قد شرعت في موضع فلابد ان تكون قد حققت في موضع اخر او حققها القرءان ولا تعارض حينئذ بين الاية والحديث ولا اشكال وهنا جواب اخر وهو ان الله تعالى لما دعا الناس الى التوحيد والطاعة علم انهم لا يدخلون فيه من غير طمع فوعدهم بالجزاء على العمل فلما رسخت اقدامهم في الاسلام اخرجهم عليه السلام من ذلك الحرف ورقاهم الى اخلاص العبودية والتحقق بمقام الاخلاص فقال لهم لن يدخل احدكم الجنة بعمله والله تعالى اعلم وهنا اجوبة

لاهل

٦

لأهل الظاهر لا تجدى شيئا ولما كان الانتقال من عمل الظاهر الى عمل الباطن لابد ان يظهر اثره على الجوارح قال تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها الاية وظهور الاثر هو التجريد اشار اليه بقوله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية قلت التجريد في اللغة هو التكشيط والازالة تقول جردت الثوب ازلته عنى وتجرد فلان ازال ثوبه وجردت الجلد ازلت شعره واما عند الصوفية فهو على ثلاثة اقسام تجرد الظاهر فقط او الباطن فقط او هما معا فتجريد الظاهر هو ترك الاسباب الدنيوية وخرق العوائد الجسمانية والتجريد الباطني هو ترك العلائق النفسانية والعوائق الوهمية وتجريدهما معا هو ترك العلائق الباطنية والعوائد الجسمانية او نقول تجريد الظاهر هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله وتجريد الباطن هو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله وتجريدهما هو افراد القلب والقالب لله والتجريد الكامل في الظاهر هو ترك الاسباب وتعرية البدن من معتاد الثياب وفي الباطن هو تجريد القلب من كل وصف ذميم وتحليته بكل وصف كريم وهو اى التجريد الكامل الذى اشار اليه شيخ شيوخنا سيدى عبد الرحمن المجذوب بقوله

اقارئين علم التوحيد ... هنا البحور الى تقفى

هذا مقام اهل التجريد ... الواقفين مع ربى

واما من جرد ظاهره دون باطنه فهو كذاب كمن كسى النحاس بالفضة باطنه قبيح وظاهره مليح ومن جرد باطنه

دون ظاهره ان تأتى ذلك فهو حسن كمن كسى الفضة
بالنحاس وهو قليل اذ الغالب ان من تنشب ظاهره تنشب
باطنه ومن اشتغل ظاهره بالحس اشتغل باطنه به والقوة
لا تكون فى الجهتين ومن جمع بين تجريدى الظاهر والباطن فهو
الصديق الكامل وهو الذهب المشحم الصافى الذى يصلح لخزانة
الملوك قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه آداب
الفقير المتجرد اربعة الحرمة للاكابر والرحمة للاصاغر وا
لانصاف من نفسك وعدم الانتصار لها وآداب
الفقير المتسبب اربعة موالات الابرار ومجانبة الفجار
وايقاع الصلاة فى الجماعة ومواساة الفقراء والمساكين
بما يفتح عليه وينبغى له ايضا ان يتادب بآداب المتجرد
اذ هو كمال فى حقه ومن آداب المتسبب اقامته فيما اقامه
الحق تعالى فيه من فعل الاسباب حتى يكون الحق تعالى هو
الذى ينقله منها على لسان شيخه ان كان او باشارة واضحة
كتعذرها من كل وجه فحينئذ ينتقل للتجريد فارادته التجريد
مع اقامته تعالى له فى الاسباب من الشهوة الخفية لان النفس
قد تقصد بذلك الراحة ولم يكن لها من اليقين ما تحمل به
مشاق الفاقة فاذا نزلت بها الفاقة تزلزلت واضطربت
ورجعت الى الاسباب فيكون اقبح لها من الاقامة فيها
فهذا وجه كونها شهوة وانما كانت خفية لانها
فى الظاهر ظهرت الانقطاع والتبتل وهو مقام شريف
وحال منيف لكنها فى الباطن اخفت حظها من قصد الراحة
او الكرامة او الولاية او غير ذلك من الحروف ولم تقصد تحقيق
العبودية

١٠
العبودية وتربية اليقين وفاتها ايضا الادب مع الحق
حيث ارادت الخروج بنفسها ولم تصبر حتى يؤذن لها
وعلامة اقامتها فيها دوامها له مع حصول النتائج وعدم
العوائق القاطعة له عن الدين وحصول الكفاية بحيث
اذا تركها حصل له التشوف الى الخلق والاهتمام بالرزق
فاذا انخرمت هذه الشروط انتقل الى التجريد قال فى التنوير
والذى يقتضيه الحق منك ان تمكث حيث اقامك حتى
يكون الحق تعالى هو الذى يتولى اخراجك كما تولى ادخالك
وليس الشان ان تترك السبب بل الشان ان يتركك السبب
قال بعضهم تركت السبب كذا وكذا مرة فعدت اليه فتركنى
السبب فلم اعد اليه قال ودخلت على الشيخ ابى العباس المرسى
وفى نفسى العزم على التجريد قائلا فى نفسى ان الوصول الى الله
تعالى على هذه الحالة التى انا عليها بعيد من الاشتغال بالعلم
الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لى من غير ان اسئله
صحبنى انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق
من هذا الطريق شيئا فجاء الى فقال لى يا سيدى نخرج عما
انا فيه ونتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشان ذا ولكن امكث
فيما انت فيه وما قسم الله لك على ايدينا فهو لك واصل ثم
قال الشيخ ونظر الى وهكذا شان الصديقين لا يخرجون من
شئ حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى اخراجهم فخرجت
من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى ووجدت الراحة با
بالتسليم الى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم اه قال رضى الله

عنه انما منعه من التجريد لشره نفسه اليه والنفس اذا شرهت
للشيء كان خفيفا عليها والخفيف عليها لا خير فيه وما خف
عليها الا لحظ لها فيه ثم قال فلا يتجرد المريد في حال القوة
حتى تفوت ان اراد ان يستفيد نفسه فان جردها في حال القوة
اتاه الضعف فيعقبه الخصمان ويشوشونه ويفتنونه وربما
اذا لم يدركه المولى بلطفه ساح في الخلطة ويرجع الى ما خرج منه
حتى يسيء ظنه باهل التجريد ويقول ليسوا على شيء كلما دخلنا
البلد وما راينا شيئا والذي يثقل عليه التجريد اولا هو الذي
ينبغي له ان يتجرد لانه ما ثقل عليها الا حيث تحققت ان عنقها
تحت السيف مهما حرك يده قطع او داجها اه المقصود منه
واما المتجرد اذا اراد الرجوع الى الاسباب من غير اذن صريح
فهو انحطاط من الهمة العلية الى الهمة الدنية او سقوط من الولاية
الكبرى الى الولاية الصغرى قال شيخ شيوخنا سيدي علي
قال لي شيخي سيدي العربي يا ولدي لو رايت شيئا اعلا من التجريد
واقرب وانفع لاخبرتك به ولكن هو عند اهل هذه الطريقة
بمنزلة الاكسير الذي قيراط منه يقلب ما بين الخافقين
ذهبا كذلك التجريد في هذه الطريقة اه **وسمعت**
شيخ شيخنا يقول معرفة المتجرد افضل وفكرته انصع
(في الهامش: رضي الله عنهم)
لان الصفا من الصفا والكدر من الكدر صفاء الباطن من
صفاء الظاهر وكدر الباطن من كدر الظاهر وكلما زاد
في الحس نقص في المعنى **وفي بعض الاخبار** اذا اخذ العالم
شيئا من الدنيا نقصت درجته عند الله وان كان كريما
على الله واما من اذن له في السبب فهو كالمتجرد اذ صار
حينئذ

حينئذ سببه عبودية والحاصل ان التجريد من غير اذن سبب
والسبب مع الاذن تجريد وبالله التوفيق **تنبيه** هذا الكلام
كله مع السائرين واما الواصلون المتمكنون فلا كلام عليهم
اذ هم رضي الله عنهم ماخوذون عن انفسهم يقبضون
من الله ويدفعون بالله قد تولى الحق تعالى امورهم وحفظ
اسرارهم وحرس قلوبهم بجنود الانوار فلا تؤثر فيها ظلم الاغيار
وعليه يحمل حال الصحابة في الاسباب رضي الله عنهم و
نفعنا ببركاتهم امين **واعلم** ان المتسبب والمتجرد عاملان
لله اذ كل واحد منهما حصل له صدق التوجه الى الله تعالى
حتى قال بعضهم مثل المتجرد والمتسبب كعبدين لملك
قال لاحدهما اعمل وكل وقال للاخر الزم انت حضرتي وانا
اقوم لك بقسمتي ولكن صدق التوجه في المتجرد اقوى
لقلة عوائقه وقطع علائقه كما هو معلوم **ولما كانت** همة
الفقير المتجرد لا تخطئ في الغالب لقوله عليه السلام ان لله
رجالا لو اقسموا على الله لابرهم في قسمهم قال شيخنا ولله رجال
اذا اهتموا بالشيء كان باذن الله وقال ايضا عليه السلام
اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله خشي الشيخ ان
يتوهم احد ان الهمة تخرق سور القدر وتفعل ما لم يجر به القضاء
والقدر فرفع ذلك بقوله **سوابق الهمم لا تخرق اسوار
الاقدار** قلت السوابق جمع سابقة وهي المتقدمة والهمم
جمع همة والهمة قوة انبعاث القلب في طلب الشيء والاهتمام
به فان كان ذلك الامر رفيعا كمعرفة الله وطلب رضاه
سميت همة عالية وان كان امرا خسيسا كطلب الدنيا و

وحظوظها سميت همة دنية وسوابق الهمم من اضافة
الموصوف الى الصفة اي الهمم السوابق لا تخرق اسوار الاقدار
اي اذا اهتم العارف او المريد بشيء وقويت همته بذلك
فان الله تعالى يكون ذلك بقدرته في ساعة واحدة حتى
يكون امره بامر الله وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي
الله عنه يقول المريد الصادق اذا كان فانيا في الاسم مهما
اهتم بالشيء كان وان كان فانيا في الذات تكون الشيء الذي
يحتاجه قبل ان يهتم به او كلام هذا معناه وهو صحيح
وفي بعض الاخبار يقول الله تعالى عبدي انا الله الذي
اقول للشيء كن فيكون فاطعني اجعلك تقول للشيء كن
فيكون وفي الحديث الصحيح ايضا فاذا احببته كنت له
سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ان سالني اعطيته الحديث
ومع ذلك لا ينفعصل بذلك ولا يكون الا ما احاط به قدر الله لا ينفعل
وقضاؤه فهمة العارف تتوجه للشيء فان وجدت القضاء
سبق به كان ذلك باذن الله وان وجدت سور القدر مضروبا
عليه لا تخرقه بل تتادب معه وترجع لوصفها وهي العبودية
فلا تتاسف ولا تحزن بل ربما تفرح لرجوعها لمحلها وتحققها
بوصفها وقد كان شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه
يقول نحن اذا قلنا شيئا فخرج فرحنا مرة واحدة واذا لم يخرج
فرحنا عشر مرات وذلك لتحققه بمعرفة الله قيل لبعضهم بما
ذا عرفت ربك قال بنقض العزائم وقد يحصل هذا التاثير
للهمة القوية وان كان صاحبها ناقصا كما يقع للعائن
والساحر عن خبثهما او الخاصية جعلها الله فيه اذا انظروا
الشيء

12

الشيء بقصد انفعل ذلك باذن الله وهذا كله ايضا لا يخرق
اسوار الاقدار بل لا يكون الا ما اراد الواحد القهار قال تعالى
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقال تعالى انا كل
شيء خلقناه بقدر وقال تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء
الله وقال صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز
والكيس اي النشاط للفعل واشعر قوله سوابق ان الهمم
الضعيفة لا ينفعل لها شيء وهو كذلك في الخير والشر وفي استعا
استعارته الخرق والاسوار ما يشعر بالقوة في الجانبين لكن
الحاصر قاهر فلا عبرة بقوة العبد القاصر واذا كانت الهمة
لا تخرق اسوار الاقدار فما بالك بالتدبير والاختيار الذي
اشار اليه بقوله ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك
عنك لا تقم به انت لنفسك قلت التدبير في اللغة هو النظر
في الامور واواخرها وفي الاصطلاح هو كما قال الشيخ زروق
في اوائل
رضي الله عنه تقدير شؤون يكون عليها في المستقبل بما يخاف
او يرجى بالحكم لا بالتفويض فان كان مع تفويض وهو اخروي
فنية خير او طبعي فشهوة او دنيوي فامنية اه فاقتضى
كلامه ان التدبير على ثلاثة اقسام قسم مذموم وقسم مطلوب
وقسم مباح فاما المذموم فهو الذي يصحبه الجزم والتصميم
سواء كان دينيا او دنيويا لما فيه من قلة الادب وما يجلبه
لنفسه من التعب اذ ما قام به الحي القيوم لا تقوم به انت عن
نفسك وغالب ما تدبره لنفسك لا تساعده رياح الاقدار
وتعقبه الهموم والاكدار ولذلك قال احمد بن مسروق من ترك
التدبير فهو في راحة وقال سهل بن عبد الله ذروا التدبير

والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الروح والراحة في الرضى و
اليقين وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لا تختر
من امرك شيئا واختر ان لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك
ومن كل شيئ الى الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ١ه
وقال ايضا ان كان ولا بد من التدبير فدبر ان لا تدبر وقيل
من لم يدبر دبر له وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه
من اوصاف الولي الكامل ان لا يكون محتاجا الا الى الحال الذي يقيمه
مولاه فيه في الوقت يعني ما له مراد الا ما يبرز من عنصر القدرة ١ه
فكلام هؤلاء السادة ان محمول على ما اذا كان بالنفس مع الجزم
واما ما كان مع التفويض فليس بمذموم ما لم يطل واما القسم
المطلوب فهو تدبير ما كلفت به من الواجبات وما ندبت
اليه من الطاعات مع تفويض المشيئة والنظر الى القدرة
وهذا يسمى النية الصالحة وقد قال عليه السلام نية المؤمن
خير من عمله وقال ايضا حاكيا عن الله سبحانه اذا هم عبدي
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة الحديث وهذا مفهوم
قول الشيخ فما قام به غيرك اذ مفهومه ان ما لم يقم به عنك
وهو الطاعة لا يضرك تدبيره ولذلك قال ابراهيم الخواص
رضي الله عنه العلم كله في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع
ما استكفيت فقوله لا تتكلف ما كفيت هو القسم الاول المذموم
وقوله ولا تضيع ما استكفيت هو القسم الثاني المطلوب وقال
الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه وكل مختارات الشرع وترتيباته
ليس لك منه شيئ انما هو مختار الله لك واسمع واطع وهذا
محل

محل الفقه الرباني والعلم الالهامي وهو ارض لتنزل علم الحقيقة
المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى ١ه وقوله لمن استوى اي
كمل عقله وتمت معرفته واستوت حقيقته مع شريعته لكن لا ينبغي
الاسترسال معه فيشغله عن الله واما القسم المباح فهو
التدبير في امر دنيوي او طبيعي مع التفويض للمشيئة والنظر
لما يبرز من القدرة على معول على شيئ من ذلك وعليه يحمل
قوله صلى الله عليه وسلم التدبير نصف العيش بشرط
ان لا يردده المرة بعد المرة فالتدبير المباح منه هو مرور
على القلب كالريح يدخل من طاق ويخرج من اخرى وهذا هو
التدبير بالله وهو شان العارفين المحققين وعلامة كونه بالله
انه اذا برز من القدرة عكس ما دبر لم ينقبض ولم يضطرب
بل يكون كما قال الشاعر

سلم لسلمى وسر حيث سارت ... واتبع رياح القضا ودر حيث دارت

وقال في التنوير فائدة اعلم ان الاشياء انما تذم وتمدح
بما تؤدي اليه فالتدبير المذموم ما شغلك عن الله
وعطلك عن القيام بخدمة الله وصدك عن معاملة الله
والتدبير المحمود هو الذي يؤديك الى القرب من الله ويو
ويوصلك الى مرضات الله انظر بقية كلامه فهذا اخر
ما ظهر لي في شان التدبير وقد الف الشيخ رضي الله عنه
فيه كتابا سماه التنوير في اسقاط التدبير احسن فيه واجاد
ومرجعه الى ما ذكرنا والله تعالى اعلم ولما كملته اطلع
عليه الولي الكامل سيدي ياقوت العرشي فلما طالعه قال
له جميع ما قلت مجموع في بيتين وهما هذان

+ ما ثم الا ما اراد ... فاترك همومك وانطرح
واترك شواغلك التي ... شغلت بها تسترح

ولما كان الانهماك في التدبير والاختيار يدل على انطماس
البصيرة وتركهما وفعلهما بالله يدل على فتح البصيرة ذكر
علامة اخرى اظهر واشهر منهما على فتح البصيرة او
طمسها فقال **اجتهادك في ما ضمن لك وتقصيرك
فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك**
قلت الاجتهاد في الشيء استفراغ الجهد والطاقة في طلبه
والتقصير هو التفريط والتضييع والبصيرة ناظر القلب كما
ان البصر ناظر القالب فالبصيرة لا ترى الا المعاني والبصر
لا يرى الا المحسوسات او تقول البصيرة لا ترى الا اللطيف
والبصر لا يرى الا الكثيف او تقول البصيرة لا ترى الا القديم
والبصر لا يرى الا الحادث او تقول البصيرة لا ترى الا المكون
والبصر لا يرى الا الكون فاذا اراد الله فتح بصيرة العبد
اشغله في الظاهر بخدمته وفي الباطن بمحبته فكلما عظمت
المحبة في الباطن والخدمة في الظاهر قوي نور البصيرة
حتى يستولي على البصر فيغيب نور البصر في نور البصيرة
فلا يرى الا ما تراه البصيرة من المعاني اللطيفة والانوار
القديمة وهذا معنى قول شيخ شيوخنا المجذوب
غيبت نظري في نظري ... وافنيت عن كل فاني، حققت ما وجدت غير
وامسيت في الحال هني، واذا اراد الله خذلان عبده اشغله
في الظاهر بخدمة الاكوان وفي الباطن بمحبتها فلا يزال
كذلك حتى ينطمس نور بصيرته فيستولي نور بصره على
نور

نور بصيرته فلا يرى الا الحس ولا يخدم الا الحس فيجتهد في
طلب ما هو مضمون من الرزق المقسوم ويقصر فيما هو
مطلوب منه من الفرض المحتوم ولو كان بذل الاجتهاد
استغراقا وبدل التقصير تركا لكان بذل الطمس عمى وهو
الكفر والعياذ بالله لان الدنيا كنهر طالوت لا ينجو منها الا
من لم يشرب او اغترف غرفة بيده لا من شرب على قدر عطشه
فافهم قاله الشيخ زروق رضي الله عنه وقال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه البصيرة كالبصر ادنى شيء يقع فيه يمنع النظر
وان لم ينته الى العمى فالخطرة من الشر تشوش النظر وتكدر
الفكر والارادة له تذهب بالخير راسا والعمل به يذهب عن صاحبه
سهما من الاسلام فيما هو فيه ويأتي بضده فاذا استمر على الشر
تغلت منه الاسلام فاذا انتهى الى الوقيعة في الامة وموالات
الظلمة حبا في الجاه والمنزلة وحبا للدنيا على الاخرة فقد
تغلت منه الاسلام كله ولا يغرنك ما توسم به ظاهرا
فانه لا روح له اذ الاسلام حب الله وحب الصالحين من عباده
اه ولما كان الاجتهاد في المضمون كله مذموما كان بالفعل
كما تقدم او بالقول وهو الاستعجال في تحصيله قبل ابانه
بالدعاء او بغيره اشار الى ذلك بقوله **لا يكن تأخر امد
العطاء مع الالحاح في الدعاء موجبا ليأسك فهو
ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك لا فيما تختار لنفسك
وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد** قلت
الالحاح في الشيء هو تكريره من وجه واحد والدعاء طلب
مصحوب بأدب في بساط العبودية لجناب الربوبية والموجب

للشيئ ما كان اصلا في وجوده والياس قطع المطامع اعلم ان من
اسمائه تعالى القيوم وهو مبالغة في القيام فقد قام تعالى بأمر
خلقه من عرشه الى فرشه وعين لكل مظهر وقتا محدودا وا
جلا معلوما ولكل واحد شكلا ورزقا مقسوما فاذا جاء
اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فاذا تعلق قلبك
بحاجة من حوائج الدنيا والاخرة فارجع الى وعد الله واقنع
بعلم الله ولا تحرص ففي الحرص تعب ومذلة قال شيخ شيخنا
مولاي العربي رضي الله عنه الناس تقضى حوائجهم بالحرص
فيها والجري عليها ونحن تقضى حوائجنا بالزهد فيها وا
لاشتغال بالله عنها اه وان كان ولا بد من الدعاء فليكن
دعاؤك عبودية لا طلبا للحظ فان تركت الحظوظ صبت عليك
الحظوظ وان غلب عليك وارد الطلب وطلبت شيئا ثم تأخر
عنك وقت العطاء فيه فلا تتهم الله في وعده حيث قال ادعوني
استجب لكم ولا تيأس من نواله ورفده فان الله قد ضمن لك
الاجابة فيما يريد من خير الدنيا وخير الاخرة وقد يمنعك
لطفا بك لكون ذلك المطلب لا يليق بك كما قال الشيخ
ابو الحسن اللهم انا قد عجزنا عن دفع الضر عن انفسنا من حيث
نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم وقد
قال بعض المفسرين في قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار
ما كان لهم الخيرة ما موصولة اي ويختار الامر الذي لهم فيه خيرتهم
وقد يكون اجابك وعين لذلك وقتا هو اصلح لك وانفع
فيعطيك ذلك في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد
وقد يؤخر لك ذلك لدار الكرامة والبقاء وهو خير لك وابقى

وفي الحديث

١٥

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من داع الا وهو
بين احدى ثلاث اما ان تعجل له طلبته واما ان يدخر له ثوابها
واما ان يصرف عنه من السوء مثلها الحديث وقال الشيخ عبد
العزيز المهدوي رضي الله عنه من لم يكن في دعائه تاركا
لاختياره راضيا باختيار الحق تعالى له فهو مستدرج ممن قيل
له اقضوا حاجته فاني اكره ان اسمع صوته فان كان مع اختيار
الحق تعالى لا مع اختياره لنفسه كان مجابا وان لم يعط والاعمال
بخواتيمها اه ثم حقق لك ما تقدم من انجاز الوعد ونفوذ الموعود
ولكن على الوجه الذي يريد وفي الوقت الذي يريد وامرك في ذلك
بالصدق والتصديق ونهاك عن الشك والترديد ليكمل بذلك
فتح بصيرتك وتبتهج انوار سريرتك فقال لا يشككنك في
الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك
قدحا في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك التشكيك في الشيء
هو التردد في الوقوع وعدمه والوعد الاخبار بوقوع الشيء في محله
والموعود المخبر به والقدح في الشيء التنقيص له والغض من مرتبته
والبصيرة القوة المهيئة لادراك المعاني والسريرة القوة المستعدة
لتمكن العلم والمعرفة واعلم ان النفس والعقل والروح والسر
شيء واحد لكن تختلف التسامي باختلاف المدارك فما
كان من مدارك الشهوات فمدركه النفس وما كان من مدارك
الاحكام الشرعية فمدركه العقل وما كان من مدارك التجليات
والواردات فمدركه الروح وما كان من مدارك التحقيقات
والتمكنات فمدركه السر والمحل واحد واخماد الشيء خفاؤه
بعد ظهوره قلت اذا وعدك الحق تعالى بشيء على لسان الوحي

اوالهام من نبي اوولي اوتجل قوي فلا تشك ايها المريد
في ذلك الوعد ان كنت صديقا فان لم يتعين زمنه فالامر
واسع وقد يطول الزمان وقد يقصر فلا تشك في وقوعه
وان طال زمنه وقد كان بين دعاء سيدنا موسى وهارون
على فرعون بقوله ربنا اطمس على اموالهم الاية اربعون
سنة على ما قيل وان تعين زمنه ولم يقع ذلك عند
حلوله فلا تشك في صدق ذلك الوعد فقد يكون ذلك
مترتبا على اسباب وشروط غيبية اخفاها الله تعالى عن ذلك
النبي اوالولي لتظهر قهريته وعزته وحكمته وتامل قضية
سيدنا يونس عليه السلام حيث اخبر قومه بالعذاب
لما اخبر به وفر عنهم وكان ذلك متوقفا على عدم اسلامهم
فلما اسلموا تاخر عنهم العذاب وكذلك قضية سيدنا نوح
عليه السلام حيث قال ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
فوقف مع ظاهر العموم فقال له تعالى انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح ونحن انما وعدناك بنجاة الصالح من اهلك
وان فهمت العموم فعلمنا متسع ولهذا السر الخفي كان الرسل
عليهم السلام واكابر الصديقين لا يقفون مع ظاهر الوعد
فلا يزول اضطرارهم ولا يكون مع غير الله قرارهم بل ينظرون
لسعة علمه تعالى ونفوذ قهره ومنه قول سيدنا ابراهيم
الخليل ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع
ربي كل شيء علما وقول سيدنا شعيب عليه السلام وما يكون لنا
ان نعود فيها اي في ملة الكفر الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا
كل شيء علما وقضية نبينا صلى الله عليه وسلم يوم بدر
حيث

حيث دعا حتى سقط رداؤه وقال اللهم عهدك ووعدك
اللهم ان تهلك هذه العصابة لم تعبد اليوم فقال له الصديق بعدها
حسبك يا رسول الله فان الله منجز لك ما وعدك فنظر
المصطفى اوسع لعدم وقوفه مع ظاهر الوعد ووقف الصديق
مع الظاهر فكل على صواب والنبي صلى الله عليه وسلم اوسع
نظرا واكمل علما واما قضية الحديبية فلم يتعين فيها
زمن الوعد لقوله تعالى فعلم ما لم تعلموا وقد قال عليه السلام
لعمر حين قال له الم تخبرنا انا ندخل مكة فقال له اقلت لك
هذا العام فقال لا فقال انك داخلها ومطوف بها فشد
يدك يا اخي على تصديق ما وعدك الله به وحسن ظنك به
وباوليائه ولا سيما شيخك فاياك ان تضمر التكذيب
او الشك فيكون ذلك قدحا في بصيرتك وقد يكون
سببا في طمسها ويكون ايضا اخمادا اي اخفاء واطفاء لنور
سريرتك فترجع من حيث جئت وتهدم كلما بنيت فانظر
احسن التاويلات والتمس احسن المخارج وقد تقدم قول
شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه نحن اذا قلنا شيئا
فخرج فرحنا مرة واذا لم يخرج فرحنا عشر مرات وما ذلك الا لوسع
نظره وتمكنه من معرفة ربه وايضا قد يطلع الله اولياءه
على نزول القضاء ولا يطلعهم على نزول اللطف فينزل ذلك
القضاء مصحوبا باللطف فينزل خفيفا سهلا حتى يظن انه
لم ينزل وقد شهدنا هذا وما قبله من انفسنا ومن اشياخنا
رضي الله عنهم فلم ينقض صدقنا ولم يخمد نور سريرتنا
فلله الحمد ربنا تنبيه كان شيخنا الفقيه العلامة سيدي التاودي

ابن سودة يستشكل هذه الحكمة ويقول كيف يتصور تعيين
الزمان انه كان بالوحى فقد انقطع وان كان بالالهام فلا
يلزم من الشك فيه القدح فى البصيرة اذ لا يجب الايمان به
قلنا كلا ما مع المريد بن الصديقين السائرين اوالوا
اوالواصلين وهم مطالبون بالتصديق للاشياخ فى كل
ما نطقوا به اذهم ورثة الانبياء فهم على قدمهم فللا
نبياء وحى الاحكام وللاولياء وحى الالهام لان القلوب
اذا صفت من الاكدار والاغيار وملئت بالانوار والاسرار
لا يتجلى فيها الا الحق فاذا نطق بشئ من وعد ووعيد
يجب على المريد تصديقه فاذا دخله تشكيك او ترديد تردد
فيما وعده الله على لسان نبيه او شيخه قدح ذلك فى نور
بصيرته واخمد سريرته فان لم يوجد زمنه انتظر وقوعه
وان طال وان عين زمنه ولم يقع تاول فيه ما تقدم فى حق
الرسل من توقفه على اسباب وشروط خفيه وبهذا افترق ابين
الصديق والصادق لان الصديق لا يتردد ولا يتعجب
والصادق يتردد ثم يجزم وان رءا خرق عادة تعجب
واستغرب والله تعالى اعلم ولما كانت التعرفات القهرية
ظاهرها جلال وباطنها جمال لما يعقبها من اوصاف
الكمال وربما يشك المريد فيما وعد الحق عليها من الخيرات
وما رتب عليها من الفتوحات نبه الشيخ على ذلك فقال
اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك وان قل
فانه ما فتحها عليك الا وهو يريد ان يتعرف اليك الم تعلم
ان التعرف هو مورده عليك والاعمال انت مهد بها اليه واين
ما تهدى به

ما تهدى به اليه مما هو مورده عليك فتح هنا بمعنى هيأ
ويسر والغالب استعماله فى الخير فاشعر الاتيان به هنا ان جهة
التعريف من الامور الجميلة والوجهة هى الجهة والمراد هنا
الباب والمدخل والتعرف طلب المعرفة تقول تعرف لى فلان
اذا طلب منى معرفته والمعرفة تمكن حقيقة العلم بالمعروف
من القلب حتى لا يمكن الانفكاك عنه بحال والمبالاة التهمم
بفوات الشئ قلت اذا تجلى لك الحق تعالى باسمه الجليل
او باسمه القهار وفتح لك منها بابا ووجهة لتعرفه منها
فاعلم ان الله تعالى قد اعتنى بك واراد ان يجتبيك
لقربه ويصطفيك لحضرته فالتزم الادب معه بالرضى
والتسليم وقابله بالفرح والسرور ولا تبال بما يفوتك
بها معها من الاعمال البدنية فانما هى وسيلة للاعمال
القلبية فانه ما فتح هذا الباب الا وهو يريد ان يرفع
بينك وبينه الحجاب الم تعلم ان التعرفات الجلالية هو الذى
اوردها عليك لتكون عليه واردا والاعمال البدنية انت
مهد بها اليه لتكون اليه بها واصلا وفرق كبير بين ما تهدى به
من الاعمال المدخولة والاحوال المعلولة وبين ما يورده
عليك الحق تعالى من تحف المعارف الربانية والعلوم اللدنية
فطب نفسا ايها المريد بما ينزل عليك من هذه التعرفات
الجلالية والنوازل القهرية ومثل ذلك كالامراض والاوجاع
والشدائد والاهوال وكل ما ينغص النفس ويثقلها كالفقر
والذل واذاية الخلق وغير ذلك مما تكرهه النفوس فكلما
ينزل بك من هذه الامور فهى نعم كبيرة ومواهب غزيرة

تدل على قوة صدقك اذ بقدر ما يعظم الصدق يعظم
التعرف اشد كم بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل والصدق
متبوع واذا اراد الله ان يطوى مسافة البعد بينه وبين
عبده سلط عليه البلاء حتى اذا تخلص وتمحص صلح للحضرة
كما تصفى الفضة والذهب بالنار لتصلح لخزانة الملك
وما زالت الشيوخ والعارفون يفرحون بهذه النوازل
ويستعدون لها فى كسب المواهب وكان شيخ شيوخنا سيدي
علي العمراني رضى الله عنه يسميها ليلة القدر ويقول
لان الحيرة هى ليلة القدر التى هى خير من الف شهر وذلك — لان الحيرة
لاجل ما يجتنيه العبد منها من اعمال القلوب التى هى الذرة
منها افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح وقد قلت فى ذلك
بيتين وهما: اذا طرقت باب الحمى الدهر فاقة * فتحت لها باب المسرة والبشر
وقلت لها اهلا وسهلا ومرحبا * فوقتك عندى احظى من ليلة القدر — لعله فوقتك احظى من ليالي القدر
واعلم ان هذه التعرفات الجلالية هى اختبار من الحق
ومعيار للناس وبها تعرف الفضة والذهب من النحاس
فكثير من المدعين يظهرون على السنتهم المعرفة واليقين
فاذا وردت عليهم عواصف رياح الاقدار القتهم
فى مهاوى القنط والانكار من ادعى ما ليس فيه فضحته
شواهد الامتحان وكان شيخ شيخنا مولاى العربى
رضى الله عنه يقول العجب كل العجب ممن يطلب معرفة
الله ويحرص عليها فاذا تعرف له الحق تعالى هرب منه
وانكره وقال شيخنا البزيدى رضى الله عنه هذه
التعرفات الجلالية على ثلاثة اقسام قسم عقوبة وطرد
وقسم

وقسم تاديب وتنبيه وقسم زيادة وترق اما الذى
هو عقوبة وطرد فهو الذى يسىء الادب فيعاقبه الحق تعالى
ويجهل فيها فيسخط ويقنط وينكر فيزداد من الله طردا
وبعدا واما القسم الذى هو تاديب فهو الذى يسىء
الادب فيؤدبه الحق تعالى فيعرفه فيها وينبهه لسوء ادبه
وينهض من غفلته فهى فى حقه نعمة فى مظهر النقمة
واما الذى هى فى حقه زيادة وترق فهو الذى تنزل به هذه
النقم فلتة من غير سبب فيعرف فيها ويتادب معها ويترقى
بها الى مقام الرسوخ والتمكين اه بالمعنى قلت ولذلك
قال بعضهم بقدر الامتحان يكون الامتنان وقال ايضا
اختبار الباقى يقطع المتباقى فائدة اذا اردت ان يسهل عليك
الجلال فقابله بضده وهو الجمال فانه ينقلب جمالا فى ساعته
وكيفية ذلك انه اذا تجلى باسمه القابض فى الظاهر فقابله
انت بالبسط فى الباطن فانه ينقلب بسطا واذا تجلى لك باسمه
القوى فقابله انت بالضعف او تجلى باسمه العزيز فقابله بالذل
فى الباطن وهكذا تقابل الشىء بضده قياما بالقدرة والحكمة
وكان شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه يقول ما هى
الا حقيقة واحدة ان شربتها عسلا وجدتها عسلا وان شربتها
لبنا وجدتها لبنا وان شربتها حنظلا وجدتها حنظلا فاشرب
يا اخى المليح ولا تشرب القبيح اه ومعنى كلامه رضى الله عنه
هو كما تقدم كما تقابله يقابلك والله تعالى اعلم ولما
تكلم على الاعمال وثمراتها وهو الادب ومرجعه الى السكون
تحت مجارى الاقدار من غير تدبير ولا اختيار ولا تعجيل

لما تأخر ولا تأخر لما تعجل بل يكون محط نظره الى ما يبرز من عنصر
الغدرة فيتلقاه بالمعرفة تكلم على تنويعها وتهذيبها
بتهذيب عاملها فقال **تنوعت اجناس الاعمال بتنوع واردات**
الاحوال تنويع الشيء تكثيره والاعمال هنا عبارة عن حركة
الجسم والواردات والاحوال عبارة عن حركة القلب فالخاطر
والوارد والحال محلها واحد وهو القلب لكن ما دام القلب
تخطر فيه الخواطر الظلمانية والنورانية سمي ما يخطر فيه
خاطرا وان انقطعت عنه الخواطر الظلمانية سمي ما يخطر
فيه واردا او حالا فاضافة احدهما الى الاخر اضافة بيانية
وكلاهما يتحولان فان دام ذلك سمي مقاما **قلت** قد تنوعت
اجناس الاعمال الظاهرة بتنوع الاحوال الباطنة **او تقول**
اعمال الجوارح تابعة لاحوال القلوب فان ورد على القلب
قبض ظهر على الجوارح اثره من السكون وان ورد عليه بسط
ظهر على الجوارح اثره من الخفة والحركة وان ورد على القلب
زهد وورع ظهر على الجوارح اثره وهو ترك واحجام اي تأخر
وان ورد على القلب رغبة وحرص ظهر على الجوارح اثره وهو
كد وتعب وان ورد على القلب محبة وشوق ظهر على الجوارح
اثره وهو شطح ورقص وان ورد على القلب معرفة وشهود
ظهر على الجوارح اثره وهو راحة وركود الى غير ذلك من الاحوال
وما ينشأ عنها من الاعمال وقد تختلف هذه الاحوال على قلب
واحد فيتلون الظاهر في اعماله وقد يغلب حال واحد فيظهر
عليه اثر واحد فقد يغلب على الشخص القبض فيكون مقبوضا
في الغالب وقد يغلب عليه البسط كذلك الى غير ذلك من الاحوال

والله

والله تعالى اعلم **وفي الحديث** ان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
قلت ولاجل هذا المعنى اختلفت احوال الصوفية فمنهم
عباد ومنهم زهاد ومنهم الورعون والمريدون والعارفون
قال الشيخ زروق رضي الله عنه في قواعده قاعدة النسك
الاخذ بكل مسلك من الفضائل من غير مراعات لغير ذلك فان
رام التحقيق في ذلك اي النسك فهو العابد وان مال للاخذ
بالاحوط فهو الورع وان آثر جانب الترك طالبا للسلامة
فهو الزاهد وان ارسل نفسه في مراد الحق فهو العارف وان اخذ
بالتخلق والتعلق فهو المريد اه المراد منه **وقال** في قاعدة
اخرى لا يلزم من اختلاف المسالك اختلاف المقاصد بل يكون
متحدا مع اختلاف مسالكه كالعبادة والزهادة والمعرفة مسالك
لقرب الحق على سبيل الكرامة وكلها متداخلة فلا بد للعارف
من عبادة والا فلا عبرة بمعرفته اذ لم يعبد معروفه ولا بد
له من زهادة والا فلا حقيقة عنده اذ لم يعرض عما سواه
ولا بد للعابد منهما اذ لا عبادة الا بمعرفة ولا فراغ للعبادة
الا بزهد والزاهد كذلك اذ لا زهد الا بمعرفة اي في الجملة
ولا زهد الا بعبادة والا عاد بطالة نعم من غلب عليه العمل
فعابد او الترك فزاهد او النظر لتصريف الحق فعارف والكل
صوفية والله اعلم اه ولما كان الاخلاص شرطا في كل عمل ذكره
بإثره فقال **الاعمال صور قائمة وارواحها وجود سر الاخلاص**
فيها الاعمال هنا عبارة عن الحركة الجسمانية او القلبية
والصور جمع صورة وهو ما يتشخص في الذهن من الكيفيات

والروح السر المودع فى الحيوانات وهو هنا عبارة عما يقع به
الكمال المعتبر فى الاعمال والاخلاص افراد القلب لعبادة
الرب وسره لبه وهو الصدق المعبر عنه بالتبرى من الحول والقوة
اذ لا يتم الا به وان صح دونه اذ الاخلاص نفى الرياء والشرك
الخفى وسره نفى العجب وملاحظة النفس والرياء قادحة فى
سر العمل والعجب قادح فى كماله فقط قلت الاعمال كلها اشباح
واجساد وارواحها وجود الاخلاص فيها فكما لا قيام للاشباح
الا بالارواح والا كانت ميتة ساقطة كذلك لا قيام للاعمال
البدنية والقلبية الا بوجود الاخلاص فيها والا كانت صورا
قائمة واشباحا خاوية لا عبرة بها قال تعالى وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقال تعالى فاعبد الله
مخلصا له الدين وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله
تعالى يقول انا اغنى الشركاء من اشرك معى غيرى تركته
وشريكه وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتى
الشرك الخفى وهو الرياء وفى رواية اتقوا هذا الشرك الخفى
فانه يدب دبيب النمل قيل وما الشرك الخفى قال الرياء اه بالمعنى
لطول العهد به وفى حديث مسلسل الى النبى صلى الله عليه
وسلم انه سئل عن الاخلاص فقال حتى اسال جبريل فلما
ساله قال حتى اسال رب العزة فلما ساله قال هو سر من
اسرارى اودعه قلب من احببت من عبادى لا يطلع عليه
ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده قال بعضهم هو مقام الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه والاخلاص ثلاث درجات درجة
العوام والخواص وخواص الخواص فاخلاص العوام هو
اخراج

اخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية
والاخروية كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور
والحور واخلاص الخواص طلب الحظوظ الاخروية دون الدنيوية
واخلاص خواص الخواص اخراج الحظوظ بالكلية فعبادتهم
تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية او محبة وشوقا
الى رؤيته كما قال ابن الفارض

ليس سؤلى من الجنان نعيما ... غير انى احبها لاراكا وقال غيره

كلهم يعبدون من خوف نار ... ويرون النجاة حظا جزيلا
او بان يسكنوا الجنان فيضحوا ... فى رياض ويشربوا السلسبيلا
ليس لى فى الجنان والنار راى ... انا لا ابتغى بحبى بديلا

قال الشيخ ابو طالب رضى الله عنه الاخلاص عند المخلصين
اخراج الخلق من معاملة الحق واول الخلق النفس والاخلاص عند المحبين
ان لا يعملوا عملا لاجل النفس والا دخل عليها مطالعة العوض
او الميل الى حظ النفس والاخلاص عند الموحدين خروج
الخلق من النظر اليهم فى الافعال وعدم السكون والاستراحة
اليهم فى الاحوال وقال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص
وصحح اخلاصك بالتبرى من الحول والقوة اه كلامه وقال بعض
العارفين لا يتحقق الاخلاص حتى يسقط من عين الناس
ويسقط الناس من عينه ولذلك قال اخ كلما سقطت
من عين الخلق عظمت فى عين الحق وكلما عظمت فى عين الخلق
سقطت من عين الحق يعنى مع ملاحظتهم ومراقبتهم وسمعنا
شيخنا يقول مادام العبد يراقب الناس ويهابهم لا يتحقق
اخلاصه ابدا وقال ايضا لا يجتمع مراقبة الحق مع مراقبة الخلق

ابدا اذ محال ان تشهده وتشهد معه سواه اه والحاصل لا يمكن
الخروج من النفس والتخلص من دقائق الرياء من غير شيخ ابدا
والله تعالى اعلم ولما كان الخمول من مضامن الاخلاص بل لا يتحقق
في الغالب الا به اذ لا حظ فيه للنفس ذكره بعده فقال ادفن وجودك
في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه الدفن هو
التغطية والستر والخمول سقوط المنزلة عند الناس ونتاج
الشجرة ثمرتها استعيرها هنا للحكم والمواهب والعلوم التي
يجتنيها العبد من المعرفة بالله وذلك عند موت نفسه
وحياة روحه قلت استر نفسك ايها المريد وادفنها
في ارض الخمول حتى تستانس به وتستحليه ويكون عندها
احلى من العسل ويصير الظهور عندها امر من الحنظل فاذا
دفنتها في ارض الخمول وامتدت عروقها فيه فحينئذ تجني ثمرتها
ويتم لك نتاجها وهو سر الاخلاص والتحقق بمقام خواص
الخواص واما اذا لم تدفنها في ارض الخمول وتركتها على ظهر
الشهرة بجول ماتت شجرتها او سقطت ثمرتها فاذا جنى
العارفون ما غرسوه من جنان معارفهم من العلوم وما دفنوه
من كنوز الحكم ومخازن الفهوم بقيت انت فقيرا سائلا او سا
او سارقا صائلا قال سيدنا عيسى عليه السلام لاصحابه
اين تنبت الحبة قالوا في الارض قال كذلك الحكمة لا تنبت
الا في قلب كالارض اه وقال بعض العارفين كلما دفنت
نفسك ارضا ارضا سما قلبك سماء سماء وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو لا يؤبه به
عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره في قسمه وكان
عليه

٢١

عليه الصلاة والسلام جالسا مع الاقرع بن حابس كبير بني تميم
فمر عليه رجل من فقراء المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام
للاقرع بن حابس ما تقول في هذا فقال هذا يا رسول الله
من فقراء المسلمين حقيق ان خطب ان لا يزوج وان استاذن
ان لا يؤذن له وان قال ان لا يسمع له ثم مر بهما رجل من
المترفين فقال له عليه السلام وما تقول في هذا فقال هذا
حقيق ان خطب ان يزوج وان استاذن ان يؤذن له وان
قال ان يسمع له فقال له صلى الله عليه وسلم هذا يعني
الفقير خير من ملء الارض من هذا وفي مدح الخمول احاديث
كثيرة وفضائل مشهورة ولو لم يكن فيه الا الراحة وفراغ
القلب لكان كافيا وانشد بعضهم وهو الحضرمي
عش خامل الذكر بين الناس وارض به ... فذاك اسلم للدنيا وللدين — الخلق
من عاشر الناس لم تسلم ديانته ... ولم يزل بين تحريك وتسكين
وقال بعض الحكماء الخمول نعمة والنفس تاباه والظهور
نعمة والنفس تهواه وقال اخر طريقتنا هذه لا تصلح — تقوم
الا بقوم كنست بارواحهم المزابل قلت ويجب على من
ابتلي بالجاه والرياسة ان يستعمل من الخراب ما يسقط به جاهه
وان كان مكروها دون الحرام المتفق عليه بقصد الدواء كالسؤال
في الحوانيت او الديار والاكل في السوق وحيث يراه الناس
وكالرقاد فيه وكالسعي بالقربة وحمل الزبل على الراس بوقاية
وكالمشي بالحفا واظهار الحرص والبخل والشح وكلبس
المرقعة وتعليق السبحة الكبيرة وكلما يثقل على النفس من المباح
او المكروه دون الحرام قال الشيخ زروق رضي الله عنه وكما

لايصلح دفن الزرع في ارض رديئة لا يجوز الخمول بحالة غير
مرضية وقياس ذلك بالفصة لا يصح لان فوت الحياة الحسية
مانع من كل خير واجبا ومندوبا وتفويتها مع امكان ابقائها
محرم اجماعا لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بخلاف
الخمول لا يفوت به شيء من ذلك انما يفوت به الكمال وهو نفي
الجاه والمنزلة واصله الاباحة اه واجاب بعضهم بانه اذا
جاز لفوت الحياة الفانية فاولى ان يجوز لفوت الحياة الدائمة
وهي المعرفة فتامله وقصة لص الحمام تشهد له والله تعالى
اعلم ولقد سمعت شيخنا رضي الله يقول الفقير الصديق يقتل
نفسه بادنى شيء من المباح والفقير الكذاب يقع في المحرم ولا يقتلها
وكان كثيرا ما ينهى عن الاحوال الظلمانية ويقول عندنا من
المباح ما يغنينا عن المحرم والمكروه واما السؤال فانما هو مكروه
او حرام لقصد قوت الاشباح مع الكفاية واما القصد قوت
الارواح فليس بحرام وقد ذكر القسطلاني في شرح البخاري
عن ابن العربي الفقيه انه واجب على الفقير في بدايته
فانظره وقد ذكره في المباحث الاصلية مستوفى فانظره
وسياتي الكلام عليه ان شاء الله عند قوله لا تمدن يدك
الى الاخذ من الخلائق الخ فان قلت هذا الخراب الذي ذكرت
فيه شهرة ايضا اذ الخمول هو الخفاء عن اعين الناس وهذا فيه
ظهور كبير قلت الخمول هو اسقاط المنزلة عند الناس
وكتمان اسرار الولاية وكلما يسقط المنزلة عندهم وينفي
تهمة الولاية فهو خمول وان كان في الحس ظهورا ولذلك
كان شيخنا رضي الله عنه يقول طريقتنا منها الخمول في الظهور
والظهور

والظهور في الخمول وقال النجيبي في الانالة ما نصه ومن يقل
من الصوفية ان المرقعة شهرة فحجوا به ان سلمان الفارسي
سافر في زيارة ابي الدرداء من العراق الى الشام راجلا وعليه
كساء غليظ غير مضموم فقيل له اشهرت نفسك فقال الخير
خير الآخرة وانما انا عبد البس كما يلبس العبد فاذا اعتقت
لبست حلة لا تبلى حواشيها اه ومن ذلك قصة الغزالي رضي
الله عنه من حمله جلد الثور على ظهره حين ملاقات شيخه
الخراز وكنسه السوق واستعماله القربة لسقي الناس كذا
سمعتها من الشيخ مرارا ولم اقف عليها عند احد ممن
عرف به وانظر ما جرى له مع ابن العربي عند قوله ربما
اتسعت اماده وقلت امداده وكذلك قصة الششتري
رضي الله عنه مع شيخه ابن سبعين لان الششتري كان
وزيرا وعالما وابوه كان اميرا فلما اراد الدخول في طريق
القوم قال له شيخه لا تنال منها شيئا حتى تبيع متاعك
وتلبس قشابة وتاخذ بنديرا وتدخل السوق ففعل
جميع ذلك فقال له ما تقول في السوق فقال قل بدات
بذكر الحبيب فدخل السوق يضرب بنديره ويقول بدات
بذكر الحبيب فبقي ثلاثة ايام وخرقت له الحجب فجعل
يغني في الاسواق بعلوم الاذواق ومن كلامه رضي
الله عنه ، شويخ من ارض مكناس في وسط الاسواق يغني
اش علي انا من الناس واش على الناس مني ، ثم قال اش
حد من حد افهموا ذي الاشارة ، وانظروا كبر سني ،
والعصا والغرارة ، هكذا عشت بفاس وكذا هان هوني

اشر على من الناس واش على الناس منى وما حسن
كلامه اذا يخطر فى الاسواق وترى اهل الحوانيت تلتفت لو
بالاعناق بالغراره فى عنقه بفكيكين وتعرفان شيخ يمشى
على ساس كان شاء الله يمشى كذا اش على من الناس واش على
الناس منى وكذا قصة الرجل الذى كان مع ابى يزيد البسطامى
بقى معه ثلاثين سنة فكان لا ينقطع عن مجلسه ولا يفارقه
فقال له يوما يا استاذ انا منذ ثلاثين سنة اصوم النهار
واقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست اجد فى قلبى
شيئا من هذا الذى تذكر البتة وانا ومن يكمل ما تقول واصدقه
فقال له ابو يزيد رضى الله عنه لو صليت ثلاثمائة
سنة وانت على ما اراك عليه لا تجد منه ذرة قال فلم يا استاذ
قال لانك محجوب بنفسك قال افلهذا دواء حتى ينكشف
هذا الحجاب قال نعم ولكنك لا تقبل ولا تعمل قال بل اقبل
واعمل ما تقول قال له ابو يزيد اذهب الساعة الى الحجام
واحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة
وعلق فى عنقك مخلاة واملاءها جوزا واجمع حولك
صبيانا وقل باعلا صوتك يا صبيان من يصفعنى صفعة
اعطه جوزة وادخل سوقك الذى تعظم فيه وانت على
هذه الحالة حتى ينظر اليك كل من عرفك فقال يا ابا يزيد
سبحان الله ايقال لمثلى هذا وتحسب انى افعله فقال
له قوله سبحان الله شرك فقال له وكيف فقال له ابو يزيد
لانك عظمت نفسك فسبحتها قال يا ابا يزيد لست اقدر على
هذا ولا افعله ولكن دلنى على غير هذا حتى افعله فقال له

ابو يزيد ابدا بهذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك و
تذل نفسك ثم بعد ذلك اعرفك بما يصلح لك قال
لا اطيق هذا قال انك قد قلت انك تقبل وتعمل وانا اعلم
ان لا مطمع لعبد فيما حجب عن العامة من اسرار الغيب حتى تموت
نفسه وتخرق عوائد العامة فحينئذ تخرق له العوائد وتظهر
له الغوائد اه وكذلك قصة ابى عمران البرادعى مع شيخه
ابى عبد الله التاودى بفاس من حلق راسه ولبسه جلابية
واخذه خبزة ينادى عليها من يخلصها ففعل جميع ذلك
وكذلك قصة شيخ شيوخنا سيدى عبد الرحمن المجذوب من
اكله التين عند اشجار الناس وغنائه بالاسواق وخرابه
بالقصر مشهور حتى طوف بها مرار وكذلك قصة سيدى
على العمرانى فخرابه مشهور وكان على علم سكن السفليات حتى مات
رضى الله عنه وكذلك قصة شيخ شيخنا مولاى العربى من
لبسه الغراره وسقيه بالقربة وغير ذلك مما هو معلوم فهذه
الحكايات تدل على ان الخمول ليس هو ما يفهمه العوام من لزوم
البيوت والغرار الى الجبال فذلك هو عين الظهور عند المحققين
وانما الخمول هو كما قال الشيخ زروق رضى الله عنه تحقق الـ
النفس بوصفها الادنى وشعورها به ابدا ووصفها الادنى
هو الذل وكل ما يثقل عليها فمرجعه للتحقق بوصف التواضع
وفائدته تحصيل العمل وكمال الحقيقة اه فان قلت فى فعل
هذه الاحوال التعرض لكلام الناس وايقاعهم فى الغيبة
قلت هذا مبنى على القصد والنية وكل من فعل شيئا من ذلك
فانما قصده قتل نفسه وتحقيق اخلاصه ودواء قلبه وهم

مسامحون لمن قال فيهم عاذرون له قال سيدى على فى كتابه
نحن نعذر من عذرنا ونعذر من لم يعذرنا وقال الشيخ
زروق فى قواعده قاعدة حكم الفقه عام فى العموم لان
مقصوده اقامة رسم الدين ورفع مناره واظهار كلمته
وحكم التصوف خاص فى الخصوص لانه معاملة بين العبد
وربه من غير زائد على ذلك فمن ثم صح انكار الفقيه على
الصوفى ولم يصح انكار الصوفى على الفقيه ولزم الرجوع
من التصوف الى الفقه فى الاحكام لا فى الحقائق اه تنبيه هذه
الادوية التى ذكرنا انما هى فى حالة المرض واما من تحقق
شفاؤه وكمل فناؤه فهو عبد الله سواء اظهره او اخفاه
وفى هذا قال ابو العباس المرسى رضى الله عنه من احب
الظهور فهو عبد الظهور ومن احب الخفا فهو عبد الخفا وعبد
الله سواء عليه اظهره او اخفاه اه ولما كان التخلص من دقائق
الرياء ومخادع النفوس لا يكون فى الغالب الا بالفكرة ولا تتم
الفكرة الا بالعزلة ذكرها فقال ما نفع القلب شيء مثل عزلة
يدخل بها ميدان فكرة النفع ايصال الفائدة والقلب القوة
المستعدة لقبول العلم والعزلة انفراد القلب بالله وقد يراد بها
الخلوة التى هى انفراد القالب عن الناس وهو المراد هنا
اذ لا ينفرد القلب فى الغالب الا اذا انفرد القالب وميدان بالفتح
والكسر فى الميم مجال الخيل استعير هنا للافكار اذ تردد هى فى
مواقعها كتردد الخيل فى مجالها والفكرة سير القلب الى حضرة الرب
وهى على قسمين فكرة تصديق وايمان وفكرة شهود وعيان
على ما ياتى قلت لا شيء انفع للقلب من عزلة مصحوبة
بفكرة

بفكرة لان العزلة كالحمية والفكرة كالدواء فلا ينفع الدواء من غير ٢٩
حمية ولا فائدة فى الحمية من غير دواء فلا خير فى عزلة لا فكرة
فيها ولا نهوض لفكرة لا عزلة معها اذ المقصود من العزلة
هو تفريغ القلب والمقصود من التفريغ هو جولان القلب و
واشتغال الفكرة والمقصود من اشتغال الفكرة تحصيل العلم
وتمكنه من القلب وتمكن العلم بالله من القلب هو دواؤه
وغاية صحته وهو الذى سماه الله القلب السليم قال الله
تعالى فى شان القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
اتى الله بقلب سليم اى صحيح وقد قالوا ان القلب
كالمعدة اذا قويت عليها الاخلاط مرضت ولا ينفعها الا الحمية
وهى قلة موادها ومنعها من كثرة الاخلاط وفى الحديث
المعدة بيت الداء والحمية راس الدواء وكذلك القلب
اذا قويت عليه الخواطر واستحوذ عليه الحس مرض وربما
مات ولا ينفعه الا الحمية منها والفرار من مواطنها وهى
الخلطة فاذا اعتزل عن الناس واستعمل الفكرة نجح دواؤه
واستقام قلبه والا بقى سقيما حتى يلقى الله بقلب سقيم
بالشك والخواطر الردية نسئل الله العافية قال الجنيد
رضى الله عنه اشرف المجالس الجلوس مع الفكرة فى ميدان
التوحيد وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه ثمار العزلة
الظفر بمواهب المنة وهى اربعة كشف الغطاء وتنزل الرحمة
وتحقق المحبة ولسان الصدق فى الكلمة قال الله تعالى فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له الاية اه واعلم
ان فى العزلة عشر فوائد الاولى السلامة من افات اللسان

فان من كان وحده لا يجد مع من يتكلم وقد قال عليه السلام
رحم الله عبدا سكت فسلم او تكلم فغنم ولا يسلم فى الغالب
من آفاته الا من آثر الخلوة على الاجتماع وقال شيخ شيوخنا
سيدى على رضى الله عنه اذا رايت الفقير يؤثر الخلوة
على الاجتماع والصمت على الكلام والصيام على الشبع فاعلم ان
جبحه قد عسل واذا رايته يؤثر الخلطة والكلام والشبع
على ضدها فاعلم ان جبحه خاوى وقال فى القوت وفى كثرة
الكلام قلة الورع وعدم التقوى وطول الحساب ونشر الكتاب
وكثرة الطالبين وتعلق المظلومين بالظالمين وكثرة الاشهاد
من الكرام الكاتبين ودوام الاعراض عن الملك الكريم لان
الكلام مفتاح كبائر اللسان وفيه الكذب وفيه الغيبة والنميمة
والزور والبهتان ثم قال وفى الخبر اكثر خطايا ابن آدم فى لسانه
واكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم خوضا فيما لا يعنى
الفائدة الثانية حفظ البصر والسلامة من النظر فان من كان
معتزلا عن الناس سلم من النظر اليهم والى ما هم منكبون عليه
من زهرة الدنيا وزخرفها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم
فيه فتمنع بذلك النفس من التطلع اليها والاستشراف
لها ومنافسة اهلها وقال محمد بن سيرين رضى الله عنه
اياك وفضول النظر فانها تؤدى الى فضول الشهوة وقال
وقال بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا
ان العين سبب الحين اى الهلاك ومن ارسل طرفه اقتنص
حتفه وان النظر بالبصر الى الاشياء يوجب تفرقة القلب

اه الفائدة الثالثة حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنة
وغيرهما من الامراض قال بعض الحكماء من خالط الناس داراهم
ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فهلك
كما هلكوا وقال بعض الصوفية قلت لبعض الابدال المنقطعين
الى الله كيف الطريق الى التحقيق قال لا تنظر الى الخلق فان
النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لى قال فلا تسمع كلامهم فان
كلامهم قسوة قلت لا بد لى قال فلا تعاملهم فان معاملتهم
خسران وحسرة ووحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لى من
معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة
قلت هذا لعله يكون قال يا هذا اتنظر الى اللاعبين وتسمع
كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد
ان تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله هيهات هذا
لا يكون ابدا ثم غاب عنى وقال القشيرى رضى الله عنه
فارباب المجاهدة اذا ارادوا صون قلوبهم عن الخواطر
الردية لم ينظروا الى المستحسنات اى من الدنيا قال
وهذا اصل كبير لهم فى المجاهدات فى احوال الرياضة
الفائدة الرابعة حصول الزهد فى الدنيا والقناعة منها
وفى ذلك شرف العبد وكماله وسبب محبته عند مولاه
لقوله صلى الله عليه وسلم ازهد فى الدنيا يحبك الله
ازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس اه ولا شك
ان من انفرد عن الناس ولم ينظر الى ما هم فيه من الرغبة
فى الدنيا والانكباب عليها يسلم من متابعتهم فى ذلك
ويسلم من متابعة الطباع الردية والاخلاق الدنية وقل من

يخالطهم ان يسلم من ما هم فيه وقد روى عن عيسى عليه السلام
لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قالوا من الموتى يا روح الله
قال المحبون للدنيا الراغبون فيها الفائدة الخامسة السلامة
من صحبة الاشرار ومخالطة الارذال وفي مخالطتهم فساد
عظيم وخطر جسيم ففي بعض الاخبار مثل الجليس السوء
كمثل الكير اذا لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وقال
سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه الجلسة
مع غير الاخيار تزذل ولو تكون صافي اوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام يا داود مالي اراك منتبذا وحدانيا
فقال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا
وارتد لنفسك اخوانا وكل اخ لا يوافقك على مسرتي
فلا تصحبه فانه لك عدو ويقسي قلبك ويباعدك مني
اه فان اردت الصحبة فعليك بصحبة الصوفية فان صحبتهم
كنز لا نفاد له قال الجنيد رضي الله عنه اذا اراد الله بعبد
خيرا اوقعه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال اخر
والله ما افلح من افلح الا بصحبة من افلح الفائدة السادسة
التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر ولا شك ان العبد
العبد اذا كان وحده تفرغ لعبادة ربه واجتمع عليها
بجوارحه وقلبه لقلة من يشغله عن ذلك قال في القوت
واما الخلوة فانها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بالخالق وتقوي
العزم على الثبات الخ كلامه الفائدة السابعة وجدان
حلاوة الطاعات وتمكن لذيذ المناجات لفراغ سره وهذا
مجرب صحيح قال ابو طالب ولا يكون المريد صادقا حتى يجد
في الخلوة

في الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية
وحتى يكون انسه في الوحدة وروحه في الخلوة واحسن
اعماله في السر الفائدة الثامنة راحة القلب والبدن
فان في مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب بالاهتمام بامرهم
وتعب البدن بالسعي في اغراضهم وتكميل مرادهم وان كان
في ذلك الثواب فقد يفوته ما هو اعظم واهم وهو جمع
القلب في حضرة الرب الفائدة التاسعة صيانة نفسه
ودينه من التعرض للشرور والخصومات التي توجبها الخلطة
فان للنفس تولعا وتسارعا للخوض في مثل هذا اذا اجتمعت
بارباب الدنيا وزاحمتهم فيها وللشافعي رضي الله عنه

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها … وسيق الينا عذبها وعذابها
فلم ارها الا غرورا وباطلا … كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي الا جيفة مستحيلة … عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها عشت سلما لاهلها … وان تجتذبها ناهشتك كلابها
فطوبى لنفس اوطنت قعر بيتها … مغلقة الابواب مرخى حجابها

الفائدة العاشرة التمكن من عبادة التفكر والاعتبار وهو
المقصود الاعظم من الخلوة وفي الخبر تفكر ساعة خير
من عبادة سبعين سنة وكان عيسى عليه السلام يقول
طوبى لمن كلامه ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة وان
اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال
كعب من اراد شرف الاخرة فليكثر من التفكر وكان افضل
عبادة ابي الدرداء التفكر وذلك لانه يصل به الى حقائق
الاشياء وتبيين الحق من الباطل ويطلع بها ايضا على

خفايا آفات النفوس ومكائدها وغرور الدنيا ويتعرف
بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة منها قال الحسن
رضي الله عنه الفكرة مرآة تريك حسنك من سيئك
ويطلع بها ايضا على عظمة الله وجلاله اذا تفكر في آياته
ومصنوعاته ويطلع بها ايضا على آلائه ونعمائه الجلية
والخفية فيستفيد بذلك احوالا سنية يزول بها مرض قلبه
ويستقيم بها على طاعة ربه قاله الشيخ ابن عباد رضي
الله عنه فهذه ثمرات عزلة اهل البداية واما اهل
النهاية فعزلتهم مصحوبة معهم ولو كانوا وسط الخلق
لانهم اقوياء رضي الله عنهم محجوبون بالجمع عن الفرق
وبالمعنى عن الحس استوى عندهم الخلوة والخلطة لانهم
ياخذون النصيب من كل شيء ولا ياخذ النصيب منهم
شيء وفي هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي
الله عنه الخلق نوار وانا رعيت فيهم هم الحجاب الاكبر والمدخل فيهم
فان اضاف المريد الى العزلة الصمت والجوع والسهر فقد
كملت ولايته وظهرت عنايته واشرقت عليه الانوار وامتحت
من مرآة قلبه صور الاغيار وقد اشار الشيخ الى بعض ذلك
متعجبا من ضده فقال كيف يشرق قلب صور الاكوان
منطبعة في مرآته يشرق بضم الياء اي يستنير ويضيء
وصور الاكوان اشخاصها وتماثيلها الحسية والمعنوية
والاكوان انواع المخلوقات دقت او جلت ومنطبعة اي
ثابتة وانطبع الشيء في الشيء ظهر اثره فيه والمرآة بكسر
الميم آلة صقيلة ينطبع فيها ما يقابلها فكلما قوى
صقلها

صقلها قوى ظهور ما يقابلها فيها واستعيرت هنا للبصيرة
التي هي عين القلب التي تتجلى فيها الاشياء حسنها وقبيحها
قلت جعل الله القلب كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كل
ما يقابلها وليس لها الا وجهة واحدة فاذا اراد الله عناية
عبد اشغل فكرته بانوار ملكوته واسرار جبروته ولم يعلق
قلبه بمحبة شيء من الاكوان الظلمانية والخيالات الوهمية
فانطبعت في مرآة قلبه انوار الايمان والاحسان واشرقت
فيها اقمار التوحيد وشموس العرفان والى ذلك اشار
الششتري في بعض ازجاله بقوله اغمض الطرف ترى
وتلوح اخبارك واف عن ذي الورى تبدو لك اسرارك
وبصقل المرآة به يزول انكارك ثم قال الفلك فيك
يدور ويضيء ويلمع والشموس والبدور فيك تغيب
وتطلع اي وبصقل مرآة قلبك يزول انكارك للحق
فتعرفه في كل شيء فيصير قلبك قطبا فلك الانوار فيه
تبدو اقمار التوحيد وشموس العرفان واذا اراد الله
تعالى خذلان عبد بعدله وحكمته اشغل فكرته بالاكوان
الظلمانية والشهوات الجسمانية فانطبعت تلك الاكوان
في مرآة قلبه فانحجبت بظلماتها الكونية وصورها
الخيالية عن اشراق شموس العرفان وانوار الايمان فكلما
تراكمت فيها صور الاشياء انطمس نورها واشتد حجابها
فلا ترى الا الحس ولا تفكر الا في الحس فمنها ما يشتد حجابها
وينطمس نورها بالكلية فينكر وجود النور من اصله وهو
مقام الكفر والعياذ بالله ومنها ما يقل صداها ويرق حجابها

فتنعّم بالنور ولا تشاهده وهو مقام عوام المسلمين وهم متفاو
متفاوتون في القرب والبعد وقوة الدليل وضعفه كل على
قدر يقينه وقلة تعلقاته الدنياوية وعوائقه الشهوانية
وخيالاته الوهمية وفي الحديث ان القلوب تصدى كما
يصدى الحديد وان الايمان يخلق اي يبلى كما يخلق الثوب
الجديد الحديث وفي حديث ءاخر لكل شيء مصقلة
ومصقلة القلوب ذكر الله وقال ايضا صلى الله عليه وسلم
ان العبد اذا اخطا خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فان
هو نزع واستغفر صقلت وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه
فذلك الران الذي ذكر الله تعالى في قوله كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون او كما قال واذا علمت ان القلب ليس له الا
وجهة واحدة اذا قابلها النور اشرقت واذا قابلتها الظلمة
تظلمت ولا تجتمع الظلمة والنور ابدا علمت وجه تعجب
الشيخ بقوله كيف يشرق قلب بنور الايمان والاحسان
وصور الاكوان الظلمانية منطبعة في مرءات قلبه فالضدان
لا يجتمعان قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
فما لك ايها الفقير الا قلب واحد اذا اقبلت على الخلق ادبرت
عن الحق واذا اقبلت على الحق ادبرت عن الخلق فترحل من
عالم الملك الى الملكوت ومن الملكوت الى الجبروت وما دمت
مقيدا في هذا العالم بشهواتك وعوائدك فلا يمكنك
الرحيل الى ربك والى ذلك اشار بقوله ام كيف يرحل الى الله
وهو مكبل بشهواته الرحيل هو النهوض والانتقال من وطن
الى وطن وهو هنا من نظر الكون الى شهود المكون او من الملك
الى

الى الملكوت او من الوقوف مع الاسباب الى رؤية مسبب الاسباب
او من وطن الغفلة الى اليقظة او من حظوظ النفس الى حقوق
الله او من عالم الاكدار الى عالم الصفا او من رؤية الحس الى شهود
المعنى او من الجهل الى المعرفة او من علم اليقين الى عين اليقين او
من عين اليقين الى حق اليقين او من المراقبة الى المشاهدة او
من مقام السائرين الى وطن المتمكنين والمكبل هو المقيد والمراد
بالشهوات كل ما تشتهيه النفس وتميل اليه قلت الرحيل
مع التكبيل لا يجتمعان فما دام القلب محبوسا بالميل الى شيء
من هذا العرض الفاني ولو كان مباحا في الشرع فهو مقيد به
ومكبل في وطنه فلا يرحل الى الملكوت ولا تشرق عليه انوار
الجبروت فتعلق القلب بالشهوات مانعة له من النهوض الى الله
لاشتغاله بالالتفات اليها وعلى تقدير النهوض معها لو
تكون مثبطة له عن الاسراع بالميل اليها وعلى تقدير الاسراع
فلا يؤمن العثار معها لانس النفس بها ولذلك ترك الاكابر
لذتها حتى قال بعضهم لدغ الزنابير على الاجسام المتقرحة
ايسر من لدغ الشهوات على القلوب المتوجهة اه قاله الشيخ
زروق رضي الله عنه قلت هذا ان تعلق القلب بطلبها
قبل حصولها والا فلا لعدم تعلق القلب بها وقد تقدم في حقيقة
التصوف ان تكون مع الله بلا علاقة وكان شيخنا رضي الله
عنه يقول ان شئتم ان نقسم لكم لا يدخل عالم الملكوت من في
قلبه علقة اه فاقطع عنك يا اخي عروق العلائق وفر من وطن
العوائق تشرق عليك انوار الحقائق ولهذا كانت السياحة
والهجرة من الامور المؤكدة على المريد اذ الاقامة في وطنه الحسي

لايخلوا معها من المتعلقات الحسية وقد قالوا الفقير كالماء
اذا طال فى موطن واحد تغير واذا جرى عذب وبقدر ما
يسير فى الحس يسير فى المعنى وبقدر ما يسير القالب يسير
القلب والهجرة سنة نبوية ومنذ هاجر النبى صلى الله عليه
وسلم لم تكن له راحة الا فى السعى للجهاد حتى فتح الله عليه
البلاد وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم لم يستقر فى وطنه
الا القليل منهم حتى فتح الله على يدهم سائر البلاد وهدى
الله بهم العباد نفعنا الله ببركاتهم آمين واذا رحل القلب
من وطن شهواته وتطهر من لوث غفلاته وصل الى حضرة
ربه وتنعم بشهود قربه ولذلك اشار بقوله ام
كيف يطمع ان يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من
جنابة غفلاته الحضرة هى حضور القلب مع الرب وهى
على ثلاثة اقسام حضرة القلوب وحضرة الارواح وحضرة الاسرار فحضرة
القلوب للسائرين وحضرة الارواح للمستشرفين وحضرة
الاسرار للمتمكنين او تقول حضرة القلوب لاهل المراقبة
وحضرة الارواح لاهل المشاهدة وحضرة الاسرار لاهل المكالمة وسر
ذلك ان الروح ما دامت تتقلب بين الغفلة والحضرة كانت
فى حضرة القلوب فاذا استراحت بالوصال سميت روحا وكانت
فى حضرة الارواح واذا تمكنت وتصفت وصارت سرا من
اسرار الله سميت سرا وكانت فى حضرة الاسرار والله تعالى
اعلم قلت الحضرة منزهة مقدسة مرفعة لا يدخلها الا
المطهرون فحرام على القلب الجنب ان يدخل مسجد الحضرة وجنابة
القلب غفلته عن ربه قال تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تقربوا

لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا اى لا تقربوا صلاة الحضرة
وانتم سكارى بحب الدنيا وشهود السوى حتى تستيقظوا
وتتدبروا ما تقولون فى حضرة الملك ولا جنبا من جماع الغفلة
وشهود السوى حتى تتطهروا بماء الغيب الذى اشار اليه
الحاتمى رضي الله عنه كما فى الطبقات الشعرانية فى ترجمة
ابى المواهب بقوله

تو ضا بماء الغيب ان كنت ذا سر ، والا تيمم بالصعيد او بالصخر ،
وقدم اماما كنت انت امامه ، وصل صلاة الظهر فى اول العصر ،
فهذى صلاة العارفين بربهم ، فان كنت منهم فانضح البر بالبحر ،

يعنى تطهر من شهود نفسك بماء الغيبة عنها بشهود ربك او تطهر
من شهود الحس بشهود المعنى او تطهر من شهود عالم الشهادة بماء
شهود عالم الغيب او تطهر من شهود السوى بماء العلم بالله
فانه يغيب عنك كل ما سواه واذا تطهرت من شهود السوى
تطهرت من العيوب كلها والى ذلك اشار الششترى رضى الله عنه بقوله

طهر العين بالمدامع سكبا ، من شهود السوى تزل كل علة ،

وهذا الماء الذى هو ماء الغيب هو النازل من صفاء بحار الجبروت
الرجراج رياض الملكوت فتغرفه سحائب الرحمة وتثيره رياح
الهداية فتسوقه الى ارض النفوس الطيبة فتملأ منه اودية القلوب
المنورة وخلجان الارواح المطهرة واليه الاشارة بقوله تعالى انزل
من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا
الآية شبه الحق تعالى العلم النافع بالمطر النازل من السماء
فكما ان المطر تعمر منه الاودية والغدران وتجرى منه العيون

والانهار كل على قدر سعته وكبره كذلك العلم النافع نزل من سماء
عالم الغيب الى ارض عالم الشهادة فسالت به اودية القلوب
كل على قدر طاقته وحسب استعداده وكما ان المطر يطهر
الارض من الاوساخ وهو معنى قوله تعالى فاحتمل السيل زبدا
رابيا اى مرتفعا على وجه الماء كذلك العلم النافع يطهر النفوس
من الادناس والقلوب من الاغيار والارواح من الاكدار والاسرار
من لوث الانوار وهذا الماء هو الذى اشار اليه بقوله توضا
بماء الغيب ان كنت ذا سر اى ان كنت صاحب سر والسر هو شهود
الوحدة ونفى الكثرة او شهود العظمة بالعظمة ومن لم يتحقق بهذا
فلا يمكنه التطهير بماء الغيب بالكلية لفقده ذلك الماء او
لعدم قدرته عليه فينتقل للتيمم الذى هو رخصة للضعفاء
وطهارة المرضى والى ذلك اشار بقوله وان لا تيمم با
بالصعيد او بالصخر اى وان لم تقدر على الطهارة الاصلية وهى
الغيبة عن السوى لمرض قلبك مع عدم صدقك فانتقل
للطهارة الفرعية التى هى العبادة الظاهرية او تقول وان لم
تقدر على الطهارة الحقيقية التى هى الطهارة الباطنية فانتقل
للطهارة المجازية التى هى الطهارة الظاهرية او تقول وان
لم تقدر على طهارة المقربين فانتقل لطهارة اهل اليمين او
تقول وان لم تقدر على طهارة اهل المحبة فانتقل لطهارة اهل
الخدمة قوم اقامهم الله لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا
نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا
فطهارة اهل المحبة الفكرة والنظرة وطهارة اهل الخدمة بالمجاهدة
والمكابدة بين عبادة ظاهرة كصلاة وصيام وذكر وتلاوة
وتعليم وغير ذلك وبين عبادة خفية كخوف ورجاء وزهد وصبر

وورع ورضى وتسليم ورحمة وشفقة وغير ذلك مما لا يطهر
للعيان وهذا هو تصوف اهل الظاهر واما تصوف اهل الباطن
فهو الغيبة عن الاكوان بشهود المكون او الغيبة عن الخلق
بشهود الملك الحق وهو الذى عبر عنه الناظم بماء الغيب
فكل من لم يدرك تصوف اهل الباطن فهو من اهل التيمم
فان كان مشغولا بالعمل الظاهر كالصلاة والصيام ونحوهما
فهو كالمتيمم بالصعيد لظهورها كظهور اثر التراب
على الجوارح وان كان مشغولا بالعبادة الخفية كالزهد والورع
ونحوهما فهو كالمتيمم بالصخر لعدم ظهورها فى الغالب
كعدم ظهور اثر الصخر ولما امرك بالغيبة عن السوى
خاف عليك انكار الواسطة واسقاط الحكمة فتقع فى الزندقة
فقال وقدم اماما كنت انت امامه والمراد بالامام هو النبى
صلى الله عليه وسلم ومن كان على قدمه ممن جمع بين
الحقيقة والشريعة فامرك باتباع الشريعة المحمدية فى حال غيبتك
عن السوى فيكون ظاهرك سلوكا وباطنك جذبا ظاهرك
مع الحكمة وباطنك مع القدرة ولا بد ان تقتدى بامام
كامل سلك الطريقة على يد شيخ كامل يعلمك كيفية
العمل بالشريعة ويدلك على الحقيقة والا بقيت مريضا على الدوام
تستعمل طهارة المرضى على الدوام وانظر قول القرافى رضى
الله عنه لما سقط على شيخ التربية قال تيممت بالصعيد زمانا
والان سقطت على الماء اذ لا تجد ماء الغيب ولا تقدر على
استعماله الا بصحبة اهل هذا الماء الذين شربوه وسكروا
به ثم صحوا من سكرتهم وسلكوا من جذبتهم فتملكهم زمام

امرك وتنقاد اليهم بكليتك بعد ان اطلعك الله على خصوصيتهم
وكشف لك عن اسرارهم فشهدت لهم روحك بالتقديم
وسرك بالتعظيم فتقدمهم امامك بعد ان كنت انت امامهم
وهم يطلبونك للحضرة وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم كان
يدعو الناس الى الله وهم فارون امامه فلما عرفوا الحق قدموه
امامهم وهذا معنى قوله كنت انت امامه وقوله وصل صلاة
الفجر فى اول العصر وفى بعض النسخ وصل صلاة الظهر فى اول
العصر اى اجمع ظهر الحقيقة الشريعة لعصر الحقيقة وفى اكثر
النسخ وصل صلاة الفجر فى اول العصر اى ارجع الى البقاء بعد
كمال الفناء او الى السلوك بعد الجذب اذ الغالب على المريد
ان يتقدمه السلوك ثم ياتيه الجذب فاوله سلوك وءاخره
جذب كما ان اول النهار صلاة الفجر وءاخره صلاة العصر
اى ارجع الى صلاة الفجر التى كانت فى اول نهارك فصلها فى
ءاخر نهارك فارجع الى السلوك الذى كان فى اول امرك
فاجعله فى ءاخر امرك وهو معنى قولهم منتهى الكمال
الشرائع وقالوا ايضا نهاية السالكين بداية المجذوبين
ونهاية المجذوبين بداية السالكين وقالوا ايضا علامة
النهاية الرجوع الى البداية وسياق الكلام على هذا فى محله
ان شاء الله وقوله فهذى صلاة العارفين بربهم لانهم
تطهروا الطهارة الاصلية وصلوا الصلاة الدائمة قال الله
تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون فالعوام حد صلاتهم
اوقاتهم والعارفون فى الصلاة على الدوام قيل لبعضهم هل
للقلوب صلاة فقال نعم اذا سجد لا يرفع راسه ابدا الى اذا

سجدت

سجدت الروح لهيبة الجلال والجمال لا ترفع راسها ابدا واليه
اشار الششترى بقوله «فاسجد لهيبة الجلال عند التدانى
ولتقرا اية الكمال سبع المثانى» وقوله فان كنت منهم فانضح
البر بالبحر اى فان كنت من العارفين المحققين فانضح بر
شريعتك ببحر حقيقتك بحيث ترش على شريعتك من
بحر حقيقتك حتى تغمرها وتغطيها فتصير الشريعة عين
الحقيقة والحقيقة عين الشريعة حتى يصير عملك كله بالله
والله تعالى اعلم وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم واذا دخل القلب حضرة القدس ومحل الانس
فهم دقائق الاسرار وملئ بالمواهب والانوار والى ذلك
اشار بقوله ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب
من هفواته الرجاء تمنى الشيئ مع السعى فى اسبابه والا فهو
امنية والفهم حصول العلم بالمطلوب ودقائق الاسرار غوامض
التوحيد والتوبة الرجوع عن كل وصف ذميم الى كل وصف
حميد وهذه توبة الخواص والهفوات جمع هفوة وهى الزلة
والسقطة قلت فهم دقائق الاسرار لا يكون ابدا مع وجود
الاصرار او تقول فهم غوامض التوحيد لا يكون الا بقلب فريد
فمن لم يتب من هفواته ويتحرر من رق شهواته فلا يطمع
فى فهم غوامض التوحيد ولا يذوق اسرار اهل التفريد قال
احمد بن ابى الحوارى وسمعت سيدى ابا سليمان الدارانى
رضى الله عنه يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الاثام
جالت فى الملكوت ورجعت الى صاحبها بطرائف الحكمة من
غير ان يؤدى اليها عالم علما قال احمد بن حنبل صدقت يا احمد

وصدق شيخك ما سمعت فى الاسلام بحكاية اعجب الى من هذه
من عمل بما علم اورثه الله علم مالم يعمل وقيل للجنيد رضى الله عنه
كيف الطريق الى التحقيق قال بتوبة تزيل الاصرار وخوف
يقطع التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل واهانة النفس
بقربها من الاجل وبعدها من الامل فقيل له بماذا يصل الى هذا
فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد اه فاذا انفرد القلب بالله
وتخلص مما سواه فهم دقائق التوحيد وغوامضه التى
لا يمكن التعبير عنها وانما هى رموز واشارات لا يفهمها الا اهلها
ولا تفشى الا لهم وقليل ماهم ومن افشى شيئا من اسرارها مع
غير اهلها فقد اباح دمه وتعرض لقتل نفسه كما قال ابو مدين رضى الله عنه

وفى السر اسرار دقاق لطيفة ... تراق دما فاجهرة لو بها بحنا
وقال آخر ... ولى حبيب عزيز لا ابوح به ... اخشى فضيحة وجهى يوم القاه

وهذه الاسرار هى اسرار الذات وانوار الصفات التى تجلى الحق بها
فى مظاهر الاكوان والى ذلك اشار بقوله الكون كله ظلمه وانما
اناره ظهور الحق فيه الكون ماكونته القدرة واظهرته للعيان
والظلمة ضد النور وهما عدمية والنور وجودى واناره اى
صيره نورا وظهور الحق تجليه قلت الكون من حيث كونيته
وظهور حسه كله ظلمه لانه حجاب لمن وقف مع ظاهره عن
شهود ربه ولانه سحاب يغطى شمس المعانى لمن وقف مع
ظاهر حس الاوانى واليه اشار الششترى بقوله لا تنظر
الى الاوانى وخض بحر المعانى لعلك ترانى فصار الكون بهذا
الاعتبار كله ظلمة وانما اناره تجلى الحق به وظهوره فيه
فمن نظر الى ظاهر حسه رآه حسا ظلمانيا ومن نفذ الى باطنه

رآه نورا ملكوتيا قال الله تعالى الله نور السموات والارض
فتحصل ان قول الشيخ الكون كله ظلمة انما هو فى حق اهل الحجاب
لانطباع ظاهر صور الاكوان فى مرآت قلوبهم واما اهل العرفان
فقد نفذت بصيرتهم الى شهود الحق فراوا الكون نورا فائضا
من بحر الجبروت فصار الكون كله عندهم نورا قال الله تعالى قل
انظروا ماذا فى السموات والارض اى من نور ملكوته واسرار
جبروته او من اسرار المعانى القائمة بالاوانى وقال صلى
الله عليه وسلم ان الله احتجب عن اهل السماء كما احتجب عن
اهل الارض وان اهل الملاء الاعلى ليطلبونه كما تطلبونه
انتم وانه ما حل فى شئ ولا غاب عن شئ اه وهذه المعانى
انما هى اذواق لا تدرك بالعقل ولا بنقل الاوراق وانما
تدرك بصحبة اهل الاذواق فسلم ولا تنتقد

ان لم تر الهلال فسلم ... لاناس راوه بالابصار

ثم قسم الناس فى شهود الحق على ثلاثة اقسام عموم وخصوص
وخصوص الخصوص فقال فمن رأى الكون ولم يشهده فيه
او عنده او قبله او بعده فقد اعوزه وجود الانوار وحجبت
عنه شموس المعارف بسحب الآثار فاهل مقام البقاء
يشهدون الحق بمجرد وقوع بصرهم على الكون فهم يثبتون
الاثر بالله ولا يشهدون سواه الا انهم كما لهم يثبتون
الواسطة والموسوط فهم يشهدون الحق بمجرد شهود
الواسطة او عندها بلا تقديم ولا تأخير ولا ظرفية ولا مظروف

مذ عرفت الاله لم ار غيرا ... وكذا الغير عندنا ممنوع

وقال الشيخ مولاى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه

ح ٢ رسول الله

رضي الله عنه

لابي الحسن يا ابا الحسن حدد بصر الايمان تجد الله في كل شيئ
وعند كل شيئ ومع كل شيئ وقبل كل شيئ وبعد كل شيئ وفوق
كل شيئ وتحت كل شيئ وقريبا من كل شيئ ومحيطا بكل شيئ
بقرب هو وصفه وبحيطة هي نعته وعد عن الظرفية
والحدود وعن الاماكن والجهات وعن الصحبة والقرب بالمسافات
وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الاول والاخر
والظاهر والباطن وهو هو كان الله ولا شيئ معه
وهو الان على ما عليه كان اه وقال بعضهم ما رايت شيئا
الا رايت الله فيه ولم اره احد يشا وانما هو من قول بعض
العارفين فاهل السير من المريدين يشهدون الكون ثم يشهدون
المكون عنده وباثره فيمتحي الكون من نظرهم بمجرد نظرهم
اليه وهذا حال المستشرقين واهل مقام الفناء يشهدون
الحق قبل شهود الخلق بمعنى انهم لا يرون الخلق اصلا اذ لا ثبوت
له عندهم لانهم لسكرتهم غائبون عن الواسطة فانون
عن الحكمة غرقى في بحر الانوار مطموس عليهم الاثار وفي هذ
المقام قال بعضهم ما رايت شيئا الا رايت الله قبله واهل
الحجاب من اهل الدليل والبرهان انما يشهدون الكون ولا
يشهدون المكون لا قبله ولا بعده انما يستدلون على
وجوده بوجود الكون وهذ العامة المسلمين من اهل اليمين
قد اعوزهم اي فاتهم وجود الانوار ومنعوا منها وحجبت
عنهم شموس المعارف بسحب الاثار بعد طلوعها واشراق
نورها لكن لا بد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ولله در
القائل ۝ وما احتجبت الا برفع حجابها ۝ ومن عجب ان الظهور تستر ۝
وقال

وقال اخر ۝ لقد ظهرت فلا تخفى على احد ۝ الا على اكمه لا يبصر القمرا ۝
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ۝ وكيف يعرف من بالعزة استترا ۝
ثم احتجابه تعالى في حال ظهوره مما يدلك على وجود قهره كما
اشار اليه بقوله مما يدلك على وجود قهره سبحانه ان حجبك
عنه بما ليس بموجود معه قلت من اسمائه تعالى القهار ومن
مظاهر قهره احتجابه في ظهوره وظهوره في بطونه وبطونه في
ظهوره ومما يدلك ايضا على وجود قهره انه احتجب بلا حجاب
وقرب بلا اقتراب بعيد في قربه قريب في بعده احتجب عن خلقه
في حال ظهوره لهم وظهر لهم في حال احتجابه عنهم فاحتجب
عنهم بشيئ ليس بموجود وهو الوهم والوهم امر عدمي مفقود
فما حجبه الا شدة ظهوره وما منع الابصار من رؤيته الا قهارية
نوره فتحصل انفراد الحق بالوجود وليس مع الله موجود قال تعالى
كل شيئ هالك الا وجهه واسم الفاعل حقيقة في الحال وقال تعالى هو
الاول والاخر والظاهر والباطن وقال تعالى فاينما تولوا فثم وجه
الله وقال تعالى وهو معكم اينما كنتم وقال تعالى واذ قلنا لك ان
ربك احاط بالناس وقال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
وقال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله الاية
وقال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل
شيئ ما خلا الله باطل ۝ وكل نعيم لا محالة زائل ۝ وقال صلى الله عليه
وسلم يقول الله تعالى يا عبدي مرضت فلم تعدني فيقول يا رب
كيف اعودك وانت رب العالمين فيقول الله اما انه مرض عبدي
فلان فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده ثم يقول يا عبدي
استطعمتك فلم تطعمني ثم يقول استسقيتك فلم تسقني

الحديث فدل الحديث على ان هذه الهياكل والاشخاص خيالات لا حقيقة
لها فهي اشبه شيئ بالظلال قال الششتري رضي الله عنه

الخلق خلقكم والامر امركم   فاي شيئ انا لكنت من ظللكم
ما للحجاب مكان في وجودكم   الا بسر حروف انظر الى الجبل
انتم دللتم عليكم منكم ولكم   ديمومة عبرت عن غامض الازل
عرفتموني بكم هذا الخبير بكم   انتم هم يا حياة القلب يا املي

قوله الخلق خلقكم الخ المراد بالخلق صور الاشباح وبالامر سر
الارواح اي الاشباح حكمتكم والارواح سر من اسراركم فانا لا وجود
لي اصلا فاي شيئ قدرت نفسي وجدتها لكم ومظهرا من مظاهركم
وانما انا ظلل من ظلل وجودكم ثم قال ما للحجاب مكان في وجودكم
اي لا موضع للحجاب الحسي في وجودكم اذ لو كان للحجاب مكان في
وجودكم لكان اقرب الينا منكم وهو محال لا ذلك قلت ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وقوله الا بسر حروف الخ الاستثناء منقطع اي لا موضع للحجاب الحسي
بيننا وبينكم لكن حجاب القهرية ورداء العزة والكبرياء هو الذي منع
الابصار من رؤية نوركم الاصلي الجبروتي اذ لو ظهر ذلك النور لاضمحلت
المكونات ولاحترقت من نور السبحات ولهذا السر امر الله سيدنا موسى
عليه السلام حين طلب الرؤية بالنظر الى الجبل لما اراد الله تعالى ان
يتجلى له بشيئ من ذلك النور فلما لم يثبت الجبل لشيئ قليل منه علمنا
انه لا طاقة للعبد الضعيف في هذه الدار على رؤية الواحد القهار
الا بواسطة الاكوان الكثيفة بعد ان تنشر عليها الاردية المعنوية
وهذا معنى قوله الا بسر حروف انظر الى الجبل اي الا بحجاب القهرية
المفهوم من سر قوله تعالى انظر الى الجبل او الا حجابا ملتبسا بسر الحكمة

المفهوم

المفهوم من قوله تعالى انظر الى الجبل وكانه تعالى يقول يا موسى لن
تقدر ان تراني من غير حجاب الحكمة ولكن انظر الى الجبل فان اطاق ذلك
فسوف تراني انت فلما تجلى له الحق تعالى من غير واسطة الحس جعله دكا والله
تعالى اعلم وقال ايضا في هذا المعنى لقد انا شيئ عجيب لمن رآني انا
المحب والحبيب ليس ثم ثاني يا قاصدا عين الخبر غطاه اينك الخمر منك
والخبر والسر عندك ارجع لذاتك واعتبر ما ثم غيرك فقوله يا قاصدا
عين الخبر اي عين خبر التحقيق وقوله غطاه اينك اي مكان وجودك
الوهمي اذ لو غبت عن وجودك لوقفت على عين التحقيق وقوله الخمر منك
اي شربة خمرة المحبة منك وهذا كما قال مني علي دارت كؤوسي وقوله
والخبر اي والخبر عن عين التحقيق منك ايضا وسر الربوبية عندك لانك
كنز مطلسم فاذا اردت ان تعرفه فارجع لذاتك واعتبر تجد الوجود كله
واحدا وانت ذلك الواحد قال الشاعر

هذا الوجود وان تعدد ظاهرا   وحياتكم ما فيه الا انتم

وقال ايضا رضي الله عنه

لقد فشى سري بلا مقال   وقد ظهر عني في ذا المثال
نرى وجود غيري من المحال   وكلما دوني خيال فيه
متحد المعنى في كل شيء   انا هو المحبوب وانا الحبيب
والحب لي مني شيئ عجيب   وحدي انا فافهم سري غريب
فمن نظر ذاتي رداني شيء   وفي خلا ذا توطوا في طي
صفاتي لا تخفى لمن نظر   وذاتي معلومة تلك الصور
افني عن الاحساس ترعبر   في السر والمعنى خفيت كم
لانه مني ستر علي   وقد اتفقت على هذا المعنى وهو

سر الوحدة مقالات العارفين ومواجيد المحبين واشعارهم كل على قدر

ذوقه وشربه جزاهم الله عنا وعن المسلمين خيرا ولا يفهم هذه العبارات
الا اهل الاذواق والاشارات وحسب من لم يبلغ لها فهمه ولم يحط بها
علمه ان يسلم ويكل فهمها الى اربابها وليعتقد كمال التنزيه وبطلان
التشبيه لان هذه المعانى اذواق لاتنال الا بصحبة اهل الاذواق ثم
استدل على بطلان وجود الحجاب فى حقه تعالى بعشرة امور متعجبا من كل
واحد لظهوره مع خفاءه اى لشدة ظهوره عند العارفين وشدة
خفائه عند الغافلين الجاهلين فاشار الى الاول بقوله كيف يتصور
ان يحجبه شيء وهو الذى اظهر كل شيء والظاهر هو الباطن ما بطن
فى عالم الغيب هو الذى ظهر فى عالم الشهادة فحياة الجبروت متدفقة
بانوار الملكوت، انظر جمالى شاهدا، فى كل انسان، الماء يجرى نافذا،
فى اس الاغصان، تجده ماء واحدا، والزهر الوان، يا عجبا كيف يعرف
بالمعارف من به عرفت المعارف،
عجبت لمن يبغى عليك شهادة، وانت الذى اشهدته كل شاهد،
ثم ذكر الثانى فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذى ظهر
بكل شيء بقدرته وحكمته القدرة باطنة بياد الجراى تجلى بكل شيء
فلا وجود لشيء مع وجوده فكيف يحجبه شيء والغرض الا شيء قال
صاحب العينية رضى الله عنه،
تجليت فى الاشياء حين خلقتها، فها هى ميطت عنك فيها البراقع،
ثم ذكر الثالث فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذى ظهر
فى كل شيء بقدرته وحكمته القدرة باطنة والحكمة ظاهرة فالوجود
كله بين قدرة وحكمة وبين جمع وفرق وقد تقدم قول بعضهم ما رايت
شيئا الا رايت الله فيه اى بقدرته وحكمته فلولا ظهور انوار الصفات ما عرفت
الذات ولولا الحس ما قبضت المعنى ولولا الكثيف ما عرف اللطيف وللششترى
رحمه الله

رحمه الله محبوبى قد عم الوجود وقد ظهر فى بيض وسود وفى النصارى
مع اليهود وفى الخنازير مع القرود وفى الحروف مع النقط افهمنى قط
افهمنى قط ثم قال عرفته طول الزمان ظهر لى فى كل اوان وفى المياه
وفى الدلوان وفى الطلوع وفى الهبوط افهمنى قط افهمنى قط ثم ذكر
الرابع فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر لكل شيء بلا م
الجراى المتجلى لكل شيء باسرار ذاته وانوار صفاته ولما تجلى لكل شيء
عرفه فى الباطن كل شيء وسبح بحمده كل شيء فلم يحجبه شيء عن شيء
قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده يقول بلسان حاله سبحان المتجلى
لكل شيء الظاهر بكل شيء يفقهه العارفون ويجهله الغافلون ثم
ذكر الخامس فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود
كل شيء فكلما ظهر فمنه واليه فكان فى ازله ظاهرا بنفسه ثم تجلى
لنفسه بنفسه فهو الغنى بذاته عن ان يظهر بغيره او يحتاج الى من
يعرفه غيره فالكون كله مجموع والغير عندنا ممنوع ثم ذكر السادس
فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو اظهر من كل شيء اذ لا وجود
للاشياء مع وجوده ولا ظهور لها مع ظهوره وعلى تقدير ظهورها فلا
وجود لها من ذاتها فلولا ظهوره فى الاشياء ما وقع عليها ابصار
من لا وجود لذاته من ذاته، فوجوده لولاه عين محال،
فالعبد فى حالة الحجاب تكون نفسه وجودها عنده ضروريا ووجود
عنده ٢ صح الحق تعالى نظريا فاذا عرف الحق وفنى عن نفسه وتحقق برز واصار
عنده وجود الحق ضروريا ووجود نفسه نظريا بل محال ضرورى
قال ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان
والايقان فاغنانا عن الدليل والبرهان وانا لا نرى احدا من الخلق فهل
فى الوجود احد سوى الملك الحق وان كان ولا بد فكالهباء فى الهواء

ان فتشتهم لم تجدهم شيئا اه زاد في لطائف المنن ومن اعجب العجب ان
تكون الكائنات موصلة الى الله فليت شعري هل لها وجود معه حتى
توصل اليه او هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة
له وان كانت الكائنات موصلة له فليس ذلك لها من حيث ذاتها
لكن هو الذي ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير الهيته
ولكن الحكيم هو واضع الاسباب وهي لمن وقف معها ولا ينفذ الى قدرته
عين الحجاب اه فظهور الحق اجلى من كل ما ظهر اذ هو السبب في ظهور
كل ما ظهر وما اختفى الا من شدة ما ظهر ومن شدة الظهور الخفاء والى
هذا المعنى اشار الرفاعي بقوله

يا من تعاظم حتى رق معناه ۔ ولا تردى رداء الكبر الا هو

اي يا من تعاظم في ظهوره حتى خفي معناه ثم ذكر السابع فقال كيف
يتصور ان يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء لتحقق
وحدانيته ازلا وابدا اذ كان الله ولا شيء معه وهو الان على ما عليه
كان الله مع الله تعالى الله عما يشركون افي الله شك فكل ما ظهر
للعيان فانما هو مظاهر الرحمن قال صاحب العينية رضي الله

تجلى جميعها في مرائي جماله ۔ ففي كل مرئى للحبيب طلائع
فلما تجلى حسنه متنوعا ۔ تسمى باسماء فهن مطالع

فالحق تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله فلا شيء قبله ولا شيء
بعده ولا شيء معه ثم ذكر الثامن فقال كيف يتصور ان يحجبه شيء
وهو اقرب اليك من كل شيء قال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما
توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال تعالى ونحن
اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقال تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وقربه تعالى قرب علم واحاطة
وشهود

وشهود لا قرب مسافة اذ لا مسافة بينك وبينه وتقدم في الحديث وان
الله ما حل في شيء ولا غاب عن شيء وقال سيدنا علي كرم الله وجهه الحق تعالى
ليس من شيء ولا في شيء ولا فوق شيء ولا تحت شيء اذ لو كان من شيء لكان
مخلوقا ولو كان فوق شيء لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو
كان تحت شيء لكان مقهورا اه وقيل له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اين كان ربنا او هل له مكان فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال قولكم
اين الله سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان ثم خلق الزمان والمكان
وهو الان كما كان دون مكان ولا زمان اه وقال ابو الحسن الشاذلي رضي
الله عنه قيل لي يا علي بي قل وعلي دل وانا الكل اه هذا كما في حديث
البخاري يقول الله تعالى يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر بيدي
الليل والنهار وقال ايضا صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله
هو الدهر وتفسيره ما في الحديث قبله والله تعالى اعلم ثم ذكر التاسع فقال
كيف يتصور ان يحجبه شيء ولولاه لما ظهر وجود كل شيء قال تعالى و
خلق كل شيء فقدره تقديرا وقال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر
فكلما ظهر في عالم الشهادة فهو فائض من عالم الغيب وكلما برز في عالم
الملكوت فهو فائض من بحر الجبروت فلا وجود للاشياء الا منه ولا قيام لها الا به
ولا نسبة لها معه اذ هي عدم محض وعلى توهم وجودها فهي حادثة فانية
ولا نسبة للعدم مع الوجود ولا للحادث مع القديم ولذلك تعجب الشيخ
من اجتماعهما فقال يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم ام كيف يثبت
الحادث مع من له وصف القدم قلت وهذا هو العاشر فالوجود والعدم
ضدان لا يجتمعان والحادث والقديم متنافيان لا يلتقيان وقد تقرر ان
الحق واجب الوجود وكل ما سواه عدم على التحقيق فاذا ظهر الوجود انتفى
ضده وهو العدم فكيف يتصور ان يحجبه وهو عدم فالحق لا يحجبه الباطل قال

تعالى فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فلا وجود للاشياء مع
وجوده فانتفى القول بالحلول اذ الحلول يقتضى وجود السوى حتى يحل
فيه معنى الربوبية والغرض ان السوى عدم محض فلا يتصور الحلول
والى هذا اشار فى العينية بقوله

ونزه فى حكم الحلول فما له … سوى والى توحيده الامر راجع

والقديم والحادث لا يلتقيان فاذا قرن الحادث بالقديم تلاشى الحادث
وبقى القديم قال رجل بين يدى الجنيد رضى الله عنه الحمد لله ولم
يقل رب العالمين فقال له الجنيد كمله يا اخى فقال له الرجل واى قدر
للعالمين حتى يذكروا معه فقال الجنيد قله يا اخى فان الحادث اذا
قرن بالقديم تلاشى الحادث وبقى القديم اه فقد تقرر ان الاشياء
كلها فى حيز العدم اذ لا يثبت الحادث مع من له وصف القدم فانتفى
القول بالاتحاد اذ معنى الاتحاد هو اقتران القديم مع الحادث
فيتحدان حتى يكونا شيئا واحدا وهو محال اذ هو مبنى ايضا على وجود
السوى ولا سوى وقد يطلقون الاتحاد على الوحدة كقول ابن الفارض

وهامت بها روحى بحيث تمازجا … اتحادا ولا جرم تخلله جرم

فاطلق الاتحاد على اتصال الروح باصلها بعد صفائها ولذلك
قال بعده ولا جرم تخلله اى فتحصل ان الحق سبحانه واحد فى ملكه
قديم ازلى باقى ابدى منزه عن الحلول والاتحاد مقدس عن الشركاء
والاضداد كان ولا اين ولا مكان وهو الان على ما عليه كان
ومما ينسب لسيدنا على كرم الله وجهه

رايت ربى بعين قلبى … فقلت لا شك انت انت
انت الذى حزت كل اين … بحيث لا اين ثم انت
فليس للاين منك اين … فيعلم الاين اين انت

وليس

وليس للوهم فيك وهم … فيعلم الوهم كيف انت
احطت علما بكل شئ … فكل شئ اراه انت
وفى فنائى فنا فنائى … وفى فنائى وجدت انت

وجدت

وسئل ابو الحسن النورى رضى الله عنه اين الله من مخلوقاته فقال
كان الله ولا اين والمخلوقات فى عدم فكان حيث هو وهو الان
حيث كان اذ لا اين ولا مكان فقال له السائل وهو على بن ثور القاضى
فى قصة محنة الصوفية فما هذه الاماكن والمخلوقات الظاهرة فقال
عز ظاهر وملك قاهر ومخلوقات ظاهرة به وصادرة عنه لا هى
متصلة به ولا منفصلة عنه فرغ من الاشيا ولم تفرغ منه لانها تحتاج اليه
وهو لا يحتاج اليها قال له صدقت فاخبرنى ما اراد الله بخلقها
قال ظهور عزته وملكه وسلطانه قال صدقت فاخبرنى ما مراده من خلقه
قال ما هم عليه قال او يريد من الكفرة الكفر قال افيكفرون به وهو كاره
ثم قال اخبرنى ماذا اراد الله باختلاف الشيع وتفريق الملل قال اراد
ابلاغ قدرته وبيان حكمته وايجاب لطفه واظهار عدله واحسانه
اه المراد منه وفيه اشارة الى ان تجليات الحق على ثلاثة اقسام قسم
اظهرهم ليظهر فيهم كرمه واحسانه وهم اهل الطاعة والاحسان
وقسم اظهرهم ليظهر فيهم عفوه وحلمه وهم اهل العصيان من
اهل الايمان وقسم اظهرهم ليظهر فيهم نقمته وغضبه وهم
اهل الكفر والطغيان فهذا سر تجليه تعالى فى الجملة والله تعالى اعلم
فذلكة حاصل ما اشتملت عليه هذه الباب من اول الكتاب ثلاثة امور
علم الشريعة والطريقة والحقيقة او تقول علم الاسلام والايمان
والاحسان وهى البداية والوسط والنهاية ومن علامة النجح فى
النهاية الرجوع الى الله فى البداية فامرك بالرجوع اليه والاعتماد عليه

وظهور

دون الاعتماد على العمل مع وجود العمل ثم دلك على الادب في حال التجريد والاسباب ثم نهاك في حالة المسير عن شغل باطنك بكد التدبير فانه سبب التكدير ثم انهضك الى الاجتهاد في الاعمال المطلوبة منك مع التقصير فيما هو مضمون لك ليكون سببا في فتح بصيرتك ومن جملة ما هو مضمون ما تطلبه بدعائك فلا تستعجل ما تأخر عن وقته ولا تيأس من رحمته واذا وعدك بشئ فلا تشك في وعده ولا تتهمه فيما ينزل بك من تعرفاته وقهره فهذه اعمال اهل البدايات اختلفت اجناسها باختلاف احوالهم فقوله من علامة الاعتماد على العمل الى قوله الاعمال صور قائمة كله من عمل الشريعة الذي هو مقام الاسلام وقوله الاعمال صور قائمة الى قوله الكون كله ظلمة هو من عمل الطريقة الذي هو مقام الايمان ومداره على تخليص الباطن وتهذيبه فامرك بالاخلاص والصدق وهو سر الاخلا[ص] والخمول لانه محله ومظهره والعزلة لتتمكن من الفكرة وتصفية مرآة القلب من صور الاكوان لتتهيأ لاشراق نور العرفان ثم فتح لك الباب ورفع عنك الحجاب وقال لك ها انت وربك وهو قوله الكون كله ظلمة الى اخر الباب فقد قطع لك توهم الحجاب من جميع الوجوه فجزاه الله احسن جزائه ومتعه برضوانه مع انبيائه واحبائه و وخرطنا في سلكهم مع كافة الاحباب امين ولما ادخلك الحضرة دلك على ادابها فقال في اول الباب الثاني مترجما عنها من بعض التلامذة بقوله **وقال رضي الله عنه** وجملة ابوابه خمسة وعشرون بابا وثلاث رسائل وجواب ثم مناجات فلما فرغ من الباب الاول اشار الى الباب الثاني فقال **وقال رضي الله عنه ما ترك من الجهل شيئا من اراد ان يظهر في الوقت غير ما اظهره الله فيه** الجهل هو

صح شموس

ضد

٢٨

ضد العلم وقيل هو عدم العلم بالمقصود وهو على قسمين بسيط و ومركب فالبسيط ان يجهل ويعلم انه جاهل والمركب ان يجهل جهله و واقبح الجهل الجهل بالله وانكاره بعد طلب معرفته **قلت** من اداب العارف الحقيقي ان يبقي الاشياء في محلها ويسير معها على سيرها فكلما ابرزته القدرة للعيان فهو في غاية الكمال والاتقان وفي ذلك قال صاحب العينية رضي الله عنه

وكل قبيح ان نسبت لحسنه ... اتتك معاني الحسن فيه تسارع
يكمل نقصان القبيح جماله ... فما ثم نقصان ولا ثم باشع

وقال ابو الحسن النوري رضي الله عنه مراد الله من خلقه ما هم عليه فاذا اقام الله عبدا في مقام من المقامات فالواجب على العارف ان يقره فيه بقلبه كائنا ما كان فان كان لا تسلمه الشريعة رغبه في الخروج عنه بالسياسة وينظر ما يفعل الله قال بعضهم من عامل الخلق طال خصمه معهم ومن عاملهم بالحقيقة عذرهم والواجب ان يعاملهم في الظاهر بالشريعة فيذكرهم وفي الباطن بالحقيقة فيعذرهم ومن اراد ان يظهر في الوقت غير ما اظهره الله تعالى في نفسه او في غيره فقد جمع الجهل كله ولم يترك منه شيئا حيث عارض القدر ونازع القادر وقد قال تعالى ان ربك فعال لما يريد ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين **وفي بعض الاخبار** يقول الله تبارك وتعالى من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليخرج من تحت سمائي وليتخذ ربا سوائي وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما لأن الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشئ كان ليته لم يكن او لشئ

لم يكن لينه كان وقال ابو عثمان رضى الله عنه منذ اربعين سنة
ما اقامنى الله تعالى فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته
وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه فى كتابه من عرف اهل حقائق
الظاهر ولم ينكر عليهم شيئا من احوالهم يظفر بما فى ايديهم ولا يمنع
خيرهم قطعا والعارف بالله يجمع بين خير الفرقتين يصطحب
معهما جميعا وكل فرقة يتلون على لونها كشيخ شيوخنا رضى الله
عنهم سيدى احمد اليمانى نفعنا الله به كان رضى الله عنه ممن
لا ينكر حالا من احوال الخلق اهل الظاهر يتلمذ لهم فى ظواهرهم
ويدفعهم اليها ويغرهم فيها واهل البواطن يتلمذهم فى بواطنهم
ويدفعهم اليها ويغرهم فيها فحصل له خير الفرقتين بما رزقه
الله من المعرفة بها والحكمة قيل ان الولى الكامل يتطور بجميع
الاطوار بقضى الاوطاره قلت ومن تامل الاحاديث النبوية صح
وجدها على هذا المنوال لان النبى صلى الله عليه وسلم كان سيد
العارفين وقدوة المربيين فكان يقر الناس على ما اقامهم الله
فى حكمتهم ويرغبهم فيها فلذلك تجد الاحاديث متعارضة
ولا تعارض فى الحقيقة فاذا نظرت فى احاديث الذكر قلت لا افضل منه
واذا نظرت فى احاديث الجهاد قلت لا افضل منه
واذا نظرت فى احاديث فضل العلم قلت لا افضل عنه واذا نظرت فى احاديث
الزهد قلت لا افضل منه واذا نظرت فى احاديث الكسب والخدمة على
العيال كذلك فكل حكمة رغب النبى صلى الله عليه وسلم فيها حتى تقول
لا افضل منها تطييبا لخاطر اهلها ليكونوا فيها على بينة من ربهم ولم
يامرهم عليه السلام بالانتقال عنها اذ مراد الله منهم هو تلك الحكمة
فاقرهم الله عليه السلام عليها ورغبهم فيها حتى يظن من يسمع احاديثها

والتجريد من اسباب الدنيا

انه

انه لا افضل منها وهو كذلك اذ لا افضل منها فى حق اهلها والحاصل
ان العارف لا ينكر شيئا ولا يجهل شيئا وقد قال بعض العارفين ليس
فى الامكان ابدع مما كان وتاويله ان ما سبق فى علم الله يكون لا يمكن
غيره فلا ابدع منه وسياتى الكلام عليه ان شاء الله والله تعالى اعلم
ثم ذكر الادب الثانى من اداب الحضرة القدسية وهو ترك الرعونات
البشرية فقال احالتك الاعمال على وجود الغراغ من رعونات
النفوس الاحالة على الشيء هو تسليطه واغراؤه عليه والمراد هنا
توقف الامر عليه بحيث لا يتوجه له حتى يتيسر وجوده والفراغ من
الشيء خلوه منه وفراغ القلب خلوه مما يشغله وفراغ الجوارح خلوها
من الاشغال والرعونة نوع من الحمق قلت من اداب العارف ان يكون
كامل العقل ثاقب الذهن ومن علامة العقل انتهاز الفرصة فى العمل
ومبادرة العمر من غير تسويف ولا امل اذ ما فات منه لا عوض له وما
حصل لا قيمة له وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال الا وان من علامة العقل التجافى عن دار الغرور والانابة الى
دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتاهب ليوم النشور وقال
صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى اه والكيس
هو العاقل ودان نفسه حاسبها وفى صحف ابراهيم عليه السلام
وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان تكون له ساعات ساعة
يناجى فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم
والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا لثلاث تزود لمعاد
او مرمة لمعاش او لذة من غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا

بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه
الا فيما يعنيه اه فاحالتك الاعمال وتاخيرها الى وقت اخر تكون فيه فارغ
القلب او الغالب من علامة الرعونة والحمق وهو غرور ومن اين لك ان
تصل الى ذلك الوقت والموت هاجم عليك من حيث لا تشعر وعلى
تقدير وصولك اليه لا تامن من شغل اخر يعرض لك وفراغ الا
شغال من حيث هو نادر لقوله عليه السلام نعمتان مغبون فيهما
كثير من الناس الصحة والفراغ اى كثير من الناس فقدوهما وغبنو
فيهما اذ كثير منهم لا تجده الا مشغولا بدنيا او مفتونا بهوى
او مريضا مبتلى ومفهوم الكثير ان القليل من الناس رزقهم الله
الصحة والفراغ فان عمروهما بطاعة مولاهم فقد شكروا وربحو
ربحا عظيما وان ضيعوهما فقد خسروا خسرانا مبينا وكفروا بها
بهاتين النعمتين فجدير ان تسلبا عنهم وهو ايضا من علامة الخذلان
وسياتى من كلام الشيخ الخذلان كل الخذلان ان تقل عوائقك ثم لا تقبل
عليه فالجواب على الانسان ان يقطع علائقه وعوائقه ويخالف هواه
ويبادر الى خدمة مولاه ولا ينتظر وقتا اخر اذ الفقير ابن وقته
فلا تجده مشغولا الا بفكرة او نظرة او ذكر او مذاكرة او خدمة شيخ
يوصله الى مولاه وقد قلت لبعض الاخوان الفقير الصديق ليس
له فكرة ولا هدرة الا فى الحضرة او ما يوصله الحضرة والله تعالى اعلم
ثم ذكر الادب الثالث وهو اقامته حيث اقامه الله فقال لا تطلب
منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو اراد لـ
لاستعملك من غير اخراج قلت من اداب العارف الاكتفاء بعلم الله
والاستغناء به عما سواه فاذا اقامه الله تعالى فى حالة من الاحوال
فلا يستحقرها ولا يطلب الخروج منها الى حالة اخرى فلو اراد الحق تعالى ان
يخرجه

لعله فالواجب

ان يخرجه من تلك الحالة ويستعمله فيما سواها لاستعمله من غير ان يطلب
منه ان يخرجه بل يمكث على ما اقامه فيه الحق تعالى حتى يكون هو الذى
يتولى اخراجه كما تولى ادخاله وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى
مخرج صدق فالمدخل الصدق هو ان تدخل فيه بالله والمخرج الصدق
هو ان تخرج منه بالله وهذا هو الفهم عن الله وهو من علامة
تحقق المعرفة بالله فالعارف بالله اذا كان اعزب لا يتمنى التزوج
واذا كان متزوجا لا يتمنى الفراق واذا كان فقيرا لا يتمنى الغنا واذا
كان غنيا لا يتمنى الفقر واذا كان صحيحا لا يتمنى المرض واذا كان
مريضا لا يتمنى الصحة واذا كان عزيزا لا يتمنى الذل واذا كان ذليلا
لا يتمنى العز واذا كان مقبوضا لا يتمنى البسط واذا كان مبسوطا
لا يتمنى القبض واذا كان قويا لا يتمنى الضعف واذا كان ضعيفا
لا يتمنى القوة واذا كان مقيما لا يتمنى السفر واذا كان مسافرا
لا يتمنى الاقامة وهكذا باقى الاحوال ينظر ما يفعل الله به ولا ينظر
ما يفعل بنفسه لتحقق زواله بل يكون كالميت بين يدى الغاسل
او كالقلم بين الاصابع كما قال صاحب العينية رضى الله عنه
ارانى كالالات وهو محركى ۞ انا قلم والاقتدار اصابع
قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة وقال تعالى
وما تشاؤن الا ان يشاء الله واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
فقال يا داود تريد واريد ولا يكون الا ما اريد فان سلمت لى ما
اريد اتيتك بما تريد وان لم تسلم لى ما اريد اتعبتك فيما
تريد ولا يكون الا ما اريد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى
هريرة جف القلم بما انت لاق وفى حديث اخر جفت الاقلام
وطويت الصحف وقال شيخ شيوخنا سيدى احمد اليمانى

رضى الله عنه حين سأله اصحابه عن حقيقة الولاية فقال لهم حقيقة
الولاية هو اذا كان صاحبها جالسا فى الظل لا تشتهى نفسه الجلوس
فى الشمس واذا كان جالسا فى الشمس لا تشتهى نفسه الجلوس فى الظل
اهـ وهذا كله مع الاختيار دون الامر الضرورى وقد تقدم قول
شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه من اوصاف الولى الكامل
الا يكون مجتنحا الا على الحال الذى يقيمه مولاه فيه فى الوقت يعنى
ماله مراد الا ما يبرز من عنصر القدرة تشتهى نفسه غيره اهـ قلت
فاذا تجلى فى العارف شىء من هذه الامور اعنى الانتقال من حال الى
حال فليتأن وليصبر حتى يفهم انه من الله باشارة ظاهرة او
باطنة او هاتف حسى او معنوى ولينصت الى الهواتف فان
الله تعالى يخاطبه بما يفعل وهذا امر مجرب صحيح عند العارفين
حتى انهم لا يتصرفون الا باذن من الله ورسوله اذ لا وقف عند
اهل الجمع جعلنا الله منهم امين وهذا كله اذا كان الحال الذى هو
فيه موافقا للشريعة والا فليطلب الخروج منه بما يمكن ثم ذكر
الادب الرابع وهو رفع الهمة عن الاكوان ودوام الترقى فى مقامات
العرفان فقال ما ارادت همة سالك ان تقف عند ما كشف لها
الا ونادته هواتف الحقيقة الذى تطلب امامك ولا تبرجت
ظواهر المكونات الا ونادته حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر
همة السالك هى القوة الباعثة له على السير ووقوفها مع الشىء
هو اعتقادها انما وصلت اليه هو الغاية او فيه كفاية وهواتف
الحقيقة هى لسان حال الكشف عن عين التحقيق وتبرج الشىء ظهوره
فى حال الزينة لقصد الامالة وظواهر المكونات هو ما كساها
من الحسن والحكمة وتزيينها هو خرق عوائدها له وانفيادها لحكمه
وحقائقها

٤١

وحقائقها نورها الباطنى وهو تجلى المعنى فيها قلت السالك
هو الذى يشهد الاثر فان كان يشهده ~~بانيه~~ فى نفسه فهو سالك
فقط وهو فى حالة السير وان كان يشهده بالله فهو سالك مجذوب
والمقامات التى يقطعها ثلاث فناء فى الافعال وفناء فى الصفات
وفناء فى الذات او تقول فناء فى الاسم وفناء فى الذات وفناء فى الفناء
وهو مقام البقاء ثم الترقى الى ما لا نهاية له فاذا كشف للسالك
عن سر توحيد الافعال وذاق حلاوته وارادت همته ان تقف
مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة الفناء فى الصفات
الذى تطلب امامك واذا ترقى الى مقام الفناء فى الصفات
وكشف له عن سر توحيد الصفات واستشرف على الفناء فى
الذات وارادت همته ان تقف مع ذلك المقام نادته
هواتف حقيقة الفناء فى الذات الذى تطلب امامك
واذا ترقى الى الفناء فى الذات وكشف له عن سر توحيد الذات
وارادت همته ان تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة
فناء الفناء او حقيقة البقاء الذى تطلب امامك واذا وصل الى
البقاء نادته هواتف العلوم الغيبية وقل رب زدنى علما وقد
قال عليه السلام لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
او نقول اذا كشف للمريد عن الفناء فى الاسم وذاق حلاوة
العمل والذكر وارادت همته ان تقف معها نادته هواتف حقيقة
حقائق الفنا فى الذات الذى تطلب امامك فاذا ترقى الى
الفنا فى الذات وذاق حلاوته ولم يتمكن وقنع بذلك
وارادت همته ان تقف مع ذلك نادته هواتف حقيقة
التمكين الذى تطلب امامك واذا تمكن ولم يطلب زيادة

الترقى نادته هواتف الترقى الذى نطلب امامك وهكذا كل مقام
ينادى على ماقبله يا اهل يثرب لا مقام لكم واذا تبرجت اى ظهرت
بزينتها وحللها للسالك او للعارف ظواهر المكونات بخرق
عوائدها وانقيادها له وتصرفه فيها بهمته كالمشى على الماء
والطيران فى الهوى ونبع الماء وجلب الطعام وغير ذلك من الكرامات
الحسية واردات همة السالك ان تقف مع ظواهرها وتشتغل بحلاوة
حسنها نادته هواتف المعانى الباطنة انما نحن فتنة لك نختبرك
هل تقنع بها دون معرفة مالكها ومنشيها المتجلى فيها او تعرض
عنها وتنفذ الى نور معانيها وشهود مالكها ومجريها فلا تكفر
وتجحد المتجلى بها فتنكره فتكون من الجاهلين وقد ضرب الساحلى
فى البغية مثلا لهذه المقامات والسير فيها فقال مثل ذلك كملك
ظهر بالمشرق مثلا وارسل لنا رسلا بكتاب من عنده فقرءوا
علينا كتاب الملك وشوقونا اليه غاية التشويق بذكر كرمه
ومحاسنه فمن الناس من اعرض عن طاعته والانقياد اليه
وهم الكفار ومن الناس من قبل وامن ولم يقدر على النهوض
الى حضرة الملك وهم عوام المسلمين ضعفاء المحبة واليقين
ومن الناس من تشوق للملك ونهض الى حضرته فقال له
الرسل نحن نسيرك ونعرفك الطريق فتقدموا امامهم يسيرون
بهم ثم ان الملك بنا ديارا ومنازل ينزلونها كل منزل
اعظم من الذى قبله هكذا الى حضرته فاذا نزلوا اول المنازل
وراوا حسنه وبهجته ارادوا ان يقيموا فيه فتقول لهم
الرسل الذين جاءوا من عند الملك الذى تطلبون امامكم
فينهضونهم من ذلك المنزل فاذا نزلوا الثانى وجدوه
اعظم

[illegible]

اعظم من الاول فيريدون ان يقيموا فيه فترحلهم الرسل
الى ما بعده هكذا يقطعون بهم المنازل منزلا منزلا حتى
يوقفونهم على الملك فيقولون لهم ها انتم وربكم فيستريحون
من تعب ويتمتعون بالمجالسة والنظر والمراد بالرسل هنا
الانبياء الذين بعثهم الله وخلفاؤهم ممن كان على قدمهم
ممن جمع بين الحقيقة والشريعة وهذه المنازل هى المقامات
التى يقطعها المريد اه بالمعنى مع الاختصار لطول العهد به وقد
اشار الششترى الى التنبيه على عدم الوقوف مع هذه المقامات والكرامات
فقال- فلا تلتفت فى السير غيرا وكلما ، سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا ،
وكل مقام لا تقم فيه انه ، حجاب فجد السير واستنجد العونا ،
ومهما ترى كل المراتب تجتلى ، عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا ،
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب ، فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى ،
واعلم ان هذه الاداب التى ذكرها الشيخ فى هذا الباب قد تكون خاصة
بالعارف وقد يشاركه فيها غيره ولذلك يعبر بعبارة واسعة
لتكون عامة لان المريد قد يرتقى الى مقام وقد بقيت عليه
بقية مما قبله فيكملها فيه ثم ذكر الادب الخامس وهو ترك
الطلب من حيث هو فقال فيما يا تى ربما دلهم الادب على ترك
الطلب فقال طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه
وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك
منه قلت طلبك منه يكون بالتضرع والابتهال وطلبك له يكون بالبحث
والاستدلال وطلبك من غيره يكون بالتملق والسؤال وحاصلها اربعة
طلب الحق ومنه طلب الباطل ومنه وكلها مدخولة عند المحققين
اما طلبك منه فلوجود تهمتك له لانك انما طلبته مخافة ان يهملك

[illegible]

او يغفل عنك فانما ينبه من يجوز منه الاغفال وانما يذكر
من يمكن منه الاهمال وما الله بغافل عما تعملون اليس الله
بكاف عبده وقال صلى الله عليه وسلم من شغله ذكري عن
مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين فالسكوت تحت
مجاري الاقدار افضل عند العارفين من التضرع والابتهال
وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول الفقير الصادق لم تبق
له حالة يطلبها وان كان ولا بد من الطلب فليطلب المعرفة اه
قلت واذا ورد منهم الدعاء فانما هو عبودية وحكمة لا
طلبا للقسمة اذ ما قسم لك واصل اليك ولو سالته ان يمنعكه
ما اجابك وفي المسئلة خلاف بين الصوفية هل السكوت اولى
او الدعاء والتحقيق ان ينظر ما يتجلى فيه وينشرح له الصدر
فهو المراد منه واما طلبك له فهو دليل فهو دليل على غيبتك
عنه بوجود نفسك فلو حضر قلبك وغبت عن نفسك ووهمك
لما وجدته غيره اراك تسأل عن نجد وانت بها وعن تهامة هذا فعل متهم
وقال ابن المرحل السبتي رضي الله عنه

ومن عجب اني احن اليهم ... واسأل شوقا عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها ... ويشكو النوى قلبي وهم بين اضلعي

وللرفاعي رضي الله عنه

قالوا اتنسى الذي تهوى فقلت لهم ... يا قوم من هو روحي كيف انساه
وكيف انساه والاشياء به حسنت ... من العجائب ينسى العبد مولاه
ما غاب عني ولكن لست ابصره ... الا وقلت جهارا قل هو الله

واما طلبك لغيره اي لمعرفة غيره فلقلة حيائك منه وعدم
انسك به اما وجه قلة حيائك منه فلانه بناديك الى الحضرة
وانت

رؤيته عن ربه

وانت تفر منه الى الغفلة ومثال ذلك كمن كان في حضرة الملك
والملك مقبل عليه ثم يجعل هو يريد الخروج منها ويلتفت
الى غيره فهذا يدل على قلة حيائه وعدم اعتنائه بالملك
فهو حقيق بان يطرد الى الباب او الى سياسة الدواب وقد قالوا الكريم
من تعرف ولا تتعرف لمن لا تعرف واما وجه عدم انسك به فلانك
لو انست به لاستوحشت من خلقه فلا يتصور منك طلب معرفتهم
وانت تفر منهم فاذا انسك به اوحشك من خلقه وبالعكس
والاستئناس بالناس من علامة الافلاس اقبالك على الحق ادبارك
عن الخلق واقبالك على الخلق ادبارك عن الحق وقد عدوا من
اصول الطريق الاعراض عن الخلق في الاقبال والادبار واما
طلبك من غيره فلوجود بعدك عنه اذ لو تحققت بقربه منك
وهو كريم ما احتجت الى سؤال غيره وهو لئيم وسيأتي في المناجات
ام كيف يطلب من غيرك وانت ما قطعت عادة الامتنان وفي بعض
الكتب المنزلة يقول الله تبارك وتعالى اذا نزلت بعبدي حاجة
فرفعها الي اعلم ذلك من نيته لو كادته السموات السبع والارضون
السبع لجعلت من امره فرجا ومخرجا واذا نزلت بعبدي حاجة
فرفعها الى غيري اصخت الارض من تحته واسقطت السماء من فوقه
وقطعت الاسباب فيما بيني وبينه او كما قال لطول العهد به
فتحصل ان الادب هو الاكتفاء بعلم الله والتحقق بمعرفة الله والا
ستغناء به عما سواه والله تعالى اعلم ثم ذكر الادب السادس
وهو التسليم والرضى بما يجري به القدر والقضا فقال ما من نفس
تبديه الا وله قدر فيك يمضيه قلت النفس بفتح الفاء عبارة عن
دقيقة من الزمان قدر ما يخرج النفس ويرجع وهو اوسع من الطرفة

والطرفة اوسع من اللحظة وهما رمق البصر ورده والقدر هو العلم
السابق للاشياء قبل ان تظهر وهو علم اوقاتها واماكنها ومقاديرها
وعدد افرادها وما يعرض لها من الكيفيات وما ينزل بها من الافات
فاذا علمت ايها الانسان ان انفاسك قد عمها القدر ولا يصدر
منك ولا من غيرك الا ما سبق به علمه وجرى به قلمه لزمك ان ترضى
بكل ما يجري به القضاء فانفاسك معدودة وخطواتك
ولحظاتك محصورة فاذا انتهى اخر انفاسك رحلت الى
اخرتك واذا كانت الانفاس معدودة فما لك بالخطوات
والخطرات وغير ذلك من التصرفات ولله در القائل

خطى مشيناها كتبت علينا ، ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن قسمت منيته بارض ، فليس يموت في ارض سواها

وحقيقة الرضى هو تلقي المهالك بوجه ضاحك وحقيقة
التسليم هو استواء النقمة والنعيم بحيث لا يختار في ايهما يقيم
وهذا هو مقام اهل الكمال الذين تحققوا بالزوال نفعنا الله
بذكرهم وخرطنا في سلكهم امين ثم ذكر الادب السابع وهو
دوام المراقبة ومواصلة المشاهدة فقال **لا تترقب فراغ الاغيار
فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك
فيه** الترقب هو الانتظار والاغيار جمع غير بكسر الغين وهو ما
يغير القلب عن حاله والغالب استعماله فيما يغيره من حالة الكمال
الى حالة النقص وعند الصوفية كل ما يشغل عن الحضرة ويغير
القلب عنها فهو غير والمراقبة هي العسة على القلب لانه لا يخرج
من حضرة الرب والمراد بها في كلام الشيخ مطلق العسة فتصدق
بمراقبة القلب كما تقدم وتصدق بمراقبة الروح وهي عستها
على

على دوام الشهود وبمراقبة السر وهي عسته على دوام الترقي
والادب **قلت** اذا اقامك الحق تعالى في حال يغلب فيها وجود
الاغيار لغلبة الحس فيها كما اذا اقامك في شغل دنيوي في الطعام
لا محيد لك عنه فجاهد قلبك في العسة عليه في الحضور لئلا تسرقك
الغفلة او جاهد روحك في العسة عليها في دوام الشهود لئلا
يسرقك الحس او جاهد سرك في استمداد المواهب والعلوم
لئلا يحصل لك فتور ولا تترقب اي تنتظر فراغ شغل يدك
من تلك الاغيار فتؤخر حضور قلبك الى تمام شغل يدك
فيفوتك وجود المراقبة في تلك الحال التي اقامك الحق فيها
فيكون في حقك سوء ادب وفيه ايضا تضييع ذلك الوقت
وخلوه من معاملة الحق وحقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها
ولقد بلغني ان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه
كان اذا راى اصحابه في شغل وخاف عليهم ان يسرقهم الحس
نادى عليهم باعلى صوته انت انت تنبيها لهم وايقاظا من
شهود الحس وقد ذكر الشعراني في العهود عن بعض اشياخه
انه كان لا يغيب عن الله ولو في حالة الجماع وهذا شان اهل
الاعتناء من العارفين وهذا هو جمع الجمع والله تعالى اعلم
تنبيه ليس هذا تكرار مع ما تقدم في قوله احالتك
الاعمال على وجود الفراغ الخ لان ذلك في عمل الجوارح وهذا في
عمل القلوب يدلك على ذلك تعبيره هنا بالمراقبة وتعبيره ثم
بالاعمال والافادة خير من الاعادة وبالله التوفيق واذا حصلت
لك المراقبة او المشاهدة في حال الاغيار فلا تستغرب ما تراه
من الاكدار لئلا يحصل لك الانكار والى هذا اشار بقوله

لاتستغرب وقوع الاكدار مادمت في هذه الدار فانها ما ابرزت
الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها الاستغراب تصيير الشيء
غريبا حتى يتعجب منه والاكدار كل ما يكدر على النفس ويؤلمها
ومستحق وصفها ما يستحق ان توصف به وواجب نعتها ما يجب ان
تنعت به قال بعضهم الوصف يكون بالامور اللازمة والنعت يكون
بالعوارض الطارئة فالامور اللازمة كالبياض والسواد والطول
والقصر والعوارض كالمرض والصحة والفرح والحزن وغير ذلك
والمراد هنا بالاوصاف ما يتكرر وقوعه كالموت والامراض وما
يقع كثيرا وبالنعوت ما يقل وقوعه في العادة كالفتن والهرج
والزلازل لانهم كانوا يقولون الاوصاف لوازم والنعوت
عوارض وقيل شيء واحد وهو الاصح **قلت** من اداب
العارف ان لا يستغرب شيئا من تجليات الحق ولا يتعجب من شيء
منها لانه ما كانت جلالية او جمالية فان نزلت به نوازل
قهرية او وقعت في هذه الدار اكدار واغيار جلاليه فلا
يستغرب وقوع ذلك لان تجليات هذه الدار جلها جلالية لانها
دار اهوال ومنزل فرقة وانتقال **وفي الحديث** عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال في بعض خطبه ايها الناس ان هذه الدار دار التواء
اي هلاك لا دار استواء ومنزل ترح اي حزن لا منزل فرح فمن عرفها
لم يفرح لرخائها ولم يحزن لشقائها الا وان الله خلق الدنيا دار
بلوى والاخرة دار عقبى فجعل بلوى الدنيا لثواب الاخرة سببا
وثواب الاخرة من بلوى الدنيا عوضا فياخذ ليعطي ويبتلي ليجزي
وانها لسريعة الثوى وشيكة الانقلاب فاحذروا حلاوة رضاعها
لمرارة فطامها واهجروا لذيذ عاجلها لكربة اجلها ولا تسعوا في عمران لكريم
دار

دار وقد قضى الله خرابها ولا تواصلوها وقد اراد الله منكم
اجتنابها فتكونوا لسخطه متعرضين ولعقوبته مستحقين **وقال**
الجنيد رضي الله عنه ليس استبشع مما يرد علي من العالم لاني اصلت
اصلا وهو ان الدار دار هم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر
ومن حكمه انه يتلقاني بكل ما اكره فان تلقاني بما احب فهو فضل
والا فالاصل هو الاول وفي ذلك قيل

يمثل ذو اللب في لبه ۞ شدائده قبل ان تنزلا ۞
فان نزلت بغتة لم ترعه ۞ لما كان في نفسه مثلا ۞
راى الامر يفضي الى اخر ۞ فصير اخره اولا ۞
وذو الجهل يامن ايامه ۞ وينسى مصارع من قد خلا ۞
ولو قدم الحزم من نفسه ۞ لعلمه الصبر عند البلاء ۞

قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري يا احمد جوع قليل
وعري قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك ايام الدنيا
اه فلا تستغرب ايها العارف ما يقع بك او بغيرك من الاكدار
مادمت مقيما في هذه الدار لانها ما برز فيها من التجليات الجلاليه
الا ما هو مستحق ان تتصف به وواجب ان تنعت به فلا تستغرب شيئا
ولا تتعجب من شيء بل الواجب عليك ان تعرف الله في الجلال والجمال
والحلوة والمرة واما ان كنت لا تعرفه الا في الجمال فهذا هو مقام العوام
والمعرفة في الجلال هو السكون والادب والرضى والتسليم فينبغي للفقير
ان يكون كعشب السمار اذا جاءت حملة الوادي حنا راسه واذا ذهبت
رفع راسه وكما لا تستغرب وقوع الاكدار بحيث لا تحزن ولا تخف ولا تجزع
كذلك لا تتعجب من وقوع المسار وهو الجمال بحيث لا تفرح ولا تبطر
فان الجلال مقرون بالجمال والجمال مقرون بالجلال يتعاقبان تعاقب

الليل والنهار والعارف يتلون مع كل واحد منهما لا يستغرب شيئا ولا يتعجب
من شيء اذ كل ما يبرز من عنصر القدرة كله واحد وبهذا وقع التفريق
بين الصادق والصديق لان الصديق لا يتعجب من شيء ولا يتردد في
شيء وعد به بخلاف الصادق فقط فانه مهما رأى شيئا مستغربا تعجب
منه واذا وعد بشيء قد يتردد في امتثاله وقد وصف الله تعالى
السيدة مريم بالصديقية ولم يصف السيدة سارة بها لانها
لما بشرت بالولد على وجه خرق العادة استغربت وقالت ان هذا
لشيء عجيب فلذلك قالت لها الملائكة اتعجبين من امر الله بخلاف
مريم فلم تتعجب وانما سالت سؤال استفهام فقط او سالت عن وقت
ذلك او كيفيته هل بالتزوج او بغيره والله تعالى اعلم ثم ذكر الادب الثامن
وهو ان يكون تصرفه بالله ولله ومن الله والى الله وهو مقام الصديق
الذي هو لب الاخلاص واخلاص خواص الخواص فقال ما توقف
مطلب انت طالبه بربك ولا تيسر مطلب انت طالبه بنفسك التوقف
الحبس والتعذر والمطلب ما يطلب قضاؤه والتيسر التسهيل قلت
اذا عرضت لك حاجة من حوائج الدنيا والاخرة واردت ان تقضى
لك سريعا فاطلبها بالله ولا تطلبها بنفسك فانك اذا طلبتها
بالله تيسر امرها وسهل قضاؤها وان طلبتها بنفسك صعب قضاؤها
وتعسر امرها ولا يتوقف ويحبس امر طلبته بربك ولا يتيسر ويسهل امر طلبته
بنفسك قال تعالى حاكيا عن سيدنا موسى عليه السلام وقال موسى
لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين فكل من استعان بالله وصبر في طلب
حاجته كانت العاقبة له وكان من المتقين وقال تعالى ومن يتوكل على
الله فهو حسبه اي كافيه كل ما اهمه وقال صلى الله عليه وسلم
لبعض

لبعض اصحابه وهو سويد بن غفلة لا تطلب الامارة فانك ان
طلبتها وكلت اليها وان اتتك من غير مسئلة اعنت عليها وعلامة
الطلب بالله هو الزهد في ذلك الامر والاشتغال بالله عنه فاذا
جاء وقته تكون باذن الله وعلامة الطلب بالنفس هو الحرص والد
والبطش اليه فاذا تعذر عليه انقبض وتغير عليه فهذا ميزان
من كان طلبه بالله وطلبه بنفسه فمن طلب حوائجه بالله
قضيت معنا وان لم تقض حسا ومن طلب حوائجه بنفسه خاب
سعيه وضاع وقته وان قضيت نقمته وحاجته وها هنا ضابط
يعرف به اهل العناية من اهل الخذلان واهل الولاية من اهل الخسران
ذكره الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فقال اذا اكرم الله
عبدا في حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه
حظوظ نفسه وجعله يتقلب في عبوديته والحظوظ عنه مستورة
مع جري ما قدر له ولا يلتفت اليها كانه في معزل عنها واذا اهان
الله عبدا في حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه وستر
عنه عبوديته فهو يتقلب في شهواته وعبودية الله عنه
بمعزل وان كان يجري عليه شيء منها في الظاهر قال وهذا
باب من الولاية والاهانة واما الصديقية العظمى والولاية
الكبرى فالحظوظ والحقوق كلها سواء عند ذوي البصيرة لانه
بالله فيما ياخذ ويترك اه نقله الشيخ زروق في بعض شروحه
والحاصل ان تصرفات العارف كلها بالله وتصرفات غيره كلها بالنفس
ولو كانت بالله فالعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب المثوبة
العمل بالله صاحبه داخل الحجاب في مشاهدة الاحباب والعمل لله صحيح
الثواب من وراء الحجاب الباب العمل بالله من اهل التحقيق والعمل لله من اهل

التشريع العمل لله من اهل قوله تعالى اياك نعبد والعمل بالله
من اهل قوله تعالى واياك نستعين وقال شيخ شيوخنا سيدي
علي رضي الله عنه بين العمل بالله والعمل لله ما بين الدينار
والدرهم اهـ وبالله التوفيق ومن كان عمله بالله كان راجعا اليه
في كل شيء ومعتمدا عليه في كل حال واليه اشار بقوله من علامة
النجح في النهايات الرجوع الى الله في البدايات النجح في الشيء
هو بلوغ المقصد والمراد فيه وتحقق مطالبه اذا قضيت وبلغ
منها ما احب ونهاية الشيء تمامه وبدايته اوله قلت اذا توجهت
همتك ايها المريد الى طلب شيء اي شيء كان واردت ان ينجح
امره وتبلغ مرادك فيه وتكون نهايته حسنة وعاقبته محمودة
فارجع الى الله في بداية طلبه وانسلخ من حولك وقوتك وقل كما قال
عليه السلام أن يكن من عند الله يمضه فلا تحرص عليه ولا تهتم
بشانه فما شاء الله كان وما لم يشاء ربنا لم يكن فلو اجتمعت
الانس والجن على ان ينفعوك بشيء لم يقدره الله لك لم يقدروا
على ذلك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يقدره الله عليك
لم يقدروا على ذلك جفت الاقلام وطويت الصحف كما في الحديث
فاذا طلبت شيئا وكنت فيه معتمدا على الله ومفوضا امرك الى الله
تنظر ما سبق في علم الله كان ذلك علامة نجح نهايتك وحصول
مطلبك قضيت في الحس او لم تقض لان مرادك مع مراد الله
لا مع مراد نفسك قد انقلبت حظوظك حقوقا لا تشتهي الا
ما قضى الله ولا تنظر الا ما يبرز من عند الله قد فنيت عن حظوظك
وشهواتك وان طلبت شيئا بنفسك معتمدا على حولك وقوتك
حريصا على قضائها جاهدا في طلبها كان ذلك علامة على عدم
قضائها

قضائها وخيبة الرجاء فيها وعدم نجح نهايتها وان قضيت في الحس
وكلت اليها فتعبت بسببها ولم تعن على شؤونها وما ربها وهذا
كله مجرب صحيح عند العام والخاص وهذه الحكمة تتميم لما قبلها
او شرح لها والله تعالى اعلم ثم كمل هذه المسئلة بقاعدة كلية
تصدق بما تقدم وبغيره فقال من اشرقت بدايته اشرقت
نهايته قلت اشراق البداية هو الدخول فيها بالله وطلبها بالله
والاعتماد فيها على الله مع السعي في اسبابها والاعتناء في طلبها
قياما بحق الحكمة وادبا مع القدرة ويعظم السعي في السبب بقدر
عظمة المطلب فبقدر المجاهدة تكون بعدها المشاهدة والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ان رحمت
الله قريب من المحسنين وقال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن
المجذوب رضي الله عنه لا تحسبوها رخيصة راه كل المعشوق غالي
ما تحصد صابت الصيف الا ببرد الليالي فمن رايناه جادا في بدايته صح
في طلب الحق معرضا عن الانس بالخلق مستغرقا في خدمة مولاه ناسيا
لحظوظه وهواه علمنا ان نهايته مشرقة وعاقبته محمودة ومآربه
مقضية ومن رايناه مقصرا في طلب مولاه لم يخرج عن نفسه وهواه
علمنا انه كاذب في دعواه فنهايته الحرمان وعاقبته الخذلان الا ان
يتداركه الكريم المنان هذا في طريق الوصول الى حضرة الحق
واما اشراق البداية في طلب حوائج الدنيا او المقامات او المراتب
او الخصوصية مثلا فهو بالزهد فيها والاعراض عنها والاشتغال
بالله عنها قال بعضهم لا تدرك المراتب الا بالزهد فيها قال الشيخ
ابو الحسن كنت انا وصاحب لي نعبد الله في مغارة ونقول في هذا
الشهر يفتح الله علينا في هذه الجمعة يفتح الله علينا فوقف على باب

المغارة رجل عليه سيماء الخير فقال السلام عليكم فرددنا عليه السلام
وقلنا له كيف انت فنهض علينا وقال كيف يكون حال من يقول في هذا
الشهر يفتح الله علينا في هذه الجمعة يفتح الله لا فتح ولا فلاح هلا
عبدنا الله كما امرنا ثم غاب عنا ففهمنا من اين اخذنا فرجعنا
على انفسنا باللوم ففتح الله علينا اه بالمعنى ذكره في التنوير فمن
طلب الخصوصية كان عبد الخصوصية وفاته حظه من الله حتى
يتوب ومن كان عبد الله نال حظه من العبودية وادركته الخصوصية
من غير التفات اليها ولا طلب والله تعالى اعلم ثم ان هذه الامور
التي تشرق بها البداية وتكون علامة على اشراق النهاية هي امور
باطنية كالاعتماد على الله والرجوع اليه او كثرة الشوق والاشتياق
اليه لكن لا بد من ظهور اثرها على الظاهر واليه اشار بقوله ما استودع
في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر استودع اي وضع
فالاستيداع هو وضع الشيء في محل ليحفظ وغيب السرائر هو باطنها
والمراد بالسرائر هو القلوب والارواح وشهادة الظواهر هي ظاهر
الجوارح قلت ما استودع الله سبحانه في القلوب وجعله فيها
من خير او شر من نور او ظلمة من علم او جهل من رحمة او قسوة
من بخل او شح او كرم او سخا وقبض وبسط ويقظة او غفلة ومعرفة
او نكران او غير ذلك من الاخلاق المحمودة او المذمومة لا بد ان يظهر
اثار ذلك على الجوارح من ادب وتهذيب وسكون وطمانينة ودل
ورزانة وبذل وعفو او طيش وقلق وغضب وغير ذلك من الاحوال
القلبية والاعمال القالبية قال تعالى تعرفهم بسيماهم وقال سيماهم
في وجوههم وقال صلى الله عليه وسلم من سر سريرة اكساه الله رداها
فافعال الجوارح تابعة لاحوال القلوب فمن اودع في سر غيبه معرفة
مولاه

معرفة مولاه لم يطلب من سواه ومن اودع في سر غيبه الجهل بمولاه
تعلق بما سواه وهكذا احوال الظاهر تابعة لاحوال الباطن كما تقدم
في قوله تنوعت اجناس الاعمال لتنوع واردات الاحوال فالاسرة
تدل على السريرة والكلام صفة المتكلم وما فيك ظهر على فيك وكل اناء
بالذي فيه يرشح وما خامر القلوب فعلى الوجوه اثره والله تعالى اعلم
واعظم ما استودع في غيب السرائر معرفة الله وهي على قسمين
معرفة البرهان ومعرفة العيان اشار الى الفرق بينهما فقال شتان
بين من يستدل به او يستدل عليه المستدل به عرف الحق لاهله و
اثبت الامر من وجود اصله والاستدلال عليه من عدم الوصول
اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون
الاثار هي التي توصل اليه شتان بمعنى بعد وافترق ولا تكون
الا في افتراق المعاني دون الحسيات قلت اعلم ان الحق سبحانه
لما اراد ان يتجلى باسرار ذاته وانوار صفاته اظهر بقدرته قبضة
من نوره الازلي فاقتضت القدرة ظهور اثارها وشهود انوارها
واقتضت الحكمة اسدال حجابها واظهار استارها فلما فرغت
القدرة نورها في مظاهر الكون اسدلت عليها الحكمة رداء الصون
فصارت الاكوان كلها نورا في حجاب مستور ثم ان الحق سبحانه
قسم الخلق على قسمين وفرقهم فرقتين قسم اختصهم بمحبته
وجعلهم من اهل ولايته ففتح لهم الباب وكشف لهم الحجاب
فاشهدهم اسرار ذاته ولم يحجبهم عنه باثار قدرته وقسم اقامهم
لخدمته وجعلهم من اهل حكمته اسدل عليهم حجاب الوهم وغيب
عنهم نور العلم والفهم فوقفوا مع ظواهر القشور ولم يشهدوا
بواطن النور مع شدة الظهور فسبحان من اخفى سره

حكمته واظهر نوره بقدرته فاما اهل المحبة وهم اهل الولاية
والعرفان من اهل الشهود والعيان فهم يستدلون بالنور على وجود
الستور فلا يرون الا النور وبالحق على وجود الخلق فلا يجدون الا الحق
وبقدرته على حكمته فوجدوا قدرته عين حكمته وحكمته عين قدرته
فغابوا بشهود الحق عن رؤية الخلق اذ محال ان تشهده وتشهد معه
سواه واما اهل الخدمة من اهل الحكمة فهم يستدلون بظهور الستور
على وجود النور وبالخلق على وجود الحق غابوا عنه فى حال حضوره
وحجبوا عنه بشدة ظهوره قال بعض العارفين اثبت الله تعالى
للعامة المخلوق فاثبتوا به الخالق واثبت للخاصة نفسه فاثبتوا
به المخلوق اه فشتان اى فرق كبير بين من يستدل به على ظهور اثره
وبين من يستدل بظهور اثره على وجوده لان من يستدل به عرف الحق
وهو الوجود الحقيقى لاهله اى لمن هو اهل له ويستحقه وهو الله الواجب
الوجود الملك المعبود واثبت الامر وهو القدم للوجود الحقيقى من
وجود اصله وهو الجبروت الاصلى القديم الازلى يعنى ان من عرف
الله حتى صار عنده ضروريا عرف الوجود انما هو لله وانتفى عنه
وجود ما سواه واثبت القدم لاوله ومنتهاه او تقول عرف الحق وهو
الوجود الاصلى لاهله وهو الله تعالى واثبت الامر وهو الوجود الفرعى من
وجود اصله اي الحقه باصله فاذا التحق الفرع بالاصل صار الجميع جبروتيا
اصليا ويحتمل ان يكون معناهما واحدا ويكون التقدير عرف الوجود
الحقيقى لاهله واثبت ذلك الامر من اصله كقولك عرفت هذا الحكم
واثبته من اصله والله تعالى اعلم واما من يستدل عليه فلبعده عنه فى
حال قربه منه ولغيبته عنه فى حال حضوره معه بعده الوهم وغيبه عدم
الفهم والافهم غاب حتى يستدل عليه اذ هو اقرب اليك من حبل الوريد
ومتى

ومتى بعد حتى تكون الاثار الوهمية هى التى توصل اليه وهو معكم اينما
كنتم اذ اثر القدرة هو عينها فالصفة لا تفارق الموصوف اذ لا قيام لها الا
به ولا ظهور لها الا منه وسيأتى له فى المناجاة الهى كيف يستدل عليك
بما هو فى وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى
يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى
بعدت حتى تكون الاثار هى التى توصل اليك والله تعالى اعلم ولما
كان المستدلون بالله قد وسع الله عليهم دائرة العلوم وفتح لهم
مخازن الفهوم بخلاف المستدلين عليه قد قتر الله عليهم ارزاق العلم
بوجود حجاب الوهم اشار الى ذلك بقوله لينفق ذو سعة من سعته
الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه السعة هى الغنى
وقدر عليه ضيق عليه قلت اما الواصلون اليه فلانهم لما نفذت ارواحهم
من ضيق الاكوان الى فضاء الشهود والعيان او تقول لما عرجت ارواحهم
من عالم الاشباح الى عالم الارواح ومن عالم الملك الى عالم الملكوت اتسعت
عليهم دائرة ارزاق العلوم وفتحت لها مخازن الفهوم فانفقوا
من سعة غناهم جواهر العلم المكنون ومن مخازن فهومهم كنوزهم
يواقيت السر المصون فاتسع لهم ميدان المجال وركبوا جياد البلاغة
وفصاحة المقال فما اسرع الغنى لمن واجهته منهم العناية وما اعظم
فتح من لحظته منهم الرعاية ان لله رجالا من نظر اليهم سعد
سعادة لا يشقى بعدها ابدا وهم اهل السر والحال واما السائرون
الى الله فلانهم باقون فى ضيق الاكوان وفى عالم الاشباح مسجونون
فى سجن الوهم لم يفتح لهم شىء من مخازن الفهم مشغولون بجهاد
نفوسهم ومعاناة تصفية قلوبهم مضيق عليهم فى العلوم ومقتر
عليهم فى سائر الفهوم فان جدوا فى السير وصلوا وانتقلوا من ضيق

املقوا

الاكوان ورحلوا وتبختروا فى رياض العلوم ورفلوا فطغوا بما املوا
واستغنوا بعدما ان تملوا وان رجعوا من الطريق او قصروا فقد
خابوا وخسروا تنبيه اذا اردت ان يتسع عليك علم الاذواق
فاقطع عنك مادة الاوراق فما دمت متكلا على كنز غيرك لا تجمع
لا تجمع على كنزك ابدا فاقطع عنك المادة وافتقر الى الله تفض
عليك المواهب من الله انما الصدقات للفقراء والمساكين
اذا اردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك وقد
قال الشيخ الدباس لتلميذه ابن ميمونة حين تاخر عنه الفتح
فى صدره فوجده يطالع رسالة القشيرى اطرح كتابك واحفر
فى ارض نفسك يخرج لك ينبوع والا فاذهب عنى اه وبالله الـ
التوفيق ثم ذكر سبب اتساع العلوم على الواصلين دون السائرين
وهو ان الواصلين لم يقفوا مع شهود الانوار بل نفذوا الى منور
الانوار بخلاف السائرين فانهم واقفون مع الانوار مفتقرون
اليها مملوكون فى يدها فقال اهتدى الراحلون اليه بانوار
التوجه والواصلون لهم انوار المواجهة فالاولون للانوار
وهولاء الانوار لهم لانهم لله لا لشيء دونه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم
يلعبون قلت انوار التوجه هى انوار الاسلام والايمان وانوار
المواجهة هى انوار الاحسان او تقول انوار التوجه انوار الطاعة الظاهرة
والباطنة وانوار المواجهة هى انوار الفكرة والنظرة او تقول انوار
التوجه انوار الشريعة والطريقة وانوار المواجهة انوار الحقيقة
او تقول انوار التوجه انوار المجاهدة والمكابدة وانوار المجاهدة
المواجهة هى انوار المشاهدة والمكالمة وبيان ذلك ان الحق سبحانه
اذا اراد ان يوصل عبده اليه توجه اليه اولا بنور حلاوة العمل

الظاهر

الظاهر وهو مقام الاسلام فيهتدى الى العمل ويغيب فيه ويذوق حلاوته
ثم يتوجه اليه بنور حلاوة العمل الباطن وهو مقام الايمان من الاخلاص
والصدق والطمانينة والانس بالله والتوحش مما سواه فيهتدى
اليه ويغيب فيه ويذوق حلاوته ويتمكن من المراقبة وهذا النور
اكمل من الاول واعظم ثم يتوجه اليه بنور حلاوة المشاهدة وهو
عمل الروح وهو اول نور المواجهة فتاخذه الدهشة والحيرة
والسكرة فاذا افاق من سكرته وصحا من جذبته وتمكن
من الشهود وعرف الملك المعبود ورجع الى البقاء كان لله
وبالله فاستغنى عن النور بمشاهدة نور النور لانه
صار عين النور فصار مالكا للانوار بعد ان كانت مالكة
له لافتقاره لها قبل وصوله الى اصلها فلما وصل صار عبد
الله حرا مما سواه ظاهره عبودية وباطنه حرية و
والحاصل ان المريد ما دام فى السير فهو يهتدى بانوار
التوجه مفتقر اليها لسيره بها فاذا وصل الى مقام المـ
المشاهدة حصلت له انوار المواجهة فلم يفتقر الى شيء
لانه لله لا لشيء دونه فالراحلون وهم السائرون للانوار
لافتقارهم اليها وفرحهم بها وهؤلاء الواصلون الانوار لهم
لاستغنائهم عنها بالله فهم لله وبالله لا لشيء دونه
ثم تلى الشيخ هذه الاية على طريق اهل الاشارة قل الله
بقلبك وروحك وغب عما سواه ثم ذر الناس اى اتركهم
فى خوضهم يلعبون اى يخوضون فى الهوى لاعبين
فى الهوى وقد اعترض بعض المفسرين على الصوفية
استشهادهم بهذه الاية ولم يفهم مرادهم قد علم كل اناس

مشربهم وكان الشيخ ابن عباد يقول لا تجعلوا اهل الظاهر
حجة على اهل الباطن الله اى لان اهل الباطن نظرهم دقيق
وغير لهم رقيق لا يفهم اشارتهم غيرهم نفعنا الله بهم
وخرطنا فى سلكهم آمين هذا آخر الباب الثانى وحاصله
آداب العارف وعلاماته فالآداب ثمانية والعلامات اربع الرجوع
اليه فى كل شيء والاعتماد عليه فى كل حال والغيبة فيه عن كل شيء
والاستدلال به على كل شيء واتساع ارزاق العلوم وفتح مخازن
الفهوم والوصل الى مواجهة الانوار والغيبة عنها بشهود
الواحد القهار ثم افتتح الباب الثالث بذكر التخلية والتحلية
فقال وقال رضى الله عنه تشوفك الى ما بطن فيك من
العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب
التشوف الى الشيء الاهتمام به والتطلع له قلت تشوفك
ايها الانسان الى ما بطن فيك من العيوب كالحسد والكبر وحب
الجاه والرياسة وهم الرزق وخوف الفقر وطلب الخصوصية وغير
ذلك من العيوب والبحث عنها والسعى فى التخلص منها افضل من
تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب كالاطلاع على اسرار العباد
وما يأتى به القدر من الوقائع المستقبلة وكالاطلاع على اسرار
غوامض التوحيد قبل الاهلية له لان تشوفك الى ما بطن من
العيوب سبب فى حياة قلبك وحياة قلبك سبب فى الحياة الدائمة
والنعيم المقيم والاطلاع على الغيوب انما هو فضول وقد يكون
سببا فى هلاك النفس كاتصافها بالكبر ورؤية المزية على الناس
وسيأتى للشيخ من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الا
الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسببا يجر الوبال اليه واعلم ان
العيوب

العيوب ثلاثة عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح فعيوب
النفس تعلقها بالشهوات الجسمانية كطيب المآكل والمشارب
والملابس والمراكب والمساكن والمناكح وشبه ذلك وعيوب
القلب تعلقه بالشهوات القلبية كحب الجاه والرياسة والعز والكبر
والحسد والحقد وحب المنزلة والخصوصية وشبه ذلك مما
يأتى ان شاء الله فى اوصاف البشرية وعيوب الروح تعلقها
بالحظوظ الباطنية كطلب الكرامات والمقامات والقصور
والحور وغير ذلك من الحروف فتشوف المريد الى شيء من ذلك
كله قادح فى عبوديته مانع له من القيام بحقوق ربوبيته
فاشتغاله بالبحث عن عيوبه النفسانية والقلبية
والروحانية اولى من تشوفه الى ما حجب عنه من علم الغيوب
كما تقدم وبالله التوفيق ولما ذكر التخلية ذكر ثمرتها
وهى التحلية بالمعرفة اذ ما منع منها الا تشوف النفس
او القلب او الروح الى حظوظها الوهمية فقال الحق ليس
بمحجوب عنك انما المحجوب انت عن النظر اليه
اذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان
لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو
القاهر فوق عباده قلت الحق تعالى محال فى حقه الحجاب
فلا يحجبه شيء لانه ظاهر بكل شيء وقبل كل شيء وبعد
كل شيء فلا ظاهر معه ولا موجود فى الحقيقة سواه فهو
ليس بمحجوب عنك وانما المحجوب انت عن النظر اليه
لاعتقادك الغيرية وتعلق قلبك بالامور الحسية
فلو تعلق قلبك بطلب المولى واعرضت بالكلية عن

رؤية السوى لنظرت الى نور الحق ساطعا فى مظاهر الاكوان
وصار ما كان محجوبا عنك بالوهم فى معد الشهود والعيان
ولله در القائل

لقد تجلى ما كان مختبى ،، والكون كله طويت طيى
منى على دارت كئوسى ،، من بعد موتى ترانى حيى

فالناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون وكلهم فى البحر
ولا يشعرون وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول والله
ما حجب الناس عن الله الا الوهم والوهم امر عدمى لا حقيقة
له اه وسياتى للشيخ ما حجبك عن الحق وجود موجود معه
اذ لا شيئ معه وانما حجبك عنه توهم موجود معه اه اذ
لو حجبه تعالى شيئ حسى لستره ذلك الحجاب ولو كان له
ساتر حسى لكان لوجوده حاصر اذ محال ان يستره من
جميع الوجوه ولا يحصره وكل حاصر لشيئ فهو له قاهر
كيف والله تعالى يقول وهو القاهر فوق عباده اى لانهم
فى قبضته وتحت تصريف قدرته وتخصيص ارادته ومشيئته
والفوقية عبارة عن رفعة الجلال والمكانة لا المكان كما
يقال السلطان فوق الوزير والسيد فوق عبده والمالك
فوق المملوك وغير ذلك مما يثبت الكبرياء وينفى
سمات الحدوث والله تعالى اعلم ولما كان حجاب الروح عن
المعرفة امرا وهميا عدميا لا حقيقة له وهو مرضها اوصاف
البشرية فلو صحت لعرفت اشار الى ذلك بقوله اخرج
من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك
لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا قلت

اوصاف

اوصاف البشرية هى الاخلاق التى تناقض خلوص العبو
دية
ومرجعها الى امرين الاول تعلق القلب باخلاق البهائم
وهى شهوة البطن والفرج وما يتبعهما من حب الدنيا
وشهواتها الفانية قال الله تعالى زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك
الاية الثانى تخلقه باخلاق الشياطين كالكبر والحسد
والحقد والغضب والحدة وهى القلق والبطر وهى
خفة العقل والاشر وهو التكبر وحب الجاه والرياسة
والمدح والقسوة والفظاظة والغلظة وتعظيم الاغنياء
واحتقار الفقراء وخوف الفقر وهم الرزق والبخل والشح
والرياء والعجب وغير ذلك مما لا يحصى حتى قال بعضهم
للنفس من النقائص ما لله من الكمالات وقد الف الشيخ
ابو عبد الرحمن السلمى كتابا فى عيوب النفس وادويتها
ونظمه الشيخ زروق فى نحو ثمانمائة بيت ومن القاه
الله الى شيخ التربية فلا يحتاج الى شيئ سوى الاستماع
والاتباع فاذا اخرج المريد من اخلاق البهائم تخلق
باخلاق الروحانيين كالزهد والورع والقناعة والعفة
والغنى بالله والانس به واذا خرج من اخلاق الشياطين
تخلق باخلاق المؤمنين كالتواضع وسلامة الصدر والحلم
والسكينة والرزانة والطمانينة والسهولة والليونة والخمول
والانقياد بحكم الله والشفقة والرحمة وتعظيم الفقراء
والمساكين واهل النسبة وجميع الامة والكرم والسخاء والجود

او باخلاق الملائكة صح

والاخلاص والصدق والمراقبة والمشاهدة والمعرفة فاذا تخلق
العبد بهذه الاخلاق وتحقق بها ذوقا بعد ان تخلص
من اضدادها كان عبدا خالصا لمولاه حرا مما سواه وكان
لندائه مجيبا ومن حضرته قريبا فاذا قال له ربه يا عبدى
قال له يا رب فكان صادقا فى اجابته لصدق عبوديته
بخلاف ما اذا كان منهمكا فى شهواته الظاهرة والباطنة
كان عبدا لنفسه وشهواته فاذا قال يا رب كان كاذبا اذ
من احب شيئا اكثر من ذكره فهو عبد له وهو لا يحب ان
تكون عبدا لغيره واذا تخلص من رق الشهوات والحظوظ
كان ايضا قريبا من حضرة الحق بل عاكفا فيها اذ ما اخرجنا
من الحضرة الا حب هذه الخيالات الوهمية فاذا تحررنا منها
وتحققنا بالعبودية وجدنا انفسنا فى الحضرة **واعلم**
ان هذه الاوصاف البشرية التى احتجبت بها الحضرة
انما جعلها الله منديلا لمسح اقذار القدر كالنفس و
الشيطان والدنيا فجعل الله النفس والشيطان منديلا
للافعال المذمومة وجعل البشرية منديلا للاخلاق الدنية
وما ثم الا مظاهر للحق وتجليات للحق وما ثم سواه
ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ان هذه العيوب سبب بقائها
فى الانسان باعتبار الحكمة هى الغفلة عن البحث عنها
وسبب الغفلة عن البحث عنها هو الرضى عن النفس
اذ لو اساء ظنه بها لبحث عن مساويها فاستخرجها
وتطهر منها فلذلك قال **اصل كل معصية وغفلة**
وشهوة الرضى عن النفس قلت اذ كل من رضى
عن

عن نفسه استحسن احوالها وغطى مساويها لقول الشاعر
وعين الرضى عن كل عيب كليلة **واصل كل طاعة ويقظة**
وعفة عدم الرضى منك عنها قلت لان من اتهم نفسه
واساء ظنه بها ونظر اليها بعين السخط بحث عن عيوبها
واستخرج مساويها لقول الشاعر ولكن عين السخط تبدى المساويا
فابحث ايها المريد عن مساويك واتهم نفسك ولا تستحسن
شيئا من احوالها فانك اذا رضيت عنها واستحسنت احوالها
لدغتك وانت لا تشعر وحجبتك عن الحضرة وانت تنظر قال
ابو حفص الحداد من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم
يخالفها فى جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها فى سائر
ايامه كان مغرورا ومن نظر الى نفسه باستحسان شئ منها
فقد اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم
ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يقول وما ابرئ نفسى ان
النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اهـ وفى معنى ذلك انشدوا
توق نفسك لا تامن غوائلها   فالنفس اخبث من سبعين شيطانا
وقال السرى السقطى من عرف الله عاش ومن مال الى الدنيا
طاش والاحمق يروح ويغدو فى لاش والعاقل عن
عيوبه فتاش اهـ فابحث يا اخى عن عيوبك ان اردت
نصح نفسك فاذا بحثت عن عيوبها وفضحت عوراتها
تخلصت وتحررت وتحققت ودخلت الحضرة واتسعت
لك النظرة واشتبكت لك الفكرة وكان شيخ شيخنا يقول
لعنة الله على من ظهرت له عورة نفسه فلم يفضحها وكان
ايضا كثيرا ما يوصى بعدم المراقبة للناس وعدم المبالاة بهم

اذ لا يتخلص من دقائق الرياء الا باسقاطهم من عينه وسقوطه
هو من عينهم ومن اراد ان يتخلص فليصحب من تخلص و
ولذلك قال ولان تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه
خير من ان تصحب عالما يرضى عن نفسه قلت
اذ صحبة من لا يرضى عن نفسه خير محض لتحققه بالاخلاص
فيسرى ذلك فى الصاحب حتى يتحلى بالاخلاص ويصير
من جملة الخواص وصحبة من يرضى عن نفسه شر محض
ولو كان اعلم اهل الارض لان الطباع تسرق اذ الجهل الذى
يقرب للحضرة احسن من العلم الذى يبعد عن الحضرة ولذلك
قال بعض العارفين اشد الناس حجابا عن الله العلماء
ثم العباد ثم الزهاد لوقوفهم مع علمهم وعبادتهم
وزهدهم والجهل الذى يوصل الى الله علم على الحقيقة والعلم
الذى يحجب عن الله جهل على الحقيقة ولذلك قال فاى
علم لعالم يرضى عن نفسه قلت لانه صار حجابا له
عن ربه واى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه قلت
اذ بعدم الرضى عن نفسه بحث عنها وتخلص من رقها
فصار عبدا حقيقة لله فحينئذ احبه سيده واصطفاه
لحضرته واجتباه لمحبته واطلعه على مكنون علمه فكان
اعلم خلقه والله تعالى اعلم واذا تخلص العبد من حظوظه
واوصاف بشريته قرب من حضرة ربه لصحة قلبه واشراقه
بنور ربه ثم امتحى وجوده فى وجود محبوبه وشهوده فى
شهود معبوده والى ذلك اشار بقوله شعاع البصيرة
يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك عدمك

لوجوده

لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك
ولا وجودك كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه
كان قلت البصيرة ناظر القلب كما ان البصر ناظر القالب
فالبصيرة ترى المعانى اللطيفة النورانية والبصر يرى المحسوسات
الكثيفة الظلمانية الوهمية ثم البصيرة باعتبار ادراك نور المعانى
اللطيفة على خمسة اقسام قسم فسد ناظرها فعميت فانكرت
نور الحق من اصله قال سيدى البصيرى
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ۞ وينكر الفم طعم الماء من سقم
وهذه بصيرة الكفار قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقسم صح ناظرها
لكنها مسدودة لضعف ناظرها لمرض اصابه فهى
تقر بالنور لكنها لا تقوى على مشاهدته ولا تشهد
قربه منها ولا بعده عنها وهى لعامة المسلمين وقسم
صح ناظرها وقوى شيئا ما حتى قرب ان يفتح عينه لكن
لشدة الشعاع لم يطق ان يفتح عينه فادرك شعاع
النور قريبا منه وهو لعامة المتوجهين ويسمى هذا المقام
شعاع البصيرة وقسم قوى ناظرها ففتح عين بصيرته
فادرك النور محيطا به حتى غاب عن نفسه بمشاهدة
النور وهذا للخاصة المتوجهين ويسمى هذا المقام
عين البصيرة وقسم صحت بصيرته واشتد نورها
فاتصل نورها بنور اصلها فلم تر الا النور الاصلى
وانكرت ان يكون ثم شئ زائد على نور الاصل كان
الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان ويسمى

هذا حق البصيرة ووجه تسميته بشعاع البصيرة ان صاحبها
لما كان يرى وجود الاكوان انطبعت فى مرءات بصيرته
فحجبته عن شهود النور من اصله لكن لما رقت كثافتها
وتنورت دلائلها راى شعاع النور من وراءها قريبا منه
فادرك الشعاع ولم يدرك النور وهذا هو نور الايمان
وهو مقام علم اليقين ووجه تسمية عين البصيرة ان البصيرة
لما صحت وقويت انفتحت عينها فرات النور محيطا و
متصلا بها فسميت عين البصيرة لانفتاحها وادراكها
ما خفى على غيرها وهذا مقام عين اليقين ووجه تسمية
حق البصيرة ان البصيرة لما ادركت الحق من اصله وغابت عن
نور الفروع بنور الاصول سميت حق البصيرة لما ادركته
من الحق وغابت عن شهود الخلق وهذا مقام حق اليقين
فشعاع البصيرة هو نور الايمان لاهل المراقبة وعين البصيرة
هو نور الاحسان لاهل المشاهدة وحق البصيرة هو نور الرسوخ
والتمكين لاهل المكالمة او تقول شعاع البصيرة نور علم اليقين
وعين البصيرة هو نور عين اليقين وحق البصيرة هو نور
حق اليقين فعلم اليقين لاهل الدليل والبرهان وعين اليقين
لاهل الكشف والبيان وحق اليقين لاهل الشهود والعيان
مثال ذلك كمن سمع بمكة مثلا ولم يرها فهذا عنده علم
اليقين فاذا استشرف عليها وراها ولم يدخلها فهو عين
اليقين فاذا دخلها وتمكن فيها فهو حق اليقين وكذلك
طالب الحق فما زال من وراء الحجاب فانيا فى الاعمال فهو فى
علم اليقين فاذا استشرف على الفناء فى الذات ولم يتمكن
من الفناء

من الفنا فهو فى عين اليقين فاذا رسخ وتمكن فهو فى حق
اليقين او تقول شعاع البصيرة لاهل عالم الملك وعين البصيرة
لاهل عالم الملكوت وحق البصيرة لاهل عالم الجبروت او تقول
شعاع البصيرة لاهل الفناء فى الاعمال وعين البصيرة لاهل الفناء
فى الذات وحق البصيرة لاهل الفناء فى الفناء فشعاع البصيرة
يشهدك قرب الحق منك اى يوجب لك شهود قرب نور الحق
منك قال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس
به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال تعالى وهو
معكم اينما كنتم وعين البصيرة يشهدك عدمك اى
زوالك بزوال وهمك لوجوده اى وجود الحق اذ محال
ان تشهده وتشهد معه سواه فاذا زال عنك الوهم
وفنيت عن وجودك شهدت ربك بربك وهو علامة
فتح البصيرة وعلاج السريرة فظاهره اى كما قال شيخ
شيوخنا سيدى عبد الرحمن المجذوب من راى الكون
بالكون غره فى عمى البصيرة ومن راى الكون بالمكون
صادف علاج السريرة فظاهره ان عامة المسلمين عميت
بصيرتهم والتحقيق هو ما تقدم من التفصيل وانها
مسدودة فقط مع صحة ناظرها بخلاف بصيرة الكفار
فانها عمياء وحق البصيرة يشهدك وجود الحق وحده
لا وجودك لانك مفقود من اصلك ولا عدمك اذ لا يعدم
الا ما ثبت له وجود ولم يكن مع الله موجود كان الله ولا
شئ معه وهو الان على ما عليه كان وهذه الزيادة وان لم
تكن فى الحديث لكن معناها صحيح اذ التغير عليه تعالى محال

قال الشيخ محيى الدين بن محمد بن على بن العربى الحاتمى
رضى الله عنه من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهد
شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم
فقد وصل الله قلت ومن شهدهم بعين العدم فقد تمكن
وصاله وانشدوا

من ابصر الخلق كالسراب ۔ فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود تراه رتقا ۔ بلا ابتعاد ولا اقتراب
فلا خطاب به اليه ۔ ولا مشير الى الخطاب

والله تعالى اعلم ثم اذا تقرر انفراد الحق بالوجود فلا تتعده
همتك الى غيره اذ هو مفقود والى ذلك اشار بقوله
فى اول الباب الرابع وقال رضى الله عنه لا تتعد نية
همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الامال قلت
لا تتعد اى لا تتجاوز ونية الهمة قصدها الذى يتوجه
به والهمة القوة المنبعثة فى طلب المقاصد والامال
قصود القاصدين ومعنى لا تتخطاه اى لا تتجاوزه
الى غيره قلت اذا تعلقت همتك ايها المريد بشئ
تريد تحصيله فردها الى الله ولا تتعلق بشئ سواه
لانه سبحانه كريم على الدوام ونعمه سحاء على ممر الليالى
والايام والكريم لا تتخطاه الامال وهو يحب ان يسئل
فيجيب السؤال وقد قالوا فى تفسير اسمه تعالى الكريم
هو الذى اذا سئل اعطى ولا يبالى كم اعطى ولا لمن
اعطى واذا رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفى
عفا واذا عاتب ما استقصى فهذا من كمال كرمه وتمام
احسانه

احسانه وانعامه وفى ذلك يقول سيدى ابرهيم الغازى فى قصيدة
له

كمال الله اكمل كل حسن ۔ فلله الكمال ولا ممارى
وحب الله اشرف كل انس ۔ فلا تنس التخلق بالوقار
وذكر الله مرهم كل جرح ۔ وانفع من زلال للاوار
ولا موجود الا الله حقا ۔ فدع عنك التعلق بالفشار

واذا علمت كرمه وجوده وكماله واحسانه فلا ترفع الى غيره
ما هو مورده عليك كما قال لا ترفعن الى غيره حاجة هو
موردها عليك قلت قد علمت ان ما سوى الحق خيال
وهمى لا حقيقة لوجوده فاذا انزل الله بك حاجة كفاقة
او شدة او غير ذلك من العوارض فانزلها بالله واجعلها
تحت مشيئة الله وغب عنها فى ذكر الله ولا تلتفت الى
ما سواه تعلقا ولا تملقا ففى الحديث من لم يسئل الله
عليه وقال ابو على الدقاق من علامة المعرفة ان لا تسئل
حوائجك كلها الا من الله قلت اوجلت مثل موسى
عليه السلام اشتاق الى رؤيته فقال رب ارنى انظر اليك
واحتاج يوما الى رغيف فقال رب انى لما انزلت الى من
خير فقير اه ثم تعجب ممن رفع احكام الحق الى غيره
مع عجزه وضعفه فقال فكيف يرفع الى غيره ما كان
هو له واضعا قلت من قلة حياء الانسان ان يرفع الى
غيره ما انزله عليه الحق تعالى من احكام قهره مع علمه
تعالى باحسانه وبره وعدم انفكاك لطفه عن قدره قال
الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ايست من نفع
نفسى لنفسى فكيف لا ايأس من نفع غيرى لها ورجوت

الله لغيري فكيف لا ارجوه لنفسي وقال بعض العارفين
من المكاشفين رضي الله عنهم قيل لي في نوم كاليقظة
او يقظة كالنوم لا تبدين فاقة فاضاعفها عليك مكافأة
مكافأة لسوء ادبك وخروجك الى حد عبوديتك
انما ابتليتك بالفاقة لتفزع الي منها وتتضرع بها
لدي وتتوكل فيها علي سبكتك بالفاقة لتصير بها ذهبا
خالصا فلا تزيفن بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت
لنفسي بالغنا فان وصلتها بي وصلتك بالغنا وان وصلتها
بغيري قطعت عنك مواد معونتي وحسمت اسبابك
من اسبابي طردا لك عن بابي فمن وكلته الى ملك ومن
وكلته اليه هلك اه ثم بين وجه التعجب فقال من لا
يستطيع ان يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع ان يكون
لها عن غيره رافعا قلت من عجز عن اصلاح نفسه فكيف
يقدر ان يصلح غيره ضعف الطالب والمطلوب قال بعضهم
من اعتمد على غير الله فهو في غرور لان الغرور ما لا يدوم
ولا يدوم شيء سواه وهو الدائم القديم الذي لم يزل
ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد الا على من يدوم
لك منه العطاء والفضل اه ثم ان الاعتماد على الله ورفع
الحوائج اليه والرجوع في كل النوازل اليه سببه حسن الظن
به كما اشار اليه بقوله ان لم تحسن ظنك به لاجل وصفه
حسن ظنك به لاجل معاملته معك فهل عودك الا
حسنا وهل اسدى اليك الا مننا قلت الناس في حسن
الظن بالله على قسمين خواص وعوام اما الخواص فحسن
ظنهم

ظنهم بالله تعالى ناشئ عن شهود جماله ورؤية كماله
فحسن ظنهم بالله لا ينقطع سواء واجههم بجماله او بجلاله
لان اتصافه تعالى بالرحمة والرأفة والكرم والجود
لا ينقطع فاذا تجلى لهم بجلاله او قهريته علموا
ما في طي ذلك من تمام نعمته وشمول رحمته فغلب
عليهم شهود الرحمة والجمال فدام حسن ظنهم على كل حال
واما العوام فحسن ظنهم بالله ناشئ عن شهود احسانه
وحسن معاملته وامتنانه فاذا نزلت بهم قهرية او شدة
نظروا الى سالف احسانه وحسن ما اسدى اليهم من
حسن لطفه وامتنانه فقاسوا ما ياتي على ما مضى
فتلقوا ما يرد عليهم بالقبول والرضى وقد يضعف
هذا الظن بضعف النظر والتفكر ويقوى بقوتهما
بخلاف الاول فانه ناشئ عن شهود الوصف والوصف
لا يتخلف والثاني ناشئ عن شهود الفعل وهو يتخلف
فان لم تعد رايها المريد ان تحسن ظنك بالله لشهود
وصفه بالرافة والرحمة التي لا تتخلف فحسن ظنك
به لوجود معاملته معك بلطفه ومنته فهل عودك
الحق تعالى الا برورا حسنا ولطفا جميلا وهل اسدى
اليك اي اوصل اليك الا مننا كبيرة ونعما غزيرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذيكم به من نعمه
واحبوني بحب الله وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
انا لا نحب الا الله فقال رجل ابى ذلك جدك يا سيدي
بقوله جبلت القلوب على حب من احسن اليها فقال الشيخ

لماصح

ابو الحسن اما لم تر محسنا غير الله لم تحب سواه اه وقال
ايضا رضى الله عنه قرات ليلة قل اعوذ برب الناس
الى ان بلغت فيها من شر الوسواس فقيل لى شر الوسواس
وسواس يدخل بينك وبين حبيبك يذكرك افعالك
السيئة وينسيك افعالك الحسنة ويكثر عندك ذات
الشمال ويقلل عندك ذات اليمين ليعدل بك عن حسن
الظن بالله وكرمه الى سوء الظن بالله ورسوله فا
فاحذروا هذا الباب فقد اخذ منه خلق كثير من العباد
والزهاد واهل الطاعة والسداد اه وقال رضى الله
عنه ايضا العرف من غرق اشد اشد الزمان فى
الالطاف الجارية من الله عليه وغرق اساءته فى احسان
الله اليه فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون اه واذا كان
الحق تعالى ما عودك الا الاحسان وما اسدى اليك
الا الامتنان فمن العجب ان تتركه وتطلب ما سواه
والى ذلك اشار بقوله العجب كل العجب ممن
يهرب مما لا انفكاك له منه ويطلب ما لا بقاء له
معه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التى فى الصدور قلت ما لا انفكاك منه هو الحق تعالى
وقضاؤه وقدره وما لا بقاء له هو الدنيا او ما تدبره النفس
وتقدره فمن اعجب العجائب ان يفر العبد من مولاه ويطلب
ويتوجه بالطلب لما سواه مع انه لا انفكاك له منه
ولا محيد له عنه اذ لا وجود له الا منه ولا قيام له الا به فكيف
يهرب منه بترك طلب معرفته وبالتقرب به بامتثاله
امره

٥٦

امره واجتناب نهيه ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ الدنيا
الفانية التى ان لم تزل عنها فى الحياة زالت عنك بالممات
فاطلب ما يبقى دون ما يفنى ولله در القائل

هب الدنيا تساق اليك عفوا ۰ اليس مصير ذاك الى زوال ۰
وما دنياك الا مثل ظل ۰ اظلك ثم اذن بارتحال ۰

او تقول من العجب كل العجب ان يهرب العبد مما لا انفكاك
له عن قدر الله وقضائه ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ
تدبيره واختياره اذ كل ما تدبره وابرمه فسخه القضاء
وهدمه ۰ متى يبلغ البنيان يوما تمامه ۰ اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ۰
وهذا كله من عدم فتح البصيرة او عماها ولذلك قال فانها
لا تعمى الابصار عن ادراك الحس لانها ادركته وحجبت ‎ ـــ اى عن
به ولكن تعمى القلوب عن ادراك المعنى فلا ترى الا الحس
ولا تحب الا اياه ولا تطلب شيئا سواه نسئل الله عافيته
وهذا وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رحمة الله عمى البصيرة ‎ رضى الله عنه
فى ثلاث ارسال الجوارح فى معاصى الله والطمع فى خلق الله
والتصنع بطاعة الله اه ثم اذا طلبت الحق الذى لا انفكاك
لك عنه ورحلت اليه فاطلب معرفة ذاته لا زخارف جناته
اذ هى كون من مكوناته ولذلك قال لا ترحل من كون الى
كون فتكون كحمار الرحى يسير والذى ارتحل اليه هو الذى
ارتحل عنه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وان الى
ربك المنتهى قلت الرحيل من الكون الى الكون هو الرحيل
من السوى الى طلب السوى وذلك كمن زهد فى الدنيا وانقطع
الى الله يطلب بذلك راحة بدنه واقبال الدنيا عليه لقوله صلى الله

عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من
حيث لا يحتسب ولقوله ايضا من كانت الأخرة نيته جمع
الله عليه امره وجعل غناه فى قلبه واتته الدنيا وهى
صاغرة وكمن زهد فيها يطلب الخصوصية كاقبال الخلق
والعز وتربية المهابة فى قلوب الناس اوزهد فيها
يطلب الكرامة وخوارق العادات اوزهد فيها بطلب
القصور والحور فهذا كله رحيل من كون الى كون فمثله
كحمار الطاحونة يسير الليل والنهار وهو فى موضعه
فالذى ارتحل منه هو الذى ارتحل اليه فمن كانت همته
الحظوظ النفسانية فحاله حال حمار السانية فى السير دائم الساقية
وهو فى موضعه قائم يظن انه قطع مسافة معا طلب وما
زاد الا انقصام تعب قال الشيخ ابو الحسن رضى الله
عنه قف بباب واحد لا لتفتح لك الابواب تفتح
لك الابواب واخضع لسيد واحد لا لتخضع لك الرقاب
تخضع لك الرقاب قال تعالى وان من شيء الا عندنا
خزائنه اه فينبغى لك ايها المريد ان ترفع همتك
الى الملك المجيد فترحل من رؤية الاكوان الى طلب شهود
الملك الديان او ترحل من الدليل والبرهان الى رؤية
الشهود والعيان وهو غاية القصد وبلوغ المنتهى
وان الى ربك المنتهى ولا ترحل من كون الى كون
بان تترك حظا من حظوظ نفسك طلبا لحظ اخر
فتكون كحمار الرحى الذى سار منه هو الذى عاد اليه
وتشبيهه بالحمار دليل على بلادته وقلة فهمه اذ لو بالحمار
فهم

فهم عن الله لرحل من حظوظ نفسه وهواه قاصدا الو
الوصول الى حضرة مولاه فلا ترحل ايها المريد من كون
مخلوق الى كون مخلوق مثلك ولكن ارحل من الكون الى المكون
وان الى ربك المنتهى والرحيل الى المكون يكون بثلاثة
امور الاول قصر همتك عليه دون ما سواه حتى يطلع على
قلبك فلا يجده محبا لسواه الثانى الرجعى اليه باقامة
الحقوق والفرار من الحظوظ الثالث دوام اللجاء اليه
والاستعانة به والتوكل عليه والاستسلام لما يورده عليك
قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه اربعة من كن فيه
احتاج الخلق اليه وهو غنى عن كل شيء المحبة لله والغنا
بالله والصدق واليقين الصدق فى العبودية واليقين
فى احكام الربوبية ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
اه قاله الشيخ زروق رضى الله عنه ثم استدل على طلب
رفع الهمة الى الله مع الاعراض عما سواه بحديث الهجرة
الذى فى الصحيح فقال وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها
فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه السلام فهجرته
الى ما هاجر اليه وتامل هذا الامر ان كنت ذا فهم والسلام
قلت الهجرة هى الانتقال من وطن الى وطن اخر بحيث
يهجر الوطن الذى خرج منه ويسكن الوطن الذى انتقل
اليه وهى هنا من ثلاثة امور من وطن المعصية الى وطن
الطاعة ومن وطن الغفلة الى وطن اليقظة ومن وطن عالم الاشباح

الى وطن عالم الارواح اوتقول من وطن الملك الى وطن الملكوت
اومن وطن الحس الى وطن المعنى اومن وطن علم اليقين الى وطن
عين اليقين اوحق اليقين فمن هاجر من هذه المواطن
قاصدا بهجرته الوصول الى رضى الله ورسوله اوالوصول
الى معرفة الله ورسوله فهجرته موصلة له الى الله ورسوله
على حسب قصده وهمته ومن كانت هجرته الى حظوظ نفسه
وهواه فقد خاب قصده ومسعاه وغاية هجرته ماهاجر
اليه وكانت هجرته زيادة فى جر الوبال اليه فافهم ايها السامع
قوله عليه السلام فهجرته الى ماهاجر اليه وتدبره واعرضه
على قلبك ونفسك وانظر هل فيك بقية من الالتفات الى ماهاجرت منه اوفيك حظ سوى ما هاجرت اليه من رضوان
الله ورسوله اومعرفة الله ورسوله فان الله غيور لا يحب
لمن طلبه ان يطلب معه سواه ولن يوصل اليه من بقى فيه
بقية من حظه وهواه قال الششترى • ان ترد وصلنا فموتك شرط
لاينال الوصال من فيه فضله • وقال ايضا • ليس يدرك وصالك
كل من فيه بقيا • وسمعت شيخنا البزيدى رضى الله عنه
يقول ان اردتم ان تعرفوا هل رحلت انفسكم من هذا العالم
الى عالم الملكوت اولم ترحل فاعرضوا عليها الامور التى كانت
تشتهيها وتميل اليها واحدا بعد واحد فان وجدتموها
رحلت عنها وخرجت محبتها من قلبها ولم تركن الى واحد منها
فاستبشروا فقد رحلت ارواحكم الى عالم الملكوت وان وجدتموها
ركنت اومالت بالمحبة الى شئ من هذا العالم فجاهدوها
واخرجوها عنه بالكليه حتى ترحل الى ربها اه بالمعنى
وختم

وختم هذا الباب بالسلام لما فيه من ذكر السلامة
ولما كان السفر لابد فيه من دليل والا ضل عن سواء السبيل
افتتح الباب الخامس بذكر الصحبة وشروط المصحوب وادابها
وادابها فقال لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك
على الله مقاله قلت الذى ينهضك حاله هو الذى اذا رايته
ذكرت الله فقد كنت فى حال الغفلة فلما رايته نهض حالك
الى اليقظة اوكنت فى حالة الرغبة فلما رايته نهض حالك الى الزهد
اوكنت فى حالة الاشتغال بالمعصية فلما رايته نهض حالك
الى التوبة اوكنت فى حالة الجهل بمولاك فنهضت الى معرفة
من تولاك وهكذا والذى يدلك على الله مقاله هو الذى
يتكلم بالله ويدل على الله ويغيب عما سواه اذا تكلم
اخذ بمجامع القلوب واذا سكت انهضك حاله الى علام
الغيوب فحاله يصدق مقاله ومقاله موافق لعلمه
فصحبة مثل هذا اكسير يقلب الاعيان وهو مفهوم من
قول الشيخ لا تصحب من لا ينهضك حاله الخ اى بل اصحب
من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله والصحبة فى
طريق التصوف امر كبير فى السير الى الله تعالى حسبما جرت
به عادة الله تعالى وحكمته حتى قال بعضهم من لا شيخ
له فالشيطان شيخه وقال اخر الانسان كالشجرة النابتة
فى الخلا فان لم تقطع وتلقم كانت دكارة وقال الشيخ ابو العباس
المرسى رضى الله عنه كل من لا شيخ له فى هذا الشان
لا يفرح به ومن شروط الشيخ اربعة علم صحيح وذوق
صريح وهمة عالية وحالة مرضية فالعلم الصحيح هو ما يتقن

اشتملت على من الرجاء والمقام والمقام فكلها تدل على سفر القلب من شهود الخلق الى شهود الخالق فناسب ختمها بالسلام لما صح

به فرضه ولا بد ان يكون عالما بالمقامات والمنازل التى
يقطعها المريد وبغرور النفس ومكائدها قد سلك ذلك
على يد شيخ كامل وذاق ذلك ذوقا لا تقليدا وهو المراد
بالذوق الصحيح **والهمة** العالية هى المتعلقة بالله
دون ما سواه **والحالة** المرضية هى الاستقامة بقدر الاسطا
الاستطاعة ولا بد ان يكون جامعا بين حقيقة وشريعة
وبين جذب وسلوك فجذبه بجذب القلوب وسلوكه
يخرجها من حالة الجذب الى البقاء فالسالك فقط ظاهرى
لا يجذب ولا يحقق والمجذوب فقط لا يسير ولا يوصل و
وفساد صحبته اكثر من نفعها قال فى اصول الطريقة
ومن فيه خمس لا تصح مشيخته الجهل بالدين واسقاط
حرمة المسلمين ودخول ما لا يعنى واتباع الهوى فى كل شئ
وسوء الخلق من غير مبالات اه فصحبة مثل هذا ضرر
محض واليه اشار بقوله **ربما كنت مسيئا فاراك
الاحسان منك صحبتك الى من هو اسوء حالا منك**
قلت رب هنا للتكثير وصحبتك فاعل باراك والاحسان
مفعول مقدم والتقدير ربما تكون مسيئا فى حالك مقصرا
فى عملك فاذا صحبت من هو اسوء حالا منك اراك اى ابصرتك
صحبتك الى من هو اسوء حالا منك الاحسان منك لما ترى
ما يصدر منها من الاحسان ومن المصحوب من التقصير
والنقصان فتعتقد المزية عليه لان النفس مجبولة على
رؤية الفضل لها ومشاهدة التقصير من غيرها علما او عملا
او حالا بخلاف ما اذا صحبت من هو احسن حالا منها فانها
لا ترى

لا ترى من نفسها الا التقصير وفى ذلك خير كثير **قال الشيخ**
ابو الحسن الشاذلى اوصانى حبيبى فقال لا تنقل قدميك
الا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس الا حيث تأمن غالبا
من معصية الله ولا تصطف لنفسك الا من تزداد به يقينا
وقليل ما هم **وقال** له ايضا لا تصحب من يؤثر نفسه عليك
فانه لئيم ولا من يؤثرك على نفسه فانه قل ما يدوم
واصحب من اذا ذكر ذكر الله فالله يغنى به اذا شهد
وينوب عنه اذا فقد ذكره نور القلوب ومشاهدته
مفاتيح الغيوب اه وحاصله لا تصحب من تتكلف
له فوق جهدك ولا من يتكلف لك كذلك وخير
الامور اوساطها وهذا والله اعلم فى صحبة الاخوة
واما صحبة الشيخوخة فكل ما امر به الشيخ او اشار
اليه او فهمت انه يحب ذلك فلا بد ان تبادر اليه
بقدر الامكان ولو كان محالا عادة لاخذت فى التهيئ
للفعل قال شيخ شيوخنا سيدى العربى بن احمد بن
عبد الله الفقير الصديق هو الذى اذا قال له شيخه
ادخل فى عين المخياط لا يتردد ويقوم يبادر فى امتثال
ما امر ولو كان لا يتاتى منه ذلك وقال ايضا
صاحبى هو الذى نفتله بشعرة وقال سيدى
على رضى الله عنه فى كنا به اعلم انه لا يقرب طالب الله
الى الله شئ مثل جلوسه مع عارف بالله ان وجده
وان لم يجده فعليه بذكر الله ليلا ونهارا قائما وقاعدا
مع العزلة عن ابناء الدنيا بعدم الجلوس معهم وعدم الكلام

كذلك وعدم النظر فيهم لانهم سم خارق ولا يبعد من الله
شيء مثل جلوسه مع فقير جاهل الفقير الجاهل اقبح من العامى
الغافل بالف ضعف الجلوس مع العارف بالله افضل من العزلة
والعزلة افضل من الجلوس مع العوام الغافلين والجلوس مع العامى
الغافل افضل من الجلوس مع الفقير الجاهل لا شئ فى الوجود يسود
قلب المريد مثل جلسة مع الفقير الجاهل كما ان العارف با
بالله يجمع بين العبد ومولاه بنظرة او بكلمة كذلك
الفقير الجاهل بالله ربما تلف المريد عن مولاه بنظرة
او بكلمة فما فوقها يرحم الله المجذوب حيث يقول
فى بعض كلامه ، الجلسة مع غير الاخيار ، ترذل ولو تكون
صافى اه وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه احذر
صحبة ثلاث من اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء
المداهنين والمتصوفة الجاهلين اه وزاد الشيخ زروق
علماء الظاهر قال لان نفوسهم غالبة عليهم اه قلت
الجلوس معهم اليوم اقبح من سبعين عاميا غافلا وفقيرا
جاهلا لانهم لا يعرفون الا ظاهر الشريعة ويرون
ان من خالفهم فى هذا الظاهر خاطئ او ضال فيجهدون
فى رد من خالفهم يعتقدون انهم ينصحون وهم يغشون
فليحذر المريد من صحبتهم والقرب منهم ما استطاع فان
توقف فى مسئلة ولم يجد من يسئل عنها من اهل الباطن
فليسئله على حذر ويكون معه كالجالس مع العقرب او الحية
والله ما رايت احدا قط من الفقراء قرب منهم وصحبهم
فافلح ابدا فى طريق الخصوص ويرحم الله ابا ذر الغفارى
رضى

رضى الله عنه حيث قال والله لا اسالهم دنيا ولا اس
استفتيهم عن دين اه قال هذا فى علماء الصحابة الاخيار
رضى الله عنهم فما لك اليوم حين اشتغلوا بجمع الدنيا
وتزيين الملابس وتكبير العمائم وتحسين المآكل وا
والمساكن والمراكب وروا ذلك سنة نبوية فلا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم وكان يحيى بن معاذ الرازى رضى
الله عنه يقول لعلماء وقته يا معشر العلماء دياركم
هامانية ومراكبكم قارونية واطعمتكم فرعونية
وولائمكم جالوتية ومواسمكم جاهلية وقد صيرتم
مذاهبكم شيطانية فاين الملة المحمدية ومما
يتاكد النظر اليه فى المصحوب الزهد فى الدنيا
ورفع الهمة عنها ولو قل عمله فى الظاهر والى ذلك
اشار بقوله ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر
عمل برز من قلب راغب قلت الزهد فى الشيء
هو خروج محبته من القلب وبرودته منه وعند
القوم بغض كل ما يشغل عن الله ويحبس عن حضرة
الله ويكون اولا فى المال وعلامته ان يستوى عنده
الذهب والتراب والفضة والحجر والغنا والفقر والمنع
والعطاء ويكون ثانيا فى الجاه والمراتب وعلامته
ان يستوى عنده العز والذل والظهور والخمول والمدح
والذم والرفعة والسقوط ويكون ثالثا فى المقامات
والكرامات والخصوصيات وعلامته ان يستوى عنده
الرجاء والخوف والقوة والضعف والبسط والقبض يسير بهذا

كما يسير بهذا ويعرف فى هذا كما يعرف فى هذا ثم يكون
الزهد فى الكون باسره بشهود المكون وامره فاذا تحقق
المريد بهذه المقامات فى الزهد او جلها كان عمله
كله عظيما كبيرا فى المعنى عند الله وان كان قليلا
فى الحس عند الناس وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام
عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة واى بدعة
اعظم ولا اشنع من حب الدنيا والانكباب عليها بالقلب
والقالب الذى لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا
فى زمن الصحابة حتى ظهرت الفراعنة فبنوا وشيدوا
وزخرفوا فهذه هى البدعة الحقيقية فعمل هولاء
قليل فى المعنى وان كان كثيرا فى الحس اذ لا عبرة بحركة
الاشباح وانما العبرة بخضوع الارواح عبادة الزاهد
بالله لله وعبادة الراغب بالنفس للنفس عبادة الزاهد
حية باقية وعبادة الراغب ميتة فانية عبادة الزاهد
متصلة على الدوام وعبادة الراغب منقطعة بلا تمام
عبادة الزاهد فى مساجد الحضرة التى اذن الله ان ترفع و
وعبادة الراغب فى مزابل الغفلات التى اذن الله ان توضع
ولذلك قال بعضهم عبادة الغنى كالمصلى على المزبلة
وما مثل عبادة الزاهد مع قلتها فى الحس وكثرتها
فى المعنى وعبادة الراغب مع كثرتها فى الحس وقلتها
فى المعنى الا كرجلين اهديا للملك احدهما اهدى
ياقوتة صافية صغيرة قيمتها ستون قنطارا والاخر
اهدى ستين صندوقا خاوية فارغة فلا شك ان الملك
يقبل

يقبل الياقوتة ويكرم صاحبها ويرد الصناديق ويهين
صاحبها ويغضب عليه لكونه استهزئ بالملك حيث
اهدى اليه خشبا خاوية شهرتها اعظم من منفعتها
وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول الراغب فى الدنيا
غافل ولو كان يقول الله الله بلسانه على الدوام اذ لا
عبرة باللسان والزاهد فى الدنيا ذاكر على الدوام
ولو قل ذكره باللسان اه قلت وبهذا فسر بعضهم
قوله تعالى لا يذكرون الله الا قليلا اى مع الغفلة والرغبة
ولو كثر فى الحس اه وقال سيدنا على كرم الله وجهه
كونوا لقبول العمل اشد منكم اهتماما للعمل فانه لم يقل
عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل اه وقال ابن
مسعود رضى الله عنه ركعتان من زاهد عالم خير
واحب عند الله من عبادة المتعبد بن المجتهد بن الى
اخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف لم يفتكم
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بكثرة صلاة ولا صيام
الا انهم كانوا ازهد فى الدنيا اه وفى بعض الاخبار
ان سيدنا عيسى عليه السلام مر برجل نائم والناس
يتعبدون فقال له عيسى عليه السلام قم تتعبد مع الناس
فقال تعبدت يا روح الله فقال له وما عبادتك قال
تركت الدنيا لاهلها فقال له نعمت العبادة هذه او كما
قال عليه السلام وقال رجل للشيخ ابى الحسن رضى الله
عنه ما لى ارى الناس يعظمونك ولم ار لك كبير عمل
فقال بسنة واحدة افترضها الله على رسوله تمسكت بها

٢ ثم صح

فقال له وما هى قال الاعراض عنكم وعن دنياكم اه **قال الشيخ**
زروق رضى الله عنه وانما كانت للزهاد هذه الفضيلة
لثلاثة اوجه احدها ما فيه من فراغ القلب عن الشواغل
والشواغب الثانى لانه شاهد بوجود الصدق فى المحبة اذ
الدنيا محبوبة لا تترك الا بما هو احب **قال عليه السلام**
الصدقة برهان قيل على حب العبد ربه الثالث لانه دليل
على المعرفة بالله والثقة به لان بذل الموجود من الثقة
بالمعبود ومنع الموجود من سوء الظن بالمعبود اه
ولما كان حسن العمل الظاهر واتقانه الذى يكون به
كماله ونقصانه انما هو نتائج حسن الباطن واحواله
اشار الى ذلك بقوله **حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال**
وحسن الاحوال من التحقق فى مقامات الانزال
قلت الاعمال حركة الجسم بالمجاهدة والاحوال
حركة القلب بالمكابدة والمقامات سكون القلب
بالطمانينة مثال ذلك مقام الزهد مثلا فانه
يكون اولا عمله مجاهدة بترك الدنيا واسبابها
ثم يكون مكابدة بالصبر على الفاقة حتى يصير حالا
ثم يسكن القلب ويذوق حلاوته فيصير مقاما
وكذلك التوكل يكون مجاهدة بترك الاسباب
ثم يكون مكابدة بالصبر على مرارة تصرفات الاقدار
ثم يصير حالا ثم يسكن القلب فيه ويذوقه فيصير
مقاما وكذلك المعرفة تكون مجاهدة بالعمل فى الله
فى الظاهر كخرق العوائد من نفسه ثم تكون
مكابدة

مكابدة بالمعرفة والاقرار عند التعرفات ثم تصير
حالا فاذا سكنت الروح فى الشهود وتمكنت صارت
مقاما فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب يعنى
ان الاحوال مواهب من الله جزاء لثواب الاعمال
فاذا دام العمل واتصل الحال صار مقاما فالاحوال
تحول تذهب وتجئ فاذا سكن القلب فى ذلك
المعنى صار مقاما وهو مكتسب من دوام العمل **واعلم**
ان المقام والحال لكل واحد علم وعمل فالمقام يتعلق
به العلم اولا ثم يسعى فى عمله حتى يكون حالا
ثم يصير مقاما وكذلك الحال يتعلق به العلم اولا
ثم العمل ثم يصير حالا والله تعالى اعلم فعلامة
التحقق بالانزال فى المقام هو حسن الحال وعلامة
حسن الحال هو حسن العمل فاتقان الاعمال وحسنها
هو ثمرة ونتيجة حسن الاحوال وحسن الاحوال
واتقانها هو نتيجة التحقق بمقامات الانزال
اى التحقق بالانزال فى المقامات او تقول حسن
الاحوال دليل على التحقق بالمقامات التى ينزل الله عبده
فيها وحسن الاعمال دليل على حسن الاحوال والتحقق
بالحال والسكون فى المقام امر باطنى ويظهر اثره
فى عمل الجوارح **والحاصل** ان حركة القالب تدل على صلاح
القلب وفساده لقوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله الا وهى القلب فاذا تحقق القلب

بالزهد متلا وصار له حالا او مقاما ظهر ذلك على جوارحه
من الثقة بالله والاعتماد عليه وقلة الحركة عند الاسباب
المحركة لقوله عليه السلام ليس الزهد بتحريم الحلال ولا باضاعة
المال انما الزهد ان تكون بما فى يد الله اوثق مما فى يدك
وقال الصديق رضى الله عنه لابى الحسن الشاذلى فى النوم
علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد ووجود
الراحة منها عند الفقد وعلامة التحقق بالانزال فى مقام
التوكل السكون والطمانينة عند محركات الاسباب وعلامة
التحقق بالانزال فى مقام المعرفة هو الادب ظاهرا وباطنا
وحسن الخلق مع كل مخلوق ولذلك قال ابو حفص الحداد
رضى الله عنه حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب
الباطن فان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلب
هذا لخشعت جوارحه اه وراجع ما تقدم من قوله تنوعت ٢ صح شرح
اجناس الاعمال بتنوع واردات الاحوال ففيه زيادة شرح
على هذا المحل والله تعالى اعلم وافضل الاعمال التى يقطع
بها المريد المقامات واقربها ذكر الله ولذلك ذكره
باثره فقال لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع
الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من
غفلتك فى وجود ذكره فعسى ان يرفعك من
ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن
ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور و
من ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع غيبة عن
ما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز قلت

الذكر

الذكر ركن قوى فى طريق القوم وهو افضل الاعمال قال الله
تعالى اذكرونى اذكركم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا والذكر الكثير ان لا ينساه ابدا قال ابن عباس
رضى الله عنهما كل عبادة فرضها الله تعالى جعل لها وقتا
مخصوصا وعذر العباد فى غير اوقاتها الا الذكر لم يجعل الله
له وقتا مخصوصا قال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال
تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم وقال رجل يا رسول الله كثرت على شعائر الاسلام
فاوصنى بامر ادرك به ما فاتنى واوجز فقال لا يزال
لسانك رطبا بذكر الله وقال عليه السلام لو ان رجلا فى
حجره دراهم يقسمها واخر يذكر الله لكان الذاكر
افضل وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم
وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم
من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا
عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا
وماذاك يا رسول الله قال ذكر الله وعن على كرم
الله وجهه قلت يا رسول الله اى الطرق اقرب الى الله
واسهلها على عباد الله وافضلها عند الله تعالى فقال
يا على عليك بمداومة ذكر الله فقال على كل الناس يذكرون
الله فقال صلى الله عليه وسلم يا على لا تقوم الساعة حتى
لا يبقى على وجه الارض من يقول الله فقال له على
كيف اذكر يا رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم
غمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ثم قل مثلها وانا

اسمع فقال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ثلاث مرات
مغمضا عينيه ثم قالها علي كذلك ثم لقنها علي للحسن البصري
ثم الحسن لحبيب العجمي ثم حبيب لداود الطائي ثم داود
لمعروف الكرخي ثم معروف للسري ثم السري للجنيد ثم انتقلت
الى ارباب التربية فلا مدخل على الله الا من باب الذكر فالواجب
على العبد ان يستغرق فيه اوقاته ويبذل فيه جهده فان الذكر
منشور الولاية ولا بد منه في البداية والنهاية فمن اعطى
الذكر فقد اعطى المنشور ومن ترك الذكر فقد عزل وانشدوا
والذكر اعظم باب انت داخله ۝ لله فاجعل له الانفاس حراسا
فبقدر ما يفني في الاسم يغني في الذات وبقدر ما يتغرق في الفناء
في الاسم يكون متغرقا في الفناء في الذات فليلتزم المريد
الذكر على كل حال ولا يترك الذكر باللسان لعدم حضور
قلبه فيه بل يذكره بلسانه ولو كان غافلا بقلبه فان غفلتك
عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره لان
غفلتك عن ذكره اعراض عنه بالكلية وفي وجود ذكره
اقبال بوجه ما وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة
بطاعة الله وفي فقده تعرض لاشتغالها بالمعصية قيل
لبعضهم ما لنا نذكر الله باللسان والقلب غافل فقال له اشكر
الله على ما وفق من ذكر اللسان ولو اشغله بالغيبة ما كنت تفعل
فليلتزم الانسان ذكر اللسان حتى يفتح الله في ذكر
الجنان فعسى ان ينقلك الحق تعالى من ذكر مع
وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة اي انتباه لها
لمعاني الذكر عند الاشتغال به ومن ذكر مع وجود يقظة وجود صح

الى ذكر

٦٦

الى ذكر مع وجود حضور المذكور وارتسامه في الخيال
حتى يطمئن القلب بذكر الله ويكون حاضرا بقلبه
مع دوام ذكره وهذا هو ذكر الخواص والاول ذكر
العوام فان دمت على ذكر الحضور يرفعك الى ذكر
مع الغيبة عما سوى المذكور لما يغمر قلبك
من النور وربما يعظم قرب نور المذكور فيغرق في النور
حتى يغيب عما سوى المذكور حتى يصير الذاكر مذكورا
والطالب مطلوبا والواصل موصولا وما ذلك على الله بعزيز
اي بممتنع فقد يرفع الى اعلى الدرجات من كان في اسفل
الدركات وهاهنا يسكت اللسان ويشتغل الذكر بالجنان فيصير
ذكر اللسان غفلة في حق اهل هذا المقام كما قال الشاعر
ما ان ذكرتك الا هم يلعنني ۝ سري وقلبي وروحي عند ذكراك
حتى كان رقيبا منك يهتف بي ۝ اياك ويحك والتذكار اياك
اما ترى الحق قد لاحت شواهده ۝ وواصل الكل من معناه معناك
وقال الواسطي مشيرا الى هذا المقام الذاكرون في ذكره
كرين اكثر غفلة من الناسين لذكره لان ذكره سواه اه يعني ان الذا
الله بالقلوب هم في حال ذكرهم لله بلسانهم اكثر غفلة
من التاركين لذكره لان ذكره باللسان وتكلفه يقتضي وجود
النفس وهو شرك والشرك اقبح من الغفلة هذا معنى قوله
لان ذكره سواه اي لان ذكر اللسان يقتضي استقلال الذاكر
والغرض ان الذاكر محو في مقام العيان قال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه حقيقة الذكر الانقطاع عن الذكر الى
المذكور وعن كل شيء سواه لقوله واذكر اسم ربك وتبتل اليه

تبتيلا وقال القشيري رضي الله عنه الذكر اندراج الذاكر
في مذكوره واستظلام السر عند ظهوره وفي معنى ذلك انشدوا

ذكرتك لا اني نسيتك لمحة … وايسر ما في الذكر ذكر لساني
وصرت بلا وجد اهيم من الهوى … وهام على القلب بالخفقان
فلما اراني الوجد انك حاضري … شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم … وشاهدت موجودا بغير عيان

وفي هذا المقام يتحقق المريد بعبادة الفكرة والنظرة وفكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة ولذلك قال الشيخ ابو العباس رضي الله عنه اوقاتنا كلها ليلة القدر اي عبادتنا كلها مضاعفة مع خفائها وتحقيق الاخلاص فيها اذ لا يطلع عليها ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده وفي ذلك قال بعضهم قيل هو الحلاج

قلوب العارفين لها عيون … ترى ما لا يرى للناظرين
والسنة باسرار تناجي … تغيب عن الكرام الكاتبين
واجنحة تطير بغير ريش … الى ملكوت رب العالمين

وقد ذيلتها ببيتين فقلت

وافئدة تهيم بعشق وجد … الى جبروت ذي حق يقينا
فان اردت دركك ذي المعاني … فبذل روحك قليل فينا

ولما كان الذكر هو سبب حياة القلب وتركه سبب موته وفي الحديث مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت ذكر علامة حياته وموته في اول الباب السادس فقال وقال رضي الله عنه من علامة موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات وترك الندم
على

الحكم العطائية

على ما فعلت من وجود الزلات قلت موت القلب سببه ثلاثة اشياء حب الدنيا والغفلة عن ذكر الله وارسال الجوارح في معاصي الله وسبب حياته ثلاثة اشياء الزهد في الدنيا والاشتغال بذكر الله وصحبة اولياء الله وعلامة موته ثلاثة اشيا عدم الحزن على ما فات من الطاعات وترك الندم على ما فعلت من الزلات وصحبتك للغافلين الاموات وذلك لان صدور الطاعة عن العبد عنوان السعا
دة
وصدور المعصية علامة الشقاوة فان كان القلب حيا بالمعرفة والايمان المه ما يوجب شقاوته وافرحه ما يوجب سعادته او تقول صدور الطاعة من العبد علامة على رضى مولاه وصدور المعصية علامة على غضبه فالقلب الحي يحس بما يرضيه عند مولاه فيفرح وما يسخطه عليه فيحزن والقلب الميت لا يحس بشيء قد استوى عنده وجود الطاعة والمعصية لا يفرح بطاعة وموافقة ولا يحزن على زلة ولا معصية كما هو شان الميت في الحس وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من سرته حسناته واساته سيئاته فهو مؤمن وقال عبد الله ابن مسعود المؤمن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على انفه فقال به هكذا فاطاره اه لكن لا ينبغي للعبد ان يغلب النظر الى جانب الذنب فيقل رجاؤه ويسيء الظن بسيده كما اشار اليه بقوله لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله

حسن

قلت الناس فى الخوف والرجاء على ثلاثة اقسام اهل
البداية ينبغى لهم ان تغليب جانب الخوف واهل الوسط
ينبغى لهم ان يعتدل خوفهم ورجاؤهم واهل النهاية
يغلبون جانب الرجاء اما اهل البداية فلانهم اذا غلبوا
غلبوا جانب الخوف جدوا فى العمل وانكفوا عن الزلل
فمذ لك تشرق شمسها بينهم والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا واما اهل الوسط فلانهم قد انتقلت
عباداتهم الى تصفية بواطنهم فعباداتهم قلبية
فلو غلبوا جانب الخوف لرجعوا الى عبادة الجوارح وا
والمطلوب منهم عبادة البواطن على رجاء الوصول
وخوف القطيعة فيعتدل خوفهم ورجاؤهم واما
الواصلون فلا يرون لانفسهم فعلا ولا تركا فهم ينظرون
الى تصريف الحق وما يجرى به سابق القدر فيتلقونه
بالقبول والرضى فان كان طاعة شكروا وشهدوا امنة
الله وان كان معصية اعتذروا وتادبوا ولم يقفوا
مع انفسهم اذ لا وجود لها عندهم وانما ينظرون الى
ما يبرز من عنصر القدرة فنظرهم الى حلمه وعفوه وا
واحسانه وبره اكثر من نظرهم الى بطشه وقهره
ويرحم الله الشافعى حيث قال

فلما قسى قلبى وضاقت مذاهبى ، جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ، بعفوك ربى كان عفوك اعظما
فما زلت ذا جود وفضل ومنة ، تجود وتعفو منة وتكرما
فياليت شعرى هل اصير لجنة ، اهنا واما للسعير فاندما

قال تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة

من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور
الرحيم وتامل قضية الذى قتل تسعا وتسعين نفسا
ثم سال راهبا فقال له هل لى من توبة فقال له لا توبة
لك فكمل به المائة ثم اتى عالما فسأله فقال له من
يحول بينك وبينها ولكن اذهب الى قرية كذا فيها قوم
يعبدون الله فكن فيهم حتى تموت فلما توسط الطريق
ادركته الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب فاوحى الله اليهم ان قيسوا القرية التى خرج اليها
والقرية التى خرج منها فالى ايهما كان اقرب فهو من
اهلها فاوحى الله الى القرية التى يريد ان تقاربى والى
القرية التى خرج منها ان تباعدى فوجد اقرب الى القرية
التى يريد بشبر فاخذته ملائكة الرحمة والحديث فى الصحيحين
نقلته بالمعنى وقال الشيخ ابو العباس المرسى رضى الله
عنه العامة اذا خوفوا خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة
متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال فى لطائف
المنن ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون
مع ظواهر الامر فاذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ
الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لاهل الله واهل الله
اذا خوفوا رجوا عالمين ان من وراء خوفهم وما خوفوا
به اوصاف المرجو الذى لا ينبغى ان يقنط من رحمته
ولا ان ييئس من منته فاحتالوا على اوصاف كرمه علما
منهم ما خوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه
واذا رجوا يخافون غيب مشيئته الذى هو من وراء

انه م

رجائهم وخافوا ان يكون ما ظهر من الرجاء اختبارا
لعقولهم هل تقف مع الرجاء او تنفذ الى ما بطن في
مشيئته فلذلك اثار الرجاء خوفهم اهـ ودخل الجنيد
رضي الله عنه على شيخه السري فوجده مقبوضا فقال
له مالك ايها الشيخ مقبوضا فقال دخل علي شاب فقال
لي ما حقيقة التوبة فقلت له ان لا تنسى ذنبك فقال
الشاب بل التوبة ان تنسى ذنبك ثم خرج عني قال
الجنيد فقلت الصواب ما قاله الشاب لاني اذا كنت في حالة
الجفا ثم نقلني الى شهود الصفا فذكر الجفاء في حال الصفا
جفا اهـ قلت نظر السري الى اهل البداية ونظر الجنيد
الى اهل النهاية والكل صواب والله تعالى اعلم ثم ذكر
ما يسبب موجب تصغير الذنب فقال فان من عرف ربه
استصغر في جنب كرمه ذنبه قلت بل من عرف ربه
غاب عن رؤية ذنبه لفنائه عن نفسه بشهود ربه فان
صدر منه فعل يخالف الحكمة غلب عليه شهود النعمة
قال تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم واما قوله
تعالى وان عذابي هو العذاب الاليم فانما هو لمن لم
يتب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اذنبتم
حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم تبتم لتاب الله
عليكم ولو ان العباد لم يذنبوا لذهب الله بهم ثم جاء
بقوم اخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهو
الغفور الرحيم والله افرح بتوبة عبده من الظمآن
الوارد ومن العقيم الوالد ومن الضال الواجد لكن

لاينبغي

٦٩

لاينبغي ان يصغر عنده ذنبه حتى يغتر بحلم الله وقد
اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود قل لعبادي
الصديقين لا يغتروا فاني ان اقم عليهم عدلي و
قسطي اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي المذنبين
لا يقنطوا فانه لا يعظم علي ذنب اغفره لهم اهـ وقال
الجنيد رضي الله عنه اذا بدت عين من الكريم الحقت
المسيء بالمحسن وقال الشيخ ابو العباس رضي الله
عنه في حزبه الهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك
نادتني بالمعصية ففي ايهما اخاف وفي ايهما ارجوا
ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي وان
قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء فليت
شعري كيف ارى احساني مع احسانك ام كيف اجهل
فضلك مع عصيانك اهـ ومعنى كلام الشيخ رضي
الله عنه ان العبد اذا كان في المعصية شهد قهرية
الحق وعظمته وضعف نفسه وعجزه اكتسب من المعصية
انكسارا وذلا لنفسه وتعظيما واجلالا لربه وهذه افضل
الطاعات فقد نادته معصيته التي هو فيها بالطاعة
التي يجتنيها منها واذا كان في الطاعة ربما شهد فيها
نفسه وقصد متعته وحظه فاشرك بربه واخل بادبه
وهذه معصية فاذا كان في الطاعة نادته بهذه المعصية
التي يجتنيها منها فلا يدري من ايهما يخاف وايهما
يرجو وقوله ان قلت بالمعصية الخ اي انه نظرت الى
صورة المعصية قابلتني بفضلك فامحى اسمها

وان درس رسمها وان نظرت الى صورة الطاعة قابلتنى
بعد لك فاضمحلت وامتحت ويبقى محض الرجاء من
الكريم الوهاب الذى يعطى بلا سبب ويغطى بحلمه
المناقشة والعتاب والله تعالى اعلم فتحصل ان العارف
لا يقف مع معصية وان جلت ولا مع طاعة وان عظمت
وهو معنى قوله **لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة**
اذا واجهك فضله قلت الصغيرة هى الجريمة
التى لا وعيد فيها من القرآن ولا من الحديث والكبيرة
هى التى تُوعّد عليها بالعذاب او الحد فى القرآن او
فى السنة وقيل غير ذلك هذا بالنظر لظاهر الامر كله صح
واما باعتبار ما عند الله من امر غيبه وبالنظر الى حلمه
وعدله فقد يبرز خلاف ما يظن قال تعالى وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون فمن سبقت له العناية
لا تضره الجناية فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وان كانت الاعمال على ما ترى فقد تختلف فى بعض المقامات
فوجب استواء الرجاء والخوف فى بعض المقامات
والتسليم لله فى كل الاوقات اذ قد تمت كلمات ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فاذا قابلك الحق سبحانه
وتعالى بعدله وجلاله لم تبق لك صغيرة وعادت
صغائرك كبائر واذا واجهك الحق تعالى بفضله
وكرمه واحسانه وجماله لم تبق لك كبيرة وعادت
كبائرك صغائر قال يحيى بن معاذ الرازى رضى الله
عنه اذا انالهم فضله لم تبق لهم سيئة واذا وضع عليهم
عدله



عدله لم تبق لهم حسنة اهـ وقيل لو وزن رجاء المؤمن
وخوفه ما رجح احدهما على الآخر بل المؤمن كالطائر
بين جناحيه او كما قيل قاله الشيخ زروق رضى الله عنه
قلت وحديث الرجل الذى يمد له تسع وتسعون
سجلا كل سجل مد البصر ثم تخرج له بطاقة قدر الانملة
فيها شهادة ان لا اله الا الله فتطيش تلك السجلات
يدل على عظيم حلمه ورحمته وشمول كرمه ومنته ولما
ذكر رضى الله عنه علامة موت القلب ذكر الاعمال
التى توجب حياته فقال **لا عمل ارجى للقلوب من**
عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك و
جوده قلت هكذا هى نسخة الشيخ بلفظ القلوب
وهى اوفق بالسياق اذ الكلام كله فى موت القلوب
وحياتها يعنى انه لا عمل ارجى لحياة القلوب من
عمل يكون بالله ولله غائبا فيه عما سواه غير ملاحظ
فيه حظوظه وهواه متبرئا فيه من حوله وقوته
فاذا ظهرت عليه القدرة غاب عن شهوده و
صغر فى عينه صورة وجوده لما تجلى فى قلبه من عظمة
مولاه فصغر عنده كل ما سواه فمثل هذا العمل تحيى
به القلوب وتحظى بمشاهدة علام الغيوب وهو
روح اليقين وهو حياة قلوب العارفين فاذا اراد
الله ان يتولى عبده انهضه للعمل وصغره فى عينه
فلا يزال جادا فى عمل الجوارح حتى ينقله الى عمل
القلوب فتستريح الجوارح من التعب ولا يبقى

الاشهود العظمة مع الأدب قال النهرجورى رحمه الله
من علامات من تولاه الله فى احواله ان يشهد التقصير
فى اخلاصه والغفلة فى اذكاره والنقصان فى صدقه
والفتور فى مجاهدته وقلة المراعات فى فقره فتكون جميع
احواله عنده غير مرضية ويزداد فقره الى الله فى قصده و
سيره حتى يفنى عن كل شئ دونه اه واذا حيى
القلب بمعرفة الله كان محلا لتجلى الواردات الالهية
والى ذلك اشار بقوله انما اورد عليك الوارد لتكون
به عليه واردا قلت الوارد نور الهى يقذفه الله فى قلب
من احب من عباده وهو على ثلاثة اقسام على حسب
البداية والوسط والنهاية او نقول على حسب الطالبين
والسائرين والواصلين القسم الاول وارد الانتباه وهو
نور يخرجك من ظلمة الغفلة الى نور اليقظة وهو
لاهل البداية من الطالبين فاذا تيقظ من نومه
وانتبه من غفلته استوى على قدمه طالبا لربه فيقبل
عليه بقلبه وبقالبه ويجمع عليه بكليته القسم
الثانى وارد الاقبال وهو نور يقذفه الله فى قلب
عبده فيحركه لذكر مولاه ويغيبه عما سواه فلا يزال
مشتغلا بذكره غائبا عن غيره حتى يمتلأ القلب
بالنور ويغيب عما سوى المذكور فلا يرى الا النور
فيخرج من سجن الاغيار ويتحرر من رق الاثار القسم
الثالث وارد الوصال وهو نور يستولى على قلب العبد
ثم يستولى على ظاهره وباطنه فيخرجه من سجن
نفسه

نفسه ويغيبه عن شهود حسه وقد اشار الى القسم
الاول وهو وارد الانتباه بقوله انما اورد عليك الخ
اى انما اشرق عليك نور اليقظة والانتباه وهو الوارد
لتكون بسببه واردا عليه وسائرا اليه ولو لم يورد عليك
هذا الوارد لبقيت فى وطن غفلتك نائما فى سكرتك
دائما فى حسرتك ثم اشار الى القسم الثانى وهو وارد الاقبال
فقال اورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار ويحررك
من رق الآثار اى انما اورد عليك وارد الاقبال ليؤنسك
بذكر الكبير المتعال فاذا اشتغلت بذكره وغبت عن غيره
تسلمك اى انقذك من يد لصوص الاغيار بعد ان شدوا
وثاقك بحبل هواك وسجنوك فى سجن حظوظك
ومناك ويحررك ويعتقك ايضا من رق الاثار بعد
ان ملكتك بما اظهرته لك من زخرف الاغترار فاذا
تسلمت من يد الاغيار افضيت الى شهود الانوار فاذا
تحررت من رق الاثار ترقيت الى شهود الاسرار فالانوار
انوار الصفات والاسرار اسرار الذات فالانوار لاهل الفناء
فى الصفات والاسرار لاهل الفناء فى الذات ثم اشار الى
القسم الثالث وهو وارد الوصال فقال اورد عليك
الوارد ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك
اى انما اورد عليك وارد الوصال بعد ان اهب عليك
نفحات الاقبال ليخرجك من سجن رؤية وجودك
الى فضاء اى اتساع شهودك لربك فرؤيتك وجودك
مانعة لك من شهود ربك اذ محال ان تشهده

ونشهد معه سواه وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

وانشد الجنيد

وجودي ان اغيب عن الوجود • بما يبدو علي من الشهود

فالفناء عن النفس وزوالها اصعب من الفناء عن الكون وهدمه فمهما زالت النفس وهدمت انهدم الكون ولم يبق له اثر وقد يهدم الكون وتبقى في النفس بقية فلذلك قدم الشيخ رق الاكوان على سجن وجود الانسان والله تعالى اعلم ثم قسم تلك الواردات فقال **الانوار مطايا القلوب والاسرار** قلت النور نكتة تقع في قلب العبد من معنى اسم او صفة يسري معناها في كليته حتى يبصر الحق والباطل ابصارا لا يمكنه التخلف معه عن موجبه قاله الشيخ زروق والمطايا جمع مطية وهي الناقة المهيئة للركوب والقلوب جمع قلب وهو الحقيقة القابلة للمفهومات والاسرار جمع سر وهو الحقيقة القابلة للتجليات والسر ادق واصفى من القلب والكل اسم للروح فان الروح ما دامت منظلمة بالمعاصي والذنوب والشهوات والعيوب سميت نفسا فاذا انزجرت وانعقلت انعقال البعير سميت عقلا فما زالت تتقلب في الغفلة والحضور سميت قلبا فاذا اطمانت وسكنت واستراحت من تعب البشرية سميت روحا فاذا انصفت من غبش الحس سميت سرا لكونها صارت سرا من اسرار الله حين رجعت الى اصلها وهو سر الجبروت فاذا اراد الله تعالى ان يوصل عبده الى حضرة قدسه ويحمله

الى محل

٣٧

الى محل انسه امده بواردات الانوار كالمطايا فيحمل عليها في محفة العناية مروحا عليه بنسيم الهداية محفوفا بنصرة الرعاية فترحل الروح من عوالم البشرية الى عوالم الروحانية حتى تصير سرا من اسرار الله لا يعلمها الا الله قل الروح من امر ربي فالانوار التي هي الواردات مطايا القلوب تحملها الى حضرة علام الغيوب وهي ايضا مطايا الاسرار تحملها الى جبروت العزيز الجبار وهي محل النفس الى وطن النور الذي هو القلب وما بعده فالقلب يحاربها لينقلها الى اصلها وهي تتقاعد وتسقط الى ارض البشرية وشهواتها فالقلب له انوار الواردات تقربه وتنصره حتى يترقى الى الحضرة التي هي اصله وفيها كان وطنه وكانها جنود له من حيث انه يتقوى بها وينتصر على ظلمة النفس وهذه الانوار هي الواردات المتقدمة والنفس لما ركنت الى الشهوات واستحلتها صارت كانها جنود لها وهي ظلمة من حيث انها حجبتها عن الحق ومنعتها من شهود شموس العرفان فاذا هاجت النفس بجنود ظلمانيتها وشهواتها الى معصية او شهوة رحل اليها القلب بجنود انواره فيلتحم بينهما القتال فاذا اراد الله عناية عبده ونصره امد قلبه بجنود الانوار وقطع عنه من جهة النفس مدد الاغيار فيستولى النور على الظلمة وتولى النفس منهزمة واذا اراد الله خذلان عبده امد نفسه بالاغيار وقطع عن قلبه شوارق الانوار فيا لها المنصور بالامر على وجهه والمخذول بالشيء على عكسه

قال الشيخ زروق رضي الله عنه وامداد الانوار ثلاثة
اولها يقين لا يخالطه شك ولا ريب الثاني علم تصحبه
بصيرة وبيان الثالث الهام يجري معه العيان وامداد
الظلم ثلاثة اولها ضعف اليقين الثاني غلبة الجهل
على النفس الثالث الشفقة على النفس وذلك كله
اصله الرضى عن النفس وعدمه ومظاهره الثلاث
المرتبة عليه وهي المعاصي والشهوات والغفلات
واضدادها المتقدمة في الباب الثالث فافهم اهـ
ولما كان النور هو جند القلب لانه يكشف عن حقائق
الاشياء فيتميز الحق من الباطل فيحق الحق ويبطل
الباطل فينتصر القلب باقباله على الحق على بينة واضحة
وتنهزم النفس بانهزام جند ظلماتها اذ لا بقاء للظلمة
مع وضوح النور كما اشار الى ذلك بقوله النور له
الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار
قلت النور من حيث هو من شانه ان يكشف الامور
ويوضحها حتى يظهر حسنها من قبيحها ومن شان
البصيرة المفتوحة ان تحكم على الحسن بحسنه وعلى
القبيح بقبحه والقلب يقبل على ما يثبت حسنه
ويدبر عن ما يثبت قبحه او نقول يقبل على ما فيه
نفعه ويدبر عما فيه ضرره ومثال ذلك رجل دخل
بيتا مظلما فيه عقارب وحيات وفيه سبائك ذهب
وفضة فلا يدري ما ياخذ ولا ما يذر ولا ما فيه نفعه
ولا ضرر فاذا ادخل فيه مصباحا راى ما ينفعه وما يضره

وما يامنه

وما يامنه وما يحذره كذلك قلب المؤمن العاصي
لا يفرق بين مرارة المعصية وحلاوة الطاعة فاذا
استضاء بنور التقوى عرف ما يضره وما ينفعه وفرق
بين الحق والباطل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اي نورا يفرق بين
الحق والباطل وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس وقال تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه وهذا النور الذي يكشف الامور
هو نور الواردات المتقدمة الذي هو مطايا القلوب الى علام
الغيوب اولها نور وارد الانتباه ومن شانه ان يكشف ظلمة
الغفلة ويظهر نور اليقظة فتحكم البصيرة بقبح الغفلة
وحسن اليقظة فيقبل القلب حينئذ على ذكر ربه ويدبر
عما يغفله عن ربه وهذا هو نور الطالبين الثاني هو نور
وارد الاقبال ومن شانه ان يكشف ظلمة الاغيار ويظهر
بهجة المعارف والاسرار فتحكم البصيرة بضرر الاغيار
وحسن الاسرار فيقبل القلب على بهجة الاسرار ويدبر عن
ظلمة الاغيار وهذا هو نور السائرين الثالث نور وارد
الوصال ومن شانه ان يكشف ظلمة الكون ورداء الصوت
ويظهر نور تجليات المكون فيقبل القلب على مشاهدة
مولاه ويدبر عن الالتفات الى ما سواه وهذا هو نور الواصلين
وهو نور المواجهة ونور ما قبله نور التوجه وان شئت
قلت هو نور الاسلام والايمان والاحسان فنور الاسلام
يكشف ظلمة الكفر والعصيان ويظهر نور الانقياد والاذعان

فتحكم البصيرة بقبح الكفر والعصيان وحسن نور الاسلام
والاذعان فيقبل القلب على طاعة ربه ويعرض عما يبعده
من ربه ونور الايمان يكشف ظلمات الشرك الخفى ويظهر
بهجة الاخلاص والصدق الوفى فتحكم البصيرة بقبح الشرك
وضرره وحسن الاخلاص وخيره فيقبل القلب على توحيد ربه
ويعرض عن الشرك وشره ونور الاحسان يكشف ظلمة السوى
ويظهر نور وجود المولى فتحكم البصيرة بقبح ظلمة الأثر
وحسن نور المؤثر فيقبل القلب على معرفة مولاه ويغيب
بالكلية عما سواه **وان شئت** قلت هذا النور هو نور
الشريعة والطريقة والحقيقة فنور الشريعة يكشف
ظلمة البطالة والتقصير ويظهر نور المجاهدة والتشمير
فتحكم البصيرة بقبح البطالة وحسن المجاهدة
فيقبل القلب على مجاهدة الجوارح فى طاعة مولاه ويدبر
عن متابعة حظوظه وهواه ونور الطريقة يكشف ظلمة
المساوى والعيوب ويظهر بهجة الصفا وما يثمره
من علم الغيوب فتحكم البصيرة بقبح العيوب وحسن الصفاء
وعلم الغيوب فيقبل القلب على ما يوجب التصفية ويدبر عما
يمنعه من التخلية والتحلية ونور الحقيقة يكشف ظلمة الحجاب
ويظهر له محاسن الاحباب **او تقول** نور الحقيقة يكشف له
ظلمة الاكوان ويظهر نور الشهود والعيان فيقبل القلب
على مشاهدة الاحباب داخل الحجاب ويدبر عما يقطعه عن
الادب مع الاحباب جعلنا الله معهم على الدوام فى هذه
الدار وفى دار السلام امين ولما كان اصل كل نور وسرور وخير
هو

٧٤

هو طاعة الله واصل كل ظلمة وحجاب وبعد هو معصية الله
ومن علامة حياة القلب فرحه بالطاعة وحزنه على صدور
المعصية نبهك الشيخ على وجه الفرح بالطاعة التى
هى سبب نور القلوب ومفاتيح الغيوب فقال **لا تفرحك الطا** **عة**
لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله اليك
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
مما يجمعون قلت قد تقدم فى الحديث من سرته حسناته
وساءته سيئاته فهو مؤمن والناس فى الفرح بالطاعة
على ثلاثة اقسام قسم فرحوا بها لما يرجون عليها من
النعيم ويدفعون بها من عذابه الاليم فهم يرون صدورها
من انفسهم لانفسهم لم يتبرؤا فيها من حولهم وقوتهم وهم
من اهل قوله تعالى اياك نعبد **وقسم** فرحوا بها من حيث انها
عنوان الرضى والقبول وسبب فى القرب والوصول فهى
هدايا من الملك الكريم ومطايا تحملهم الى حضرة النعيم لا يرون
لانفسهم تركا ولا فعلا ولا قوة ولا حولا يرون انهم محمولون بالقدرة
الازلية مصرفون عن المشيئة الاصلية وهم من اهل قوله تعالى
واياك نستعين فاهل القسم الاول عبادتهم لله واهل القسم
الثانى عبادتهم بالله وبقدرة الله وبينهما فرق كبير
وقسم ثالث فرحهم بالله دون شيء سواه فانون عن
انفسهم باقون بربهم فان ظهرت منهم طاعة فالمنة
لله وان ظهرت منهم معصية اعتذروا لله ادبا مع الله
لا ينقص فرحهم ان ظهرت منهم زلة ولا يزيد ان ظهرت
منهم طاعة او يقظة لانهم بالله ولله من اهل لا حول

ولا قوة الا بالله وهم العارفون بالله فان ظهرت منك ايها المريد
طاعة او احسان فلا تفرح بهما من حيث انها برزت منك فتكون
مشركا بربك فان الله تعالى غني كريم. عنك وعن طاعتك
وغني عن ان يحتاج الى من يطيعه سواه قال الله تعالى ومن
جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين
وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل يا عبادي
لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل
واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئا الحديث وافرح بها من
حيث انها هدية من الله اليك تدل على انك من مظاهر
كرمه وفضله واحسانه فالفرح انما هو بفضل الله وبرحمته
قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ففضل
الله هو هدايته وتوفيقه ورحمته هو اجتباؤه وتقريبه
وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقيل فضل الله
هداية الدين ورحمته جنة النعيم وقيل فضل الله
توحيد الدليل والبرهان ورحمته توحيد الشهود
والعيان وقيل غير ذلك والله تعالى اعلم ولما كان الفرح
بالطاعة قد يتوهم انه فرع رؤيتها والنظر اليها رفع
ذلك بقوله قطع السائرين له والواصلين اليه
عن رؤية اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون
فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها واما الواصلون
فلانه غيبهم بشهوده عنها قلت قطع هنا بمعنى
غيب ولو عبر به لكان اظهر واسهل لما في التعبير
بالقطع من الشؤمة وفي عبارته شيء من النقص
فلو

فلو قال غيب السائرين له عن رؤية اعمالهم واحوالهم
والواصلين اليه عن رؤية وجودهم اما السائرون
فلانهم لم يتحققوا فيها الصدق مع الله واما الواصلون
فلانهم لم يشهدوا مع الله سواه يعني ان الحق تعالى
غيب السائرين له والواصلين اليه عن رؤية اعمالهم
الظاهرة وشهود احوالهم الباطنية اما السائرون فلانهم
يتهمون انفسهم على الدوام فمهما صدر منهم احسان
او لاح لهم يقظة او وجدان رأوها في غاية الخلل والنقصان
فاستحيوا من الله ان يعتمدوا عليها او يعتدوا بها فغابوا
عن اعمالهم واحوالهم واعتمدوا على فضل ربهم فالصدق
هو لب الاخلاص وسره اي لم يتحققوا بسر الاخلاص فيها
فلم يروها ولم يركنوا اليها سئل بعض العارفين ما علامة
قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية
بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وقال زين العابدين رضي الله عنه كل
شيء من افعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل
على انه لم يقبل لأن المقبول مرفوع مغيب عنك
وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول
الله واما الواصلون فلانهم فانون عن انفسهم غائبون
في شهود معبودهم فحركاتهم وسكناتهم كلها بالله
ومن الله والى الله اذ محال ان تشهده وتشهد معه
سواه فان ظهرت عليهم طاعة او صدر منهم احسان
شهدوا في ذلك الواحد المنان حكي عن الواسطي

رحمه الله انه لما دخل نيسابور سال اصحاب ابى عثمان
بماذا كان يامركم شيخكم فقالوا كان يامرنا بالتزام الطاعة
ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا
امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها اه قال القشيرى
اراد صيانتهم عن الاعجاب ودلالتهم على الاداب اه فضمير قطع
يعود الى الحق سبحانه وتعالى والسائرين والواصلين مفعول
به ؛ واعلم ان السائرين فى كلام الشيخ هم القسم الثانى الذين
فرحهم بالطاعة من حيث انها عنوان القبول ولا يلزم من
الفرح بها رؤيتها اذ قد يفرح بها من حيث انها منة من الله
ويقطع رؤيته عنها من حيث اعتماده على الله والواصلون هنا
هم القسم الثالث الذين هم فرحهم بالله دون شيء سواه
والله تعالى اعلم هذا اخر الباب السادس وبه انتهى ربع
الكتاب وحاصلها علاج القلوب وعلامة موتها ومرضها وصحتها
واستمدادها انوارها واتصال وارداتها حتى تغيب عن شهود
اعمالها واحوالها وتفنى عن دائرة حسها باتساع فضاء
شهودها وفى ذلك شرفها وعزها وفى ضد ذلك وهو رؤية
المخلوق والركون اليه ذلها وهوانها وبذلك افتتح الباب
السابع فقال وقال رضى الله عنه ما بسقت اغصان
ذل الا على بذر طمع قلت البسوق هو الطول قال تعالى والنخل عن
باسقات اى طويلات البذر الزريعة والطمع تعلق القلب
بما فى ايدى الخلق وتشوف القلب الى غير الرب وهو اصل شجرة
الذل فما بسقت اغصان شجرة الذل الا على زريعة الطمع
ولذلك قال الشيخ ابو العباس المرسى والله ما رايت العز الا فى
رفع

رفع الهمة عن الخلق وانما كان الطمع هو اصل الذل لان صا
صاحب الطمع ترك ربا عزيزا وتعلق بعبد حقير فاحتقر
مثله ترك ربا كريما وتعلق بعبد فقير فافتقر مثله ترك رفع
همته الى الغنى الكريم واسقط همته الى الدنى اللئيم ان الله
يرزق العبد على قدر همته وايضا كان عبد الله حرا مما سواه
صار عبد المخلوق وعبد النفسه وهواه لانك مهما احببت
شيا وطمعت فيه الا كنت عبدا له ومهما ايست من شيء
ورفعت همتك عنه الا كنت حرا منه وفى ذلك يقول الشاعر
ابت المطامع ان تهشمني ؛ انى لمعولها صفا صلد
العبد حر ما عصى طمعا ؛ والحر مهما طاعه عبد
قال فى التنوير وكن ايها العبد ابراهيميا فقد قال ابوك ابرهيم
صلوات الله عليه وسلامه لا احب الافلين وكل ما سوى الله
افل اما وجودا واما امكانا وقد قال سبحانه ملة ابيكم
ابراهيم فواجب على المومن ان يتبع ملة ابراهيم ومن ملة
ابراهيم رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به فى المنجنيق
تعرض له جبريل عليه السلام فقال الك حاجة فقال اما اليك
فلا واما الى الله فبلى قال فاسئله قال حسبى من سؤالى علمه
بحالى فانظر كيف رفع ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه
همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبريل
ولا احتال على السؤال من الله بل راى الحق سبحانه اقرب اليه
من جبريل ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وانعم
عليه بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم
معادات كل ما شغل عن الله وصرف الهمة بالود الى الله لقوله تعالى

فانهم عدو لي الا رب العالمين والغنا ان اردت الدلالة عليه
فهو في الياس وقد قال الشيخ ابو الحسن رضي الله
عنه ايست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا اياس من نفع
غيري لها ورجوت الله لغيري فكيف لا ارجوه لنفسي
وهذا هو الكيميا والاكسير الذي من حصل له حصل له
غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا انفاد له وهو
كيمياء اهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه صحبني انسان وكان ثقيلا علي فباسطته
فانبسط وقلت يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني
قال يا سيدي قيل لي انك تعلم الكيمياء فصحبتك لاتعلم
منك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن
اخالك اي اظنك لا تقبل فقال بل اقبل فقلت نظرت
الى الخلق فوجدتهم على قسمين اعداء واحباء فنظرت
الى الاعداء فعلمت انهم لا يستطيعون ان يشوكوني
بشوكة لم يردني الله بها فقطعت نظري عنهم ثم
تعلقت بالاحباء فرايتهم لا يستطيعون ان ينفعوني
بشيء لم يردني الله به فقطعت ياسي منهم وتعلقت بالله
فقيل لي انك لا تصل الى حقيقة هذا الامر حتى تقطع
ياسك منا كما قطعته من غيرنا ان نعطيك غير ما قسمناه
لك في الازل وقال مرة اخرى لما سئل عن الكيمياء قال اخرج
الخلق من قلبك واقطع ياسك من ربك ان يعطيك
غير ما قسم لك وليس يدل على فهم العبد كثرة علمه ولا مدا
ومته على ورده انما يدل على نوره وفهمه غناه بربه
وانحياشه

وانحياشه اليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع
وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الاحوال قال تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فحسن الاعمال انما هو الفهم
عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله والاكتفاء به
والاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه وكذلك
من ثمرة الفهم عن الله وتفقد وجود الورع من نفسك اكثر
مما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع فيهم
بسبعة ابحر ما طهره الا الياس منهم ورفع الهمة عنهم وقدم علي
رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون
فاقامهم حتى وجد الحسن البصري فقال يا فتى اني سائلك
عن امر فان اجبت عنه ابقيتك والا اقمتك كما اقمت اصحابك
وكان قد راى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت
فقال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع
قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا ابا
العباس المرسي رضي الله عنه يقول كنت في ابتداء امري
بالاسكندرية فجئت الى بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة
بنصف درهم فقلت في نفسي لعله لا ياخذه مني فهتف بي
هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين وسمعته
يقول صاحب الطمع لا يشبع ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة
الطا والميم والعين فعليك ايها المريد برفع همتك عن
الخلق ولا تذل لهم في شان الرزق فقد سبقت قسمته وجودك
وتقدم ثبوته ظهورك واسمع ما قال بعض المشايخ ايها
الرجل ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلا بد ان يمضغاه فكله

ويحك بعزو لاتاكله بذل اه وقال ابو الحسن الوراق رحمه الله
من اشعر نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع
ومن طمع فى شيء ذل له وبذله هلك وقال ابو بكر الوراق
لو قيل للطمع من ابوك لقال الشك فى المقدور ولو قيل
له ما حرفتك لقال اكتساب الذل ولو قيل له ما غايتك
لقال الحرمان اه وفى معنى هذا انشدوا

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس   واقنع بعز فان العز فى الياس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم   ان الغنى من استغنى عن الناس

ولما كان سبب وجود الطمع هو الوهم والجزع ذكره
باثره فقال ما قادك شيء مثل الوهم قلت يقال قاد
الشيء يقوده جره اليه وقدت البهيمة جررتها اليك
والوهم اول الخاطر وهو اضعف من الشك والمراد هنا
ما خالف اليقين فيصدق بالظن والشك يقول
رضي الله عنه ما جرك شيء وقادك الى الطمع
فى الخلق والتملق لهم والتذلل لما فى ايديهم شيء
مثل الوهم يعنى انك لما توهمت ان بيدهم نفعا
او ضرا او عطاء او منعا طمعت فيهم وتذللت لهم
واعتمدت عليهم وخفت منهم ولو حصل لك اليقين
ان امرهم بيد الله وانفسهم فى قبضة الله عاجزين
عن نفع انفسهم فكيف يقدرون على نفع غيرهم لقطعت
ياسك منهم ولرفعت همتك عنهم ولتعلقت همتك
برب الارباب ولنبذت الاصحاب والاحباب او تقول
ما قادك شيء عن حضرة الشهود والعيان الا توهمك
وجود

وجود الاكوان ولو انهتك عنك حجاب الوهم لوقع
العيان على فقد الاعيان ولو اشرق نور الايقان لغطى
وجود الاكوان قال فى التنوير وانما منع العباد من السبق
الى الله جواذب التعلق بغير الله فكلما همت قلوبهم
ان ترحل الى الله جذبها ذلك التعلق الى ما به تعلقت فكرت
راجعة اليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه
وممنوعة على من هذا نعته قال بعض العارفين لا تظن ان
تدخل الحضرة الالهية وشيء من وراءك يجذبك وافهم
هنا قوله سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم والقلب السليم هو الذى لا تعلق له بشيء دون
الله وقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة يفهم منه ايضا انه لا يصح مجيئك الى الله بالوصول
اليه الا اذا كنت فردا مما سواه وقوله تعالى الم يجدك يتيما فا
فاوى يفهم انه لا ياويك اليه الا اذا صح يتمك مما سواه
وقوله عليه السلام ان الله وتر يحب الوتر اى يحب القلب الذى
لا يشفع بشوبه الاثار ثم قال وقال بعضهم لو كلفت ان
ارى غيره لم استطع فانه لا غير معه حتى اشهده معه اه
فتحصل ان الوهم يحجب عن الله العوام والخواص واما خواص
الخواص فلم يحجبهم عن الله شيء اما العوام فقادهم الى التعلق
بالخلق ومنعهم من السير الى الملك الحق فاشتغلوا بمراقبة
الاحباب وعداوة من عاداهم من الاصحاب ففاتهم محبة الحبيب
ومراقبة الرقيب واما الخواص فقادهم الوهم الى ثبوت الاثار والوقوف
مع الانوار فقنعوا بذلك ولم يتشوفوا الى ما وراء ذلك فالقناعة

من الله حرمان وليس الخبر كالعيان وسمعت شيخنا رضى الله عنه
يقول والله ما حجب الناس عن الله الا الوهم والوهم امر عدمى لا حقيقة
له اه واما خواص الخواص فلم يحجبهم عن الله شيء قطعوا حجاب
الوهم وحصل لهم من الله العلم والفهم فلم يتعلقوا بشيء ولم يحجبهم
عن الله شيء جعلنا الله منهم بمنه وكرمه ولما كان الوهم ينشا عنه
الطمع والطمع ينشا عنه الذل والعبودية واليقين ينشاء عنه
الورع والورع ينشاء عنه العز والحرية نبه عليه بقوله انت حر
مما انت عنه ايس وعبد لما انت فيه طامع قلت انما كان الانسان
حرا مما ايس منه لانه لما ايس من ذلك الشيء رفع همته عنه وعلقها
بالملك الحق فلما علق همته بالملك الحق سخر الحق تعالى له سائر
الخلق فكانت الاشياء كلها عبيدا له ومسخرة لامره انت مع الاكوان
ما لم تشهد المكون فاذا شهدت المكون كانت الاكوان معك فمن
فمن كان عبد الله كان حرا مما سواه وانما كان الانسان عبد الما طمع
فيه لان الطمع فى الشيء يقتضى المحبة له والخضوع والانقياد
اليه فيكون عند امره ونهيه لان حبك الشيء يعمى ويصم
هذه حقيقة العبودية وفى هذا المعنى قيل
العبد حر ما قنع • والحر عبد ما طمع • وما اقبح الانسان
الذى يريد سيده منه ان يكون ملكا وهو يريد ان يكون مملوكا
يريد سيده ان يجعله حرا وهو يريد ان يكون عبدا خلق له
سيده الكون باسره خادما له عند نهيه وامره فجعل هو يخدم
الكون بنفسه ويتعبد لاقل شيء واخسه يقول المصنف فى التنوير
فى مناجات الحق تعالى على السنة الهواتف انا اجللنا قدرك ايها
العبدان نشغلك بامر نفسك فلا تضعن قدرك يا من رفعناه نشغلك
ولا تذلن

ولا تذلن بسوالك على غيرى يا من اعززناه ويحك انت اجل عندنا
من ان نشغل بغيرنا الحضرة خلقتك والينا طلبتك ويجوا ذب
عنايتى لها جذبتك فان اشتغلت بنفسك حجبتك وان اتبعت
هواها طردتك وان اخرجت عنها قربتك وان توددت لى
باعراضك عما سواى احببتك اه فتحصل ان محبة الاشياء
والطمع فيها هو سبب الذل والهوان والتعبد لسائر الاكوان وان
الاياس من الاشياء ورفع الهمة عنها هو سبب العز والحرية والتيه
على الاقران ولله در القائل حيث قال
• رايت القناعة راس الغنا • فصرت باذيالها ممتسك ٢
• فلا يرانى عن بابه حلة • ولا بى يراه ولا تنهتك حلة
• فصرت غنيا بلا درهم • اتيه على الناس تيه الملك
قلت وهذا هو الغنا الاكبر والاكسير عند الاكابر
ويسمى فى اصطلاح الصوفية الورع اعنى الورع الخاص
وهو رفع الهمة عن السوى قال فى لطائف المنن واعلم ان
ورع الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم
تورعهم ان يسكنوا لغيره او يميلوا بالحب لغيره او تمتد
اطماعهم بالطمع فى غير فضله وخيره ومن ورعهم
ورعهم عن الوقوف مع الوسائط والاسباب وخلع
الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف
مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى انوار
التجليات ومن ورعهم ورعهم عن ان تفتنهم الدنيا
او يتوقفهم الاخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الاخرة
صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد

اريد الموصل فاذا انا سيروا اذا بالدنيا قد عرضت على بعزها
وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناتها ومس
ومشتهياتها فاعرضت عنها فعرضت على الجنة بحورها
وقصورها وانهارها وثمارها فلم اشتغل بها فقيل لي٢ لو يا عثمان صح
وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية
لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك
قال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان مقيما بثغر الاسكندرية
حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع
الى الاسكندرية فاذا النداء على ان العام القابل عندنا
فقلت في نفسي اذا كنت العام القابل هاهنا فلا اعود الى
الى الاسكندرية فخطر على الذهاب الى اليمن فاتيت الى عدن
فانا يوما على ساحلها امشي واذا بالتجار قد اخرجوا بضا
بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل قد فرش سجادة
على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي لم اصلح للدنيا
ولا للاخرة فاذا علي يقال من لم يصلح للدنيا ولا للاخرة يصلح
لنا وقال ابو الحسن الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه واجل
ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله
والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة
الفائقة فهم في عموم اوقاتهم وسائر احوالهم لا يدبرون
ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون
ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث
يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون في عين
الجمع لا يفترقون فيما هو اعلا ولا فيما هو ادنى واما ادنى الادنى
فالله

٩
٨٠

فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم
ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا او مصروف
بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدلالة على
الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك
والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن
لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه واحتقارا لنفسه وتواضعا
لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلا صح
عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم
فاستعذ بالله انه هو السميع البصير اه فانظر فهمك الله
سبيل اوليائه ومن عليك بمتابعة احبائه هذا الورع
الذي ذكره هذا الشيخ رضي الله عنه هل كان فهمك
يصل الى هذا النوع من الورع الا ترى قوله قد انتهى بهم
الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل
لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة
فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المتنطعين
الذي ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم اه قلت هذا الورع
الذي ذكره الشيخ هو ورع الخواص او خواص الخواص وهو
الذي يقابل الطمع كما تقدم في قول الحسن البصري صلاح
الدين الورع وفساد الدين الطمع لا ورع العوام الذي هو
ترك المتشابه والحرام فانه لا يقابل الطمع كل المقابلة و
وحاصله صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود
السكون اليه وعكوف الهم عليه وطمانينة القلب به حتى
لا يكون له ركون الى شيء من السوى فهذا هو الورع الذي

بقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد
قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في
الظاهر ان لا تتحرك الا لله وورع في الباطن وهو ان لا يدخل
قلبك الا الله ذكر ان بعضهم كان حريصا على ان يرى احدا ممن
هذا صفته فجعل يجتهد في طلبه ويحتال على التوصل اليه
بان ياخذ الشيء بعد الشيء من ماله ويقصد به الفقراء و
والمساكين ويقول لمن يعطيه خذ لله لك فكانوا ياخذون
ولا يسمع من احد منهم جوابا مطابقا لما اراده الى ان ظفر
ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك
انه قال لاحدهم خذ لله لك فقال له الله خذه لا منك فان
كان للعبد استشراف الى الخلق او سبقية نظر اليهم قبل مجيء — بحق
الرزق او بعده فمقتضى هذا الورع والواجب في حق الادب
ان لا ينيل نفسه شيئا مما ياتيه على هذا الحال عقوبة لنظره
لنفسه في نظره الى ابناء جنسه كقصة ايوب الحمال مع احمد
ابن حنبل رضي الله عنهما وهي معروفة وكما روي عن
الشيخ ابي مدين رضي الله عنه انه اتاه حمال بقمح
فنازعته نفسه وقالت يا ترى من اين هذا فقال انا اعرف
من اين هو يا عدوة الله وامر بعض اصحابه ان يدفعه
لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها رات الخلق قبل رؤية الحق
تعالى وقد قيل انا احل الحلال ما لم يخطر على بال ولا سالت فيه
احدا من النساء والرجال قال الشيخ عبد العزيز المهدوي
رضي الله عنه الورع ان لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله
في الحركات والسكون فاذا رايت الله ذهبت الحركة والسكون
وبقي

وبقي مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال ما رايت شيئا
الا رايت الله فيه فاذا رايت الله ذهبت وقال ايضا اجمع
العلماء على ان الحلال المطلق ما اخذ من يد الله بسقوط الوسا
الوسائط وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو
الذي لا ينسى الله فيه اهـ على نقل ابن عباد رضي الله عنه
واذا اراد الله تعالى ان يعز عبده ويرفعه الى هذا المقام
قطع عنه زمام الوهم والجزع وحرره من رق الطمع فقاده اليه
بملاطفة الاحسان او بسلاسل الامتحان كما اشار الى ذلك
بقوله من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه
بسلاسل الامتحان قلت قد قسم الله عباده ثلاثة — تعالى
اقسام اهل الشمال واهل اليمين والسابقون اما اهل الشمال
فلا كلام عليهم اذ لا اقبال لهم على الله اصلا واما اهل اليمين
فلهم اقبال بوجه ما لكن لا خصوصية لهم لانهم قنعوا
بظاهر الشريعة ولم يلتفتوا الى سلوك طريقة ولا حقيقة
ووقفوا مع الدليل والبرهان ولم ينهضوا الى مقام الشهود
والعيان ولا كلام معهم ايضا واما السابقون فاقبلوا على — فقدم
الله متوجهين اليه طالبين الوصول الى معرفته وهم — قسم اقبل على الله كذا ذكرها
في ذلك على قسمين قسم اقبل الله بملاطفة احسانه
وقياما بشكر انعامه وامتنانه وهم اهل مقام الشكر وقسم
اقبل على الله بسلاسل الامتحان وضروب البلايا والمحن
وهم اهل مقام الصبر فاهل المقام الاول اقبلوا على الله طوعا
واهل المقام الثاني اقبلوا على الله كرها كما قال الله تعالى
ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قال

ابومدين رضى الله عنه سنة الله استدعاء العباد لطاعته
بسعة الارزاق ودوام المعافات ليرجعوا اليه بنعمته فان
لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده
عز وجل رجوع العباد اليه طوعا وكرها فقوم بسط الله
عليهم النعم وصرف عنهم البلايا والنقم ورزقهم الصحة وامدهم عنهم
بالاموال والعافية فادوا حقها وقاموا بشكرها وتشوقوا الى
معرفة المنعم بها فكانت مطية لهم على السير اليه ومعونة
لهم على القدوم عليه اخرجوها من قلوبهم وجعلوها فى
ايديهم وقليل ماهم قال تعالى وقليل من عبادى الشكور و
فى مثل هؤلاء ورد الحديث نعمت الدنيا مطية المؤمن
عليها يبلغ الخير وبها ينجوا من الشر وكما قال عليه السلام
قال بعض اصحابنا جعل عليه السلام الدنيا مطية للمؤمن
حاملة له ولم يجعل المؤمن مطية لها حتى يتكلف حملها
فهذا يدل على انها فى يده يستعين بها على السير الى ربه تعالى صح
لا انها فى قلبه حتى يرتكب المشقة فى طلبها والله اعلم
وقوم امدهم الله بالنعم وبسط لهم فى المال والعافية وصر
وصرف عنهم النقم فشغلهم ذلك عن النهوض اليه ومنعهم
من المسير الى حضرته فسلب ذلك عنهم وضربهم بالبلايا
والمحن فاقبلوا على الله بسلاسل الامتحان عجب ربك
من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل وقد مدح الله
الغنى الشاكر والفقير الصابر بمدح واحد فقال تعالى فى
حق سليمان عليه السلام ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
انه اواب وقال بعضهم لان اعطى فاشكر احب الى من ان

ابتلى

ابتلى فاصبر وكان الشيخ ابو العباس المرسى رضى الله عنه
يرجح الغنى الشاكر على الفقير الصابر وهو مذهب ابن عطاء
ومذهب ابى عبد الله الترمذى الحكيم ويقول الشكر صفة
اهل الجنة والفقر ليس كذلك قاله فى لطائف المنن
والتحقيق ان الفقير الصابر هو الغنى الشاكر وبالعكس
لان الغنا انما هو بالله فاذا استغنى القلب بالله فصاحبه
هو الغنى الشاكر ولا عبرة بما فى اليد فقد تكون اليد معمورة
والقلب فقير وقد يكون القلب غنيا بالله واليد فقيرة
وقد تكون اليد معمورة والقلب مع الله غنيا به عما سواه
قال بعض المشايخ كان رجل بالمغرب من الزاهدين
فى الدنيا ومن اهل الجد والاجتهاد وكان عيشه مما يصيده
من البحر وكان الذى يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت
ببعضه فاراد بعض اصحاب هذا الشيخ ان يسافر الى بلد
من بلاد المغرب فقال له هذا الزاهد اذا دخلت على
بلدة كذا فاذهب الى اخى فلان فاقراه منى السلام واطلب
منه الدعاء فانه ولى من اولياء الله تعالى قال فسافرت
حتى قدمت تلك البلدة فسالت عن ذلك الرجل فدللت
على دار لا تصلح الا للملوك فتعجبت من ذلك وطلبته
قيل لى هو عند السلطان فازداد تعجبى فبعد ساعة واذا
هو قد اتى فى افخر مركب وملبس وكانما هو ملك فى موكبه
فازداد تعجبى اكثر من الاولين فهممت بالرجوع
وعدم الاجتماع به ثم قلت لا يمكننى مخالفة الشيخ
فاستاذنت فاذن لى فلما دخلت رايت ما هالنى من

العبيد والخدم والشارة الحسنة فقلت له اخوك فلان يسلم
عليك قال لى جئت من عنده قلت نعم قال اذا رجعت
اليه فقل له الى كم اشتغالك بالدنيا والى كم اقبالك عليها
والى متى لا تنقطع رغبتك فيها فقلت هذا والله اعجب
من الاول فلما رجعت الى الشيخ قال اجتمعت باخى فلان
قلت نعم قال فما الذى قال لك قلت لا شئ قال لا بد ان
تقول لى فاعدت عليه ما قال فبكى طويلا وقال صدق اخى
فلان هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها فى يده وعلى ظاهره
وانا اخذها من يدى ولى اليها بقايا التطلع اه من لطائف
المنن للمؤلف رحمه الله ورضى عنه فاحوال الاولياء
لا تنضبط بفقر ولا غنى لان الولاية امر قلبى لا يعلمها
الا من خصهم بها وبالله التوفيق ومن اقبل على الله بملاطفة
احسانه وجب عليه شكر ما اسدى اليه من لطائف كرمه وامتنانه
والا زالت عنه بسبب كفره وعصيانه والى ذلك اشار بقوله
من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها
بعقالها قلت اتفقت مقالات الحكماء على هذا المعنى
وان الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا ايضا من
اعطى ولم يشكر سلب منها ولم يشعر فمن شكر النعمة
فقد قيدها بعقالها ومن كفرها فقد تعرض لزوالها
قال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
اى ان الله لا يغير ما بقوم من النعم حتى يغيروا ما بانفسهم
من الشكر وتغييرهم الشكر هو اشتغالهم بالمعاصى والكفر
ولذلك قال الجنيد رضى الله عنه الشكر ان لا يعصى الله

بنعمه

بنعمه وقيل الشكر فرح القلب بالمنعم لاجل نعمته حتى
يتعدى ذلك الى الجوارح فتنبسط بالاوامر وتنكف عن الزواجر
وقال فى لطائف المنن الشكر على ثلاثة اقسام شكر اللسان
وشكر الاركان وشكر الجنان فشكر اللسان التحدث بنعم
الله قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث وشكر الاركان
العمل بالطاعة لله تعالى قال تعالى اعملوا آل داود شكرا
وشكر الجنان بالاعتراف بان كل نعمة بك او باحد
من العباد هى من الله تعالى قال الله تعالى وما بكم من نعمة
فمن الله ومن القسم الاول قول النبى صلى الله عليه
وسلم التحدث بالنعم شكر ومن الثانى انه صلى الله عليه
وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال افلا اكون عبدا شكورا اه وسئل ابو حازم
رضى الله عنه ما شكر العينين قال اذا رايت بهما
خيرا اعلنته واذا رايت بهما شرا سترته فما شكر
الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا
سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال
لا تاخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما
قال فما شكر البطن قال ان يكون اسفله صبرا و
اعلاه علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى
والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله غير ملومين
قال فما شكر الرجلين قال ان رايت شيئا غبطته اسعى
استعملتهما وان رايت شيئا مقته كففتهما انتهى

واعلم ان الناس فى الشكر على ثلاث درجات عوام وخواص
وخواص الخواص فشكر العوام على النعم فقط وشكر الخواص
على النعم والنقم وشكر خواص الخواص الغيبه فى المنعم
عن شهود النعم والنقم والنعم التى يقع الشكر عليها ثلا
ثلاثة اقسام دنيوية كالصحة والعافية والمال الحلال و
ودينية كالعلم والعمل والتقوى والمعرفة واخروية
كالثواب على العمل القليل بالعطاء الجزيل واجل النعم الدينية
التى يتاكد الشكر عليها نعمة الاسلام والايمان والمعرفة
وشكرها هو اعتقاد انها منة من الله تعالى بلا واسطة
ولا حول ولا قوة قال الله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان
وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيا
ثم قال فضلا من الله ونعمة قال ابو طالب المكى رضى
الله عنه بعد كلام فلو قلب قلوبنا فى الشك والضلال
كما يقلب نياتنا فى الاعمال اى شيء كنا نصنع وعلى اى
شيء نعول وباى شيء كنا نطمئن ونرجوا فهذا من
كبائر النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا
غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان
انه عن كسب معقول او استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة
الايمان واخاف على من توهم ذلك ان يسلب الايمان
لانه بدل شكر نعمة الايمان كفرا الله فان غفل العبد عن
شكر هذه النعم ثم دامت صورتها عنده فلا يغتر فقد
يكون ذلك استدراجا كما اشار الى ذلك بقوله خف من
وجود احسانه اليك ودوام اسائتك معه ان يكون
ذلك

ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
الاستدراج هو كمون المحنة فى عين المنة وهو ماخوذ من
درج الصبى اى اخذ فى المشى شيا بعد شيء ومنه الدرج
الذى يرتقى عليه الى العلو كذلك المستدرج هو الذى
تؤخذ منه النعمة شيئا بعد شيء وهو لا يشعر قال الله
تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اى ناخذهم
بالنعم حتى نجرهم الى النقم وهم لا يشعرون قاله الشيخ
زروق رضى الله عنه فخف ايها المريد من دوام
احسان الحق اليك بالصحة والفراغ وسعة الارزاق
ودوام الامداد الحسية او المعنوية مع دوام اسائتك
معه بالغفلة والتقصير وعدم شكرك للملك الكبير
ان يكون ذلك استدراجا منه تعالى قال تعالى سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال سهل بن عبد الله رضى الله
عنه نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا
الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابن عطاء
رضى الله عنه كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم
نعمة ونسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ثم قال
الحق تعالى واملى لهم اى نمدهم بالعوافى والنعم حتى
ناخذهم بغتة قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون اى فلما غفلوا عما ذكروا به من العقوبة
والعذاب فتحنا عليهم ابواب النعم وبسطنا عليهم الارزاق
الحسية حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم وتمكنوا منها

اخذناهم بالهلاك بغتة اى فجاءة فاذاهم مبلسون آيسون
من كل خير وهكذا عادة الله فى خلقه ان يرسل اليهم من
يذكرهم بالله ويدلهم على الله فاذا اعرضوا عنه وردوا
عليه قوله بسط عليهم النعم الحسية حتى اطمأنوا
وفرحوا بها دمرهم الله واخذهم بغتة ليكون ذلك
اشد فى العقوبة قال الشاعر واعظم شئ حين يفجأ ولد البغت
وقال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا
لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب
مهين فالواجب على الانسان اذا احس بنعمة ظاهرة
او باطنة حسية اومعنوية ان يعرف حقها ويبادر الى
شكرها نطقا واعتقادا وعملا فالنطق الحمد والشكر
باللسان والاعتقاد شهود المنعم فى النعمة واسنادها
اليه والغيبه عن الواسطة بالقلب مع شكرها باللسان
من لم يشكر الناس لم يشكر الله اشكركم للناس اشكركم
لله فاذا قال له جزاك الله خيرا فقد ادى شكرها
والشكر بالعمل صرفها فى طاعة الله كما تقدم فان لم يقم
بهذا الواجب خيف عليه السلب والاستدراج وهو
اقبح والحاصل ان الشكر هو الادب مع المنعم ومن
جاءت على يديه فان اساء الادب ادب وقد يؤدب فى
الباطن وهو لا يشعر كما اشار الى ذلك بقوله من جهل
المريد ان يسيء الادب فتؤخر العقوبة عنه
فيقول لوكان هذا سوء ادب لقطع الامداد واوجب
البعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر
ولو

ولو لم يكن الا منع المزيد وقد تقام مقام البعد وانت
لا تدرى ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد قلت
من الامور المؤكدة على المريد الصادق ان يراعى الادب
مع الله فى كل شئ ويلتزم التعظيم لكل شئ ويحفظ الحرمة فى
كل شئ فان اخل بشئ من هذه الامور واساء الادب مع
ربه فليبادر بالتوبة والاعتذار مع الذلة والانكسار فان
اخر التوبة الى وقت آخر انقطعت عنه الامداد واستوجب
الطرد والبعاد وقد لا يشعر بذلك فى الحين فيحتج لنفسه
ويقول لو كان هذا سوء ادب لانقطع عنى المدد وهذا منه
جهل قبيح يفضى الى العطب ان لم تتداركه العناية من رب
الارباب وانما كان هذا جهلا من المريد لانتصاره لنفسه وقت
سوء ادبه وعدم شعوره بنقصان قلبه اذ لو كان عالما بمخادعن
النفس لاتهمها وما انتصر لها ولو كان عارفا بربه لشعر بنقصا
قلبه فقد جمع بين جهالة وجهل فالجهالة هى سوء الادب
الذى صدر منه والجهل هو مخاصمته عن نفسه وانكاره ان يكون
ما صدر منه سوء ادب وما احتج به من كونه لم يحس بالعقوبة
ولو كان ذلك سوء ادب لاحس بقطع الامداد ولاوجب
الطرد والبعاد لا ينهض فقد يقطع عنه المدد وهو لا يشعر
ومثال ذلك الاشجار التى على الماء فاذا قطع عنها الما لا يظهر
اثر العطش عليها الا بعد حين فاذا طال الامر يبست شيئا
فشيئا كذلك قلب المريد قد لا يحس بقطع المدد فى القرب
حتى يغرق فى الوهم ويحترق بالحس فان كانت له سابقة
خير تاب واصلح ما افسد فيرجع اليه المدد وان لم تكن له سابقة

قوله الغالب ا
انقطع عنه الامدا
حسبانا [illegible]

رجع الى وطنه واقام فى بعده نسئل الله السلامة من سلب
نعمته بعد عطائه ولو لم يكن من العقوبة الا منع المزيد
من السير والترقى لكان كافيا لان من لم يكن فى زيادة فهو
فى نقصان ومن كان يومه شرا من امسه فهو فى الخسران
وقول فى الاحتجاج ايضا لو كان هذا اسوء ادب لاوجب
البعاد فقد يقام مقام البعد وهو يظن انه فى محل
القرب لان مراتب القرب والبعد لا نهاية لها وما من
مقام فى القرب الا وما بعده اعظم منه حتى يكون ذلك
القرب بالنسبة الى ما بعده بعدا ولو لم يكن ذلك البعد
الا ان يتركك مع ما تريد لكان كافيا فى البعد والطرد
اذ ترك العبد مع هواه وشهواته من علامة الاهمال واخراج
العبد عن هواه وما تركن اليه نفسه من علامة الاعتناء
والاقبال فاذا اعتنى الله تعالى بعبد واراد ان يوصله
الى حضرته شوش عليه كلما تركن اليه نفسه وازعجه
طوعا او كرها حتى يؤيسه من هذا العالم ولم يبق له ركون
الى شئ منه فحينئذ يصطفيه لحضرته ويجتبيه لمحبته
فليس له حينئذ عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار
واصل ذلك قضية سيدنا موسى عليه السلام لما علم الله الحق
تعالى محبته لعصاه وركونه اليها قال له الحق تعالى وما
تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى اتوكأ عليها
واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى اى حوائج
اخر قال له القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى
فلما فر عنها وقطع يأسه منها قال له خذها ولا تخف
لانها

لانها لا تضرك حيث رجعت اليها بالله ويقال للفقير
وما تلك بيمينك ايها الفقير فيقول هى دنياى اعتمد
عليها واقضى بها مآربى فيقال له القها من يدك فاذا
هى حية تسعى كانت تلدغه وهو لا يشعر فاذا ايس منها
واستانس بالله واطمأن به قيل له خذها ولا تخف لانك
تاخذها بالله لا بنفسك والله تعالى اعلم ومواطن الاداب
التى يخل بها المريد فيعاقب عليها ثلاثة ١ اداب مع الله
ورسوله و٢ اداب الشيخ و٣ اداب مع الاخوان فاما الادا ب
مع الله باعتبار العوام فبامتثال امره واجتناب نهيه
ومع رسوله باتباع السنة ومجانبة اهل البدعة فاذا قصروا
فى الامر او خالفوا فى النهى عوقبوا عاجلا فى الحس او اجلا
فى المعنى والحس وباعتبار الخواص مع الله بالاكثار من
ذكره ومراقبة حضوره وايثار محبته زاد الشيخ زروق وحفظ
الحدود والوفاء بالعهود والتعلق بالملك الودود والرضى
بالموجود وبذل الطاقة والمجهود اهـ ومع رسوله صلى الله
عليه وسلم بايثار محبته والاهتداء بهديه والتخلق باخلاقه
فاذا قصروا فى ذكره او جالت قلوبهم فى غير حضرته او مالت
محبتهم الى شئ سواه او قصروا فى شئ مما تقدم او حلوا عقدة
عقدوها مع الله عوقبوا فى الحس بالضرب او السجن او الاذاية
باللسان او فى المعنى وهو اشد كقطع المدد او حجاب الطرد
والاقامة مقام البعد وباعتبار خواص الخواص وهم الواصلون
يكونون مع الله بالتواضع معه فى كل شئ والتعظيم لكل شئ
ودوام معرفته فى تجليات الجلال والجمال او مع اختلاف الاثار

وتنقلات الاطوار ومع رسوله صلى الله عليه وسلم
بالتحقق بحسبه وتعظيم امته وشهود نوره كما قال
ابو العباس المرسي لي ثلاثون سنة ما غاب عني
رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولو غاب عني
ما عددت نفسي من المسلمين فاذا قصر العارف فيما
تقدم في حقه او في حق غيره من الاداب عوقب
في الحس او في المعنى والغالب تيقظه في الحين فيستدرك
ما فات ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون فهذه جملة الاداب التي
تكون مع الله من العوام والخواص وخواص الخواص او تقول
من الطالبين والسائرين والواصلين والله تعالى اعلم واما الاداب
التي تكون مع الشيخ فمرجعها الى ثمانية امور اربعة ظاهرة
واربعة باطنة فاما الظاهرة فاولها امتثال امره وان ظهر
له خلافه واجتناب نهيه وان كان فيه حتفه فخطاء الشيخ
احسن من صواب المريد وثانيها السكينة والوقار في الجلوس
بين يديه فلا يضحك بين يديه ولا يرفع صوته عليه ولا يتكلم
حتى يستدعيه للكلام او يفهم عنه بقرائن الاحوال كحال
المذاكرة بخفض صوت ورفق ولين ولا ياكل معه ولا بين يديه
ولا ينام معه او قريبا منه قال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي
الله عنه في كتابه ومن اداب المريد مع الشيخ ان لا ياكل معه
ولا ينام معه ولا يضحك بين يديه ولا ينام في فراشه ولا يجلس
في موضع جلوسه ولا يتكلم في مجلس الشيخ ولو كلمة واحدة
والكلام فيه سوء الادب اكثر من كل شيء وكل ما يشبه هذه الاوصاف
يؤدي

يؤدي لعدم التعظيم والازدراء بجانب الشيخ وذلك هو الخسران
المبين والعياذ بالله من السلب بعد العطاء والطرد بعد الاقبال
قالوا اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا وقال الشاعر

ادب العبيد تذلل ، والعبد لا يدع الادب ، فاذا تكامل ذله ، نال المودة واقترب العبيد

وثالثها المبادرة الى خدمته بقدر الامكان بنفسه او بماله او بقوله
لخدمة الرجال سبب الوصال لمولى الموالي وقال سيدي عبد الله الهبطي
الزجلي رضي الله عنه في منظومة له في السلوك

ان الخديم ظنه جميل ، دل على فلاحه دليل
اهل نفسه لخدمة الرجال ، لكي ينال من حبيبه الوصال
ذل المحب في طلب القرب ، عز عزيز عند اهل الحب
اتى بيوت القرب من ابوابها ، ففتحت له اذا بابها
طوبى لمن بشرى له استفاد ، ونال خير قربه وساد ثم قال
مقامك اعرف ايها الخديم ، فانه مفخم عظيم
امسيت للمخدوم في جواره ، مشاركا كذاك في اسراره
لا تغتبط سوى مقامك الارفع ، فالخير كله لديك مجتمع

ورابعها دوام حضور مجلسه فان لم يمكن فتكرير الوصول
اليه اذ بقدر تكرير الوصول اليه يقرب الوصول فمدد
الشيخ جار كالساقية او القادوس فاذا غفل عن الساقية
او القادوس تخرم وانقطع الماء الى غيره وايضا تكرير
الوصول يدل على شدة المحبة وبقدر المحبة تكون الشربة
وفي هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه
لا محبة الا بوصول ولا وصول الا للعالي ولا شراب الا مختوم ولا مقام
الا عالي وقال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه في كتابه اعلم

انه لا يقرب طالب الوصول الى الله تعالى شيء مثل جلوسه مع
عارف بالله ان وجده ثم قال الجلوس مع العارف بالله افضل
من العزلة والعزلة افضل من الجلوس مع العوام الغافلين والجلوس
مع العامي الغافل افضل من الجلوس مع الفقير الجاهل كما ان
العارف بالله يجمع بين المريد ومولاه بنظرة او بكلمة كذلك
الفقير الجاهل بالله ربما اتلف المريد عن مولاه بنظرة او بكلمة
فما فوقها يرحم الله سيدي المجذوب حيث يقول الجلسة
مع غير الاخيار تردل ولو تكون صافي اه المراد منه واما
الآداب الباطنية فاولها اعتقاد كماله وانه اهل للمشيخة
والتربية لجمعه بين شريعة وحقيقة وبين جذب وسلوك
وانه على قدم النبي صلى الله عليه وسلم وثانيها تعظيمه وحفظ
حرمته غائبا وحاضرا وتربية محبته في قلبه وهو دليل صدقه
وبقدر الصدق يكون التحقيق فمن لا صدق له لا سير له ولو
بقي مع الشيخ الف سنة ويرحم الله سيدي محمد الشرقي حيث
قال من لا صدق ما عند باش ينفق من لا حقق ما جاب ما را ابا بابا
وثالثها انعزاله عن عقله ورياسته وعلمه وعمله الا ما يرد
عليه من قبل شيخه كما فعل شيخ طريقتنا الشاذلي رضي الله
عنه عند ملاقاته بشيخه فهي سنة في طريقه فكل من اتى
شيخه في هذه الطريقة الشاذلية فلا بد ان يغتسل من علمه
وعمله قبل ان يصل الى شيخه لينال الشراب الصافي من بحر
مدده الوافي ورابعها عدم الانتقال عنه الى غيره وهذا عندهم
من اقبح كل قبيح واشنع كل شنيع وهو سبب تسويس بذرة
الارادة فتفسد شجرة الارادة لفساد اصلها وهذا كله مع شيوخ
التربية

التربية كما تقدم واما شيوخ اهل الظاهر فلا باس ان ينتقل
عنهم الى اهل الباطن ان وجدهم ولا يحتاج الى اذن والله تعالى اعلم
واما الآداب مع الاخوان فاربعة اولها حفظ حرمتهم غائبين
او حاضرين فلا يغتاب احدا ولا ينقص احدا فلا يقول اصحاب
سيدي فلان كمال واصحاب سيدي فلان نقص او فلان عارف
او فلان ليس بعارف او فلان ضعيف وفلان قوي او غير ذلك
فهذه عين الغيبة وهي حرام بالاجماع لا سيما في حق الاولياء
فان لحومهم سموم قاتلة كلحوم العلماء والصالحين فليحذر المريد
جهده من هذه الخصلة الذميمة وليفر ممن هذا طبعه فراره
من الاسد فمن اولع بهذا فلا يفلح ابدا فالاولياء كالانبياء فمن
فرق بينهم حرم خيرهم وكفر نعمتهم وقد قال بعض الصوفية
من كسره الفقراء لا يجبره الشيخ ومن كسره الشيخ فقد يجبره
الفقراء وهو صحيح مجرب لان اذاية ولي واحد ليس كاذاية
اولياء كثيرة ومن كسره الشيخ يشفع فيه الاخوان فيجبر قلب
الشيخ بخلاف قلوب الفقراء اذا تغيرت فقليل ان تتفق على الجبر
والله تعالى اعلم وثانيها نصيحتهم بتعليم جاهلهم وار
وارشاد ضالهم وتقوية ضعيفهم ولو بالسفر اليه فان فيهم
اهل بدايات ونهايات والقوي والضعيف فكل واحد يذكره
بما يليق بمقامه خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون كما في
الحديث وثالثها التواضع لهم والاستنصاف من نفسك
معهم وخدمتهم بقدر الامكان فخديم القوم سيدهم فمن
عرض له شغل لا ينفك عنه فالواجب اعانته ليتفرغ منه الى
ذكر الله ان كان خفيفا قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى

فكل ما يشغل قلب الفقير فدفعه جهاد و بر **ورا بعها** شهود
الصفا فيهم واعتقاد كما لهم فلا ينقص احدا ولو راى منه ما
يوجب النقص فى الظاهر فالمؤمن يلتمس المعاذير فليلتمس
له سبعين عذرا فان لم يزل عنه موجب نقصه فليشهده فى نفسه
فالمؤمن مرآة اخيه ما كان فى الناظر يظهر فيه فاهل الصفا
لا يشهدون الا الصفا واهل التخليط لا يشهدون الا التخليط
اهل الكمال لا يشهدون الا الكمال واهل النقص لا يشهدون الا
النقص وتقدم فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم خصلتان
ليس فوقهما شىء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد
الله وخصلتان ليس فوقهما شىء من الشر سوء الظن بالله وسوء
الظن بعباد الله اه وبالله التوفيق فهذه من جملة الاداب
التى يجب على الفقير مراعاتها والتحفظ عليها سواء كان طالبا
او سائرا او واصلا وقد تقدمت فى اول الباب الاول ثمانية
اداب بعضها فى حق العارف وبعضها فى حق السائر فليراجعها
وليعمل بمقتضاها فان الطريق كلها اداب حتى قال بعضهم
اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا وقال ابو حفص رضى الله عنه
التصوف كله اداب لكل وقت اداب ولكل حال اداب ولكل
حال اداب ولكل مقام اداب فمن لزم الادب بلغ مبلغ الرجال
ومن حرم الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب مردود من حيث
يظن القبول وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا فما اساء
احد الادب ظاهرا الا عوقب فى الظاهر وما اساء احد الادب
باطنا الا عوقب فى الباطن وقال فى المباحث الاصلية

والادب الظاهر للعيان … دلالة الباطن فى الانسان

وهو

وهو ايضا للفقير سند … وللغنى زينة وسودد
وقيل من يحرم الادب … فهو بعيد ما دنا واقترب
وقيل من تحسبه الانساب … فانما تطلقه الاداب
فالقوم بالاداب حقا سادوا … منه استفاد القوم ما استفادوا

وقال ابو حفص السراج رحمه الله والناس فى الاداب على ثلاث
طبقات اهل الدنيا واهل الدين واهل الخصوصية من اهل الدين
فاما اهل الدنيا فاكثر ادابهم فى البلاغة واخبار الملوك
واشعار العرب واما اهل الدين فاكثر ادابهم حفظ
العلوم ورياضة النفوس وتاديب الجوارح وتهذيب الطباع
وحفظ الحدود وترك الشهوات واجتناب الشبهات والمسارعة
فى الخيرات واما اهل الخصوصية من اهل الدين فادابهم
حفظ القلوب ومراعات الاسرار واستواء السر والعلانية
فالمريدون يتفاضلون بالعلم والمتوسطون بالاداب
والعارفون بالهمم اه ثم ما ذكره الشيخ من لزوم الجهل
للمريد مقيد بما ذكره من احتجاجه لنفسه ومدافعته
عنها لانه فى هذه الحالة صاحب جدل لتركيبه المقدمة
والنتيجة وعليه يفهم قولهم ما الهم قوم الجدل الا حرموا
العمل واما لو اعترف باساءته وانصف من نفسه لم يكن
ذلك فى حقه جهلا ولا جهالة وقد قالوا عدم الادب
ان كان يجر الى الادب فهو ادب والله تعالى اعلم ومن جملة
الادب ان لا يستحقر مقاما اقام الحق تعالى فيه عبدا من عباده
كائنا ما كان كما اشار اليه بقوله **اذا رايت عبدا اقامه
الله بوجود الاوراد وادامه عليها مع طول الامداد فلا**

تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيم العارفين
ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد قلت ما ذكره
الشيخ هنا من مؤكدات هذه الباب كلها في الأداب وهو
ان لا يستحقر شيا من تجليات الحق على اى حال كانت
فلا ينبغى ان ينازع مقتدرا ولا ان يضاد قهارا ولا ان
يعترض على حكيم فاذا رايت عبدا اقامه الحق تعالى
بوجود الاوراد ككثرة صلاة وصيام وذكر وتلاوة
واجتهاد وادمه عليها مع طول الامداد بكسر الهمزة
اى استمراره معه وهو تقويته فى الباطن وصرف
الشواغل والشواغب فى الظاهر لكنه لم يفتح عليه
فى علم الاذواق وعمل القلوب فلا تستحقرن حاله وما
منحه مولاه لاجل انك لم تر عليه سيما العارفين
من السكينة والطمانينة وراحة الجوارح والقلب
بسبب هبوب نسيم الرضى والتسليم على ارواحهم
وقال الشيخ زروق سيما العارفين ثلاث اولها
الاعراض عما سوى معروفهم بكل حال وعلى كل وجه
الثانى الاقبال عليه بترك الحظوظ واقامة الحقوق الثالث
الرضى عنه فى مجارى اقداره اه ولا تستحقر حاله ايضا
لاجل انك لم تر عليه بهجة المحبين وهى الفرح بمحبوبه
والاكثار من ذكره والقيام بشكره والاغتباط بمحبته
والمسارعة الى محابه وطلب مرضاته والخضوع لعظمته
والتذلل لقهره وعزته
تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل اذا رضى المحبوب صح لك الوصل
تذلل

تذلل له تحظى برؤيا جماله ففى وجه من تهوى الفرائض والنفل .
فكيف تستحقر من دامت خدمته واتصلت اوراده فلولا وجود
الوارد الالهى فى باطنه ما قدر على ادامة اوراده فلولا وارد
ما كان ورد فالوارد ما منه اليك والورد ما منك اليه فلولا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولولا
فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا يحبهم
ويحبونه ثم تاب عليهم ليتوبوا فالعناية سابقة
والهداية لاحقة والامر كله بيده وفى التحقيق ما ثم الا
سابقة التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله قال الشيخ ابو
الحسن رضى الله عنه اكرم المؤمنين وان كانوا عصاه
فاسقين واقم عليهم الحدود واهجرهم رحمة بهم لا تقذرا
لهم وقال الشيخ زروق رضى الله عنه فالمنتسب لجانب
الحق يتعين اكرامه مراعاة لنسبته ثم ان كان كاذبا فالامر
بينه وبين من انتسب اليه فان امرنا باقامة حقه عليه
بحيث يتعين عليه كنا معه كعبد السيد يضرب ولد سيده
باذنه يؤدبه ولا يحتقره ولابى الحسن الحرانى رحمه الله
ارحم بنى جميع الخلق كلهم وانظر اليهم بعين اللطف والشفقة
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم وراع فى كل خلق حق من خلقه
ثم ان الاقامة على دوام الاوراد وهى خدمة الجوارح من
شان اهل الخدمة وهم العباد والزهاد والانتقال منها الى
عمل القلوب من شان اهل المحبة والمعرفة وهم العارفون
وكلهم عباد الله ومن اهل عنايته فلا يستحقرهم الا جاهل
او مطرود كما بين ذلك بقوله قوم اقامهم الحق

لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هولاء وهولاء
من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظورا قلت
العباد المخصوصون بالعناية على قسمين قسم وجههم
الحق لخدمته واقامهم فيها وهم انواع فمنهم من انقطع
فى الفيافى والقفار لقيام الليل وصيام النهار وهم
العباد والزهاد ومنهم من وجههم الحق لاقامة الدين
وحفظ شرائع المسلمين وهم العلماء والصلحاء ومنهم
من اقامه الحق لنصرة الدين واعلاء كلمته وهم المجاهدون
فى سبيل رب العالمين ومنهم من اقامه الحق لتمهيد
البلاد وتسكين العباد وهم الامراء والخلفاء والسلاطين
وقسم اقامهم الحق لمحبته واختصهم بمعرفته وهم العارفون
الكاملون سلكوا سواء الطريق ووصلوا الى عين التحقيق
وبينهما فرق كبير لان اهل الخدمة طالبون الاجور واهل
المحبة رفعت عنهم الستور اهل الخدمة ياخذون اجورهم
وراء الباب واهل المحبة فى مناجات الاحباب اهل الخدمة
مسدول بينهم وبينه الحجاب واهل المحبة مرفوع بينهم
وبينه الحجاب اهل الخدمة من اهل الدليل والبرهان
واهل المحبة من اهل الشهود والعيان اهل الخدمة
لا تنفك عنهم الحظوظ واهل المحبة تصب عليهم
الحظوظ اهل الخدمة محبتهم مقسومة واهل المحبة
محبتهم مجموعة فلذلك دام اهل الخدمة فى خدمتهم
ونفذ المحبون الى شهود محبوبهم فلو تركوا الحظوظ
وحصروا محبتهم فى محبوب واحد لنفذوا الى محبوبهم
وشهدوه

من
وشهدوه ببصر ايقانهم واستراحوا من تعب خدمتهم
ولكن حكمة الحكيم اقامتهم فى خدمتهم فوجب تعظيمهم
فى الجملة ولا يلزم منه عدم تفضيل اهل المعرفة والمحبة
عليهم انظر كيف قال تعالى بعد ذلك انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض الآ وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا فدل على تفضيل بعضهم على بعض لكن
عبيد الملك كلهم معظمون فى الجملة ولا يحب الملك
ان تحقر له عبدا من عباده وان كانوا متفاوتين
عنده والله تعالى اعلم قال ابو يزيد رضى الله عنه
اطلع الله على قلوب اوليائه فمنهم من لم يصلح لحمل المعرفة
صرفا فشغلهم بالعبادة وقال ابو العباس الدينوري
رضى الله عنه ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته
فشغلهم بخدمته وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فاهلهم
لمحبته وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه الزاهد
صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة
اه يعنى ان الزاهد اصطاده الله من الدنيا فقبضه
وادخله الجنة والعارف اصطاده الحق من الجنة
فادخله الحضرة اصطاده من جنة الحس وجعله فى جنة
المعنى وهى جنة المعارف وقال شيخ شيوخنا سيدى
على رضى الله عنه فى كتابه سبحان من هيأ اقواما
لخدمته فاقامهم فيها وهيأ اقواما لمحبته واقامهم فيها
اهل الخدمة تجلى لهم الحق بصفة الجلال والهيبة فصاروا
مستوحشين من الخلق قلوبهم شاخصة لما يرد عليها

من حضرة الحق قد نحلت اجسادهم واصفرت الوانهم وخمصت
بطونهم وبالشوق ذابت اكبادهم وقطعوا الدياجى
بالبكا والنحيب واستبدلوا الدنيا بالمجاهدة فى الدين
ورغبوا فى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
واهل المحبة تجلى لهم الحق تعالى بصفة الجمال والمحبة
وسكروا بخمر لذيذ القربة تشغلهم المعبود عن ان
يكونوا من العباد ولا من الزهاد اشتغلوا بالظاهر
والباطن وهو الله فحجبوا عن كل ظاهر وباطن زهدوا
فى التنعم والانعام واشتغلوا بمشاهدة الملك العلام
اه كلامه رضى الله عنه هذا اخر الباب السابع
وحاصلها رفع الهمة وشكر النعمة وحسن الادب
فى الخدمة ونفوذ العزيمة بالانتقال من دوام
الخدمة الى المحبة والمعرفة واذا اراد الله ان يص
يصطفى عبد الحمل معرفته وينقله من تعب
خدمته قوى عليه الواردات الالهية فجذبته
الى الحضرة الربانية وهى مواهب لا مكاسب تنال باعماله
ولا بحيل وقل انما تاتى بغتة كما اشار الى ذلك فى اول
الباب الثامن فقال وقال رضى الله عنه قلما تاتى
الواردات الالهية الا بغتة صيانة لها ان يدعيها
العباد بوجود الاستعداد قال القشيرى الوارد
هو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما
لا يكون للعبد فيه تعمل والواردات اعم من الخواطر لان
الخواطر تختص بنوع خطاب او ما تضمن معناه والوا
والواردات

والواردات تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض
ووارد بسط الى غير ذلك من المعانى وهو قريب من
الحال اه وسئل الشيخ عبد القادر الجيلانى نفعنا الله بذكره
عن صفات الواردات الالهية والطوارق الشيطانية
فقال الوارد الالهى لا ياتى باستعداد ولا يذهب
بسبب ولا ياتى على نمط واحد ولا فى وقت واحد
والطوارق الشيطانية بخلاف ذلك غالبا اه قلت
والمراد به هنا نوع خاص وهو نفحات الهية يهب نسيمها
على القلوب او الارواح او الاسرار فتغيب القلوب فى حضرة
علام الغيوب وتغيب الارواح والاسرار فى جبروت العزيز
الجبار فتطيش فرحا وسرورا او ترقص شوقا وحبورا
اذا اهتزت الارواح شوقا الى اللقا ترقصت الاشباح يا جاهل المعنى
وقلما تكون هذه الواردات الالهية الا بغتة لانها لا تنال
باكتساب وانما هى فتح من الكريم الوهاب ولو كانت
تنال بجد واجتهاد لادعاها العباد والزهاد بوجود
التاهب والاستعداد فتصير حينئذ مكاسب والاحوال والوردا
انما هى مواهب يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ونسخة الشيخ زروق العباد بالتخفيف جمع عبد
وهى اعم قال والحكمة فى اتيانها بغتة ثلاثة امور
احدها ليعرف منة الله فيها الثانى ليقدر قدرها ليعظم
الفرح بها الثالث الغيرة عليها وتعززها لان ما كان
من العزيز لا يكون الا عزيزا اه ثم ان هذه الواردات الالهية
والمواهب الاختصاصية اسرار من الكريم الغفار لا يمنحها

الا لاهل الصيانة والامانة لا لاهل الافشاء والخيانة كما اشار
الى ذلك بقوله من رايته مجيبا عن كل ما يسئل ومعبرا عن كل
ما شهد وذاكرا لكل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله
قلت اما وجه جهله فى كونه مجيبا عن كل ما سئل فلما يقتضيه
حاله من الاحاطة بالعلوم وقد قال تعالى وما اوتيتم من العلم
الا قليلا فاى جهل اعظم ممن يعارض كلام الله وما
فيه ايضا من التكلف وقد قال تعالى قل لا اسئلكم عليه
اجرا وما انا من المتكلفين وقال عليه الصلاة والسلام
انا واتقياء امتى برءاء من التكلف ولا يخلو صاحب
التكلف من التصنع والتزين وهو من شان الجهل بالله
اذ لو كان عالما به لاكتفى بعلمه وعرف قدره ففى بعض
الاخبار عاش من عرف قدره وسئل بعضهم عن العلم
النافع فقال ان تعرف قدرك ولا تتعدى طورك
وقال بعض المحققين اذا اخطا العالم لا ادرى
اصيبت مقاتله وقال فى الاحياء كان السلف الصالح
يسئل احدهم عن المسئلة الواحدة فيدفع السائل الى غيره
ثم يدفعه الثانى الى اخر ثم كذلك حتى يرجع الى
الاول وكان بعضهم اذا سئل عن مسئلة يقول للسائل
اذهب بها الى القاضى فقلدها فى عنقه وقد سئل مالك
رحمه الله عن اثنتين وثلاثين مسئلة فاجاب عن ثلاث
وقال فى الباقى لا ادرى فقال له السائل وما نقول للناس
فقال له قل لهم قال مالك لا ادرى وايضا اجابة كل سائل
جهل وضرار فقد يكون السائل متعنتا لا يستحق جوابا
وقد

وقد تكون المسئلة التى سال عنها لا تليق به لانه لا يفهمها
ولا يطيق معرفتها فتوقعه فى الحيرة او الانكار وقد قال عليه
الصلاة والسلام لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها ولا
تمنعوها اهلها فتظلموهم وفى ذلك يقول الشاعر

ساكتم علمى عن ذوى الجهل طاقتى ... ولا انثر الدر النظيم على البهم
فان قدر الله الكريم بلطفه ... ولاقيت اهلا للعلوم وللحكم
بذلت علومى واستفدت علو ... وان لا فمخزون لدى ومكتتم
علومهم
فمن منح الجهال علما اضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقال على كرم الله وجهه حدث الناس بقدر ما يفهمون
اتريدون ان يكذب الله ورسوله وقد قيل للجنيد رضى
الله عنه يسئلك الرجلان فتجيب هذا بخلاف ما تجيب
به هذا فقال الجواب على قدر السائل قال عليه الصلاة
والسلام امرنا ان نخاطب الناس على قدر عقولهم
اه وقال رجل لبعض العلماء وقد ساله فلم يجبه اما علمت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا
الجم يوم القيمة بلجام من النار فقال له العالم اترك اللجام
ولما
واذهب فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمنى به اه
وجه جهله فى كونه معبرا عن كل ما شهد من الكرامات وما
وصل اليه من المقامات وما ذاقه من الانوار والاسرار
فلان هذه الامور اذواق باطنيه واسرار ربانيه لا يفهمها
الا اربابها فذكرها لمن لا يفهمها ولا يذوقها جهل بقدرها
وايضا هى امانات وسر من اسرار الملك وسر الملك لا يحل
افشاؤه فمن افشاه كان خائنا واستحق الطرد والعقوبة

ولا يصلح ان يكون امينا بعد ذلك فكتم الاسرار من شأن الاخيار
وهتك الاسرار من شأن الاشرار وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار
وقال الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذي ثقة ، فالسر عند خيار الناس مكتوم

وفي افشائها قلة عملها ونفعها في الباطن ففائدة هذه
الاحوال والواردات الالهية هي محو الحس واظهار المعنى
او محو الشك وتقوية اليقين فاذا افشاها ضعف
اعمالها وقلت نتيجتها والخير كله في الكتمان وفي الحديث
استعينوا على قضاء حوائجكم بكتمانها وكما قال عليه السلام
وينخرط في سلك الاحوال التي يجب كتمانها خرق
عوائد النفوس فمن خرق عادة في نفسه فلا يفشي
ذلك لغيره فان في ذلك دسيسة لها لانها تحب ان تذكر
بالقوة والنجدة فيكون كلما قتل منها احياه في ساعته
وفيه ايضا نقص الاخلاص وادخال الرياء وهو سبب
الهلاك والعياذ بالله واما وجه جهله في كونه ذاكرا
لكل ما علم من الحقائق والعلوم والمعارف فلانه جهل قدرها
واستخف شانها فلو كانت عنده رفيعة عزيزة ما افشاها
لغيره اذ صاحب الكنز لا يبوح به والا سلبه من ساعته
وانظر قول شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه

احفر لسرك ودكو ، في الارض سبعين قامه
وخل الخلايق يشكوا ، الى يوم القيمه

واذا كان الله تعالى يقول ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
فكيف بالعلم الذي هو لؤلؤ مكنون قال عليه الصلاة والسلام
ان من العلم

ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا العلماء بالله فاذا
فاذا اظهروه انكره اهل الغرة بالله اه وقال ابو هريرة رضي
الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين
من علم اما احدهما فبثثته في الناس واما الاخر فلو بثثته
لقطع مني هذا البلعوم اه ولله در زين العابدين سيدنا علي
ابن الحسين بن علي كرم الله وجهه حيث يقول

يارب جوهر علم لو ابوح به ، لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ، يرون اقبح ما ياتونه حسنا
اني لاكتم من علمي جواهره ، كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

وقال الرود اباري رحمه الله علمنا هذا اشارة فاذا صار
عبارة خفي وقال الغزالي قد تضر الحقائق كثيرا باقوام كما تضر الامام محمد
يتضرر الجعل بالورد والمسك قلت قد يرخص للعارف لما
الماهر القاء الحقائق مع من لا يعرفها بعبارة رقيقة واشارة لطيفة
وغزل رقيق بحيث لا ياخذ السامع منها شيئا فقد كان الجنيد
رضي الله عنه يلقي الحقائق على رؤوس الاشهاد فقيل له
في ذلك فقال جانب العلم احمى من ان ياخذه غير اهله
او علمنا محفوظ من ان ياخذه غير اهله والله تعالى اعلم ثم
الاجابة عن كل ما سئل والتعبير عن كل ما شهد وذكر كل ما علم
يوجب اقبال الخلق عليهم وتعظيمهم واكرامهم في هذه
الدار لان من ظهرت مزيته وجبت خدمته ومن شان
العامة تعظيم صاحب الكرامة فيجني ثمرة علمه وعمله
في هذه الدار الفانية وتفوته درجات الصديقين في تلك
الدار الباقية فامره بكتمها ويقنع بعلم الله ويدخر الجزاء

عليها بيوم لقاء الله وعلى ذلك نبه بقوله انما جعل
الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار
لا تسع ما يريد ان يعطيهم ولانه اجل اقدارهم عن
ان يجازيهم فى دار لا بقاء لها قلت لا شك ان الله تعالى
وسم هذه الدار بدار الغرور وحكم عليها بالهلاك والثبور
فهى دار دنية دانية زائلة فانية فلذلك سميت
الدنيا اما لدنوها واما لدناءتها فهى ضيقة الزمان
والمكان ووسم الاخرة بدار القرار ومحل ظهور الانوار
وانكشاف الاسرار محل النظرة والحبور ودوام النعمة والسرور
محل شهود الاحباب ورفع الحجاب نعيمها دائم ووجودها
على الدوام قائم فلذلك جعلها الحق تعالى محلا لجزاء عباده
المؤمنين ومقعد صدق للنبيين والصديقين ولم يرض
سبحانه ان يجازيهم فى دار لا بقاء لها ضيقة الزمان
والمكان ومحل الاكدار والاغيار والذل والهوان لانها
ضيقة لا تسع ما يريد ان يعطيهم اى لا يسع فيها ما يريد
ان يكرمهم به زمانا ومكانا لان ادنى اهل الجنة يملك
قدر الدنيا عشر مرات فكيف باعلاهم قال تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون
وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اعددت
لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ولانه جل وعلا اجل اى اعظم
اقدار عباده المؤمنين والمقربين ان يجازيهم فى دار
لا بقاء لها فعمارتها خراب ووجودها سراب ففى بعض الاخبار
لو كانت

لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لاختار
العاقل الذى يبقى على الذى لا يبقى اه لا سيما بالعكس
فالاخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى فلا يختار
الا من حكم الله عليه بالشقاء والعناء والخزف بالخاء والزاى
والفاء المحركات الطين المصنوع لبنا وهو الاجر وفى حديث
اخر الا ان السعيد من اختار باقية يدوم نعيمها على فانية
لا ينفك عذابها وقدم لما يقدم عليه مما هو الان فى يده
قبل ان يخلفه لمن يسعد بانفاقه وقد شقى هو بجمعه
واحتكاره اه وعن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حلوا انفسكم
بالطاعة والبسوها قناع المخافة واجعلوا اخرتكم لانفسكم
وسعيكم لمستقركم واعلموا انكم عن قليل راحلون والى الله
سائرون ولا يغنى عنكم هنالك الا صالح عمل قدمتموه او
حسن ثواب حزتموه انكم انما تقدمون على ما قدمتم
وتجازون على ما اسلفتم فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنية عن
مراتب جنات عالية فكان قد كشف القناع وارتفع الارتياب
ولاقى كل امرئ مستقره وعرف مثواه ومنقلبه اه ثم ان الجزاء
فى تلك الدار انما يكون على العمل فى هذه الدار بشرط كونه
مقبولا وقبوله مغيب لكن له علامات يعرف بها هنا اشار
اليها بقوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على
وجود القبول اجلا قلت ثمرة العمل هى لذيذ الطاعة (لذاذة)
وحلاوة المناجاة وانس القلب بالمراقبة وفرح الروح بالمشاهدة
والسر بالمكالمة قد علم كل اناس مشربهم ودليل وجود هذه الثمرة

النشاط في النهوض اليها والاغتباط بها والمداومة عليها
وزيادة المدد فيها وهي علامة حلول الهداية في القلب
قال تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وللبصيري
في همزيته ؛ واذا حلت الهداية قلبا ؛ نشطت للعبادة الاعضاء ؛
فمن رايناه في زيادة الاعمال والترقي في الاحوال علمنا انه
وجد لعمله ثمرة فهي بشارة له على قبولها ومن رايناه
انقطع عن عمله او نقص من احواله خفنا عليه عدم
قبول اعماله ومن ثمرة العمل ايضا الاستيحاش من الخلق
والانس بالملك الحق ومن ثمرة العمل ايضا الاكتفاء بعلم
الله والاستغناء به عما سواه زاد الشيخ زروق رضي
الله عنه الحياة الطيبة ونفوذ الكلمة وانتفاء الحزن المفرح
بالمنة اه فدليل الاول قوله تعالى من عمل صالحا من
ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قيل
هي القناعة وقيل الرضى والتسليم والتحقيق انها المعرفة
ودليل الثاني وهو نفوذ الكلمة قوله تعالى وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
فنفوذ الكلمة هي الخلافة وقال ايضا وجعلناهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا واما الثالث وهو انتفاء الحزن فدليله
في نفسه لان حلاوة العمل تنسي الحزن والغم لانها
شبيهة بنعم الجنة قال تعالى في شان اهل الجنة وقالوا
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والله تعالى اعلم وسياتي
التحذير من الوقوف مع حلاوة الطاعة وانها سموم
قاتلة ولما ذكر ميزان مقادير الاعمال ذكر ميزان مقادير

الرجال

الرجال او تقول لما ذكر ميزان العمل المقبول من المردود ذكر ميزان
العامل المحبوب من المطرود فقال ان اردت ان تعرف قدرك
عنده فانظر فيماذا يقيمك قلت جعل الله تعالى بحكمته
خلقه على قسمين اشقياء وسعداء وجعل السعداء على قسمين
اهل قرب واهل بعد او تقول اهل يمين ومقربين وهم السابقون
فان اردت ان تعرف نفسك هل انت من اهل الشقاوة او من
اهل السعادة فانظر في قلبك فان كنت تصدق بوجود
ربك وتوحده في ملكه وتنقاد لمن عرفك به وهو رسوله
عليه السلام فانت ممن سبقت له الحسنى وان كنت تنكر
او تشك في ربك او تشرك به غيره في اعتقادك او لم تذعن
لمن عرفك به فانت من اهل الشقاء ثم ان وجدت
نفسك من اهل السعادة واردت ان تعرف هل انت
من اهل القرب او من اهل البعد فانظر فان كنت
ممن يستدل بآثاره عليه فانت من اهل البعد من اصحاب
اليمين وان كنت ممن يستدل به على غيره فانت من اهل
القرب من المقربين ثم ان عرفت انك من اهل اليمين
واردت ان تعرف قدرك عنده هل انت من المكرمين
او من المهانين فانظر فان كنت تمتثل امره وتجتنب
نهيه وتسارع في مرضاته وتحبب الى اوليائه
واحبائه فانت من المكرمين المعظمين وان كنت
تتهاون في اوامره وتتساهل في نواهيه وتتكاسل
عن طاعته وتهتك حرماته وتعادي اولياءه فانت
والله عنده من المهانين المحرومين المطرودين

الا ان تتداركه عناية من رب العالمين وان تحققت
انك من اهل القرب وانك بلغت مقام الشهود تستدل
به على غيره فلا ترى سواه فان كنت تقر بالواسطة وتبا
وتثبت الحكمة وتعطى كل ذى حق حقه فانت من المقربين
الكاملين وان كنت تنكر الحكمة وتغيب عن الواسطه
فان كنت مجذوبا مغلوبا فانت فى هذا المحل ناقص
وان كنت صاحيا فانت ساقط الان ياخذ بيدك
شيخ واصل او عارف كامل وهنا ميزان اخر تعرف
به نفسك فى القرب والبعد فان وجدت شيخا مربيا
كشف الله لك عن انواره واطلعك على خصائص اسراره
فانت قطعا من اهل القرب بالفعل او بالامكان لقوله
الشيخ رضى الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل على اوليا
الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد
ان يوصله اليه وان لم تجد شيخا مربيا وغرك قول من
قال انه انقطع وجوده فانت قطعا من اهل اليمين من
عوام المسلمين هذا الغالب والنادر لا حكم له والله تعالى
اعلم وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك
وتعالى انا الله لا اله الا انا خلقت الخير والشر فطوبى
لمن خلقته للخير واجريت الخير على يده وويل لمن خلقته
للشر واجريت الشر على يده وفى حديث اخر من اراد ان
يعلم ماله عند الله فلينظر ما لله عنده وفى رواية من
اراد ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى
فان الله تعالى ينزل العبد حيث انزله العبد من نفسه
قال الله

قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى الأية والله تعالى اعلم ثم ذكر ميزانا اخر
تعرف به المقربين والاغنياء الشاكرين فقال متى رزقك الطاعة
والغنا به عنها فاعلم انه اسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة
. قلت الطاعة فى الظاهر هى رسوم الشريعة والغنى به فى الباطن
هو شواهد الحقيقة فاذا اجمع لك بين الطاعة فى جوارحك
والغنى به عنها فى باطنك فقد اسبغ عليك اى اكمل واطال
عليك نعمه ظاهرة وباطنة وهذه سيما العارفين المقربين
الاغنياء بالله الفقراء مما سواه استغنوا بمعبودهم عن رؤية
عباداتهم وبمعلومهم عن علمهم وبمصلحهم عن صلاحهم
قال الشيخ ابو الحسن فى حزبه الكبير نسئلك الفقر مما سواك
والغنى بك حتى لا نشهد الا اياك فهؤلاء الاغنياء بالله
الغائبون فيه عما سواه عباداتهم بالله ولله ومن الله قياما
بشكر النعمة واتماما لوظائف الحكمة وفى الحديث عنه صلى الله
عليه وسلم احب العباد الى الله الاغنياء الاخفياء الا تقياء وكما
قال عليه الصلاة والسلام وفى حديث اخر ليس الغنى بكثرة
العرض انما الغنى غنى النفس اه وهو الغنى بالله وهذه هى
النعمة الحقيقية فالنعم الظاهرة هى تزيين الجوارح بالشريعة
والنعم الباطنة هى اشراق الاسرار بالحقيقة وقيل النعم الظاهرة
هى الكفاية والعافيه والنعم الباطنة هى الهداية والمعرفة
وقيل النعم الظاهرة راحة البدن من مخالفة امره والباطنة سلامته
من منازعة حكمه وحقيقة النعمة من حيث هى ما لا يوجب
الما ولا يعقب ندما وقيل النعمة العظمى الخروج من رؤية النفس

وقيل النعمة ما وصلك بالحقائق وطهرك من العلائق وقطعك عن
الخلائق وبالله التوفيق هذا اخر الباب الثامن وحاصلها تحقيق
الاداب مع الواردات الالاهية لانها مواهب اختصاصية فمن اراد
مدد انوارها فعليه بكتمان اسرارها وليؤخر جزاء ثوابها الدار يدوم
بقاؤها فحينئذ يتحقق اخلاصه ويظهر اختصاصه فيذوق
حلاوة الطاعة والايمان ويعظم قدره عند الملك الديان
فيغيبه به عما سواه ويسبغ عليه منه ومهما اغناك به استغنيت
به عن طلبه وان كان ولا بد من الطلب فاطلب منه ما هو طالبه منك
كما اشار اليه في اول الباب التاسع فقال وقال رضى الله عنه
خيرما تطلبه منه ما هو طالبه منك قلت والذى طالبه منا هى
هى الاستقامة ظاهرا وباطنا ومرجعها الى تحقيق العبودية
فى الظاهر وكمال المعرفة فى الباطن او تقول الذى هو طالبه
منا اصلاح الجوارح الظاهرة بالشريعة قياما برسم الحكمة
واصلاح القلوب والاسرار الباطنة بالحقيقة قياما بوظائف
القدرة او تقول الذى طلبه منا امتثال امره واجتناب نهيه
والاكثار من ذكره والاستسلام لقهره فالاكمل فى حق العارف
ان يستغنى بعلم الله ويكتفى بسؤال الحال عن طلب المقال
فان تجلى فيه وارد الطلب فخيرما يطلبه من سيده ما هو طالبه
منه وهو ما تقدم ذكره ففى بعض الاحاديث ان الله لا يسئل
الخلق عن ذاته وصفاته ولا عن قضائه وقدره ولكن عن امره
ونهيه قلت لان الامر والنهى فى كسبه ومكلف به
ومعرفة الذات والصفات او الرضى والتسليم انما هى
مواهب جزاء الاعمال ونتائج الامتثال فاذا فعل ما امره
به

به سيده رزقه المعرفة به المعرفة العامة وهى معرفة
الدليل فاذا اشتد عطشه قيض له من ياخذ بيده
حتى يعرفه به المعرفة الخاصة وقال بعضهم اذا عرضت
لك حاجة فانزلها بالله يعنى من غير طلب ما لم
يكن لك فيها حظ تحجب عن الله اه قال تعالى ولا
تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا
الله من فضله وفضله هو الغنى به ومن دعاء الجنيد
رضى الله عنه اللهم وكل سؤال فعن امرك لى بالسؤ
فاجعل سؤالى لك سؤال محابك ولا تجعلنى ممن
يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسئل القيام
بواجب حقك ثم اذا طلبت منه فاطلب منه ما طلبه
منك وهو الطاعة والاستقامة ولكنه لم تساعفك الاقدار
ومنعت منها قبل ان تسئل فان لم تنهض اليها بقلبك وتا
وتاسفت عليها بنفسك فذلك علامة الاغترار كما اشار
اليه بقوله الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها
من علامة الاغترار قلت الحزن هو التحسر على شىء فان لم تحصله
وندمت على تحصيله او التوجع على شىء منعت منه ولم
تقدر على تحصيله فان كان حزنك على شىء منعت منه
ونهضت الى اسبابه الموصلة اليه فهو حزن الصادقين
وفيه قال ابو على الدقاق يقطع صاحب الحزن فى شهر
ما لا يقطعه غيره فى سنين وان لم تنهض الى اسبابه
فهو حزن الكاذبين وان كان على ما فات ونهضت

قوله اذا طلبت منه [illegible] ولعل سقط [illegible] من النسخ [illegible] العبارة هكذا [illegible]

الى استدراك ما يمكن استدراكه فهو حزن الصادقين وان لم
تنهض الى استدراكه فهو حزن الكاذبين وقد سمعت
رابعة العدوية رجلا يقول واحزناه فقالت له قل واقلة حزناه
فلو كان حزنك صادقا لم يتهيأ لك ان تتنفس اه وقال ابو سليمان
الدارانى رضى الله عنه ليس البكاء بتعصير العيون انما البكاء
ان تترك الامر الذى تبكى عليه وقيل لا يغرنك بكاء الرجل
فان اخوة يوسف جاؤا اباهم عشاء يبكون وقد فعلوا ما فعلوا
اه فالحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض الى استدراك
ما فات منها او الى تحصيل ما حضر منها من علامة الاغترار
اى الغرور وهو الركون الى ما لا حقيقة له فالاغترار قبول الغار
والانقياد الى غروره وخدعه فالحزن ينقسم الى ثلاثة اقسام
حزن الكاذبين والصادقين والصديقين السائرين فحزن
الكاذبين هو ما تقدم من عدم النهوض والاستدراك لما
فات وحزن الصادقين هو الحزن المصحوب بالجد والاجتهاد
والتوسط فى العمل والاقتصاد مع اغتنام ما بقى من
الاوقات لاستدراك ما فات وحزن الصديقين من السائرين
هو الحزن على فوات الاوقات او حصول شئ من الغفلات او وقوع
ميل او ركون الى الحظوظ والشهوات الا ان حزنهم لا يدوم اذ لا
يقفون مع شئ ولا يقبضهم شئ واما الواصلون فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون قال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون اذ الحزن انما يكون على فقد شئ او فوات غرض
وماذا فقد من وجد الله وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
وفى هذا المقام ينقطع البكاء اذ لا بكاء فى الجنة وقد راى
الصديق

الصديق قوما يقرؤن ويبكون فقال كذلك كنا ثم قست القلوب
فعبر بالقسوة عن التمكين ادبا وتسترا لان القلب فى بدايته
رطب يتأثر بالمواعظ وتحركه الاحوال فاذا استمر معها وتصلب
لم يتأثر بشئ ويكون كالجبل الراسى وترى الجبال تحسبها
جامدة وهى تمر مر السحاب تنبيه قال الشيخ ابو
الحسن الشاذلى رضى الله عنه من لم تطاوعه نفسه
على النهوض الى الطاعات واخلدت الى ارض الشهوات
فدواؤه فى حرفين الاول ان يعلم منة الله عليه
بالهداية للاسلام ومحبة الايمان فيشكر الله عليها
ليحصن بقاءها عنده الثانى دوام تضرعه وابتهاله
فى مظان الاجابة قائلا يا رب سلم سلم وان اهملهما هذين
الامرين فالشقاوة لازمة له اه بالمعنى وبالله
التوفيق ثم اذا اعطاك ما طلبت من كمال الاستقامة
ونهضت اليه ناما على ما فاتك من الطاعة كانت نهاية ينك
الوصول الى الحبيب ومناجات القريب هنالك تكل
الالسن عن العبارة وتنقطع الاشارة كما ابان ذلك بقوله
ما العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته
بل العارف من لا اشارة له لفنائه فى وجوده وانطوائه
فى شهوده قلت الاشارة ارق وادق من العبارة والرمز
ادق من الاشارة فالامور ثلاثة عبارات واشارات ورموز
وكل واحدة ادق مما قبلها فالعبارة توضح والاشارة
تلوح والرمز يفرح اى يفرح القلوب باقتناص المحبوب
وقالوا علمنا كله اشارة فاذا صار عبارة خفى اى خفى سره

اى فاذا صار عبارة بافصاح اللسان لم يطلعهم سره على
الجنان فاشارة الصوفية هي تغزلاتهم وتلويحاتهم
بالمحبوب كذكر سلمى وليلى وذكر الخمرة والكيسان
والنديم وغير ذلك مما هو مذكور في اشعارهم وتغزلاتهم
وتغزلاتهم وكذكر الاقمار والنجوم والشموس والبدور
واللوائح والطوالع وكذكر البحار والاغراق وغير ذلك
مما هو مذكور في اصطلاحاتهم واما الرموز فهي ايماء
واسرار بين المحبوب وحبيبه لا يفهمها غيرهم ومنها في
القرآن فواتح السور ومنها في الحديث كقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابى بكر اريد ان ادعوك لامر قال
وما هو قال هو ذا الف فرمز لامر بينهما لا يعرفه غيرهما يا رسول الله صح
وقال له ايضا يا ابا بكر اتعلم يوم يوم بتنكير لفظ
يوم قال نعم يا رسول الله سالتني عن يوم المقادير
فهذه رموز بين الصديق وحبيبه قال الشيخ زروق
رضي الله عنه في شرح الحزب الكبير وقد حارت العقول
في رموز الحكماء فكيف بالعلماء فكيف بالانبياء فكيف
بالمرسلين فكيف يطمع في حقائق رب العالمين اه واما
الاشارات فيدركها اربابها من اهل الفن والناس في
ادراكها وعدمه على اقسام فمنهم من لا يفهم منها شيئا
ولا يعرف الا ظاهر العبارة وهم الجهال من عموم الناس ومنهم
من يفهم المقصود ويجد الحق بعد الاشارة اى بعد سماع
الاشارة وهم اهل البداية من السائرين ومنهم من يفهم
الاشارة ويجد المشار اليه وهو الحق اقرب اليه من اشارته
وهم

وهم اهل الفناء في الذات قبل التمكين ولهذا تجدهم يتواجدون
عند السماع ويتحركون وتطيب اوقاتهم وتهيم ارواحهم اكثر مما
يتواجدون عند الذكر لان الاشارة تهيج اكثر من العبارة
بخلاف المتمكنين قد رسخت اقدامهم واطمانت قلوبهم
وتحقق وصولهم فاستغنوا عن الاشارة والمشير ولذلك قيل
للجنيد مالك كنت تتحرك عند السماع وتتواجد واليوم
لا نراك تتحرك بشيء قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب اه وهذا هو العارف الذي لا اشارة له لفنائه
في وجود الحق وانطوائه في شهوده **او تقول** لتحقق وصوله
وتمكنه في شهوده فصار المشير عين المشار اليه لفناء وجوده
في وجود محبوبه وانطواء ذاته في ذات مشهوده **او تقول**
لزوال وهمه وثبوت علمه فتحققت الوحدة وامحت الغيرية

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها وتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح ... وكانما قدح ولا خمر

فالاقداح اشباح والخمور ارواح **او تقول** لذهاب حسه وانطماس
رسمه فانكسرت الاواني وسطعت المعاني

وطاح مقامي في الرواسم كلها ... فلست ارى في الوقت قربا ولا بعدا
فنيت به عني فبان به غيبي ... فهذا ظهور الحق عند الفنا قصدا
احاط بنا التعظيم من كل جانب ... وعادت صفات الحق مما يلي العبدا

قال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه ان لله عبادا
محق افعالهم بافعاله واوصافهم باوصافه وذاتهم بذاته
وحملهم من اسراره ما تعجز عنه الاولياء وقال القطب الشيخ ابن مشيش
رضي الله عنه ونفعنا ببركاته وشراب المحبة مزج الاوصاف بالاوصاف

والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء
والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال اه واطلق واطلق
المزج على التبديل مناسبة للشراب وقال امام الطريقة
ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه في وصف العارف عبد
ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم باداء حقه
ناظر اليه بقلبه احرقت قلبه انوار هدايته وصفا شربه
من كاس وده تجلى له الجبار عن استار غيبه فان تكلم فبالله
فالله وان سكت فمن الله وان تحرك فباذن الله وان
يسكن فمع الله فهو بالله ولله ومع ومن الله والى الله اه
فهذه صفات العارف الحقيقي الراسخ المتمكن فقد كل لسانه
عن التعبير واستغنى عن الاشارة والمشير فاذا صدرت منه
اشارة او تعبير فانما ذلك لفيضان وجد او هداية
فقير وقد صدرت اشارات من المتمكنين فتحمل على هذا
القصد كقول الشيخ ابي العباس رضي الله عنه

اعندك من ليلى حديث محرر * بايراده يحيى الرميم وينشر
فعهدي بها العهد القديم وانني * على كل حال في هواها مقصر
وقد كان عنها الطيف قدما يزورني * ولما يزر ما باله يتعذر
وهل بخلت حتى بطيف خيالها * ام اعتل حتى لا يصح التصور
ومن وجه ليلى طلعة البدر تستضي * وفي الشمس ابصار الورى تتحير
وما احتجبت الا برفع حجابها * ومن عجب ان الظهور تستر

هكذا وجدت بخط الشيخ وكان كثيرا ما يتمثل بها قاله المصنف
في لطائف المنن فقول الشيخ ما العارف الخ اي ليس العارف
الكامل وهو الراسخ المتمكن واما السائر فيحتاج الى الاشارة
ويجد

ويجد الحق اقرب اليه من الاشارة او معها وهي اعانة له
وقوته كالعبارة للمتوجهين وسيأتي العبارة قوت
لعائلة المستمعين وليس لك الا ما انت له اكل وقوله
من اذا اشار اي او اشير له وقوله بل العارف من لا اشارة
له اي لا يحتاج اليها في نفسه وقد يشير لاجل غيره كما تقدم
وانما استغنى عن الاشارة لان الاشارة والعبارة قوت
الجائع وهو قد شبع واستغنى او تقول لان الاشارة
تقتضي البينونة والفرق وهو مجموع في فرقه ولذلك
قال الشيخ ابو يزيد رضي الله عنه ابعدهم من الله
اكثرهم اشارة اليه وقال ابن العريف في محاسنه الاشارة
نداء على راس البعد وبوح بعين العلة اي تصريح بعين علته
وهي بعده وقال الرودباري الاشارة الابانة عما يتضمنه
الوجد من المشار اليه وفي الحقيقة الاشارة تصحبها العلل
والعلل بعيدة من الحقائق وقال الشبلي رضي الله عنه
كل اشارة اشار بها الخلق الى الحق فهي مردودة عليهم
حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم الى ذلك طريق
اه وانما كانت مردودة عليهم لما تقتضيه من الفرق
والبينونة بدليل قوله حتى يشيروا الى الحق بالحق
وانما نفى الطريق الى ذلك لاستغناء الحق عن
الاشارة والمشير والله تعالى اعلم ويحتمل ان يريد
بالاشارة اشارة القلب او الفكرة الى الوجود فان القلب
اذا اشار الى الكون باسره فني وتلاشى ووجد
الحق اقرب اليه من اشارته لكونه كان فانيا قبل اشارته

وهذا حال السائرين واما الواصل فلا يحتاج الى اشارة لكونه
قد تحقق فناؤه وانطوى وجوده فى وجود محبوبه فلم
يحتج الى اشارة لتمكن حاله وتحقق مقامه والله تعالى اعلم
وسئل ابو سعيد بن الاعرابى عن الفناء فقال هو ان تبدو
العظمة والاجلال على العبد فتنسيه الدنيا والاخرة
والاحوال والدرجات والمقامات والاذكار وتغنيه عن
كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء
وعن فنائه عن الفناء لانه يغرق فى التعظيم اه ولما
كان المطلوب من العبد القيام بوظائف العبودية ومعرفة
عظمة الربوبية تشوفت القلوب الى نيلها وطمعوا فى
ادراكها ورجوا بلوغ امالهم فيها فبين الشيخ علامة الرجاء
الصادق من الكاذب فقال الرجاء ما قارنه عمل والا
فهو امنية قال بعض العلماء الرجاء تعلق القلب
بمطموع يحصل فى المستقبل مع الاخذ فى العمل المحصل له
واقرب منه طمع يصحبه عمل فى سبب المطموع فيه
لاجل تحصيله اه والامنية اشتهاء وتمنى لا يصحبه
عمل فان كان مع الحكم والجزم فهو تدبير وهو اتم قبحا
قاله الشيخ زروق قلت فمن رجى ان يدرك النعيم
الحسى كالقصور والحور فعليه بالجد والطاعة والمسارعة
الى نوافل الخيرات والا كان رجاؤه حمقا وغرورا وقد قال معروف
الكرخى رضى الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب
وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء
رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقيل من زعم ان الرجاء مع
الاصرار

الاصرار صحيح فكذلك فليزعم ان الربح مع الفقر وقد
النار من البحر صحيح ومن كان رجاؤه تحقيق العلوم وفتح
مخازن الفهوم فعليه بالمدارسة والمطالعة ومجالسة
اهل العلم المحققين العاملين مع تحليته بالتقوى والورع
قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله فان فعل هذا كان
طالبا صادقا والى ما رجا واصلا والا كان باطلا وبقى جاهلا
وقد قال بعض المحققين من اعطى كليته فى العلم اخذ
كليته ومن لم يعط كليته لم ياخذ بعضه ولا كليته وفى
الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم وانما
الحلم بالتحلم من يطلب الخير يؤته ومن يتق الشر يوقه اه والذى
تفيده التقوى انما هو فهم يوافق الاصول ويشرح الصدور
ويوسع العقول ومن كان رجاؤه الوصول الى المقامات
وتحقيق المنازلات ومواجيد المحبين واذواق العارفين
فعليه بصحبة الفحول من الرجال اهل السر والحال بحط راسه
وذبح نفسه والاخذ فيما كلفوه به من الاعمال مع الذل
والافتقار والخضوع والانكسار فان زعم انه لم يجدهم
فليصدق فى الطلب فسر الله كله فى صدق الطلب وليستغرق
اوقاته فى ذكر الله وليلتزم الصمت والعزلة وليحسن
ظنه بالله وبعباد الله فان الله يقبض له من ياخذ
بيده ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
قال فى القواعد قاعدة طلب الشيء من وجهه وقصده
اقرب لتحصيله وقد ثبت ان حقائق علوم الصوفية
منح الهية ومواهب اختصاصية لا تنال بمعتاد الطلب

قدح
وقود

العقول
ادراك الصحيح

فلنلزم مراعاة وجه ذلك وهو ثلاث الاول العمل بما علم
قدر الاستطاعة الثاني اللجاء الى الله على قدر الهمة الثالث
اطلاق النظر في المعاني حال الرجوع لاصل السنه
فيجري الفهم وينتفي الخطا ويتيسر الفتح وقد اشار الجنيد
رحمه الله تعالى الى ذلك بقوله ما اخذنا التصوف عن
القيل والقال والمراء والجدال انما اخذناه عن الجوع والسهر
وملازمة الاعمال اوكما قال وفي الخبر عنه عليه الصلاة
والسلام من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم وقال
ابو سليمان الداراني رضي الله عنه اذا اعتقدت النفوس
على ترك الاثام جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها
بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها عالم علما اه فمن العلوم
رجا ان يدرك هذه الامور المنتقد منه وشرع في اسبابها
وتحصيل مباديها كان علامة على نجح مطلبه وكان
رجاؤه صادقا ومن طمع فيها من غير ان ياخذ بالجد
في اسباب تحصيلها كان امنية اي غرورا وحمقا وكان
الحسن رضي الله عنه يقول يا عباد الله اتقوا هذه الاماني
فانها اودية النوكى يحلون فيها فوالله ما اتى الله عبدا
بامنيته خيرا في الدنيا والاخرة اه والنوكى بفتح النون
جمع انوك وهو الاحمق ولما كان من رجا شيا وطمع فيه
الغالب انه يطلبه بين الشيخ خير ما يطلبه العبد ويرجوه
فقال مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية
والقيام بحقوق الربوبية قلت المطلب مصدر بمعنى
المفعول او اسم مكان اي مطلوب العارفين ومقصودهم
اومحل

اومحل قصدهم ومحل نظرهم انما هو تحقق الصدق في العبو دية
بحيث لا تبقى فيهم بقية اذ المكاتب عبد ما بقي عليه
درهم فما دام العبد مسجونا بمحيطاته محصورا في هيكل
ذاته لا تنفك عنه الحظوظ اما دنيويه او اخروية فلا
تتحقق عبوديته لله وفيه عبودية لحظوظه وهواه
فلا يكون صادقا في عبوديته وهو مملوك لحظ نفسه فاذا
قال انا عبد الله نازعته حظوظه وهواه فلا تتحقق
عبوديته لله حتى يتحرر من رق الاكوان ويتحقق بمقام
الاحرار من اهل العرفان فحينئذ يكون سالما لله حرا
مما سواه قال الله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون اي متخاصمون ورجلا سلما لرجل هل يستويان
مثلا اي لا يستويان ابدا اذ العبد الخالص لسيد واحد
يكون احظى واعز واقرب من العبد المشترك كذلك
العبد الخالص لله احظى بمحبة مولاه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعس اي خاب وخسر عبد الدينار
والدرهم والخميصة اذا اعطي رضي واذا لم يعط سخط
تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش اي اذا اصابته
شوكة فالله لا يخرجها منه بالنقش عليها وهو دعا على من
حظه هواه بالتنكيس وعدم الخروج مما يقع فيه وقال
ابو سليمان رضي الله عنه شتان بين من همه الحور
والقصور [illegible] وبين من همه الحضور ورفع الستور اه
ولاجل هذا كان مطلب العارفين انما هو التحقق بالعبودية
لمولاهم بالتحرر من رق هواهم والقيام بوظائف الربوبية

بالادب والتعظيم والاجلال لمولاهم وهما متلازمان فبهما
تحقق الصدق فى العبودية الا حصل القيام بوظائف الربوبيه
فان النفس اذا ماتت بترك حظوظها حييت الروح واذا حييت
الروح عرفت واذا عرفت اذعنت وخضعت لهيبة الجلال وهذا
هو القيام بحقوق الربوبية وهو مراد العارفين ومقصود السا
السائرين ومحط نظر القاصدين والطالبين قيل لبعضهم ما
مراد العارف قال مراد معروفه اه اى لا يريد الا ما اراد سيده
ولا يتمنى الا ما يقضيه عليه مولاه وقيل لبعضهم ما تشتهى قال
ما يقضى الله فبهذا يتحقق للعارف فناؤه وبتحقيق فنائه
يتحقق بقاؤه وانشدوا

لو قيل ما تمنى والعبد يعطى مناه ** لقلت منية قلبى فى بقاه

اى بقائه مع مولاه والله تعالى اعلم فاذا طلب العبد من مولاه ما هو
طالبه منه من استقامة ظاهره بالنهوض الى كمال الطاعات وا
والحزن على ما سلف من الغفلات واستقامة باطنه بمعرفة معبوده
والفنا فى شهوده فيكون ظاهره قائما بوظائف العبودية وبا
وباطنه متحققا بحقوق الربوبية ثم اذا احس باجابة المطلب
وحصول المنى والمرغب فرح قلبه وانبسطت روحه حيث شمت
نسيم الاقبال وروح الوصال فربما يقبضها البسط عن
شهود مولاها فيخرجها منه الى القبض ثم يرحلها عنهما
اليه كما اشار الشيخ الى ذلك بقوله بسطك كى لا يبقيك
مع القبض وقبضك كى لا يتركك مع البسط و
واخرجك عنهما كى لا تكون لشئ دونه قلت البسط
فرح يعترى القلوب او الارواح اما بسبب شهود قرب الحبيب

اوشهود

اوشهود جماله او بكشف الحجاب عن اوصاف كماله وتجلى
ذاته او بغير سبب والقبض حزن وضيق يعترى القلب
اما بسبب فوات مرغوب او عدم حصول مطلوب او بغير سبب
وهما يتعاقبان على السالك تعاقب الليل والنهار فالعوام
اذا غلب عليهم الخوف انقبضوا واذا غلب عليهم الرجاء د
انبسطوا والخواص اذا تجلى لهم بوصف الجمال انبسطوا
واذا تجلى لهم بوصف الجلال انقبضوا وخواص الخواص
استوى عندهم الجلال والجمال فلا تغيرهم واردات الاحوال
لانهم بالله ولله لا لشئ سواه فالاولون ملكتهم الاحوال
وخواص الخواص مالكون الاحوال فمن لطفه بك ايها
السالك اخراجك من الاغيار ودفعك الى حضرة الاسرار
فاذا اخذك القبض وتمكن منك الخوف وسكنت تحت قهره
وانست بامره اخرجك الى البسط لئلا يحترق قلبك
ويذوب جسمك فاذا احبسك البسط وفرحت به وانست
بجماله قبضك لئلا يتركك مع البسط فتنسى الادب
وتجر الى العطب اذ لا يقف مع النبسط الادب فى البسط الا القليل
هكذا يسيرك بين شهود جلاله وجماله فاذا شهدت
اثر وصف الجلال انقبضت واذا شهدت اثر وصف الجمال
انبسطت ثم يفتح لك الباب ويرفع بينك وبينه
الحجاب فتتنزه فى كمال الذات وشهود الصفات فتغيب
عن اثر الجلال والجمال بشهود الكبير المتعال فلا جلاله يحجبك
عن جماله ولا جماله يحجبك عن جلاله ولا ذاته تحجبك
عن صفاته ولا صفاته تحجبك عن ذاته تشهد جماله

في جلاله وجلاله في جماله وتشهد ذاته في صفاته
وصفاته في ذاته اخرجك عن شهود اثر الجلال
والجمال لتكون عبد الله في كل حال اخرجك عن كل شيء
لتكون حرا من كل شيء وعبدا لله في كل شيء وانشدوا

حرام على من وحد الله ربه ۝ وافرده ان يجتدي احدا رفدا
فيا صاحبي قف بي على الحق وقفة ۝ اموت بها وجدا واحيا بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها ۝ فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

قال فارس رضي الله عنه القبض اولا ثم البسط ثانيا ثم
لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط لمعان في الوجود
واما مع الفناء والبقاء فلا اه واعلم ان القبض والبسط لهما
ءاداب فاذا اساء فيهما الادب طرد الى الباب او الى سياسة
الدواب فمن ءاداب القبض الطمانينة والوقار والسكون
تحت مجاري الاقدار والرجوع الى الواحد القهار فان القبض
شبيه بالليل والبسط شبيه بالنهار ومن شان الليل الرقاد
والهدو والسكون والخفوت فاصبر ايها المريد واسكن تحت
ظلمة ليل القبض حتى تشرق عليك شموس نهار البسط
اذ لا بد لليل من تعاقب النهار ولا بد للنهار من تعاقب
الليل يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل هذا اذا
القبض الذي لا تعرف له سببا واما ان عرفت له سببا
فارجع فيه الى مسبب الاسباب ولذ بجانب الكريم الوهاب
فهل عودك الا حسنا وهل اسدى اليك الا امتنانا فالذي
واجهتك منه الاقدار هو الذي عودك حسن الاختيار
فالذي انزل الداء هو الذي بيده الشفاء يا مهموما بنفسه
لو القيتها

لو القيتها الى الله لاسترحت مما تجده القلوب من الاحزان
فلاجل ما منعته من الشهود والعيان والحاصل ان سبب
القبض انما هو النظر للسوى والغفلة عن المولى واما
اهل الصفا فلا يشهدون الا الصفا ولذلك كان عليه
الصلاة والسلام يقول من اصابه هم او غم فليقل الله الله
لا اشرك به شيئا فان الله يذهب همه وغمه او كما قال عليه
السلام والحديث صحيح فانظر كيف دل عليه الصلاة والسلام
المقبوض الى الدواء وهو شهود التوحيد والغيبة عن الشرك
فدلنا صلى الله عليه وسلم على القول والمراد منه المعنى
فكانه قال اعرفوا الله ووحدوه ينقلب قبضكم بسطا وغمكم
نعمة وكذلك في حديث ءاخر قال ما قال احد اللهم
اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي
بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسألك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته
في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت
به في علم الغيب عندك ان تجعل القرءان العظيم
ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب
همي الا اذهب الله همه وغمه وابدل مكان
همه فرحا وسرورا فدلهم اولا في الحديث الاول
على شهود الربوبية وفي الحديث الثاني على القيام
بوظائف العبودية وهو الصبر والرضى اذ من
شان العبد ان يصبر على احكام سيده ويرضى
ويسلم لما يجريه عليه من اوصاف قهره ومن ءاداب

البسط كف الجوارح عن الطغيان وخصوصا جارحة اللسان
فان النفس اذا فرحت بطرحت وخفت ونشطت فربما
تنطق بكلمة لا تلقى لها بالا فتسقط في مهاوى الـ
القطيعة بسبب سوء ادبها ولذلك كان البسط مزلة
اقدام فاذا احس المريد بالبسط فليلجم نفسه بلجام الصمت
وليتحل بحلية السكينة والوقار وليدخل خلوته وليلتزم
بيته فمثل الفقير في حالة البسط والقوة كقدر غلى وفار
فان تركه يغلى اهراق ادامه وبقى شاحتا وان كفه واخمد
ناره بقى ادامه تاما كذلك الفقير في حالة القوة والبسط
يكون نوره قويا وقلبه مجموعا فاذا تحرك وبسط تشعشع
قوته برد ورجع لضعفه وما ذلك الا لسوء ادبه والله
تعالى اعلم ولاجل هذا كان العارفون من البسط اكثر من
القبض كما نبه عليه بقوله **العارفون اذا بسطوا اخوف
منهم اذا قبضوا** قلت كل من فتح عليه في شهود المعاني
فهو عارف فان تمكن من شهود المعنى على الدوام فهو
واصل متمكن والا فهو سائر وانما كان العارف اذا انبسط
اخوف منه اذا انقبض لان القبض من شانه ان يقبض
النفس عن حظوظها ومن شانه ايضا السكون والسكون كله
ادب ومن شان البسط ان يبسط النفس وينشطها فربما
تبطش لما فيه حظها فتزل قدم بعد ثبوتها بسبب قلة
ادبها ولذلك قال **ولا يقف على حدود الادب في البسط
الا قليل** قلت وهم اهل الطمانينة والتمكين لانهم
كالجبال الرواسي لا يحركهم قبض ولا بسط فهم مالكون للاحوال
لا يخرجهم

١٠٦

لا يخرجهم القبض ولا البسط عن حالة الاعتدال بخلاف السائرين
وان كانوا عارفين فانهم ربما تؤثر فيهم الواردات فيرد
عليهم وارد البسط فيخرجهم عن حد الادب وقد قيل قف
على البساط واياك والانبساط **وقال** لابي محمد الحريري
رضي الله عنه كنت على بساط الانس وفتح على طريق
البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل اليه دلني
على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد وقال يا اخي الكل
في قهر هذه الخطة لكني انشدك ابياتا لبعضهم وانشا
يقول قف بالديار فهذه اثارهم ٭ تبكي الاحبة حسرة وتشوقا ٭
٭ كم قد وقفت بربعها مستخبرا ٭ عن اهلها او سائلا او مشفقا ٭
٭ فاجابني داعي الهوى في رسمها ٭ فارقت من تهوى فعز الملتقى
ثم علل عدم الوقوف على حدود الادب في البسط فقال **البسط
تاخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض
لا حظ للنفس فيه** قلت لان البسط جمال والقبض جلال
ومن شان الجمال ان ياتي بكل جمال واين هو الجمال
ثم هو عين الجلال اين هو حبيبك ثم هو عدوك اين
هو الربح ثم هو الخسارة ومعنى ذلك ان الموضع الذي
تحيى به النفس يموت به القلب والموضع الذي تموت
فيه النفس يحيى به القلب والروح ولذلك قال ابن الفارض
رضي الله عنه الموت فيه حياتي ٭ وفي حياتي قتلي ٭
وقال الششتري رضي الله عنه ٭
٭ ان ترد وصلنا فموتك شرط ٭ لا ينال الوصال من فيه فضله ٭
وكتب يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله الى الجنيد رضي الله عنه

لا اذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها
خيرا ابدا اه وقال ابو على الدقاق رضى الله عنه القبض
حق الحق منك والبسط حظك منه ولأن تكون بحق
ربك اولى من ان تكون بحظ نفسك اه وهذا كله فى حق
السائرين واما الواصلون المتمكنون فلا يؤثر فيهم
جلال ولا جمال ولا يحركهم قبض ولا بسط كما تقدم
لانهم بالله ولله ومن الله والى الله بالله تصرفهم
ولله عبوديتهم ومن الله ورودهم والى الله صدورهم
لانهم لله لا لشئ دونه قال الجنيد رضى الله عنه الخوف
يقبضنى والرجاء يبسطنى والحقيقة تجمعنى والحق يفرقنى
اذا قبضنى بالخوف افنانى عنى واذا بسطنى بالرجاء ردنى
على واذا جمعنى بالحقيقة احضرنى واذا فرقنى بالحق اشهد
غيرى فغطانى عنه فهو فى كل ذلك محركى غير ممسكنى
وموحشى غير مؤنسى بحضورى لذوق طعم وجودى
فليته افنانى عنى فمتعنى او غيبنى عنى فروحنى اه قوله
رضى الله عنه الخوف يقبضنى لان العبد فى حالة الخوف
يشهد ما منه الى الله من الاساءة فينفتح له باب الحزن
وفى حالة الرجاء يشهد ما من الله اليه من الاحسان
فينفتح له باب الرجاء والبسط وقوله والحقيقة تجمعنى
اى تفنينى عن تفنينى عن نفسى وتجمعنى به فلا تشهد
الا ما من الله الى الله فلا قبض ولا بسط وقوله والحق
يفرقنى المراد بالحق الحقوق اللازمة للعبودية فلا ينهض
اليها الا بشهود نوع من الفرق وان كان نهوضه بالله

وقوله

١٠٧

وقوله اذا قبضنى بالخوف افنانى عنى اى اذا تجلى لى باسمه الجليل
ذاب جسمى من هيبة المتجلى واذا بسطنى بالرجاء بان تجلى لى
باسمه الجميل او الرحيم رد نفسى ووجودى على واذا جمعنى اليه
بشهود الحقيقة احضرنى معه بزوال وهمى واذا فرقنى بالحق الذى
اوجبه على للقيام بوظائف حكمته اشهدنى غيرى حتى يطهر
الادب منى معه وقد يقوى الشهود فلا يشهد الادب الا منه اليه
وقوله فغطانى عنه لان العبد فى حالة النزول الى سماء الحقوق
او ارض الحظوظ قد يرجع لمقام المراقبة لكنه غير لازم وسيأتى
للمؤلف بل نزلوا فى ذلك بالله ومن الله والى الله فعلى هذا
فلا تغطية للعبد فى حالة النزول للحق اصلا وقوله فهو فى كل
ذلك محركى غير ممسكنى يعنى ان الحق تعالى حين يقبضه بالخوف
او يبسطه بالرجاء او يجمعه بالحقيقة او يفرقه بالحق
هو محرك له ليسيره اليه ويحوشه اليه غير ممسك له فى مقام
واحد وموحشه عن عوالم نفسه غير مؤنس له بها بسبب
حضوره مع عوالمه البشرية فيذوق طعم وجودها فاذا
غيبه عنه عرف قدر ما من به عليه ولذلك قال فليته افنانى
عنى اى عن رؤية وجودى فمتعنى بشهوده او غيبنى
عن حسى فروحنى من الحقوق التى تفرقنى عنه باسقاطها
عنى فى حالة الغيبة وكأنه مال الى طلب السلامة خوفا
من الوقوع فيما يوجب الملامة وان كان الكمال هو الجمع بين
العبودية وشهود الربوبية والله تعالى اعلم ثم ذكر اسباب
القبض والبسط وهو العطاء والمنع فى الغالب فقال ربما
اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك قلت

عليه
ايميرده

الغالب على النفس الامارة واللوامة ان تنبسط بالعطاء وتنقبض
بالمنع لان فى العطاء متعتها وشهوتها فلا جرم انها تنبسط
بذلك وفى المنع قطع موادها وترك حظوظها ولا شك
انها تنقبض بذلك وذلك لجهلها بربها وعدم فهمها
فلو فهمت عن الله لعلمت ان المنع عين العطاء والعطاء عين
المنع كما يأتى فافهم ايها الفقير عن مولاك ولا تتهمه فيما
به اولاك فربما اعطاك ما تشتهيه النفوس فمنعك بذلك
حضرة القدوس وربما منعك ما تشتهيه نفسك فيتم
بذلك حضورك وانسك ربما اعطاك متعة الدنيا وزهرتها
فمنعك جمال الحضرة وبهجتها وربما منعك زينة الدنيا
وبهجتها فاعطاك شهود الحضرة ونظرتها ربما اعطاك قوت
الاشباح فمنعك قوت الارواح وربما منعك من قوت الاشباح
فمتعك بقوت الارواح ربما اعطاك اقبال الخلق فمنعك من
اقبال الحق وربما منعك من اقبال الخلق فاعطاك الانس بالملك
الحق ربما اعطاك الفهوم وفتح لك مخازن الفهوم فحجبك بذلك
عن شهود المعلوم ومعرفة الحى القيوم وربما منعك من كثرة
العلوم واعطاك الانس بالحى القيوم فاحطت بكل مجهول ومعلوم
ربما اعطاك عز الدنيا ومنعك عز الاخرة وربما منعك
من عز الدنيا واعطاك عز الاخرة ربما اعطاك التعزز
بالخلق ومنعك من التعزز بالحق وربما منعك من التعزز
بالخلق واعطاك التعزز بالملك الحق ربما اعطاك خدمة
الكون فمنعك من شهود المكون وربما منعك من خدمة
الكون فمنعك من شهود المكون وربما منعك من خدمة الكون
واعطاك شهود المكون ربما اعطاك التصرف فى الملك ومنعك
دخول

١٠٦

دخول الملكوت وربما منعك من التصرف فى الملك ومنحك
شهود الملكوت ربما اعطاك انوار الملكوت فمنعك الترقى
الى بحر الجبروت وربما حجب عنك انوار الملكوت فاعطاك
الدخول الى حضرة الجبروت ربما اعطاك القطبانية
ومنعك التمتع بشهود الفردانية وربما منعك القطبانية نية
ومتعك بشهود سر الوحدانية الى غير ذلك مما لا يحصيه
الا علام الغيوب قال ابن العربى الحاتمى رضى الله عنه
اذا منعت فذاك عطاؤه واذا اعطيت فذاك منعه فا
فاختر الترك على الاخذ اه وشاهده قوله تعالى
وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم الاية فاذا فهمت هذا
علمت ان المنع هو العطاء كما بينه بقوله متى فتح لك
باب الفهم فى المنع عاد المنع هو عين العطاء
قلت اذا فهمت ايها العبد عن الله بعد تحققك
برحمته ورافته وكرمه وجوده ونفوذ قدرته واحاطة
علمه علمت انك اذا سألته شيئا او هممت بشئ
او احتجت الى شئ فمنعك منه فانما منعك ذلك
رحمة بك واحسانا اليك اذ لم يمنعك من بخل ولا عجز
م ولا جهل ولا غفلة وانما ذلك حسن نظره اليك وانما
لنعمته عليك لكونه انعم نظرا واحمد عاقبة فعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو
شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فربما اردنا امرا
ظننا انه لنا فكان علينا وربما اتت الفوائد من وجوه
الشدائد والشدائد من وجوه الفوائد وربما كمنت

المنن في المحن والمحن في المنن وربما انتفعنا على ايدي
الاعداء واوذينا على ايدي الاحباء وربما تاتي المسار من حيث
المضار وقد تاتي المضار من حيث المسار ولابي الحسن
الشاذلي رضي الله عنه في حزبه اللهم انا قد عجزنا عن دفع
الضر عن انفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك
من حيث لا نعلم بما لا نعلم فمتى فتح لك ايها المريد باب
الفهم عنه في المنع وعلمت ما فيه من الشر والخير وحسن
النظر لك عاد المنع في حقك هو عين العطاء **ومثال ذلك**
كصبي راى طعاما حسنا او حلواء او عسلا وفيه سم وابوه
عالم بما فيه فكلما بطش الصبي لذلك الطعام رده ابوه
فالصبي يبكي عليه لعدم علمه وابوه يرده بالفهم لوجود
علمه فلو عقل الصبي ما فيه ما بطش اليه ولعلم نصح
ابيه وشدة رافته به ومثال اخر كرجل صنع طعاما
جيدا وعمل فيه بصاقا ومخاطا او قذرا واتى به لمن لا يعرفه
فكل من راه ولم يعرف ما فيه بطشت نفسه اليه فلو علم
ما فيه ما بطشت نفسه فاذا نهاه عنه من علم ما فيه
اتهمه لعدم فهمه كذلك يبطش للدنيا او الرياسة
او غير ذلك مما فيه ضرره فيمنعه الحق تعالى منه رحمة
به وشفقة عليه واعتناء به فاذا فهم عن الله سلم
الامر الى مولاه ولم يتهمه فيما ابرمه وقضاه واذا لم يفهم
عن الله تحسر وربما سخط فاذا انكشف له سر ذلك
بعد علم ما كان في ذلك من الخير لكن فاتته درجة
الصبر لقوله عليه السلام انما الصبر عند الصدمة الاولى
وانظر

وانظر قضية الرجل الذي كان يسكن في البادية وكان
من العارفين فاتفق له ذات يوم ان مات حماره وكلبه وديكه
فاتى اليه اهله فقالوا له حين مات الحمار مات حمارنا فقال خير
ثم قالوا مات الكلب فقال خير ثم قالوا له مات الديك فقال
خير فغضب اهل الدار وقالوا اي خير في هذا امتاعنا ذهب
ونحن ننظر فاتفق ان بعض العرب ضربوا على ذلك الحي في
تلك الليلة فاجتاحوا كل ما فيه وكانوا يستدلون على ذلك
الخيام بنهيق الحمير ونباح الكلاب وصراخ الديكة فاصبحت
خيمته سالمة اذ لم يكن يقي من يفضحها فانظر كيف كان حسن
نظر الحق لاوليائه وحسن تدبيره لهم وكيف فهم الرجل العارف
ما في ذلك من السر في اول مرة فهذا هو الفهم عن الله رزقنا
الله من ذلك الحظ الاوفر امين **قال الشبلي** الصوفية اطفال
في حجر الحق تعالى اه يعني انه يتولى حفظهم وتدبيرهم على وتدبيرهم
ما فيه صلاحهم ولا يكلهم الى انفسهم والله تعالى اعلم وسبب
عدم الفهم عن الله هو الوقوف مع ظواهر الاشياء دون
النظر الى بواطنها كما ابان ذلك بقوله **الاكوان ظاهرها**
غرة وباطنها عبرة قلت الغرة بكسر الغين وقوع الغرور
وانما كانت الاكوان ظاهرها غرة لوجهين احدهما ما جعل
الله سبحانه على ظاهرها حسنها من البهجة وحسن المنظر
وما تشتهيه النفوس من انواع المآكل والمشارب والملابس
والمراكب وشهوة المناكح والمساكن والبساتين والرياضات
وكثرة الاموال والبنين وكثرة الاصحاب والعشائر والاجناد
والعساكر وغير ذلك من بهجتها وزهرتها وزخرفها فانكب

جل الناس على الاشتغال بجمعها وتحصيلها والجري عليها
الليل والنهار والشهور والاعوام حتى هجم عليهم هاذم
اللذات فاعقبهم الندم والحسرات ولم ينفع الندم وقد جف
القلم سافروا بلا زاد وقدموا على الملك بلا تأهب ولا استعداد
فاستوجبوا من الله الطرد والبعاد ولاجل هذا حذر الله
سبحانه من غرورها وزخرفها والوقوف مع ظاهرها قال تعالى
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الاية
ثم قال قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة
ورضوان من الله والله بصير بالعباد وقال تعالى انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا اي لنختبرهم
ايهم ازهد فيها وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة — أي اصنافا منهم صح
الدنيا لنفتنهم فيه **وسئل** رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال الذين
نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها واهتموا
بآجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها فأماتوا منها ما خشوا
ان يميتهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فما عارضهم
من نائلها عارض الا رفضوه ولا خادعهم من رفعتها
خادع الا وضعوه خلقت الدنيا في قلوبهم فلم يجددوها
وخربت بينهم فما يعمرونها وماتت في صدورهم فما يحيونها — بنيانهم
بل يهدمونها فيبنون بها اخرتهم ويبيعونها يشترون
بها ما يبقى لهم ونظروا الى اهلها صرعى قد خلت بهم
المثلات

المثلات فما يرون اماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دون
ما يحذرون اهـ **وقال علي** كرم الله وجهه فيما كتبه الى سلمان
الفارسي رضي الله عنه انما مثل الدنيا كمثل الحية لين
مسها قاتل سمها فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة
ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها
وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحبها
كلما اطمأن فيها الى سرور اشخص منها الى مكروه
اهـ فقد جعل الحق سبحانه هذه الاكوان وهي الدنيا
وما اشتملت عليه ظاهرها فتنة وباطنها عبرة فمن
وقف مع ظاهرها كان مغروراً ومن نفذ الى باطنها
كان عند الله مبروراً فاهل الغفلة والبطالة وقفوا
مع متعة عاجلها وبهجة ظاهرها فغرتهم بزخرفها
وخدعتهم بغرورها حتى اخذتهم بغتة واهل ال
اليقظة والحزم نفذوا الى باطنها فعرفوا سرعة
ذهابها وقلة بقائها فاشتغلوا بجمع الزاد وتأهبوا
ليوم المعاد اولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وكان السلف الصالح اذا اقبلت الدنيا قالوا ذنب
عجلت عقوبته واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار
الصالحين **الوجه** الثاني انما جعل الله سبحانه الاكوان
ظاهرها غرة تغطية لسره واظهاراً لحكمته وذلك
ان الحق سبحانه لما تجلى في مظاهر خلقه غطى سره
بظهور حكمته **او تقول** الاكوان ظاهرها ظلمة وباطنها
وباطنها نور فمن وقف مع الظلمة كان محجوبا ومن

نفذ الى شهود النور كان عارفا محجوبا او تقول الاكوان
ظاهرها حس و باطنها معنى فمن وقف مع الحس كان
جاهلا ومن نفذ الى المعنى كان عارفا او تقول الاكوان
ظاهرها ملك وباطنها ملكوت فمن وقف مع الملك
كان من عوام اهل اليمين ومن نفذ الى شهود الملكوت
كان من خواص المقربين وقد اشرت الى ذلك فى قصيدتى
التائية حيث قلت

اذا حبست نفس فى سجن الهوى الذى ، تقيد به العقل فى قهر قبضة
واشغلها علم الصواب لحكمة ، فلم تر الا الكون فى كل وجهة
فذلك عين الملك وهم ثبوته ، وناظره محجوب فى سجن ظلمة
وان نفذت روح المقدس سره ، الى درك نور الحق فاض بقدرة
فذا ملكوت الله يسمى لوسعه ، وعارفه يحظى بفتح بصيرة

اهـ والله تعالى اعلم ثم بين الشيخ الواقف مع الظواهر والنافذ
الى البواطن فقال فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب
ينظر الى باطن عبرتها قلت انما كانت النفس تنظر الى
ظاهر غرتها لما فيها من متعة شهوتها وحظوظها فلا يخرجها
عن ذلك الا شوق مقلق او خوف مزعج او عناية ربانية اما
بواسطة شيخ كامل له اكسير يقلب به الاعيان او بغير واسطة
والله ذو الفضل العظيم وانما كان القلب ينظر الى باطن
عبرتها لما فيه من نور العرفان الذى يفرق بين الحق والبا
والباطل ويميز بين النافع والضار وهو ثمرة التقوى
والتصفية او تقول لما فيه من عين البصيرة التى لا ترى الا
المعانى بخلاف عين البصر لا ترى الا الحس فتحصل ان اهل

النفوس

هذا البيت كذا ولعله
اذا حبست نفس بسجن الهوى الذى
تقيد فيه العقل فى قهر قبضة
وناظره المحجوب فى

النفوس وقفوا مع ظواهر الاشياء واغتروا بعاجلها ولم يهتموا
بآجلها فحجبوا عن العمل وغرهم الامانى وطول الامل وفى
مثلهم ورد الخبر عن سيدنا عيسى عليه السلام كان يقول
ويلكم علماء السوء مثلكم كمثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها
نتن اهـ والحش هو بيت الخلاء واهل القلوب لم يقفوا مع ظواهر
الاشياء بل نفذوا الى بواطنها واهتموا بآجلها ولم يغتروا
بعاجلها فاشتغلوا بالجد والاجتهاد واخذوا فى الاهبة
والاستعداد وهم العباد والزهاد واهل الارواح والاسرار
لم يقفوا مع الاكوان لا ظاهرها العاجل ولا باطنها الآجل
بل نفذوا الى نور المكون فاشتغلوا بتطهير القلوب والتاهب
لحضرة علام الغيوب حتى صلحوا للحضرة وتنزهوا فى رياض
الفكرة والنظرة اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون
اولئك المقربون فى جنات النعيم فى مقعد صدق عند
مليك مقتدر جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وهولاء ومن تعلق
بهم هم الاعزاء عند الله تعززوا بطاعة العزيز فعزهم
العزيز كما اشار الى ذلك بقوله ان اردت ان يكون لك
عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى قلت العز الذى لا يفنى
هو العز بالله والعز بطاعة الله او بالقرب ممن تحقق عزه
بالله فالعز بالله يكون بتعظيمه واجلاله وهيبته ومحبته
ومعرفته وحسن الادب معه فى كل شئ وعلى كل حال ويكون
بالرضى باحكامه والخضوع تحت قهر جلاله وكبريائه
وبالحياء والخوف منه ويكون بالذل والانكسار كما قال الشاعر

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة ، فكم عزة قد نالها المرء بالذل

فاعزهم

اذا كان من تهوى عزيزا ولم تكن ذليلا له فاقر السلام على الوصل
وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول قال الشيخ ابو الحسن
الشاذلى رضى الله عنه والله ما رايت العز الا فى الذل
وقال شيخ شيخنا مولاى العربى وانا اقول والله ما رايت
الذل الا فى الفقر يعنى ان الشيخ فسر الذل بالفقر اذ لا
يتحقق ذل الانسان الا بالفقر فهو ذل الذل لان النفس
تموت بالفقر ولا يبقى لها عرق اصلا والله اعلم واما العز
بطاعة الله فهو بالمبادرة لامتثال امره واجتناب نهيه
والاكثار من ذكره وبذل المجهود فى تحصيل بره واما العز
بالقرب ممن تحقق عزه بالله فيكون بصحبتهم ومحبتهم
وتعظيمهم وخدمتهم وحسن الادب معهم وهذا فى التحقيق
يرجع الى التعزز بالله لكونه وسيلة اليه فاذا تحقق عزه ما
بالله استغنى بعز الله عن عز غيره فمن حصل هذا العز وتحقق
به فقد تعزز بعز لا يفنى ابدا ينسحب عليه وعلى اولاده وا
واولاد اولاده الى يوم القيمة قال ^تعالى صح^ من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا وقال تعالى ومن يتولى الله ورسوله والذين
امنوا فان حزب الله هم الغالبون والمراد بالذين
امنوا هم الاولياء اهل الايمان الكامل وقال تعالى ولله
العزة ولرسوله وللمومنين ولكن المنافقين لا يعلمون
وقال سيدنا على كرم الله وجهه من اراد الغنى بغير
مال والكثرة بغير عشيرة فلينتقل من ذل المعصية الى عز
الطاعة اه فمن تحقق عزه بالله لم يقدر احد ان يذله
وانظر قضية الرجل الذى امر لها رون الرشيد بالمعروف
تحنق

تحنق عليه فقال اربطوه مع بغلة سيئة الخلق لتقتله
فلم تقض فيه شيئا ثم قال اسجنوه وطينوا عليه البيت
ففعلوا فرئى فى بستان فاتى به فقال له من اخرجك
من اخرجك من السجن فقال الذى ادخلنى البستان
فقال ومن ادخلك البستان فقال الذى اخرجنى من
السجن فعلم هارون انه لم يقدر على ذله فامر هارون
ان يركب على دابة وينادى عليه الا ان هارون اراد
ان يذل عبدا اعزه الله فلم يقدر اه واما التعزز بالعز الذى
يفنى فهو التعزز بالمخلوق كتعزز ملوك الجور ومن انتسب
اليهم بكثرة الاتباع والاجناد وبالعصى والقهر وكالتعزز بالاموال
والجاه فى غير محله والرياسة وغير ذلك مما ينقطع ويبيد
ويفنى فمن تعزز بهذا امات عزه واتصل ذله فان التعزز
بالمخلوق قطعا يعقبه الذل عاجلا واجلا وانظر قضية
الرجل الذى تكبر فى الحرم فصار بعد ذلك يتكفف الناس وقال
انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى فى موضع
يرتفع فيه الناس ذكر القضيتين فى التنبيه ويقال لمن تعزز
بالمخلوق انظر الى الملك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم
لننسفنه فى اليم نسفا ودخل عارف على رجل يبكى فقال له
وما يبكيك فقال له مات استاذى فقال له ولم جعلت
استاذك من يموت فنبهه على رفع همته وانفاذ بصيرته
وقد مات شيخه قبل ان يرشد والله تعالى اعلم فان اردت
ايها المريد ان يكون لك عز لا يفنى فاستعز بالله وبطاعة
الله وبالقرب من اولياء الله ولا تستعز بعز مخلوق يفنى فان

ودخل

من تعزز بمن يموت مات عزه قال تعالى ايبتغون
عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقال ابو العباس
المرسى رضى الله عنه والله ما رايت العز الا فى رفع
الهمة عن الخلق **تنبيه وارشاد** اعلم ان سبب العز
الذى يعطيه الله لاوليائه هو حبه لهم فالعز نتيجة
الحب ففى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل ان الله يحب
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل فى السموات
ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع
له القبول فى الارض فيحبه اهل الارض وفى رواية يلقى
له القبول فى الماء فيشربه الناس فيحبونه جميعا او كما
قال عليه السلام وسبب حب الله للعبد هو زهده فى الدنيا
ففى حديث الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ازهد فى الدنيا يحبك الله ازهد فيما فى ايدى
الناس يحبك الناس ثم اعلم ان هذا العز الذى يعطيه الله
لاوليائه لا يكون فى بدايتهم ولا فى اول امرهم لئلا يفتنهم
الخلق عن الوصول الى الحق بل من لطف الله بهم واغارته عليهم وغيرته
ان ينفر عنهم الخلق او يسلطهم عليهم حتى يتخلصوا من رق
الاشياء ويتحققوا بالوصول والتمكين فحينئذ ان شاء اظهر
عزهم لينفع بهم عباده ويهدى بهم من شاء من خلقه
وان شاء اخفاهم واستاثر بعزهم حتى يقدموا عليه
فينشر عزهم ويظهر مكانتهم فى دار لا فناء لها وسياتى
الكلام على هذا فى محله ان شاء الله ثم ذكر الشيخ سبب
العز

١١٧

العز الذى لا يفنى وهو الزهد فى الدنيا كما ذكرنا فقال **الطى
الحقيقى ان تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الاخرة
اقرب اليك منك** قلت الطى هو اللف والضم بحيث يصير
الطويل قصيرا والكبير صغيرا يقال طويت الثوب اى ضممته
وينقسم عند الصوفية الى اربعة اقسام طى الزمان وطى المكان
وطى الدنيا وطى النفوس فاما طى الزمان فهو ان يقصر
فى موضع ويطول فى موضع اخر كمن عليه سنون فى موضع
وفى موضع اخر ساعة او يوم **كالرجل الذى** خرج يغتسل فى الفرات
يوم الجمعة قرب الزوال فلما فرغ من غسله لم يجد ثيابه فسلك طريقا
حتى دخل مصر فتزوج فيها وولد له اولاد وبقى سبع سنين ثم
ذهب يغتسل يوم الجمعة بنيل مصر فلما فرغ فاذا ثيابه الاولى
فسلك طريقا فاذا هو ببغداد قبل صلاة الجمعة من ذلك اليوم
الذى خرج فيه والحكاية مطولة للفرغانى فى شرح التائية
واما طى المكان فمثاله ان يكون بمكة مثلا فاذا هو بغيرها
من البلدان وهذا مشهور لاولياء الله قال الشيخ ابو العباس رضى
ما سار الله عنه والله ما صار الاولياء من قاف الى قاف حتى يلقوا رجلا
مثلنا فاذا لقوه كان بغيتهم **واما** طى الدنيا فهو ان تطوى
عنك مسافتها بالزهد فيها والغيبة عنها وحصول اليقين التام
فى قلبك حتى يكون الامر عندك واقعا او كالواقع وسياتى للشيخ
لو اشرق نور اليقين فى قلبك لرايت الاخرة اقرب من ان ترحل
اليها ولرايت الدنيا وكسفة الفناء ظاهرة عليها وسياتى تتمة
الكلام على هذه الحكمة ثم ان شاء الله **واما** طى النفوس
فهو بالغيبة فى الله عنها ولذلك يتحقق الزوال وتمام الوصال

وقد ذكره الشيخ بقوله فيما ياتى ليس الشان ان تطوى لك
الارض فاذا انت بمكة او غيرها من البلدان انما الشان ان تطوى
عنك اوصاف نفسك فاذا انت عند ربك اه وهذا هو الطى الحقيقى
المعتبر عند المحققين لا طى الزمان او المكان اذ قد يكون اسد
استدراجا ومكرا او تخيلا وسحرا فالطى الحقيقى هو ان تطوى
عنك مسافة الدنيا كلها حتى تكون الموت اقرب اليك من نفسك
التى بين جنبيك وكما قال الصديق رضى الله عنه
كل امرئ مصبح فى اهله ، والموت ادنى من شراك نعله ،
وحتى ترحل عنها بالكليه فلا تبقى فيك منها بقية هنالك ترحل
الى عالم الملكوت وتكشف لك اسرار الجبروت وقد قيل فى قوله عليه
السلام الدنيا خطوة مؤمن بمعنى انه يتخطاها بالزهد فيها
وقال بعضهم لا تعجبوا ممن يدخل يده فى جيبه فيخرج ما يريد
ولكن تعجبوا ممن يضع يده فى جيبه ولم يجد شيئا ولم يتغير
وقيل لابى محمد المرتعش ان فلانا يمشى على الماء قال عندى من
مكنه الله من مخالفة هواه فهو اعظم من المشى على الماء وفى الهواء
اه ومخالفة الهوى انما تكون بالزهد فى كل شيء والغيبة عن كل
شيء وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول لا تفرحوا بالفقير
اذا رايتموه يصلى كثيرا ويذكر كثيرا ويصوم كثيرا ويعتزل كثيرا
حتى تروه زهد فى الدنيا ورحل عنها ولم يبق له التفات اليها
فحينئذ يفرح به ولو قلت صلاته وصيامه وذكره وعزلته **قلت**
ومثل هذا تقدم فى قوله ما قل عمل برز من قلب زاهد وكذلك
قال فى التنوير لا يدل على فهم العبد كثرة علمه ولا مداومته على
ورده وانما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه اليه
بقلبه

بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن
الاعمال وتزكو الاحوال اه فما قاله شيخ شيخنا صحيح لكن لا يفهمه
الا اهل الفن من اهل الذوق اذ لا تجتمع مجاهدة ومشاهدة وانما
تكون المجاهدة اولا فاذا حصلت المشاهدة فى الباطن ركدت الجوارح
فى الظاهر وما بقى الا فكرة او نظرة والادب مع الحضرة وربما يعترض
على الشيخ من لم يعرف مقصوده من جهلة علم الطريق وبالله
التوفيق وانما يتحقق طى مسافة الدنيا بتحقق الزهد فيها
ولا يتحقق الزهد فيها الا برفع الهمة عن الخلق والتعلق بالملك
الحق وبالاياس مما فى ايدى الناس كما ابان ذلك بقوله
العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان قلت انما
كان العطاء من الخلق حرمانا لثلاثة اوجه احدها ما فى ذلك
من حظها وفرحها والتوصل الى شهواتها وحظوظها وفى
ذلك موت القلب وقسوته **الوجه** الثانى ما فى ذلك
من نقص الدرجات والغض عن كمال المراتب والمقامات
ولذلك ترك الاكابر التمتع بالشهوات لقوله تعالى
اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وقد يتعرض المريد
للسؤال لاجل موت نفسه وحياة روحه فاذا اكثر عليه
العطاء من الخلق فرحت النفس وانست فلا تموت به
سريعا بخلاف ما اذا واجهه المنع فانها تموت سريعا
اذ لا حظ لها فيه فالجهاد الذى لا غنيمة فيه اعظم من
الجهاد الذى فيه الغنيمة **فقد ورد** فى الحديث الصحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا خرجت
طائفة للغزو فجاهدوا وغنموا فقد تعجلوا ثلثى اجرهم

واذا لم يغنموا رجعوا باجرهم كاملا اوكما قال صلى الله عليه
وسلم **الوجه** الثالث ما فى ذلك من الركون اليهم وميل
القلب بالمحبة لهم اذ النفس مجبولة على حب من احسن
اليها فتسترق لهم وتكون اسيرة فى ايديهم **وفى وصية**
سيدنا على كرم الله وجهه لا تجعل بينك وبين الله
منعما وعد نعمة غيره عليك مغرما وانشد رضى الله عنه

لعمرك من اوليته منك نعمة ، ومد لها كفا فانت اميره
ومن كنت محتاجا اليه فانه ، اميرك تحقيقا وانت اسيره
ومن كنت عنه ذا غنا وهو مالك ، ازمة اهل الدهر انت نظيره
فعش قانعا ان القناعة للفتى ، غناء وهذا مقتضى ما اشيره

وقال الاخر فلا البس النعما وغيرك ملبسي ، ولا املك الدنيا وغيرك واهبي

وقال شيخ شيوخنا ومادة طريقنا بعد نبينا مولاى عبد
السلام بن مشيش رضى الله عنه لابى الحسن رضى الله عنه
يا ابا الحسن اهرب من خير الناس اكثر من ان تهرب من
شرهم فان خيرهم يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك
فى بدنك ولان تصاب فى بدنك خير من ان تصاب
فى قلبك ولعدو تصل به الى ربك خير من حبيب يقطعك
عن ربك اه **وقال** بعضهم عز النزاهة اكمل من سرور الفائدة
ولاجل هذا المعنى قال عليه السلام اذا اسدى اليكم احد
معروفا فكافئوه اى لتسقطوا منته عليكم وتقطعوا
رقبته لكم والله تعالى اعلم وانما كان المنع من الله احسانا
لوجهين **احدهما** ما تقدم من الله سبحانه ما منعك
بخلا ولا عجزا وانما هو حسن نظر لك اذ لعل ما طلبته

لا يليق

لا يليق بحالك فى الوقت واخره لوقت هو اولى لك واحسن
او ادخرك ذلك ليوم فقرك **الثانى** ما فى ذلك من دوام
الوقوف ببابه واللياذ بجنابه وفى ذلك غاية شرفك
ورفع لقدرك **وفى الحديث** اذا دعا العبد الصالح يقول الله
تعالى للملائكة اخروا حاجته فانى احب ان اسمع صوته
واذا دعا الفاجر قال للملائكة اقضوا حاجته فانى اكره
صوته اوكما قال عليه السلام لطول العهد به **تنبيه**
ما ذكره الشيخ من كون العطاء من الخلق حرمان انما هو
باعتبار السائرين اوباعتبار الزهاد والعباد واما الواصلون ن
الى الله المتمكنون مع الله فقد تولاهم الحق وغيبهم عن شهود
الخلق فهم يتصرفون بالله ياخذون بالله ويدفعون
بالله ولا يرون فى الوجود الا الله

مذ عرفت الاله لم ار غيرا ، وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا ، فانا اليوم واصل مجموع

فلا يرون العطاء الا من الله ولا يرون للخلق المنة الاما
يشهدون فيهم من واسطة الحكمة كما قال القائل

اذا ما رايت الله فى الكل فاعلا ، رايت جميع الكائنات ملاحا

وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله **هذا** اخر
الباب التاسع وحاصلها علامة كمال العارف وادبه
فى الطلب وفى البسط والقبض وفى المنع والعطاء ومن
جملة العطاء ما يعطيه الحق سبحانه عباده من الخيرات
فى مقابلة اعمالهم الصالحات كما اشار الى ذلك فى اول الباب
العاشر بقوله **وقال رضى الله عنه جل ربنا ان يعامله**

العبد نقدا فيجازيه نسيئة قلت النقد ما كان معجلا
والنسيئة ما كان مؤخرا ومن شأن الكريم اذا اشترى
شيأ ان ينجز نقده ويزيد احسانه ورفده وقد اشترى
الحق تعالى منا انفسنا واموالنا فعوضنا بها الجنة فمن
باع نفسه وماله ونقدهما وسلمهما اليه عوضه الله
جنة المعارف عاجلا وزاده جنة الزخارف اجلا مع ما يتحفه
به فيهما من انواع النعيم ودوام الشهود والنظر
الى وجهه الكريم فجل ربنا اى تعظم وترفع ان يعامله
العبد نقدا اى معجلا فيجازيه نسيئة اى مؤخرا بل لابد
ان يعجل له ما يليق به فى هذه الدار ويدخر له ما يليق
به فى تلك الدار والذى يعجل له سبحانه فى هذه الدار
امور منها ما يدفع عنه من المضار ويجلب له من المنافع
والمسار لقوله تعالى وهو يتولى الصالحين وقال تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وقال تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقد يتعدى ذلك الى عقبه كما تقدم ومنها ما يشرق
عليه من الانوار ويكشف لقلبه من الاسرار وهى انوار
التوجه وانوار المواجهة قال تعالى يا ايها الذين
ءامنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وهو نور يفرق
بين الحق والباطل وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم
الله وقال تعالى الله ولى الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور يخرجهم من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة
المعصية الى نور الطاعة ومن ظلمة الغفلة الى نور اليقظة

ومن ظلمة الحس الى نور المعنى او من ظلمة الكون الى نور
المكون ومنها التوفيق والهداية لها قبل عملها حتى جعلك
اهلا للوقوف بين يديه وهو الذى ابانه بقوله كفى من
جزائه اياك على الطاعة ان رضيك لها اهلا قلت
لان الملك لا يدعو لخدمته الا من يريد ان يكرمه ولا يدخل
لحضرته الا من يريد ان يعظمه ولا ينسب له الا اهل الفضل
والتكرمة فلولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من
احد ابدا فالتوفيق لها اعظم منة واكبر جزاء على
وجودها لانها تحقق للعبد ثلاثا اولها تصحيح
النسبة لمولاه بوجه ما الثانى وجود الاقبال عليه
بصورة ما الثالث اقامة رسم العبودية فى الجملة
والله اعلم قاله الشيخ زروق رضى الله عنه ومنها
ما يرد على قلبه حال عملها من المؤانسة به والقرب له
وهو الذى ذكره بقوله كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه
على قلوبهم فى طاعته قلت والذى فتحه على
قلوبهم فى حالة العمل ثلاث محاضرة او مراقبة او
مشاهدة فالمحاضرة للطالبين والمراقبة للسائرين
والمشاهدة للواصلين فالمحاضرة للعموم من المحاضر
والمراقبة للخصوص والمشاهدة لخصوص الخصوص
والكل يسمى خشوعا قال بعضهم الخشوع اطراق
السر على بساط النجوى باستكمال نعت الهيبة والذوبان
تحت سلطان الكشف والامحاد عند غلبات التجلى
اهـ ويختص المقام الثالث بقرة العين وقال الشيخ

زروق ما يجده فى حالة الطاعة ثلاث اولها وجود
الانس به فيها بروح اقباله ومنه ما يقع من الرقة
والخشوع الثانى وجود التملق بين يديه وله حلاوة
ينسى بها كل شيء الثالث حصول الفهم والفوائد
العلميه والالهامات اللدنية التى بها يترك كل
شيء قال بعضهم فى الدنيا جنة من دخلها لم يشتق
الى جنة الآخرة ولا الى شيء ولم يستوحش ابدا قيل
وماهى قال معرفة الله وقال بعض العلماء ليس
فى الدنيا ما يشبه نعيم الجنة الا ما يجده اهل التملق
فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجات وكان بعضهم
يقول التملق للحبيب والمناجات للقريب فى الدنيا
ليس من الدنيا هو من الجنة اظهره الله فى الدنيا لا
يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم اهـ ومنها
ما تجده من الثمرات بعد عملها وهو الذى اشار اليه بقوله
وما هو مورده عليهم من وجود موانسته قلت هذه
الموانسه التى يجدها العامل بعد العمل على ثلاثة اقسام
موانسة ذكر وهو لاهل الفناء فى الافعال وموانسة
قرب وهو لاهل الفناء فى الصفات وهم اهل الاستشراف
وموانسة شهود وهو لاهل الفناء فى الذات فالاول
لاهل الاسلام والثانى لاهل الايمان والثالث لاهل
الاحسان فموانسة الاول توجب له الفرار من الناس
والوحشة منهم وموانسة الثانى توجب القرب لهم
على حذر منهم وموانسة الثالث توجب الصحبة لهم
ومخالطتهم

ومخالطتهم لانه ياخذ منهم ولا ياخذون منه فالاول
لا تليق به الا العزلة لضعفه والثانى تليق به الصحبة
مع العسة ليتعلم القوة فهو يشرب منهم ولا يشربون منه
لبعده منهم بقلبه والثالث لا تليق به الا الصحبة
لتحققه بالقوة فهو ياخذ النصيب من كل شيء ولا ياخذ
النصيب منه شيء يصفو به كدر كل شيء ولا يكدر صفوه
شيء وموانسة الذكر توصل لموانسة القرب
وموانسة القرب توصل لموانسة الشهود فمن صعد
عقبة افضت به الى الراحة ما بعدها قال بعض العارفين
ليس شيء من الطاعات الا ودونه عقبة كؤود يحتاج فيها
الى الصبر فمن صبر على شدتها افضى الى الراحة والسهولة
وانما هى مجاهدة النفس ومخالفة الهوى ثم والله
مكابدة فى ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم اى ثم تكون
لذة الطاعة وتنعم المعرفة ثم ينبغى لك ايها المريد
ان لا تقصد شيئا من هذه الامور التى يجازيك الحق بها (تعالى صح)
كانت معجلة او مؤجلة فان ذلك نقص فى اخلاصك
ونقص لصدق عبوديتك كما اشار اليه بقوله من عبده
لشيء يرجوه منه او ليدفع بطاعته ورود العقوبة
عنه فما قام بحق اوصافه قلت الناس فى عبادة
الله باعتبار اخلاصهم على ثلاثة اقسام فمنهم من يعبد
الله خوفا من عقوبته معجلة او مؤجلة او طمعا فى
رحمته وحفظه عاجلا او اجلا وهم عوام المسلمين
وفيهم قال عليه السلام لولا النار ما سجد لله ساجد

ومنهم من يعبد الله محبة فى ذاته وشوقا الى لقائه لا طمعا
فى جنته وحفظه ولا خوفا من ناره ونكاله وهم المحبون
العاشقون من السائرين ومنهم من يعبد الله قياما
بوظائف العبودية وادبا مع عظمة الربوبية اوتقول
صدقا فى العبودية وقياما بوظائف الربوبيه وهم العارفون
فالقسم الاول عبادته بنفسه لنفسه والثانى عبادته بنفسه
لله والثالث عبادته بالله لله ومن الله الى الله فمن عبد الله
تعالى لشئ يرجوه منه فى الدنيا اوفى الاخرة او
ليدفع عنه بطاعته ورود العقوبة عنه فى الدنيا اوفى
الاخرة فما قام بحق اوصاف الربوبية التى هى العظمة
والكبرياء والعزة والغنى وجميع اوصاف الكمال ونعوت
الجلال والجمال اذ نعوت الربوبية من العظمة والجلال
تقتضى خضوع العبودية بالانكسار والاذلال ارايت
ان لم تكن جنة ولانار الم يكن اهلا ان يعبد الواحد
القهار ارايت من انعم بنعمة الايجاد والامداد اليس
اهلا لان يشكره جميع العباد فمن كان عبدا مملوكا
لسيده لا يخدمه فى مقابلة نواله ورفده بل يخدمه
لاجل عبوديته ورقه وسيده لا محالة يقوم بمؤنته
ورزقه ايرزقك لوجوده ويمنعك من جوده
ايدخلك داره ويمنعك ابراره لقد اسات الظن
بالرب الكريم اذا اعتقدت انك اذا لم تعبده منعك
من جوده العظيم لقد اجرى عليك منته ورزقه
وانت فى ظلمة الاحشاء ثم حين اظهرك لوجوده.

المحبون صح

وبسط

وبسط لك من جوده جعلك تتصرف فيه كيف تشاء
وتصنع به ما تشاء ومما وجد مكتوبا بقلم القدرة
فى حجر فى الكعبة

تذكر جميلى فيك اذ كنت نطفة ، ولا تنس تصويرى لشخصك فى الحشا
وكن واثقا بى فى امورك كلها ، ساكفيك منها ما يخاف ويختشى
وسلم الى الامر واعلم باننى ، اصرف احكامى وافعل ما اشا

تذكر

فاستح من الله ايها الانسان ان تطلب اجرا على عبادة
اجراها عليك الواحد المنان واذكر قوله تعالى الحمد
لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله
وقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وقوله تعالى
وما تشاؤن الا ان يشاء الله قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يكن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا
كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل وقال سيدنا
عمر رضى الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله
لم يعصه وقال وهب بن منبه فى زبور داود عليه
السلام يقول الله تعالى ومن اظلم ممن عبدنى لجنة
او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا ان اطاع
وفى اخبار داود ايضا عليه السلام ان الله اوحى اليه
ان اود الاوداد الى من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى
الربوبيه حقها ثم ان رفعت همتك عن طلب الحظوظ
صبت عليك الحظوظ فقد ورد فى بعض الاخبار ان الله
يحفظ الاولاد واولاد الاولاد بطاعة الاجداد لقوله
تعالى وكان ابوهما صالحا فقد حفظ الحق تعالى كنزهما

بصلاح ابيهما فقد صبت الحظوظ على الاولاد وهو
حفظهم بترك الاباء الحظوظ وكان سعيد بن المسيب
يقول لولده انى لاطيل الصلاة من اجلك اهـ ومعناه
انى اعبده مخلصا لعله يحفظك ثم ان مدد الحق وهو
لطفه وابراره جار على الطائعين فى كل وقت وحين
سواء اعطاهم فى الحس او منعهم وسواء بسطهم او
قبضهم وهو ظاهر لمن يفهم عن الله كما اشار اليه
بقوله متى اعطاك اشهدك بره ومتى منعك
اشهدك قهره فهو فى كل ذلك متعرف اليك
ومقبل بوجود لطفه عليك قلت من اسمائه تعالى بوجوه
اللطيف والرحيم فهو تعالى لطيف بعباده رحيم بخلقه
فى كل وقت وعلى كل حال سواء اعطاهم او منعهم وسو
بسطهم او قبضهم فان اعطاهم او بسطهم اشهدهم
بره واحسانه فعرفوا انه سبحانه بار بعباده لطيف
بخلقه رحيم كريم جواد محسن فتعظم محبتهم فيه
ويكثر شوقهم واشتياقهم اليه ويكثر شكرهم فيزداد
نعيمهم وفى هذا اما لا مزيد عليه من البر والاحسان
والجود والامتنان وان منعهم او قبضهم اشهدهم
قهره وكبرياءه فعلموا انه تعالى قهار كبير عظيم
جليل فخافوا من سطوته وذابوا من خشيته وخضعوا
تحت قهره فدامت عبادتهم وقلت ذنوبهم ومحيت
مساويهم واضمحلت خطيئتهم فوردوا يوم القيمة
خفافا مطهرين فرحين مبتهجين اذ لا يجمع الله على عبده

خوفين

خوفين ولا امنين فمن اخافه فى الدنيا امنه يوم
القيمة ومن امنه فى الدنيا فاغتر اخافه يوم القيمة
كما تقرر فى الحديث فلا تتهم ربك ايها العبد فى المنع ولا
فى العطا فانه متى اعطاك اشهدك بره ورحمته وكرمه فعرفت
بذلك انه بر كريم رؤوف رحيم فتتعلق بكرمه وجوده دون
غيره فتخرج من رق الطمع ويذهب عنك الغم والجزع وتتخلق
ايضا بوصف الكرم والرحمة والاحسان فان الله يحب ان يتخلق
عبده بخلقه وفى الحديث تخلقوا باخلاق الرحمن وقالت
عايشة رضى الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القران
والقران فيه اوصاف الرحمن فكانها قالت كان خلقه خلق الرحمن
الا انها احتشمت الحضرة وتادبت مع الربوبية ومتى منعك او
قبضك اشهدك قهره وكبرياءه فعرفت انه قهار جبار فيعظم
خوفك وتشتد هيبتك وحياؤك منه فلا جرم ان الله يعظمك
ويكرمك ويحفظك ويستحى منك كما استحييت منه فان الله ينزل
عبده على قدر منزلته منه وانما يطيع العبد ربه على قدر معرفته به
وخوفه منه فهو فى كل ذلك من اعطا ومنع وقبض وبسط متعرف
اليك اى طالب منك ان تعرفه بصفة نعته واسميه وما من اسم
من اسمائه تعالى الا اقتضى ظهور ما يطلبه فاسمه الكريم اقتضى
الاعطا والاحسان وهو ظاهر فى خلقه واسمه المانع اقتضى ظهور
المنع فظهر فى عباده ايضا واسمه المنتقم اقتضى ظهوره فى قوم وجبهم
لمخالفته واسمه القهار اقتضى ظهوره فى قوم يقهرهم على ما يريد من
منع او عذاب وظهر قهره ايضا فى عباده بالموت فهو من مقتضى اسمه
القهار وهكذا كل اسم يقتضى ظهوره فى الوجود وكلها فى بنى ادم

فاذا تحققت هذا في حالة الاعطاء والمنع علي ما علمت ايضا ان الله تعالى
مقبل بوجود لطفه وابراره عليك اذ هو متعرف اليك في كل شي
ومقبل عليك في كل وجه فاطلب ايضا انت معرفته في كل حال
واعرف منته عليك في الجمال والجلال واقبل عليه بكليتك
واستسلم لقهره بروحك وبسر بيتك تكن عبده حقا وهو
ربك حقا وصدقا والله تعالى اعلم ويؤخذ من هذه الحكمة
ان المدار انما هو على قوت الروحانية التي هي المعرفة
في الجلال والجمال لا على قوت البشرية لان بمنعه يحصل
للعبد الكمال وبالله التوفيق ثم هذا كله انما يذوقه
من يفهم عن الله كما تقدم واليه اشار بقوله انما
يؤلمك المنع لعدم كلمك عن الله فيه قلت لان　فهمك
الفهم عن الله يقتضي وجود المعرفة به ولا تكون المعرفة
كاملة حتى يكون صاحبها يعرف في الجلال والجمال والمنع
والعطاء والقبض والبسط واما ان كان لا يعرف الا في الجمال
فهذه معرفة العوام الذين هم عبيد انفسهم فان اعطوا
رضوا وان لم يعطوا اذا هم يسخطون وايضا من ثمرات
المعرفة التسليم والرضى لما يجري به القضا ومن ثمرات
المحبة والهوى الصبر عند الشدائد والبلوى
تدعي مذهب الهوى ثم تشكو　اي دعواك في الهوى قل لي انيا　ابن
لو وجدناك صابرا لهوانا　لاعطيناك كلما تتمنا　نحن نعطيك كلما تتمنا
فلا يكون المحب صادقا في محبته ولا العارف صادقا في معرفته
حتى يستوي عنده المنع والعطاء والقبض والبسط
والفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم والفقد والوجد
والحزن

والحزن والفرح فيعرف محبوبه في الجميع كما قال القائل
حبيبي ومحبوبي على كل حالة ويرضى ويسلم له في الجميع
فان لم يجد ذلك عنده سواء فلا يدعي مرتبة العشق والهوى
فليعرف قدره ولا يتعدى طوره ولا يتوامى على مراتب الرجال
من ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان ولابن
الفارض رضي الله عنه
فان شئت ان تحيا سعيدا فمت به　شهيدا والا فالغرام له اهل
وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه لا يصح الفقر
للفقير حتى تكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله
والاخرى الشكر لله فيما زوى عنه مما ابتلي به غيره
من الدنيا وقيل لبعضهم ما الزهد عندكم قال اذا
وجدنا شكرنا واذا فقدنا صبرنا فقال هذه حالة
الكلاب عندنا ببلخ فقال وما الزهد عندكم انتم قال
اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا فهذا هو الفهم
عن الله حيث شكر حين الفقد فقد عد الفقد نعمة
والفاقة غنى لما يجد فيها من المواهب والاسرار ولما
يترقب بعدها من ورود الواردات والانوار ولو لم
يكن الا التفرغ من الشواغل والاغيار وجهذ اتزكوا
الاحوال وتعظم الاعمال ويتاهل صاحبها للقبول
والاقبال والا فلا عبرة بصور وجودها مع عدم
قبولها كما نبه على ذلك بقوله ربما فتح لك باب
الطاعة وما فتح لك باب القبول قلت لا عبرة بالطا　عة
اذا لم يصحبها قبول كما لا عبرة بالسؤال حيث لم يحصل

به مامول اذ الطاعة انما هي وسيلة لمحبة المطاع واقباله على
المطيع بحيث يفتح في وجهه الباب ويرفع عن قلبه وجود
الحجاب ويجلسه على بساط الاحباب فاذا فتح لك باب العمل وبلغت
في تحصيله غاية الامل غير انك لم تجد له ثمرة ولم تذق له حلاوة
من الانس بالله والوحشة مما سواه ومن الغنى به والانحياش
اليه والاكتفاء بعلمه والقناعة بقسمته فلا تغتر بذلك ايها
المريد فربما فتح لك باب طاعته وانهضك الى خدمته
ولم يفتح لك باب القبول ومنعك بها من الوصول حيث
اعتمدت عليها وركنت اليها وانست بها واشغلتك
حلاوتها عن الترقي الى حلاوة شهود المنعم بها ولذلك
قال بعضهم احذروا حلاوة الطاعات فانها سموم قاتلة لانها
تقبض صاحبها في مقام الخدمة ويحرم من مقام المحبة وفرق
كبير بين من شغله بخدمته وبين من اصطفاه لمحبته واجتباه
لحضرته فاجراء الذنب على العبد احسن من مثل هذه الطاعة
التي تكون سبب الحجاب كما نبه عليه بقوله وقضى عليك
بالذنب فكان سببا في الوصول قلت وذلك ان العبد اذا كان
سائرا لمولاه قاصد الوصول حضرة حبيبه ورضاه قد يحصل له
كلل او يصيبه ملل او يركبه كسل فسلط الحق عليه ذنبا وتغلبه
نفسه فيسقط فاذا قام من سقطته جد في سيره ونهض من غفلته
ونشط من كسله فلا يزال جادا في طلب مولاه غائبا عما سواه حتى
يدخل حضرته ويشاهد طلعته وهي الحضرة التي هي تجليات
الحق واسرار ذاته ومثال ذلك رجل مسافر اصابه في الطريق نوم
اوكسل فيسقط فيضربه حجر فاذا قام ذهب كسله وجد في سيره
وفي الحديث

وفي الحديث رب ذنب ادخل صاحبه الجنة قالوا وكيف ذلك يارسول
الله قال لا يزال تائبا فارا منه خائفا من ربه حتى يموت
فيدخل الجنة او كما قال عليه السلام وفي حديث اخر عن ابي
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذى نفسى بيده لولم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم
يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم اه وقال صلى الله عليه
مه وسلم في شان الطاعة التي لم تقبل رب صائم ليس له من صيامه
الا الجوع وقائم ليس له من قيامه الا السهر فمثل هذه الطاعة
المعصية التي يصحبها الانكسار احسن منها بكثير كما افاد
ذلك بقوله معصية اورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة
اورثت عزا واستكبارا قلت انما كانت المعصية التي
توجب الانكسار افضل من الطاعة التي توجب الاستكبار
لان المقصود من الطاعة هو الخضوع والخشوع والانها
والانقياد والتذلل والانكسار انا عند المنكسرة قلوبهم
من اجلي فاذا اخلت الطاعة من هذه المعاني واتصفت
باضدادها فالمعصية التي توجب هذه المعاني وتجلب
هذه المحاسن افضل منها اذ لا عبرة بصورة الطاعة ولا
بصورة المعصية وانما العبرة بما ينتج عنهما ان الله
لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم وانما ينظر الى قلوبكم
فثمرة الطاعة هي الذل والانكسار وثمرة المعصية
هي القسوة والاستكبار فاذا انقلبت الثمرات انقلبت الحقائق
صارت الطاعة معصية والمعصية طاعة ولذلك قال
المحاسبي رضى الله عنه انما مراد الله سبحانه من عباده

قلوبهم فاذا تكبر العالم او العابد وتواضع الجاهل والعاصى
وذل هيبة لله عز وجل وخوفا منه فهو اطوع لله عز وجل
من العالم والعابد بقلبه وقال الشيخ ابو العباس المرسى رضى
الله عنه كل اساءة ادب تثمر ادبا فليست باساءة ادب
وكان رضى الله عنه كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه
شهود وسع الرحمة ويكون رضى الله عنه يكرم الناس
على نحو رتبتهم عند الله حتى انه ربما يدخل عليه مطيع
فلا يبالى به وربما دخل عليه عاص فاكرمه لان ذلك الطائع
اتى وهو متكبر بعمله وناظر لفعله وذلك العاصى دخل بكسرة
معصيته وذلته ومخالفته قاله المصنف فى لطائفه وقال ابو
يزيد رضى الله عنه نوديت فى سرى خزائنى مملوءة بالخدمة
فان اردتنا فعليك بالذلة والافتقار وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اشد من ذلك
العجب كذا فى الصحيحين وقال عليه السلام لولا ان الذنب
خير من العجب ما خلى الله بين مؤمن وذنب ابدا وقال الشيخ
ابو مدين رضى الله عنه انكسار العاصى خير من صولة المطيع
وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه معصية بالله
خير من الف طاعة بالنفس اه ومعنى كلام الشيخ ان العبد
اذا اجريت عليه زلة لم يقصدها بقلبه وانما جرته القدرة
اليها رغما على انفه ثم ندم وانكسر فهى فى حقه خير من الف
طاعة يشهد فيها نفسه ويتبجح بها على عباد الله ولله در
صاحب العينية حيث يقول

واسلمت نفسى حيث اسلمنى الهوى ... ومالى عن حكم الحبيب تنازع

فطورا

ف بعباد خ يبتهج

فطورا ترانى فى المساجد راكعا ... وانى طورا فى الكنائس راتع
اراني كالالات وهو محركى ... انا قلم والاقتدار الاصابع
ولست بجبرى ولكن مشاهد ... فعال مريد ماله من يدافع
فاونة يقضى على بطاعة ... وحينا بما عنه نهتنا الشرائع
لذاك ترانى كنت اترك امره ... وانى الذى انهاه والحق دامع
ولى نكتة غراء سوف اقولها ... وحق لها ان ترعويها المسامع
هى الفرق ما بين الولى وفاسق ... تنبه لها فالامر فيه فظائع
وما هو الا انه قبل وقعه ... يخبر قلبى بالذى هو واقع
فاجنى الذى يقضيه فى مرادها ... وعينى له قبل الفعال تطالع
وكنت ارى منها الارادة قبل ما ... ارى الفعل منى والاسير مطاوع
فاتى الذى تهواه نفسى وحجتى ... لذلك فى نار حوتها الاضالع
اذا كنت فى حكم الشريعة عاصيا ... فانى فى علم الحقيقة طائع

فاشار الى الفرق بين معصية الولى ومعصية الفاسق وذلك من
ثلاثة اوجه الولى لا يقصدها ولا يفرح بها ولا يصر عليها
والفاسق بالعكس فى الجميع وقيل للجنيد ايزنى العارف فقال وكان
امر الله قدرا مقدورا لكن معصية الولى حدها الظاهر ولذلك
قال ابن عطاء الله ليت شعرى لو قيل له اتتعلق همة العارف
بغير الله لقال لا اه ولما كانت النعم تقتضى من العبد شكرها
وشكرها هو العمل بطاعة الله فيها قال الجنيد الشكر ان لا يعصى
الله بنعمه بين الشيخ اصول النعم وفروعها فقال نعمتان
ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد
ونعمة الامداد قلت اما نعمة الايجاد فهى الاظهار من عالم
الغيب الى عالم الشهادة او من عالم الامر الى عالم الخلق او من عالم الارواح الى

عالم الاشباح او من عالم القدرة الى عالم الحكمة او من عالم التقدير الى
عالم التكوين **واما نعمة الامداد** فهى قيامه تعالى بالاشياء بعد
وجودها وامداده اياها بما تقوم به بنيتها وهاتان النعمتان
عامتان واختص الانسان بما اجتمع فيه من الضدين وهما
النور والظلمة واللطافة والكثافة فلو بقيت ايها الانسان
على ما كنت عليه من العدم فى عالم القدم لم تتمتع بنعمة بنعمتين
بنعمتين نعمة الاشباح ونعمة الارواح ولو تجلى فيك بوجهة
واحدة لكنت ناقصا فى شهود المعرفة لان مزية الادمى
فى المعرفة اعظم اذ بقدر المعرفة المجاهدة يكون الترقى
فى المشاهدة لما فيه الكثافة واللطافة فكلما لطف من
كثافته ترقى فى مشاهدة ربه ولما فيه من النور والظلمة
فكلما انتفت الظلمة قوى النور بخلاف غيره من الجن
والملائكة غير المقربين قال تعالى فى حق الملائكة وما منا
الا له مقام معلوم فما مثل الادمى الا كياقوتة سوداء وهى
اعظم اليواقيت كلما صقلتها اشرقت وزاد نورها وجمالها
ومثل الملائكة كالزجاج اذا صقل مرة كفاه ولا يزيد نوره
على اصله فلو بقيت ايها الانسان على ما كنت عليه من العدم
او من اللطافة بعد قبضة القدم لم يكن لك مزية على غيرك
ومما يدلك على ان تجلى الادمى اعظم اختصاصه بالجنة
والنظر قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش
والكلام انما هو مع الخواص فخواص الادمى اعنى الانبياء
اعظم من خواص الملائكة وخواص الملائكة اعنى المقربين
اعظم من خواص الادمى اعنى العارفين والعارفون

اعظم

اعظم من عوام الملائكة وعوام الملائكة اعظم من عوام
بنى ءادم والله تعالى اعلم فانعم الحق سبحانه عليك
ايها الانسان اولا بنعمة الايجاد واصحبك الرافة والوداد
لتظهر مزيتك وتكمل نعمتك ثم انعم عليك ثانيا
بنعمة الامداد حسية ومعنوية **اما المدد** الحسى فغذاء
البشرية من اول النشأة الى منتهاها **واما المدد** المعنوى
فغذاء الروح من قوت اليقين والعلوم والمعارف والاسر
والاسرار ثم ان هذا المدد المعنوى من حيث هو ينقسم
على ثلاثة اقسام منه ما لا يزيد ولا ينقص وهو مدد الملا ئكة
قال تعالى فيهم وما منا الا له مقام معلوم ومنه ما يزيد
وينقص وما مدد عوام بنى ءادم ومنه ما يزيد ولا ينقص
وهو مدد خواصهم كالرسل والانبياء واكابر الاولياء ومن
تعلق بهم ممن دخل تحت حضانتهم ولزم عشهم من
الفقراء والمريدين السائرين فمددهم فى الزيادة على
الدوام وهذا المدد ثابت للروح قبل اتصالها بالبشرية
ولذلك اقرت بالربوبية فى عالم الذر **قال فى التنوير** اعلم ان
الحق سبحانه تولاك بتدبيره على جميع اطوارك وقام لك
فى كل ذلك بوجود ابرارك فقام لك بحسن التدبير
يوم المقادير يوم الست بربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره
لك ح ان عرفك به فعرفته وتجلى لك فشهدته وا
واستنطقك والهمك الاقرار بربوبيته فوحدته ثم انه
جعلك نطفة مستودعة فى الاصلاب تولاك بتدبيره هنالك
حافظا لك وحافظا ما انت فيه موصلا لك المدد

بواسطة ما انت فيه من الأباء الى ابيك ادم ثم قذفك
فى رحم الام فتولاك بحسن التدبير وجعل الرحم قابلة لك
ارضا يكون فيها نباتك ومستودعا تعطى فيها حياتك
ثم جمع بين النطفتين والف بينهما فكنت عنهما لما بنيت عليه
الحكمة الالهية من ان الوجود كله مبنى على سر الازدواج ثم
جعلك بعد النطفة علقة مهيئة لما يريد سبحانه ان
ينقلها اليه ثم بعد العلقة مضغة ثم فتق سبحانه
فى المضغة صورتك واقام فيها بنيتك ثم نفخ فيك
الروح بعد ذلك ثم غذاك بدم الحيض فى رحم الام فاجرى
عليك رزقه من قبل ان يخرجك الى الوجود ثم ابقاك فى رحم
الام حتى قويت اعضاؤك واشتدت اركانك ليهيئك
الى البروز الى ما قسم لك او عليك وليبرزك الى دار يتعرف
فيها بفضله وعدله اليك ثم لما نزلك الى الارض علم
سبحانه انك لا تستطيع ان تتناول خشونات المطاعم
وليس لك اسنان ولا ارحى تستعين بها على ما انت طاعم
فاجرى الثديين بالغذاء اللطيف ووكل بهما مستحث
الرحمة التى جعلها فى قلب الام فكلما وقف اللبن على البروز استحثته
استحثته الرحمة التى جعلها لك فى الام مستحثا لا يفتر
ومستنهضا لا يقصر ثم انه شغل الاب والام بتحصيل مصالحك
والرافة عليك والرحمة والنظر بعين المودة منهما اليك وما
هى الا رافته ساقها للعباد فى مظاهر الاباء والامهات تعريفا
بالوداد وفى حقيقة الامر ما كفلتك الا ربوبيته وما حضنتك
الا الوهيته ثم الزم الاب القيام بك الى حين البلوغ واوجب
عليه

عليه ذلك رافة منه بك ثم رفع قلم التكليف عنك الى اوان
تكمل الافهام وذلك عند الاحتلام ثم الى ان صرت كهلا
لم يقطع عنك نوالا ولا فضلا ثم اذا انتهيت الى الشيخوخة
ثم اذا قدمت عليه ثم اذا حشرت اليه ثم اذا اقامك بين
يديه ثم اذا سلمك من عقابه ثم اذا ادخلك دار ثوابه
ثم اذا كشف عنك وجود حجابه واجلسك مجالس اوليائه
واحبائه قال سبحانه ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد
صدق عند مليك مقتدر فلأى احسانه تشكر ولأى اياديه
تذكر واسمع قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله تعلم انك
لم تخرج عن احسانه ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه
اهـ كلامه فى التنوير وهو شرح لهذه الحكمة لاشتماله على
النعمتين ايجادا وامدادا ومن نعمة الامداد المعنوي نعمة
الاسلام والاحسان وحفظ ذلك وادامته علينا فى كل وقت
وحين وزيادة الترقى فى المعرفة واليقين الى يوم الدين فالحمد
لله رب العالمين ثم المقصود بالنظر الى هاتين النعمتين
هو الانسان وان كانتا عامتين فى جميع الاكوان اذ هو المطلوب
بشكرها والتحدث بذكرها ولذلك خصه بالخطاب انعم عليك
اولا بالايجاد وثانيا بتوالى الامداد قلت توالى الامداد
هو تتابعه واتصاله سواء كان حسيا او معنويا ففى كل لحظة
وساعة انت مفتقر الى امداده قلبا وقالبا كما ابان ذلك
بقوله فاقتك لك ذاتية وورود الاسباب مذكرة
لك بما خفى عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها
العوارض قلت الفاقة الذاتية هى الاصلية الحقيقية

والاسباب المحركة لها هي العوارض الجلالية وهي كل ما يقهر
النفس ويزعجها عن حظوظها وتصرفاتها العادية وانما
كانت فاقتنا ذاتية لا تفارقنا ساعة واحدة لان نشأتنا مركبة
من حس ومعنى ولا يقوم الحس الا بالمعنى والمعنى هو اسرار
الربوبية القائمة بالاشياء فاشباحنا مفتقرة في كل لحظة
الى نعمة الامداد بعد نعمة الايجاد ولا الحكمة الا بالقدرة
ولا البشرية الا بالروحانية والروح سر من اسرار الله قال تعالى
قل الروح من امر ربي فالبدن قائم بالروح والروح امر من
امر الله وكل شيء قائم بامر الله فافتقار البشرية للروحانية
حاصل على الدوام قال تعالى في نعمة الايجاد يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فهذا هو
الافتقار الى نعمة الايجاد ثم قال في نعمة الامداد ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد وهذا هو افتقارنا الى نعمة
الامداد وقال تعالى في افتقار بقية العالم ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا فالكون كله قائم بامر الربوبية
الربوبية مظهر من مظاهرها لا قيام له بدونها قال
الشيخ ابو مدين رضي الله عنه الحق سبحانه مستبد
والوجود مستمد والمادة من عين الجود فاذا انقطعت
المادة انهد الوجود اهـ والمراد بالوجود ظهور الحس
وعين الجود هو المعاني اللطيفة القديمة يعني ان الحق
تعالى مستبد اي قائم بنفسه وظهور تجلياته مستمدة
من باطن صفاته ومادة الاشياء كلها من عين الجود وهي
نعمة الايجاد والامداد فاذا انقطعت المادة اي مادة المعنى
من الحس

١٢٥
من الحس اضمحل الحس واضمحلت الاكوان فلو ظهرت
صفاته اضمحلت مكوناته ففاقتك اي افتقارك ايها
الانسان لك ذاتية اي اصلية حقيقية لكنها خفية
وورود الاسباب المحركة لظهور تلك الفاقة وهي الشدة
والحيرة وكل ما يلجئوك الى مولاك مذكرة لك ما خفي عنك
منها يعني ان فاقتك لا تفارقك اذ كل لحظة تفتقر الى
من يمدك بالوجود في الساعة الثانية الا انها خفية لا تدركها
حتى ينزل عليك اسباب ظهورها كالفقر والمرض
وغيرهما والفاقة الاصلية الذاتية لا ترفعها العوارض وهي
الصحة والعافية فما دام العبد في العافية ففاقته خفية
لا يتفطن لها الا العارفون لانه لا يزول اضطرارهم فاذا قام
عليه جلال او محرك ظهر افتقاره وتحقق اضطراره مع انه
دائم في الفاقة حسه ومعناه والله تعالى اعلم ثم ان رجوع
الشيء الى اصله مرغب فيه وخروجه عن اصله لا خير فيه
واصلك ايها الانسان هو الفاقة والاضطرار والذلة
والانكسار فكل ما يردك الى اصلك فهو لك في غاية الحسن
والاختيار كما اجاد ذلك بقوله خير اوقاتك وقت
تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه الى وجود ذلتك
قلت انما كان شهود الفاقة هو خير اوقاتك لوجهين
احدهما ما في ذلك من تحقيق العبودية وتعظيم شان
الربوبية وفي ذلك شرف العبد وكماله اذ بقدر تحقيق
العبودية في الظاهر يعظم شهود الربوبية في الباطن
او تقول بقدر العبودية في الظاهر تكون الحرية في الباطن

اوتقول بقدر الذل فى الظاهر يكون العز فى الباطن اوتقول
بقدر وضع الظاهر يكون رفع الباطن من تواضع دون
قدره رفعه الله فوق قدره وانظر اشرف خلق الله وهم
الانبياء بماذا خاطبهم الله تعالى فما خاطبهم الا بالعبودية
قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا واذكر عبادنا
ابراهيم واسحاق ويعقوب واذكر عبدنا داود ذا الايد
واذكر عبدنا ايوب وقد اختارها نبينا صلى الله عليه وسلم
حين خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار
ان يكون نبيا عبدا فدل على ان اشرف حال الانسان هو
العبودية فبقدر ما يتحقق بها فى الظاهر يعظم قدره
فى الباطن ومهما خرج منها فى الظاهر باظهار الحرية
ادبته القدرة وردته القهرية حتى يرجع الى اصله
ويعرف ماله وعليه الوجه الثانى مافى الفاقة من مزيد
المدد وطلب الاستمداد انما الصدقات للفقراء والمساكين
ان اردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك
كما ياتى ان شاء الله وقد جعل الله النصر والفتح مقرونين
بالفاقة والذلة وتحقيق الضعف والقلة قال الله تعالى
ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال تعالى واذكروا
اذ كنتم قليلا فكثركم وجعل الخذلان وعدم النصر والمعو
والمعونة فى اظهار الحرية والقوة قال تعالى ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم
الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وذلك لما وقع
من بعض الصحابة الذين كانوا حديثى عهد باسلام
فادبهم

فادبهم الله باظهار الحرية لكن عمت الفتنة قال تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وهذا
وجه ذكر الاية قبل ذكر القضية والله تعالى اعلم
فاذا خير اوقاتك ايها المريد وقت تشهد فيه وجود فا
فاقتك اى ظهورها والا فهى كامنة فيك كما تقدم وتسمى
عند المتاخرين الحيرة وهى الشدة فهى خير لك من الف شهر
ان عرفت فيها ربك والمعرفة فيها ان تسكن عن التحرك
والاضطراب وتقطع النظر عن التعلق بالاسباب وترجع
فيها الى مسبب الاسباب وتعلق همتك برب الارباب وتكتفى
بعلم الله الكريم الوهاب ولقد سمعت شيخنا البزيدى
رضى الله عنه يقول العجب من الانسان يرى الخير والفتح
واصلا اليه وقادما عليه ثم يقوم يبادر بسد الباب فى وجهه
وهو ان يرى الفاقة قادمة عليه فيبادر الى الاسباب التى تقطعها
عنه قبل وصولها فقد كان الربح واصلا اليه فقام فرده او ما هذا
معناه وخير اوقاتك ايضا وقت تشهد فيه وجود ذلتك كما تقدم لانه سبب
عزتك ونصرك اذ الاشياء كامنة فى اضدادها العز فى الذل والغنى
فى الفقر والقوة فى الضعف والعلم فى الجهل اى فى اظهار الجهل الى
غير ذلك قال تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض
ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين وقال تعالى فى حق الصحابة
رضى الله عنهم حين كانوا فى حالة الاستضعاف والاذاية
تسلية لهم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم
الاية ومما جرت به العادة الالهية ان الفرج على قدر

الضيق فبقدر الفقر يكون الغنى وبقدر الذل يكون
العز وبقدر العسر يكون اليسر والحاصل بقدر الجلال
يكون الجمال عاجلا وءاجلا قال تعالى فان مع العسر يسرا
ان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين كما فى الحديث
حيث قال عليه السلام لابن عباس رضى الله عنه واعلم
ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر
يسرا اه ثم اذا صح فقرك اليه وتحققت ذلك بين
يديه اتحفك بانسه وزج بك فى حضرة قدسه كما
اشار الى ذلك بقوله متى اوحشك من خلقه فاعلم
انه يريد ان يفتح لك باب الانس به قلت هذه سنة
الله تعالى فى خلقه اذا اراد ان يؤنس عبده بذكره
ويتحفه بمعرفته اوحشه من خلقه واشغله بخدمته
والهمه ذكره حتى اذا امتلاء قلبه بالانوار وتمكن من
حلاوة الشهود والاستبصار رده اليهم رحمة لهم لانه حينئذ
لقوته ياخذ منهم ولا ياخذون منه ومثاله فى الحس
كفتيلة شعلتها فما دامت ضعيفة لا بد ان تحفظها
من الريح وتقصد بها المواضع الخفية فاذا اشتد نورها
واشعلتها فى الحطب صعدت بها الى ظهور الجبال
فبقدر ما يصيبها الريح يعظم اشتعالها كذلك الفقير
ما دام فى البداية لا يليق به الا الوحشة من الخلق
والفرار منهم فاذا تمكن فى الشهود فلا يليق به حينئذ
الا الخلطة معهم لانهم لا يضرونه فمتى اوحشك ايها
الفقير من خلقه وعزلك عنهم فى قلبك فاعلم انه تعالى
اراد

اراد ان يؤنسك به ويغنيك بمعرفته فقد كان عليه
السلام حين قرب اوان النبوة والرساله حبب اليه الخلوة
فكان يخلو بغار حراء وحكمة ذلك تصفية البواطن
من الشواغل والشواغب لتتهيأ لقبول ما تتحمله من
الاسرار والمواهب فاذا تطهر من الاكدار ملئ بالانوار
فاشرقت فيه شموس العرفان وتمكن من حضرة الشهود
والعيان فهذه سنة الله فى اوليائه واصفيائه يفرون
اولا من الناس حتى يحصل لهم منهم الاياس ثم يردهم الحق
اليهم رغما على انفسهم لمقام الدلالة والارشاد فينتفع بهم
العباد وتحيى بوجودهم البلاد وفى مثلهم قال الشاعر
تحيى بكم كل ارض تنزلون بها ❊ كانكم فى بقاع الارض امطار
وتشتهى العين فيكم منظرا حسنا ❊ كانكم فى عيون الناس ازهار
نفعنا الله بهم وحققنا بمعرفتهم ءامين ثم اذا فتح لك باب
الانس وتشوقت الى حضرة القدس ثم اطلق لسانك بطلبها
فاعلم انه يريد ان يفتح لك بابها كما اشار الى ذلك بقوله
متى اطلق لسانك بالطلب فاعلم انه يريد ان يعطيك
قلت لان الحق تعالى جعل الطلب سببا من الاسباب فاذا
اراد ان ينجز للعبد ما سبق له فتح له فيه باب الطلب فاذا
حصل منه الطلب حصل ذلك الذى قسم له فى الازل اظهارا
لحكمته واخفاء لقدرته وتغطية لسره فالدعاء من جملة الاسباب
العادية كالحرث والدواء والتزوج فى الولد وغير ذلك وكل
ذلك سبقت به المشيئة ونفذ به القضاء والقدر فما
بغى الدعاء الا اظهارا للفاقة وابقاء لرسم العبودية

لاطلبا لحصول مالم يكن جل حكم الازل ان يضاف الى الاسباب
والعلل فمتى اطلق لسانك ايها المريد بالطلب لشيئ
يحلى فى قلبك او احتجت اليه فاعلم ان الحق تعالى اراد
ان يعطيك ما طلبت منه فلا تحرص ولا تستعجل فكل شيئ
عنده بمقدار فان اطلق لسانك في الدعاء من غير سبب
فخير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك كما تقدم قال رسو
الله صلى الله عليه وسلم من اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة
وقال ايضا عليه السلام من اذن له فى الدعاء منكم فقد فتحت
له ابواب الرحمة وما سئل الله شيئا احب اليه من العفو
والعافية وقال الكتاني رضى الله عنه لم يفتح الله لسان
المؤمن بالمعذرة الا وقد فتح له بالمغفرة اه وقال
الخفاف رحمه الله وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا
ذاك ما منح له الدعاء وفى ذلك قيل
لولم ترد نيل ما ارجوا طلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا
ثم هذا كله قبل فتح باب المعرفة واذا فتح لك الباب
فلا تحتاج الى طلب لغناك بمسبب الاسباب فيكون دعاؤك
انما هو اظهار للفاقة والاضطرار اللازمين لك
مع كل نفس وفى كل وقت وحال كما اشار اليه بقوله
العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره
قلت اما وجه كونه لا يزول اضطراره فلتحقق قيومية
الحق به اذ الحس لا يقوم الا بالمعنى فحس العبودية لا يقوم
الا بمعنى الربوبية فبقدر تحقق العبد بقيومية الربوبية
يشتد اضطراره فى ظاهر العبودية وايضا العارف لا يزال
في الترقي

فى الترقى فهو متعطش للزيادة على الدوام كما قال النقشبندي
رحمه الله وذو الصبابة لو يسقى على عدد الانفاس والكون كاس ليس يرويه
وقال آخر سقاني الحب كاسا بعد كاس فما نفذ الشراب ولا رويت
وقال بعضهم لو شربت فى كل لحظة الف بحر لا ترى ذلك الا قليلا وترى
وتشهد شفتيك يابسة وكل ذلك كناية عن عدم النهاية وان
المقصود غير منضبط فالعارف لا يزال مفتقرا للزيادة على الدوام
فلا يزول اضطراره على الدوام وقد قال الله تعالى لسيد
العارفين وقل رب زدني علما فالاضطرار الى زيادة العلم لا
لا ينقطع ولو جمع علوم اهل السموات والارض قال تعالى مخاطبا طبعا
للكل وما اوتيتم من العلم الا قليلا واما وجه كونه لا يكون مع
غير الله قراره فلان قلب العارف رحل الى الله من الكون باسره
فلم تبق له حاجة الى غيره فقراره انما هو شهود الذات الاقدس
فان نزل الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين
والرسوخ فى اليقين فالعارف ليس له عن نفسه اخبار ولا مع
غير الله قرار وايضا سابق العناية لا يتركه يركن الى غير مولاه
فمهما ركن قلبه الى شيئ شوشته عليه العناية واكتنفته الرعاية
فهو محفوظ من الاغيار محفوف من كل جهة بمدد الانوار
اذا كان الله حرس السماء من استراق السمع فكيف لا يحرس قلوب
اوليائه من الاغيار وما تولاهم بمحبته حتى حفظهم من شهود
غيره فكيف بالسكون هيهات هيهات هذا لا يكون من كان
ظاهره محفوفا بالانوار وباطنه محشوا بالاسرار فكيف يركن
الى شهود الاغيار كما ابان ذلك بقوله انار الظواهر بانوار
آثاره وانار السرائر بانوار اوصافه قلت انوار الظواهر

هى ما ظهر على تجليات الاكوان من تاثير قدرته وابداع
حكمته كتزيين السماء بالكواكب والقمر والشمس وما
فيها من ابداع الصنع وتمام الاتقان وكتزيين الارض
بالازهار والثمار والنبات وسائر الفواكه وكتزيين الانسان
بالسمع والبصر والكلام وسائر ما فيه من عجائب الصنعة قال
تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وقال تعالى انا
جعلنا ما على الارض زينة لها فهذه انوار الظواهر وانوار
الاوصاف هى العلوم والمعارف والاسرار والمراد بالاوصاف
اوصاف الربوبية كالعظمة والعزة والجلال والجمال والكبرياء والكمال
وغير ذلك من اوصاف الذات العلية والذات لا تفارق الصفات
فاذا اشرقت السرائر بانوار معرفة الصفات فقد اشرقت بانوار
معرفة الذات للتلازم الذى بين الصفات والذات ثم الناس
فى شهود هذه الانوار الباطنة التى هى انوار الاوصاف
على ثلاثة اقسام قسم يشهدونها على البعد وهم اهل مقام
الاسلام وقسم يشهدونها على القرب وهم اهل المراقبة من مقام
الايمان وقسم يشهدونها على الاتصال وهم المعرفة من مقام
الاحسان فاهل مقام الاسلام انوارهم ضعيفة كانوار النجوم
واهل مقام الايمان انوارهم متوسطة كنور القمر واهل مقام
الاحسان انوارهم ساطعة كانوار الشمس فتحصل ان انوار
الباطن ثلاثة نجوم الاسلام وقمر التوحيد وشمس المعرفة
والى هذا المعنى اشار ابن الفارض بقوله
لها البدر كاس وهى شمس يديرها ✽ هلال وكم يبدو اذا مزجت نجم
فالضمير لخمرة المحبة وهى ايضا شمس المعرفة فاذا مزجت لتشرب
ظهر

ظهر نجم الاسلام واذا وضعت فى الكاس طلع قمر التوحيد وهو
الايمان واذا شربت اشرقت شمس المعرفة والذى يديرها على الشاربين
هلال الهداية هذا معنى كلامه فى الجملة وتشبيه الانوار المعنوية
بالانوار الحسية انما هو تقريب والا فانوار القلوب كلها عظيمة حتى
قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لو كشف عن نور المؤمن
العاصى لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن
المطيع وقال الشيخ ابو العباس رضى الله عنه لو كشف عن
حقيقة الولى لعبد من دون الله وقال فى لطائف المنن
ولو كشف الحق عن مشرقات انوار قلوب اوليائه لانطوى
نور الشمس والقمر فى مشرقات انوار قلوبهم واين نور
الشمس والقمر من انوارهم الشمس والقمر يطرأ عليهما الكسو ف
والغروب وانوار قلوب اوليائه لا كسوف لها ولا غروب لذلك
قال بعضهم هذه الشمس قابلتنا بنور ✽ ولشمس اليقين ابهر نورا
فرأينا بهذه النور لكن ✽ بهاتيك قد رأينا المنيرا
فانار الحق سبحانه ظواهر الكائنات بانوار الظواهر وهى
النجوم والقمر والشمس فى الحس وتزيين الخلق وابداعه وترتيب
وتخصيصه وتقييده عن شكل معلوم فى الانوار الخفية وتهذيب
الجوارح وتطهيرها فى الانوار المعنوية وانار سبحانه القلوب
والسرائر بانوار اوصافه وهى عظمة الربوبية واوصافها
فاذا اشرقت فى سماء القلوب الصحية والاسرار الصافية غاب
العبد عن شهود الاغيار وغرق فى بحر الانوار فتفنى الاشكال
والرسوم ولا يبقى الا الحى القيوم ثم ذكر الفرق بين انوار
الظواهر وانوار السرائر فقال لاجل ذلك افلت انوار

الظواهر ولم تافل انوار القلوب والسرائر اي لاجل ان انوار
الظواهر انما هي انوار الأثر ومن شان الأثر ان يتأثر ويتغير
بالطلوع والغروب فافلت اي غربت انوار الظواهر اما بالغروب
المعلوم او بالعدم المحتوم ولم تافل اى تغرب انوار القلوب
وهي انوار الاسلام والايمان وانوار السرائر وهي انوار الاحسان
فانوار الاسلام والايمان هي انوار التوجه وانوار الاحسان
هي انوار المواجهة فالنور عبارة عن اليقين الذى يحصل فى
القلب يثمر حلاوة العمل فاذا قوى اليقين قوى النور واشتدت
الحلاوة حتى يتصل بحلاوة الشهود فيغطى حلاوة العمل فلذلك
يقل عمل الجوارح عند العارف اذ حلاوة الشهود تغنى عن كل شيء
ليس الخبر كالعيان وفى بعض الاحاديث سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم اى الاعمال افضل قال العلم بالله قالوا يا رسول
الله سالناك عن العمل قال العلم بالله ثم قال فى الثالثة عمل
قليل كاف مع العلم بالله اهـ وحقيقة النور فى الاصل كيفية
تنبسط من النيرين على سطح الجسم فينكشف ما عليه بواسطة
البصر ثم شبه به العلم واليقين والمعرفة لما بينهما من الشبه
فى كشف حقيقة الاشياء وتمييزها فالنور الحسى ينقطع بانقطاع
اصله والنور المعنوي الذى هو نور القلوب لا ينقطع ابدا
فلذلك انشد الشيخ هذا البيت فقال ولذلك قيل

ان شمس النهار تغرب بليل ۔ وشمس القلوب ليست تغيب

وليس هو من عند المؤلف بل هو لغيره وسياتى فى المناجات
بتمامه ان شاء الله قال الشيخ زروق رضي الله عنه فشمس
القلوب لا تغيب ابدا بل هى دائمة لا تنقطع وباقية لا تنصرم
لبقاء

ك
١٤

١٣٠

لبقاء مددها وهى معارف الاوصاف الربانية ودوام محالها وهى
الافاق الروحانية فالمتعلق بها متعلق بحقيقة لا تنصرم ومن
هذا الوجه كان غنى القوم بالله لا بالاسباب وتعلقهم
به لا بشيء دونه هذا اخر الباب العاشر وحاصله اذكر
كيفية الجزاء على الاعمال والزجر على طلبه وتحقيق معرفته
فى عطائه ومنعه والاعتناء باقباله وقبوله لا بجد منته
ودوام الاضطرار بين يديه والافتقار الى نعمته والاستيحاش
من خلقه بدوام انسه ثم اشراق انواره على قلوب اوليائه
واسرار اصفيائه جزاء لاقبالهم عليه وانحياشهم اليه فاذا
اتحفهم بذلك وهيأهم لما هنالك تلى عليهم قوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
الاية كما نبه عليه فى اول الباب الحادى عشر بقوله وقال
رضي الله عنه ليخفف الم البلاء عنك علمك بانه سبحانه
هو المبلى لك فالذى واجهتك منه الاقدار هو الذى
عودك حسن الاختيار قلت اذا اصابتك ايها الانسان
مصيبة او نزلت بك بلية فى بدن او اهل او مال فاذكر من
انزل ذلك عليك وما هو متصف به من الرحمة والرافة بك
والمحبة والعطف عليك لعلك تفهم ما فى طى ذلك من
النعم وما يعقبه من سوابغ الفضل والكرم ولو لم يكن
الا تطهيرك من الذنوب وتمحيصك من العيوب وتقريبك
من حضرة علام الغيوب فهل تعودت منه الا الاحسان وهل
رايت منه الا غاية المبرة والامتنان فالذى واجهتك منه
الاقدار هو الذى عودك حسن الاختيار فالذى واجهتك منه

احكام قهره هو الذى عودك تمام احسانه وبره فالذى واجهك
منه ظواهر المحن هو الذى اسبغ عليك بواطن المنن فالذى
واجهك من حضرة قهاريته الرزايا هو الذى اتحفك بانواع
الكرامات والهدايا ولله در صاحب العينية حيث يقول

تلذ لى الالام اذ انت مسقمى ، وان تمتحنى فهو عندى صنائع
تحكم بما تهواه فى فاننى ، فقير لسلطان المحبة طائع

قال الجنيد رضى الله عنه كنت نائما بين يدى السرى
فايقظنى وقال لى يا جنيد رايت كانى وقفت بين يديه فقال
لى يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا
فهرب منى تسعة اعشارهم وبقى معى العشر فخلقت الجنة
فهرب منى تسعة اعشار العشر وبقى معى عشر العشر فسلطت
عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة اعشار عشر العشر
فقلت للباقين معى لا الدنيا اردتم ولا الجنة اخذتم ولا من
النار هربتم فما تريدون قالوا انك تعلم ما نريد فقلت انى
مسلط عليكم من البلاء بعدد انفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسى
اتصبرون قالوا ان كنت انت المبتلى فافعل ما شئت هولاء
عبادى حقا اه وقال فى التنوير وانما يعينهم على حمل الاحكام
فتح باب الافهام وان شئت قلت وانما يقويهم على حمل
البلايا واردات العطايا وان شئت قلت وانما يقويهم
على حمل اقداره شهود حسن اختياره وان شئت قلت وانما
يصبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه وان شئت قلت
انما يصبرهم على افعاله ظهوره عليهم بوجود اجماله وان شئت
قلت انما صبرهم على القضاء علمهم بان الصبر يورث الرضى
وان شئت

وان شئت قلت انما صبرهم على الاقدار كشف الحجب والاستار
وان شئت قلت انما صبرهم على اقداره علمهم بما اودع فيها
من لطفه وابراره اه والى هذا الاخير اشار بقوله من ظن انفكاك
لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره قلت من اعظم احسان
الله وبره كون لطفه لا ينفك عن قدره فما نزل القدر الا سبقه
اللطف وصحبه وبهذا حكم العقل والنقل اما العقل فما من
مصيبة تنزل بالعبد الا وفى قدرة الله ما هو اعظم منها وقد
وجد ذلك فاذا نزلت بك ايها الانسان مصيبة فاذكر
من هو اعظم منك بلاء فكم من انسان يتقطع بالاوجاع وكم
من انسان مبتلى بالجذام والبرص والجنون والعمى وكم
من انسان مطروح فى الفنادق لا يجد من يربيه الا من ابتلاه
وكم من انسان اعمى او مقعد او محموم الى ما لا يتناهى
نسال الله عافيته الدائمة فى الدارين واما من جهة
النقل فقد ورد فى ثواب الامراض والاوجاع احاديث
كثيرة وايات قرانية فى مدح الصابرين منها قوله
تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقوله
تعالى وبشر الصابرين الاية ان الله مع الصابرين الى غير ذلك
وقوله صلى الله عليه وسلم ما يصيب المومن من وصب
ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها وحتى
الهم يهمه الا كفر به سيئاته وورد فى الحمى احاديث كثيرة
وان حمى ساعة تكفر سنة الى غير ذلك وقد ذكر الشيخ ابن
عباد رضى الله عنه منها جملة شافية فليطالعه من اراد
تكثير الاجور ورفع الستور والرضى بالمقدور وما ذكرناه

كاف ان شاء الله وكان شيخنا رضى الله عنه يقول كلام
النية قصير وبالله التوفيق فالامر واضح لمن هو لنفسه
ناصح فلا يخاف عليك من الجهل بالحق وانما يخاف عليك من
غلبة الهوى وجهلة الخلق كما اشار الى ذلك بقوله **لا يخاف
عليك ان تلتبس الطرق عليك وانما يخاف عليك
من غلبة الهوى عليك** قلت لا شك ان الله سبحانه بين
لنا طريق الوصول على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فبين
لنا اعلام الشريعة ومنار الطريقة وانوار الحقيقة فقرر لنا
لنا شرائع الاسلام وقواعد الايمان ومقام الاحسان فما ترك
صلى الله عليه وسلم شيئا يقرب الى الله الا دلنا عليه ولا شيئا
يبعد نا عنه الا حذرنا منه لم يال جهدا فى ارشاد العباد
واظهار طريق السداد فما رحل الى الله تعالى حتى ترك
الناس على الدين القويم والمنهاج المستقيم على طريق بيضاء
لا يضل عنها الا من كان اعمى قال تعالى اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا
وقال تعالى لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى وقال عليه
السلام لقد تركتكم على الحنفية السمحة وفى رواية على الملة البيضاء
نهارها كليلها او كما قال عليه السلام **وقال** احمد بن حضرويه
البلخى رضى الله عنه الطريق واضح والدليل لائح والداعى
قد اسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى **وسمعت** رابعة العد
العدوية صالحا المرى يقول من ادمن قرع الباب يوشك
ان يفتح له فقالت له الباب مفتوح وانت تفر منه كيف تصل
الى مقصد اخطات الطريق اليه فى اول قدم كلاهما رضى
الله

الله عنهما فلا يخاف عليك ايها المريد ان تلتبس الطرق
الموصلة الى الله تعالى عليك لانها فى غاية الوضوح وانما
يخاف عليك من غلبة الهوى عليك فيصميك ويعميك
ان الهوى اذا ما تولى يصم او يصم ؟؟ فلا يخاف عليك التباس
الهدى انما يخاف عليك اتباع الهوى فلا يخاف عليك التباس
الحق وانما يخاف عليك جهلة الخلق وان تطع اكثر من فى الارض
يضلوك عن سبيل الله فلا يخاف عليك عدم وجود اهل
التحقيق وانما يخاف عليك قطاع الطريق لا يخاف عليك
من خفاء اهل الحق انما يخاف عليك من قلة الصدق فلو صدقوا
الله لكان خيرا لهم والله ما حجبهم عنك الا من عدم صدقك
فلو حسنت ظنك بالله وباولياء الله لرفع الله الحجاب بينك
وبينهم ووجدتهم اقرب اليك من ان ترحل اليهم فسبحان
من سترهم فى حال ظهورهم واظهرهم فى حال خفائهم
كما نبه عليه الشيخ بقوله **سبحان من ستر سر الخصوصية
بظهور وصف البشرية وظهر بعظمة الربوبية
فى اظهار العبودية** قلت الخصوصية هى نور الحق
يشرقه الله فى قلوب خواص عباده المقربين بعد تطهيرها
من الاكدار وتنزيهها عن المساوى والاغيار يغيبون
به عن شهود انفسهم بشهود محبوبهم وسرها هو ما احتوى
عليه ذلك النور من الكمالات العلية والنعوت القدسية
والصفات السنية التى تليق بالمتحلى به كالكبريا والعز
والقوة والعظمة والاجلال وكالاتصاف بالقدرة التامة
والعلم المحيط وسائر اوصاف الكمال ثم ان الحق سبحانه

من عظيم حكمته وباهر قدرته ان ستر تلك الاوصاف اللازمة
لذلك النور بظهور اضدادها التى هى اوصاف العبودية فستر
كبرياءه وعظمته بظهور الذل والفقر والضعف على العبد وستر
قدرته وارادته بظهور العجز والقهرية عليه وستر علمه المحيط
بظهور الجهل والسهو الى غير ذلك من اوصاف العبودية المقابلة
لاوصاف الربوبية فسبحان من جعل الاشياء كامنة فى اضدادها
ستر كمالات الربوبية بنقائص العبودية ولولا ذلك لكان
السر غير مصون والكنز غير مدفون وسياق قوله ستر انوار السرائر
بكثائف الظواهر اجلالا لها ان تبتذل بالاظهار وان ينادى عليها
بلسان الاشتهار اه ولذلك قال الشيخ ابو العباس المرسى رضى الله عنه
لو كشف عن نور الولى لعبد من دون الله وثبت عن الشيخ ابى يزيد
رضى الله عنه انه لما تجلى له هذا النور قال سبحانى ما اعظم شانى
وقال الحلاج رضى الله عنه انا انت بلا شك سبحانك سبحانى
توحيدك توحيدى وعصيانك عصيانى وقال ايضا

سبحان من اظهر ناسوته ، سر سناء لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهرا ، فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ، كلحظة الحاجب بالحاجب

وباظهار هذا وامثاله قتل رضى الله عنه فمن لطف
الله تعالى ورحمته ان ستر ذلك السر بظهور نقائصه
صونا لذلك السر ان يظهر لغير اهله ومن افشاه لغير
اهله قتل كما فعل بالحلاج وكما ستر سر الخصوصية بظهور
اضدادها ظهر بعظمة الربوبية فى مظاهر العبودية
قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه العبودية جوهرة
اظهرها

اظهر بها الربوبية اه اذ الربوبية تقتضى مربوبا
موصوفا بضد ما اتصف به ربه من الكمالات الالهية
والنعوت القدسية فما ظهرت اوصاف الربوبية التى
هى الغنى والعز والقدرة وغير ذلك من الكمالات الا فى اضداد ها
من الفقر والذل والضعف وغير ذلك فالفقر الحقيقى شامل
لسائر الموجودات والغنى المطلق واجب لمن تجلى فى الارض
والسموات يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو
الغنى الحميد فاذا تقرر هذا علمت ان الاضافة فى سر
الخصوصية ليست هى للبيان بل هى للتخصيص فسر
الخصوصية غيرها اذ الخصوصية هى النور الذى يقذفه الله
سبحانه فى قلوب اوليائه وسرها هو الكمالات التى تلازم
ذلك النور كما تقدم واعلم ان سر الخصوصية الذى جعله
الله فى بواطن اوليائه وستره بظهور وصف بشريتهم
قد يظهره عليهم على وجه خرق العادة فقد يظهر على
وليه من قدرته وعلمه وسائر كمالاته ما تحار فيها العقول
وتذهل فيه الاذهان لكن لا يدوم ذلك لهم بل يكون على
سبيل الكرامات وخرق العادات يشرق عليهم شموس اوصافه
فيتصفون بصفاته ثم يقبض ذلك عنهم فيردهم الى حدودهم
فنور الخصوصية وهى المعرفة ثابت لا يزول ساكن لا يحول
وسرها وهو كمالاته تعالى تارة يشرق على افق بشريتهم فيستنير
باوصاف الربوبية وتارة ينقبض عنهم فيردون الى حدودهم
وشهود عبوديتهم فالمعرفة ثابتة والواردات مختلفة
والله تعالى اعلم واعلم ايضا ان اوصاف البشرية التى ستر الله

بها سر الخصوصية اعنى الاوصاف الذاتية اللازمة للبشر
كالاكل والشرب والنوم والنكاح لا الاوصاف المذمومة المناقضة
للعبودية كالكبر والعجب والحسد والغضب وغيره لك فان تلك الا
الاوصاف ذهبت بظهور نور العناية وسابق الهداية اذ لا تثبت
الخصوصية الا بعد محوها بخلاف الاوصاف الذاتية فانها
تجامع الخصوصية كما سياتى ان شاء الله بل هى حجابها
وصوانها وبوجودها وقع الستر والخفاء لاولياء الله تعالى
غيرة عليهم ان يعرفهم من لا يعرف قدرهم قال فى لطائف
المنن فاولياء الله اهل كهف الإيواء فقليل من يعرفهم
وسمعت الشيخ ابا العباس رضى الله عنه يقول معرفة
الولى اصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله
ومتى تعرف مخلوقا مثلك ياكل كما تاكل ويشرب كما تشرب
واذا اراد الله ان يعرفك بولى من اوليائه طوى عنك
وجود بشريته واشهدك وجود خصوصيته اه تنبيه
هذا النور الذى اشرقه الله فى قلوب اوليائه كان كامنا فى الروح
فى اصل بروزها فاصلها نورانية عالمة باسرار الغيب
دراكة للاشياء على حقيقتها وانما حجبها عن ذلك سجنها
فى هذا البدن الطينى واشتغالها بحظوظه وشهواته
فمن ادبها وريضها على يد شيخ كامل رجعت الى اصلها
قال فى المباحث

ولم تزل كل نفوس الاحيا ... علامة دراكة للاشيا
وانما تعوقها الابدان ... والانفس النزغ والشيطان
فكل من اذاقهم جهاده ... اظهر للقاعد خرق العاده

فاذا كمل

١٢٤

فاذا كمل تطهير الروح من الاغيار واشرقت عليها شموس
الانوار كوشفت باسرار الذات وانوار الصفات فغرقت
فى بحر التوحيد الذى تكل عنه العبارة ولا تلحقه الاشارة
وهو التوحيد الخاص الذى اشار اليه الهروى بقوله

ما وحد الواحد من واحد ... اذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته ... عارية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده ... ونعت من ينعته لاحد

ومضمنه ان الحق سبحانه تولى توحيد نفسه بنفسه
فكل من ادعى انه وحده بنفسه فهو جاحد لوحدانيته
حيث اشرك معه نفسه وكل من ينعته بنفسه فهو لاحد
اى مائل عن الصواب والله تعالى اعلم فاذا طلبت ربك
فى تطهيرك من وصف البشرية ليكشف لك سر الخصوصية
ثم تاخر مطلبك فانما ذلك من سوء ادبك كما نبه عليه
بقوله لا تطالب ربك بتاخر مطلبك ولكن طالب
نفسك بتاخر ادبك قلت هذه قاعدة عامة وان
كانت مناسبتها خاصة فاذا طلبت شيئا ثم تاخر ظهور
ذلك المطلب فانما ذلك لما فاتك من حسن الادب
ولو لم يكن الا قصد خصوص ذلك الطلب فلا تطالب ربك
ان يعجل مطلبك بسبب تاخره عنك ولكن طالب نفسك
بتاخر ادبك فلو احسنت الادب فى الطلب لقضيت حا جتك
معنى وان لم تقض حسا وحسن الادب هنا هو اكتفاؤك
بعلمه ورضاك بحكمه واعتمادك على ما اختاره لك دون
ما اخترته لنفسك لقلة علمك فقد ضمن لك الاجابة

فيما يريد لا فيما تريد وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى
تريد ولله در القائل

وكم رمت امرا خرت لى فى انصرافه • فلازلت لى منى ابر وارحما
عزمت على ان لا احس بخاطر • على القلب الا كنت انت المقدما
وان لا ترانى عند ما قد نهيتنى • لانك فى نفسى كبيرا معظما

قال وهب بن منبه رضى الله عنه قرات فى بعض الكتب
يا ابن آدم اطعنى فيما امرتك ولا تعلمنى بما يصلحك
انى عالم بخلقى انما اكرم من اكرمنى واهين من هان عليه
امرى ولست بناظر فى حق عبدى حتى ينظر عبدى فى حق
الله واعظم الآداب واكملها امتثال امره والاستسلام لقهره
كما نبه عليه بقوله **متى جعلك فى الظاهر ممتثلا
لأمره وفى الباطن مستسلما لقهره فقد اعظم المنة عليك**
قلت انما كان من اعظم المنة لانه شاهد المعرفة التى
هى منتهى الهمم واقصى غاية النعم فامتثال الامر
فى الظاهر يدل على كمال الشريعة وتحقيق العبودية
والاستسلام للقهر فى الباطن يدل على كمال الطريقة و
ونهاية الحقيقة والجمع بينهما هو غاية الكمال اذ منتهى
الكمالات الشرائع فمتى جعلك ايها الانسان فى الظاهر
ممتثلا لامره ومجتنبا لنهيه وفى الباطن مستسلما لقهره
فقد اعظم المنة عليك حيث اراح ظاهرك من عنت
المخالفة واراح باطنك من تعب المنازعة **او تقول**
حيث زين ظاهرك بالطاعة وزين باطنك بالمعرفة
فالواجب عليك ان تشكر هذه النعمة وتعرف قدرها حتى
تعظم

تعظم محبة الله فى قلبك وذلك اقصى مرادك وقصدك
والله ذو الفضل العظيم ومتى اثبت لك هذا الامر فقد
خلصك من نفسك وحررك من رق حظك فلا تبال معها
ما فاتك من تخصيص الكرامات الحسية لانها امور وهمية
كما اشار الى ذلك بقوله **ليس كل من ثبت تخصيصه
كمل تخليصه** قلت المراد هنا بالتخصيص تخصيصه
بالكرامة الحسية والمراد بالتخليص تخليصه من رق الحظوظ
ومن بقية السوى فليس كل من ثبت تخصيصه
بالكرامات الحسية كمل تخليصه من حظوظه النفسية ليس
كل من ثبت تخصيصه بالكرامات كمل تخليصه من الهوى
والشهوات بل قد يعطى الكرامة الحسية بعض من لم
يتخلص من حظوظه النفسية وحكمة ظهورها عليه
ثلاثة امور **احدها** انها ضه فى العمل لحصول فترة او وقفة
الثانى اختبار له هل يقف معها فيحجب او يانف عنها
فيقرب **الثالث** زيادة فى يقينه او يقين الغير فيه لينتفع
به فهى مقصودة بالتكميل على كل حال قال سهل رضى الله
عنه لرجل قال له انى اتوضأ فاجد الماء يسقط من
يدى قضبان ذهب وفضة فاجابه بقوله اما علمت
ان الصبيان اذا بكوا اعطوا خشخاشة يشتغلون بها
قال بعض العلماء ما رايت هذه الكرامات الا على ايدى
البله من الصادقين اه قلت الكرامة العظمى هى
المعرفة والاستقامة ورفع الحجاب وفتح الباب فلا كرامة
اعظم من هذا وسياتى الكلام على هذا المعنى بعد

ان شاء الله ويحتمل ان يريد بالتخصيص تخصيص
التقريب والهداية فليس كل من ثبت تخصيصه بالهداية
وشروق الانوار كمل تخليصه من رؤية الاغيار فقد يخصص
بالمجاهدة والمكابدة ولا يتحف بالمعرفة والمشاهدة
قوم اقامهم لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كما تقدم فا
فالعباد والزهاد ثبت تخصيصهم فهم من عوام المقربين
ولم يكمل تخليصهم من شهود السوى حتى يكونوا من خواص
العارفين وبالله التوفيق **هذا اخر الباب** الحادى عشر
وحاصلها تحقيق الادب فى التعرفات الجلالية بدوام
معرفته وشهود نعمته فى نقمته وجريان لطفه وبره
فى حال قضائه وقدره حتى لا يغلبك الهوى فتلتبس
عليك سبل الهدى او تقف مع ظاهر الاشياء التى هى
محل الجلال فتحجب عن البواطن التى هى مستقر الجمال
فالذات جلال والصفات جمال فمن وقف مع ظواهر
الجلال حجب عن شهود الجمال وحرم من معرفة الرجال وكان
محجوبا عن ذى العظمة والجلال فيسئ الادب ويحرم
حصول المطلب فاذا استدركته العناية وهبت عليه
ريح الهداية شغل ظاهره بوظائف العبودية وباطنه
بشهود الربوبية فكان فى الظاهر ممتثلا لامره وفى
الباطن مستسلما لقهره فتمت عليه نعمة مولاه وكمل
تخليصه من رق حظوظه وهواه فحينئذ يعظم ما عظم
مولاه ولا يستحقر شيئا من اسباب محبته ورضاه كما بان ذلك
فى اول الباب الثانى عشر بقوله **وقال رضى الله عنه**

لا يستحق

**لا يستحقر الورد الا جهول الوارد يوجد فى الدار الاخرة
والورد ينطوى بانطواء هذه الدار واولى ما يعتنى
به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد
انت تطلبه منه واين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك
منه** قلت الورد فى اللغة هو الشرب قال تعالى بئس الورد
المورود وفى الاصطلاح ما يرتبه العبد على نفسه او الشيخ على
تلميذه من الاذكار والعبادات والوارد فى اللغة هو الطارق والقادم
يقال ورد علينا فلان اى قدم وفى الاصطلاح ما يتحفه الحق تعالى
قلوب اوليائه من النفحات الالهية فيكسبه قوة محركة وربما
يدهشه او يغيبه عن حسه ولا يكون الا بغتة ولا يدوم على صاحبه
ثم ان الورد ينقسم على ثلاثة اقسام ورد العباد والزهاد من المجتهدين
وورد اهل السلوك من السائرين وورد اهل الوصول من العارفين
فاما ورد المجتهدين فهو استغراق الاوقات فى انواع العبادات
وعباداتهم بين ذكر ودعاء وصلاة وصيام وقد ذكر فى الاحياء
والقوت اوراد النهار واوراد الليل وعين لكل وقت وردا معلوما
واما ورد السائرين فهو الخروج من الشواغل والشواغب وترك العلائق ثق
والعوائق وتطهير القلوب من المساوى والعيوب وتحليتها
بالفضائل بعد تخليتها من الرذائل وعباداتهم ذكر واحد
وهو ما يعينه له الشيخ لا يزيد عليه مع جمع القلب وحضوره
مع الرب **واما** ورد الواصلين فهو اسقاط الهوى ومحبة
المولى وعباداتهم فكرة او نظرة مع العكوف فى الحضرة
فكل من اقامه مولاه فى ورد فليلتزمه ولا يتعد طوره ولا
يستحقر غيره اذ العارف لا يستحقر شيئا بل يصير مع كل

واحد فى مقامه ويقصر كل شئ فى محله فلا يستحقر الورد
ويطلب الوارد الا جهول او معاند وكيف يستحقر الورد وبه
يكون الورود على الملك المعبود الورد يوجد ثوابه وثمرته
فى الدار الاخرة والوارد الذى تطلبه ينطوى بانطواء هذه
الدار قال تعالى وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون
وجاء فى الاثر ان الله يقول ادخلوا الجنة برحمتى وتقاسموها
باعمالكم وايضا المراد من الواردات نتائجها وثمراتها
وهو ما يعقبها من اليقين والطمانينة والرضى والتسليم
وغير ذلك من المحاسن فاذا اعطتك نتائجها وجنيت
ثمراتها فلك فى الله غنى عنها فلا يستحقر الورد
ويطلب الوارد الا من كان عبد الوارد واما من كان عبد
الله فلا يلتفت الى ما سواه بل يلزم ما هو مكلف به
من وظائف العبودية قياما بحق عظمة الربوبية
فهو الذى يدوم وبه يتوصل الى رضى الحى القيوم
واولى ما يعتنى به الانسان ما ينقطع وجوده بانقطاع
موته وهو ورده فيغتنم وجوده ما دام فى هذه الدار
فليس فى تلك الدار عمل وانما هى دار جزاء وحصول
امل فالدنيا دار عمل لا جزاء فيها والاخرة دار جزاء لا عمل
فيها فليغتنم الانسان عمره قبل الفوات فما من زمن
يخلو عنه الا وهو فائت منه وقد جاء فى الحديث لا تاتى
على العبد ساعة لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة
يوم القيمة اه والذكر متنوع كل بحسب حاله وقال
الحسن رضى الله عنه ادركت اقواما كانوا على ساعاتهم
اشفق

[illegible]

اشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم وفى معنى ذلك قيل
• السباق السباق قولا وفعلا • حذر النفس حسرة المسبوقا •
وفى بعض الاحاديث عنه عليه السلام من استوى
يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو محروم
ومن لم يكن فى الزيادة فهو فى النقصان فالموت خير له واولى
ما يعتنى به العبد ايضا ما هو طالبه منه الحق تعالى وهو
الورد دون ما يطلبه هو منه وهو الوارد فالورد من وظائف
العبودية وهو الذى طلبه منا الحق تعالى والوارد من
وظائف الحرية ولذلك تطلبه النفس وتتعشق اليه
واين ما هو طالبه منا مما هو مطلبنا منه بينهما فرق
كبير قال الشيخ زروق رضى الله عنه بينهما فى القدر
ما بينهما فى الوصف قضاء الله احق وشرط الله اوثق
وانما الولاء لمن اعتق اه فتحصل ان الاعتناء بالورد
افضل واكمل من الاعتناء بالوارد لان الورد من وظائف
العبودية وهى لا تنقطع ما دام العبد فى هذه الدار
كما ان حقوق الربوبية لا تنقطع كذلك حقوق العبودية
لا تنقطع قال النقشبندى رحمه الله ولهذا لم يترك
العبادة سيد هذا المقام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت
قدماه فقيل له كيف تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا فافاد
صلى الله عليه وسلم ان شكر النعمة تمام الخدمة وهو موجب
المزيد قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وهذا سبيل طائفة
الجنيد رضى الله عنه لم يترك اوراده فى حال نزاعه فقيل

ولهذا الجنيد
لم يترك ...

له فى ذلك فقال ومن اولى منى بذلك وهذه صحائفى نطوى
فلم يترك الخدمة رضى الله عنه فى مثل هذه الحالة فكيف بسواها
قيل له ان جماعة يزعمون انهم يصلون الى حالة يسقط عنهم
التكليف قال وصلوا ولكن الى سقر وقال فى كلام اخر
هذا الكلام من يقول بالاباحة والسرقة والزنى عندنا
اهون حالا ممن يقول بهذه المقالة ولقد صدق رضى
الله عنه فى قوله هذا فان الزانى والسارق عاص بزناه
وسرقته ولا يصل الى حد الكفر واما القائل بسقوط الفرائض
المعتقد لذلك فقد انسل من الدين كما ينسل الشعرة
من العجين فعض على هذا الاصل بالنواجذ يا اخى
ولا تسمع كلام من اخذ الحقائق من الكتب وصار يتكلم
بالزندقة والالحاد واسقاط الاعمال على حسب فهمه وهواه
قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه
تابعا لما جئت به وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحببكم الله فعليك بمتابعته صلى الله عليه
وسلم ومتابعة السلف الصالح فى الاقوال والافعال والاحوال
تحز مقامهم وتكن معهم فالمرء مع من احب اه كلام
النقشبندى وهو حسن لان من اخذ الحقائق من الكتب
لا ذوق عنده وانما يترامى على الحقيقة بالعلم فيتبع الرخص
ويسقط فى مهاوى الهوى واما من كان من اهل الاذواق
فسره مكتوم وامره محزوم عبادته ادب وسكر وهو احق بدوام
الشكر وكيف ينكر الواسطة ولولا الواسطة لذهب الموسوط
قال ابو الحسن الدراج رضى الله عنه ذكر الجنيد اهل المعرفة
بالله

بالله وما يراعونه من الاوراد والعبادات بعد ما اتحفهم
الله به من الكرامات فقال الجنيد رضى الله عنه العبادة
على العارفين احسن من التيجان على رؤس الملوك اه
وقد راى رجل الجنيد رضى الله عنه وفى يده سبحة
فقال له انت مع شرفك تاخذ فى يدك سبحة فقال
بعة نعم سبب وصلنا الى ما وصلنا فلا نتركه ابدا اه فالشر
باب والحقيقة بيت الحضرة قال تعالى واتوا البيوت
من ابوابها ثم قال فلا دخول للحقيقة الا من باب الشريعة
ولله در سيدى عبد الله الهبطى الزجلى رضى الله عنه
حيث يقول فى منظومته

وثالث الفصول فى الشريعة ۔ لانها الى الهدى ذريعه
فكل باب دونها مسدود ۔ ومن اتى من غيرها مردود
قد اصطفاها ربنا عز وجل ۔ بفضله وجوده على الملل
طريقة العدنان للرحمان ۔ محفوفة بالنور والرضوان
طوبى لمن اتى بها للعرض ۔ والويل للذى بها لم يقض
يا ايها المريد ان اردت ۔ وصال من بحبه شغفت
فشد منك الكف يا وليى ۔ على شريعة النبى الامى
حصل جميع ماله الشرع ارتضى ۔ وكن لكل ما سواه رافضا
ترى الفؤاد صافيا وشارقا ۔ وعن سوى المولى الى المولى ارتقى

ثم قال

فما الشريعة الوصال للهناد ۔ كالفوز بالبقاء من بعد الفناء
ومن يظن الخير فى سواها ۔ فانه والله ما دراها

قلت وقد رايت كثيرا من الفقراء قصروا من الشريعة

نحرجوا من الطريقة وسلبوا من الحقيقة ورايت اخرين
طال امدهم فى صحبة القوم ولم يظهر عليهم بهجة المحبين
ولا سيما العارفين وما ذلك الا لعدم التحفظ على مراسم
الشريعة وكان شيخنا البزيدي رضي الله عنه يقول
كل من ترك الشريعة من غير جذب ولا عذر فهو سلكوط
كبيرا هـ قلت والله ما راينا الخير الا فيها وما ربحنا الا منها
فالله يرزقنا الادب معها الى يوم الفصل والقضاء امين
ثم ذكر ثمرة الورد ونتيجته وهو المدد الالهي اذ بقدر
الاستعداد تحصل الامداد ولا استعداد لها الا بدوام الاوراد
وتفرغ الفؤاد فقال **ورود الامداد بحسب الاستعداد**
قلت المراد انوار التوجه للسائرين وانوار المواجهة للواصلين
فهي تتوالى على قلوب العباد بحسب التاهب والاستعداد
فبقدر المجاهدة تكون المشاهدة وبقدر التخلية تكون التحلية
وفائدة هذه الامداد تطهير القلوب من الاغيار
وتقديس الاسرار من غبش الحس والاكدار والوقوف مع
الانوار فلا تزال امطار المدد تنزل على ارض النفوس
الطيبة والقلوب المطهرة والارواح المنورة والاسرار
المقدسة حتى تمتلا بانوار المعاني فحينئذ تنشق لها
اسرار الذات وتنفلق لها انوار الصفات فتغيب بشهود
الذات عن اثر الصفات ثم ترد الى شهود الصفات بالذات
والذات بالصفات لا يحجبها جمعها عن فرقها ولا فرقها عن
جمعها فتعطي كل ذي حق حقه وتوفي كل ذي قسط قسطه
قال شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه في بعض رسائله

فان قلتم

فان قلتم اي وقت نكون كالجبال تحسبها جامدة وهي تمر
مر السحاب قلنا اذا زهدتم في الدنيا بالكلية وقطعتم
الاياس من الرجوع اليها بالكلية ثم اعتقدتم في شيوخكم
انهم كمل وانهم على قدم الانبياء عليهم السلام من
ورثة النبي صلى الله عليه وسلم فوالله العظيم لينزل عليكم
المدد الليل والنهار والشهر والعام وفي كل وقت وساعة
ولحظة حتى تمتلئ قلوبكم بمعرفة الله وتطمئن قلوبكم بذكر
الله وتكونوا كالجبال الراسية هذا معنى كلامه باختصار
رضي الله عنه وهو كما قال لان الزاهد في الدنيا تفرغ
قلبه وتخلى من الاكدار وتهيا للانوار فاذا نزل
المدد وجد القلب متسعا مطهرا منظفا فملاه من انواره
وحلاه بحلية اسراره بخلاف ما اذا كان القلب معمورا باغيار
الدنيا لم يجد المدد موضعا ينزل فيه فيرجع من حيث
جاء واعتقاد كمال الشيوخ هو عين الصدق وبقدر الصدق
ينبع المدد ولا يمكن ان ينقطع الوهم او يذهب الحس الا
بالصدق مع الزهد فبالزهد يتهيا للمدد وبالصدق
يفيض عليه المدد فكلما فاض ماء المدد غسل اوساخ
الوهم فاذا لم يبق للوهم اثر حصل الغرق في البحر والله تعالى
اعلم ثم فسر الامداد وكيفية الاستعداد فقال **شروق الانوار
على حسب صفاء الاسرار** قلت شروق انوار المعارف في افق
سماء القلوب يكون على قدر صحوها من سحب الاثار
وغيم الاغيار وغين الانوار كما قال الشاعر
ان تلاشى الكون عن عين قلبي ٭ شاهد السر غيبه في بيان ٭

حتى ح

ق



٭ فاطرح الكون عن عيانك وامح ٭ نقطة الغين ان اردت تراني ٭
فبفقد صفاتها ومحوها يكون تمام اشراق نورها فاذا انجلى
عن سماء القلوب سحب الاثار وغيم الاغيار اشرق فيها نور
الفنا فيغيب القلب والروح عن الرسوم ولم يبق الا الحي القيوم
واذا انجلت عن الاسرار غين الانوار اشرق فيها نور البقاء
فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ولصاحب العينية رضي الله عنه

٭ فنيت بها عني فما لي انية ٭ هوية ليلى للانية قاطع ٭
٭ وكنت كما ان لم اكن وهو انه ٭ كما لم يزل فردا وللكل جامع ٭
٭ فشمسي في افق الالوهة مشرق ٭ وبدري في شأو الربوبة طالع ٭
٭ فافنيتها حتى فنت وهي لم تكن ٭ ولكنني بالوهم كنت اطالع ٭

فعلامة شروق هذه الانوار ترك التدبير والاختيار والاكتفاء بنظر
الواحد القهار كما اشار اليه بقوله الغافل اذا اصبح نظر فيماذا يفعل
والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به قلت الغافل هو الجاهل بالله
ولو كثر ذكره باللسان والعاقل هو العارف بالله ولو قل له ذكر
اللسان اذ المعتبر هو ذكر الجنان فالغافل نفسه موجودة وآماله
ممدودة اذا اصبح نظر ماذا يفعل بنفسه فيدبر شؤونه ومآربه
بعقله وحدسه فهو ناظر لفعله معتمد على قوته وحوله
فاذا فسخ القضاء ما ابرمه وهدم له ما امله غضب وسخط
وحزن وقنط فنازع ربه واساء ادبه فلا جرم انه يستحق من
الله البعد ويستوجب في قلبه الوحشة والطرد الا ان حصل له
الى الله اياب وادام الوقوف بالباب حتى يرفع عنه الحجاب فحينئذ
يلتحق بالاحباب واما العاقل وهو العارف فقد تحققت في قلبه
عظمة ربه وانجمع اليه بكلية قلبه فاشرقت في قلبه شموس العرفان
وطوى

وطوى من نظره وجود الاكوان فليس له عن نفسه اخبار ولا
مع غير الله قرار متصرفه بالله ومن الله والى الله فقد فني عن نفسه
وبقي بربه فلم ير لها تركا ولا فعلا ولا قوة ولا حولا فاذا اصبح
نظر ماذا يفعل الله به فيتلقى كل ما يرد عليه بالفرح
والسرور والبهجة والحبور لما هجم عليه من حق اليقين
والغنى برب العالمين قال سيدنا عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه اصبحت وما لي سرور الا مواقع القدر
وقال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين سنة
ما اقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته فسخطته
اه فاذا اراد الفقير ان يكون تصرفه بالله فليعتزل
عن حظوظه وهواه فاذا ارادت يفعل امرا فليتأن
ويصبر ويستمع الى الهاتف فان الله سبحانه يسمعه
ما يريد ان يتوجه اليه فعلا او تركا وقد جربنا هذا
في سفرنا واقامتنا فكنا لا نتصرف الا باذن خاص والحمد
لله وصاحب الاعتناء كله هكذا مع التأني فان التأني من
الله والعجلة من الشيطان وكثيرا ما كان الشيخ المجذوب
الولي العارف سيدي احمد ابو سلهام ينشد في هذا البيت
تأنّ ولا تعجل لامر تريده ٭ وكن راحما للخلق تبلى براحم
فعليك ايها المريد بالاعتناء بهذا الامر وافهم عن
الله في امورك كلها وانشد على نفسك

٭ اتبع رياح القضا ودر حيث دارت ٭ وسلم لسلمى وسر حيث سارت

واستعن على هذا الامر بادعيته عليه السلام في هذا المقام
كقوله اللهم اني اصبحت لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا

ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتنى
ولا ان اتقى الا ما وقيتنى فوفقنى اللهم لما ترضاه منى من القول
والفعل وفى عافية وستر انك على كل شيء قدير وكقوله ايضا
عليه السلام اللهم انى اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك
نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيرى واصبحت مرتهنا بعملى
فلا فقير افقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديقى
ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا اكبر همى ولا مبلغ
علمى ولا تسلط على من لا يرحمنى الى غير ذلك من الادعية
التى تكسب الرضى والتسليم والمقصود من دعائه عليه السلام
فهم معانيها لا مجرد الفاظها فالمراد المعانى لا الاوانى
والله تعالى اعلم ويجمع هذه المعانى وصية شيخ طريقتنا
القطب ابن بشيش للرجل الذى قال له وظف على وظائف واورادا
فغضب وقال له ارسول انا فاوجب الواجبات الفرائض معلومة
والمعاصى مشهورة فكن للفرائض حافظا وللمعاصى رافضا
واحفظ قلبك من ارادة الدنيا وحب النساء ومن الجاه وايثار
الشهوات واقنع فى ذلك كله بما قسم الله لك اذا خرج لك مخرج
الرضى وهو جماله تعالى فكن لله فيه شاكرا واذا خرج لك
مخرج السخط وهو جلاله فكن عليه صابرا وحب الله قطب
تدور عليه الخيرات واصل جامع لجميع الكرامات وحصن ذلك
كله اربعة صدق الورع وحسن النية واخلاص العمل ومحبة
العلم ولا يتم ذلك الا بصحبة اخ صالح او شيخ ناصح اه وقال
الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه احرص ان تصبح وتمسى
مفوضا مستسلما لعله ينظر اليك فيرحمك اه وقال بعضهم
من اهتدى

ف من ادعيته

من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه
لم يهتد الى الله اى من راى الحق غاب عن نفسه ومن راى
نفسه حجب عن الله ثم ان العاقل الذى ينظر ما يفعل الله هو
العارف كما تقدم لانه هو الذى يتحقق فيه ذلك ومن
علامته انه لا يستوحش من شيء لمعرفته فى كل شيء
وفهمه عن الله فى كل شيء بخلاف غيره من العباد
والزهاد وهو الذى اشار اليه بقوله انما استوحش
العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله فى كل
شيء فلو شهدوه فى كل شيء ما استوحشوا من شيء
قلت العباد هم الذين غلب عليهم الفعل فهم مستغرقون
فى العبادة الحسية يقومون الليل ويصومون النهار
شغلهم حلاوة العبادة عن حلاوة شهود المعبود
فحجبوا بعبادتهم عن معبودهم والزهاد الذين غلب
عليهم الترك فهم يفرون من الدنيا واهلها ذاقوا حلاوة
الزهد فوقفوا معه وحجبوا عن الله فهم يستوحشون
من الاشياء لغيبتهم عن الله فيها ولو عرفوا الله فى كل
شيء ما استوحشوا من شيء ولانسوا بكل شيء وتادبوا
مع كل شيء والعارفون لنفوذ بصيرتهم شهدوا الخلق
مظاهر من مظاهر الحق فحجبوا اولا بالحق عن الخلق وبا
وبالمعنى عن الحس وبالقدرة عن الحكمة ثم ردوا الى
شهود الحق فى الخلق والقدرة فى الحكمة فحين عرفوه
فى كل شيء انسوا بكل شيء وتادبوا مع كل شيء و
وعظموا كل شيء وفى هذا المقام قال المجذوب

هم صح

رضى الله عنه الخلق نوار وانا رعيت فيهم هم الحجب الاكبر والمدخل فيهم
وقال سيدى على رضى الله عنه على قول الشيخ ابى الحسن الشاذلى
فى شان الخلق اراهم كالهباء فى الهواء ان فتشتهم لم تجدهم
شيئا بل ان فتشتهم وجدتهم شيئا وذلك الشيئ ليس
كمثله شيئ يعنى وجدتهم مظاهر من مظاهر الحق
انوارا من انوار الملكوت فائضة من بحر الجبروت كما قال صا
حب العينية رضى الله عنه

تجليت فى الاشياء حين خلقتها ، فها هى ميطت عنك فيها البراقع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة ، ولم يك موصول ولا فصل قاطع

وقال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه
طلع النهار على قلبى حتى نظرت بعينيا انت دليلى يا ربى انت اولا منى بيا
والحاصل ان العارفين بالله غابوا عن شهود الخلق بشهود الحق
فهم مع الخلق بالاشباح ومع الحق بالارواح ماتوا وبعثوا
وقامت قيامتهم وتبدلت فى حقهم الارض غير الارض
والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فهم يرون الانوار
والناس فى ظلمة الاغيار كشف لهم فى هذه الدار عن اسرار مكوناته
مسدوله عليها قهارية استاره وسيكشف لهم فى تلك الدار
عن اسرار ذاته من غير حجاب الحكمة التى هى اثر صفاته
كما اشار الى ذلك بقوله امرك فى هذه الدار بالنظر فى
مكوناته وسيكشف لك فى تلك الدار عن كمال ذاته
قلت انما امرك فى هذه الدار ان تنظر اليه بواسطة
مكوناته لانك لا تقدر هنا ان تنظر الى حقيقة ذاته
المقدسة فى عظمة الجبروت الاصلى بلا واسطة لضعف

نشاتك

نشاتك وان كان ذلك جائزا عقلا ولذلك طلبه سيدنا
موسى عليه السلام لكن حكمة الحكيم اقتضت تغطية
اسرار الربوبية بانوار سبحات الالوهية اذ لا بد للحسناء
من نقاب وللشمس من سحاب ولو ظهر من غير رداء
الكبرياء لوقع الادراك ولم يبق حينئذ ترقى فالترقى
فى اسرار الذات انما هو بالنظر الى انوار الصفات وهو لا ينقطع
ابدا فى الدارين فلا تنال الذات من غير مظهر اصلا فالحق
لا تقبض الا بالحس هذا مذهب اهل التحقيق من اهل المعانى
فان قلت كيف فرق الشيخ بين الرؤيتين باعتبار الدارين
والتحقيق انهما رؤية واحدة لان المظهر متحد فالجواب
انه لما كان مظهر هذه الدار الحس فيه غالب على المعنى
والحكمة ظاهرة والقدرة باطنة ومظهر الدار الاخرة
بالعكس المعنى فيه غالب على الحس والقدرة ظاهرة انكشف
ثم عن حقيقة الذات اكثر مما انكشف هنا فبهذا المعنى
وقع التفريق بين الرؤيتين ومثله قول الشيخ ابى الحسن
رضى الله عنه فى حزبه الكبير عز الدنيا بالايمان والمعرفة
وعز الاخرة باللقاء والمشاهدة اهـ هذا باعتبار الخواص واما
العوام فلا يرون الا الحس فى هذه الدار وفى تلك الدار واما
الرؤية التى تحصل لهم يوم المزيد فيحتمل ان يظهر لهم
بث نورا من انوار قدسه ويلهمهم المعرفة فيه وهو ظاهر الحد
او يغيبهم عن حسهم فى ذلك الوقت حتى يشهدوا معانى
الذات ويتلذذوا برؤيتها ثم يردهم الى حسهم والحاصل
ان تجلى الذات على قسمين قسم يكون بوسائط كثيفة ظاهرها

ظلمة وباطنها نور ظاهرها حكمة وباطنها قدرة ظاهرها
حس وباطنها معنى وهو تجلى هذه الدار وقسم يكون
بوسائط لطيفة نورانية ظاهرها نور وباطنها نور
ظاهرها قدرة وباطنها حكمة ظاهرها معنى وباطنها
حس وهو تجلى دار الاخرة فالعارفون لما حصل لهم الشهود
والمعرفة فى هذه الدار وفى تلك الدار لا تحجبهم عن الله
قصور ولا حور بل دائما فى النظرة والسرور والنضرة
والحبور وذلك انهم لما عرفهم به هنا لم تحجبهم هنالك
يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه بخلاف
العامة فانهم لما حجبهم هنا بشهود انفسهم احتجبوا
هنالك عن رؤية معبودهم الا فى وقت مخصوص على
وجه مخصوص ولذلك كتب ابن العربى الحاتمى الى
الامام الرازى فقال له تعال نعرفك بالله اليوم قبل
ان تموت فاذا تجلى الله لعباده انكرته ولم تعرفه
وسئل الشيخ ابو محمد عبد القادر الجيلانى رضى الله
عنه عن رجل يدعى انه يرى الله ببصره فاستدعاه
فساله عن ذلك فقال نعم فانتهره ونهاه عن هذا
القول ثم قيل له امحق هو ام مبطل فقال هو محق
ملبس عليه وذلك انه شهد ببصيرته نور الجمال
ثم خرق من بصيرته الى بصره فنفذ فراى بصره
بصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده
فظن ان بصره راى ما شاهدته بصيرته وانما راى
بصره ببصيرته فحسب اه والحاصل انه انعكس
بصره

١٤٢

بصره فى بصيرته فراه ببصيرته وظن انه راه ببصره
ومعنى ذلك ان الروح ما دامت محجوبة بالبشرية
كان النظر انما هو للبصر الحسى فلا يرى الا الحس فاذا
استولت الروحانية على البشرية انعكس نظر البصر الى
البصيرة فلا يرى البصر الا المعانى التى كانت تراها البصيرة
وهو معنى قول شيخ شيوخنا المجذوب

غيبت نظرى فى نظرى ، وافنيت عن كل فانى ،
حققت ما وجدت غيرى ، وامسيت فى الحال هانى ،

والله تعالى اعلم وانما امرك فى هذه الدار ان تنظر اليه
فى مكوناته تسلية لك عن شهود ذاته والنظر اليه اذ
لا صبر للمحب عن محبوبه كما ابان ذلك بقوله لما علم
انك لا تصبر عنه اشهدك ما برز منه قلت لما فصل
الحق سبحانه هذه الروح التى هى لطيفة نورانية
من اصلها وتغربت عن وطنها تعشقت الى اصلها
وتعطشت الى محبة سيدها فلما علم الحق سبحانه انها لا تصبر
عنه ولا تقدر ان تراه على ما هو عليه من كمال جلاله وشهود
بهاء جماله ما دامت فى هذا السجن الذى هو قفص البدن
اشهدها الحق تعالى ما برز منه من تجلياته فى مظاهر
مكوناته وءاثار صفاته لكن لا بد للحسناء من نقاب
وللشمس من سحاب فبرزت انوار الجبروت الى رياض الملكوت
فغطتها سحائب الحكمة وءاثار القدرة فبقيت الروح
تتعشق الى اصلها من وراء سحاب الاثر فاذا انقشع
السحاب ورفع الحجاب لقى كل حبيب حبيبه وعرف كل انسان

متواه ومستقره فتنعم الروح بشهود المعانى خلف رقة
الاوانى واليه اشار الشيخ الغوث ابو مدين رضى الله
عنه بقوله

فلولا معانيكم تراها قلوبنا ۞ اذا نحن ايقاظ وفى النوم ان غبنا
لمتنا اسى من بعدكم وصبابة ۞ ولكن فى المعنى معانيكم معنى

اى فلولا معانى ذاتكم تراها قلوبنا فى مظاهر صفاتكم
لمتنا عشقا او فلولا معانى ربوبيتكم تراها قلوبنا فى مظاهر
مكوناتكم او فلولا معانى الجبروت تراها قلوبنا فى عالم الملكوت
لمتنا اسى اى حزنا على فراقكم وشوقا الى لقائكم وقوله ولكن
فى المعنى معانيكم معنا اى ولكن معانيكم التى تشاهدها
قلوبنا فى المعنى معنى عظيم فاستانسنا بمشاهدتها
وانست ارواحنا بها فلم تمت عشقا وشوقا والله تعالى اعلم
ومما تستانس به الروح عن صدمات المحبة اشتغالها
بالخدمة كما اشار الى ذلك بقوله **لما علم منك وجود
الملل لون لك الطاعات** قلت من كرمه تعالى وحسن
اختياره لك ايها العبد انه لما علم انك لا تقدر ان تصبر
عنه استشهدك ما برز منه ولما علم الحق سبحانه ان من عباده
من لا يقدر ان يشهده فيما برز منه اشغله بخدمته ولما
علم منه انه ربما يمل من خدمة واحدة لون له طاعته
لان من شان النفس ان تمل من تكرر الشيء الواحد وفى ذلك
يقول الشاعر لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة ۞ الا التنقل من حال الى حال
فلون لك طاعته فاذا مللت من الصلاة مثلا انتقلت الى
ذكره واذا مللت من ذكره انتقلت الى قراءة كتابه وهكذا
وانواع

وانواع الذكر كثيرة والتنقل من موجبات النشاط فالعبادة
مع النشاط ولو قلت اعظم من العبادة مع الكسل وان كثرت
ليس العبرة بكثرة الحس وانما العبرة بوجود المعنى **وقال**
الشيخ زروق رضى الله عنه فلونت له الطاعة لثلاثة اوجه
احدها رحمة به ليستريح من لون الى لون الثانى اقامة الحجة
عليه اذ لا عذر له فى الترك الثالث ليثبت له النسبة فى العمل
بوجود التخيير فى الجملة فتكمل الكرامة وتسهل الطاعة فقد
قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذا وافق الحق الهوى
فذلك الشهد بالزبد **ومن سار الى الله بطبعه** كان الوصول
اقرب اليه من طبعه ومن سار الى الله بمخالفة طبعه كان
الوصول اليه بقدر بعده عن طبعه ومتى يصح بعده عن
طبعه والمقصود انما هو موافقة الحق لا مخالفة النفس
وشواهد السنة لا تخفى فافهم ومن دواعى الملل وجود
الشره وهو الحرص وموجبه بخوطو الاطلاق فى العمل فلذلك
قيدت الطاعة باعيان الاوقات كما ابان ذلك بقوله **وعلم
ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك فى بعض الاوقات**
الشره خفة فى النفس توجب المسارعة للعمل والاسراع فيه وينتج
آفات ثلاثا اولها الترك عند الدوام لتروى النفس و
وضيقها الثانى الملل وهو التثاقل ان لم يكن ترك الثالث
الاخلال بالحقوق لوجود العجلة والحجر بالوقت فيه فوائد
ثلاث اولها منع الشره اذ لو كانت مرسلة لوقعت النفس
فيها على وجه الشره الثانى نفى التسويف لولا الوقت لكانت
تعده من زمن الى زمن فيؤدى الى التفريط الثالث التمكين

من العمل والتمكين فيه اذ لولا الوقت لاهمل العمل ولم يحافظ
عليه لغلبة الهوى ولم يحفظه ستعمالا للحظوظ اه ثم
بين وجه التحجير وهو الاتقان والاقامة فقال **ليكون
همك اقامة الصلاة لاوجود الصلاة** قلت السر فى تحجير
الصلاة فى بعض الاوقات لتشتاق النفس اليها وترتاح بها
فيحصل فيها الخشوع والحضور وقرة العين بخلاف ما اذا
كانت دائمة فيها فلا تتعشق اليها بل ربما تمل فيوقعها
على غير تمام والمقصود منك حركة قلبك لاحركة
جسمك ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن
ينظر الى قلوبكم ليس الشان حركة الاشباح انما الشان
خضوع الارواح فالسر فى تحجير الصلاة عنك فى بعض الاوقات
ان يكون همك اقامة الصلاة وهو اتقانها والقيام بحقوقها
الظاهرة والباطنة لاوجود الصلاة من غير اقامة فهى
ميتة خاوية فهى الى العقوبة اقرب قال الامام القشيرى
رضى الله عنه اقامة الصلاة هو القيام باركانها وسننها
ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فتحفظ عليه
احكام الامر بما يجرى عليه منه وهو عن ملاحظتها محو
نفوسهم منه مستقبلة الى القبلة وقلوبهم مستغرقة فى
حقائق الوصلة اه وقال المؤلف رضى الله عنه اقامة
الصلاة حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل
لا يختلج بسرك سواه اه وكتب عمر بن عبد العزيز رضى
الله عنه الى عماله ان اهم اموركم عندى الصلاة فمن حفظها
وحافظ عليها فهو لما سواها احفظ ومن ضيعها فهو
لما

لما سواها اضيع اه من الشيخ زروق ثم ذكر وجه كون
المطلوب هو الاقامة دون الوجود من حيث هو فقال **فما
كل مصل مقيم** قلت لان الاقامة فى اللغة هو الكمال والاتقان
يقال اقام فلان داره اذا اكملها وجعل فيها كل ما يحتاج اليه
فاقامة الصلاة اتقانها كما تقدم وضد الاقامة هو الاخلال
والتفريط فليس كل مصل مقيم فكم من مصل ليس له
من صلاته الا التعب وفى بعض الاحاديث من لم تنهه
صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله الا بعدا وفى
حديث اخر عنه صلى الله عليه وسلم اذا صلى العبد فلم
يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها لفت كما يلف الثوب
الخلق ثم يضرب بها وجهه او كما قال عليه السلام فالمصلون
كثيروا المقيمون قليل فاهل الاشباح كثير واهل القلوب قليل
قال ابو بكر بن العربى المعافرى رحمه الله ولقد رايت
ممن يحافظ عليها دالا فالا احصيها فاما من يحافظها
بالخشوع والاقبال فما استوفى منهم خمسة **وقال الشيخ ابو**
العباس المرسى رضى الله عنه كل موضع ذكر فيه المصلون
المصلون فى موضع المدح فانما جاء لمن اقام الصلاة اما
بلفظ الاقامة او بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة رب اجعلنى
مقيم الصلاة واقام الصلاة والمقيمى الصلاة ولما ذكر
ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة
اه. **واعلم** ان الخشوع فى الصلاة على ثلاث مراتب **المرتبة**

الاولى خشوع خوف وانكسار واذلال وهو للعباد والزهاد المرتبة
الثانية خشوع تعظيم وهيبة واجلال وهو للمريدين السالكين
المرتبة الثالثة خشوع فرح وسرور واقبال وهو للواصلين
من العارفين ويسمى هذا المقام قرة العين كما ياتى ان شاء
الله ثم اعلم ان الصلاة التى لا يصحبها خشوع ولا حضور هى
باطلة عند الصوفية غير مقبولة عند العلماء وقالوا ليس
للعبد من صلاته الا ما حضر فيها قلبه فقد يكون له ربع صلاته
او نصفها بقدر ما حضر فيها ويعين على الخشوع الزهد فى الدنيا
وهذا هو الدواء الكبير اذ محال ان تكون عندك بنت ابليس
ولا يزورها ابوها فلا يتاتى الخلوص من الخواطر ما دامت فى القلب
وقليلها هو كثيرها فمن بقيت فيه بقية منها فانه تاتيه
الخواطر على حسبها فمحال ان تكون شجرة الدنيا فى قلبك
وتسلم من الخواطر ومثال ذلك كشجرة عندك فى بستان تجتمع
يجتمع عليها الطيور ويهولونك باصواتهم فكلما
شوشتهم رجعوا فلا ينقطعون عنك ابدا حتى تقطع
تلك الشجرة فاذا قطعتها استرحت من اصواتهم فكذلك
الدنيا ما دامت فى اليد وهو معمور بها لا يسلم القلب من
خواطرها حتى يخرج عنها وحينئذ يستريح من مساويها
والله تعالى اعلم ومما يعين ايضا على الخشوع الاكثار من
ذكر الله بالقلب والقالب وادمان الطهارة لان الظاهر
له تعلق بالباطن اذا طهر هذا طهر هذا وبالله التوفيق
ثم ذكر نتائج الصلاة وثمراتها ومرجعها الى ست
كل واحدة توصل الى ما بعدها وان الى ربك المنتهى
فاشار

فاشار الى الاولى بقوله الصلاة مطهرة للقلوب قلت انما
كانت الصلاة طهرة للقلوب من المساوى والعيوب لما
فيها من الخضوع والانكسار والذل والاخفاء والافتقار والتذلل
والاضطرار فاذا خضع القلب لهيبة الجلال طهر من سائر
العلل لان طلب العلو والرفعة هو اصل العلل وعنصرها
ومن شان النفس وطبيعتها طلب العلو والاستكبار
والتعزز والافتخار لانها جاءت من عالم العز فلا ترضى
الا بالعز والى هذا اشار شيخ شيوخنا المجذوب بقوله
من اين جيتى يا ذى الروح ، الهايمة روحانيا ،
مقامها بساط العز ، احوالها ربانيا ،
فلما ركبت فى هذا القالب الجسمانى ردتها القهرية الى العبودية
وجعلتها اهلا للوصول الى حضرة الربوبية فلا مطمع
لها فى الرجوع الى اصلها الا بانكسارها وذلها ولذلك قال
الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه اتيت الابواب
كلها فوجدت عليها ازدحاما فاتيت باب الذل والانكسار
فوجدته خاليا فدخلت منه وقلت هلموا الى ربكم هكذا
سمعته من اشياخنا فاذا انكسرت وذلت رجعت لاصلها
ووصلت واذا تعززت واستكبرت حجبت وطردت واذا طردت
بعدت وكلما بعدت عن الحضرة الربانية استحكمت فيها
الشهوات الجسمانية والاخلاق الشيطانية فاتصفت حينئذ
بكل خلق دنى وبعدت من كل خلق سنى فاذا اراد الله تعالى
ان يرحمها بالقرب من جنابه والوقوف ببابه الهمها الصلاة
وحببها اليها حتى اذا تطهرت من الذنوب ومحيت عنها

المساوى والعيوب قربت من حضرة الحبيب ومناجات القريب
فقرعت الباب وطلبت رفع الحجاب وهذا معنى قوله واستفتاح
لباب الغيوب وهى النتيجة الثانية من نتائج الصلاة
قلت المراد بالغيوب اسرار الملكوت واسرار الجبروت وانما
كانت الصلاة استفتاحا لباب الغيوب لما اشتملت عليه من
تطهير الظاهر والباطن قال محمد بن على الترمذى الحكيم
رضى الله عنه دعا الله الموحدين الى هذه الصلوات
الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها انواع الضيافة
لينال العبد من كل قول وفعل شيئا من عطاياه فالافعال
كالاطعمة والاقوال كالاشربة وهى عرس الموحدين
هيأها رب العالمين لاهل رحمته فى كل يوم خمس مرات
حتى لا يبقى عليهم دنس من الاغيار فاذا تطهر الظاهر
بالطهارة الحسية والباطن بالطهارة المعنوية استحق
الدخول الى الحضرة القدسية فاول ما يتحف به قرب به الى
الباب وسماع خطاب الاحباب من وراء حجاب فيتمتع
بمناجات الاحباب ولذيذ الخطاب وهو معنى قوله الصلاة
محل المناجات وهى النتيجة الثالثة قلت المناجات
هى المسارة والمكالمة مع الاحباب فمناجات العبد ربه
بالتلاوة والاذكار ومناجات الرب لعبده بالتفهم
والفتح ورفع الاستار وفى الحديث الصحيح المصلى يناجى
ربه وقال ايضا عليه السلام يقول الله تعالى قسمت الصلاة
بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد
لله رب العالمين قال تعالى حمدنى عبدى واذا قال الرحمن

الرحيم

الرحيم قال الله تعالى مجدنى عبدى فاذا قال مالك يوم
يوم الدين قال الله تعالى فوض الى عبدى فاذا قال اياك
نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذه بينى وبين عبدى
فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الآية قال الله هذه لعبدى
ولعبدى ما سأل الحديث فلا يزال المصلى يناجى ربه
ويطلب قربه حتى تتمكن المحبة من القلب والاقبال من الرب
فتصفو المحبة من كدر الجفا ويتصل المحب مع حبيبه فى
محل الصفا وهو معنى قوله ومعدن المصافات وهى
النتيجة الرابعة قلت المعدن هو محل الذهب والفضة
استعير هنا لصفاء القلوب والارواح لتصفيتها من لوث
صلصال الاشباح فالمصافات خلوص المناجات من تشويش
الحس وكدر الهواجس فهى ارق واصفى من المناجات كما قال
ابن الفارض رضى الله عنه

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا ۝ سر ارق من النسيم اذا سرى

وهذه مصافات العبد لربه ومصافات الرب لعبده بالاقبال
عليه حتى لا يدعه لغيره وفى الخبر ان العبد اذا قام الى الصلاة
رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت
الملائكة من لدن منكبيه الى الهوى يصلون بصلاته اه
فاذا تمت التصفية وعظمت المحبة وكثر العطش وظهر
الدهش استحقت الروح رفع الحجاب وفتح الباب فتدخل الى
حضرة الاحباب ويرتفع بينها وبينهم الحجاب فتخرج من
ضيق الاشباح الى فضاء عالم الارواح او من ضيق الملك
الى سعة عالم الملكوت وهو معنى قوله فيها تتسع ميادين

الاسرار وهى النتيجة الخامسة قلت الميادين جمع ميدان
وهو مجال الخيل استعير هنا لفضاء عالم الملكوت فاذا تنزهت
الروح فى عالم الملكوت وجالت بفكرتها فى سعة انوارها اشرقت
عليها انوار سناء الجبروت وهو معنى قوله **وتشرق فيها شوارق**
الانوار وهى النتيجة السادسة قلت اراد بالاسرار اسرار
الذات وهؤلاء اهل الفناء وبالانوار انوار الصفات وهؤلاء اهل
البقاء والله اعلم واراد الشيخ بهذه الصلاة التى تنقله من
حال الى حال ومن مقام الى مقام صلاة اهل الاعتناء وهم اهل
السلوك على يد المشيوخ لا صلاة اهل الغفلة وصلاة اهل المجاهدة
من العباد والزهاد فليس لهم هذا السير والله تعالى اعلم **قال**
ابو طالب المكى حدثنا ان المؤمن اذا توضاء للصلاة تباعدت
عنه الشياطين فى اقطار الارضين خوفا منه لانه تاهب
للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه
وبينه بسرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا
قال الله اكبر اطلع الملك فى قلبه فاذا ليس فى قلبه
اكبر من الله فيقول الملك صدقت الله اكبر فى قلبك كما تقول
فيتشعشع فى قلبه نور يلحق ملكوت العرش فينكشف له بذلك
ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور
حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام الى الوضوء احتوشته
الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فاذا كبر
اطلع الملك فى قلبه فاذا كل شيئ فى قلبه اكبر من الله عنده
فيقول الملك كذبت ليس الله فى قلبك كما تقول فيثور
من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه
عن الملكوت

عن الملكوت فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين
قلبه ولا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس وتزين له حتى
ينصرف من صلاته ولا يعقل ما فعل ثم ذكر حكمة حصرها
فى عدد معلوم وهو خمسة فقال **علم وجود الضعف منك**
فقلل اعدادها وهى خمس بعد ان كانت خمسين فمن لطفه
سبحانه بك ايها الانسان قلل اعدادها مع سعة الزمان
فجعل عليك صلاة فى اول نهاره شكرا لما ظهر لك من
باهر انواره وليكون نهوضك اليه فى اول قيامك جبرا
لما حصل من غفلتك فى طول منامك وجعل عليك صلاة
فى وسط نهاره اخمادا عنك لما ظهر فى ذلك الوقت
من وقود ناره وجعل عليك صلاة قرب انصراف النهار
ليكون شاهدا لك بوجود طاعتك عند الملك الغفار
ولتشهد عليك ملائكة الرحمن بالصلاة عند الملك الديان
واوجب عليك صلاة فى اول زمان الليل استفتاحا لذلك
لذلك الزمان بوجود طاعتك كما استفتحت اول نهارك
واستحفاظا لما يتوقع من عجائب الليل ثم لما اردت
ان تنام عن سيدك وتغفل عن ربك وتتمتع بفراشك
امرك ان تودعه بحضورك معه وان يكون اخر العهد
به وجود طاعتك فهذا كله جذب منه لك لحضرته
واستخراج منك لشكر منته يجب ربك من قوم يساقون
الى الجنة بالسلاسل وحين قلل اعدادها لما علم احتياجك
الى منته كثر امدادها واليه اشار بقوله **وعلم احتياجك**
الى فضله فكثر امدادها قلت المراد بالامداد الجزاء الذى

رتب عليها فجعل كل صلاة بعشر فهي خمس وهي خمسون
خمس في الحس وخمسون في المعنى اي الثواب واذا فعلت في الجماعة
كانت كل واحدة بخمس وعشرين وكل درجة بعشر فكان عدد
صلاة الجماعة مائتين وخمسين في كل صلاة والله ذو الفضل
العظيم وتتفاوت الدرجة ايضا بكثرة الجماعة وكمالها
وبقدر الحضور والخشوع والغيبة ورفع الستور فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وتتفاوت
ايضا بقدر البقع كبيت الله الحرام والمسجد النبوي
وبيت المقدس وبقدر رتبة الامام من صلى خلف مغفور
غفر الله له والله تعالى اعلم لكن لا ينبغي لك ايها الفقير
ان تلتفت الى هذا الحظ فان فضل الله كثير لمن رفع همته
الى العلي الكبير كما ابان ذلك بقوله **متى طلبت عوضا
عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب
وجدان السلامة** قلت متى صدر منك عمل من اعمال
البر وطلبت الحق سبحانه ان يجازيك عليه طلبك الحق
تعالى بوجود الصدق فيه وهو سر الاخلاص ولبه الذي هو
التبري من الحول والقوة وانعزال النفس عن رؤية العمل لها
بالكلية بعد تحقيق الحضور والسلامة من الوساوس والخو
والخواطر والهواجس حتى تكون صلاتك بالله ولله غائبا
فيها عما سواه قد ملأ قلبك عظمة الله فغبت في الله بالله
فان تحققت فيك هذه الامور صح لك ان تطلب ما رتب
الحق سبحانه على العمل من انواع الجزاء والاجور وان لم تحقق
من نفسك هذه الامور فاعلم ان عملك مدخول فيكفيك
من الجزاء فاستحيي

فاستحيي من الله ان تطلب الجزاء على عمل مدخول فيكفيك
من الجزاء وحصول المطلب السلامة من الهلاك والعطب
يكفيك من طلب حسن نواله السلامة من عقابه ونكاله
يكفي المريب وهو المتهم وجدان السلامة من العقوبة
فيما اتهم فيه فمن كان عند الملك متهما وهو محبوس
للعقوبة على ما اتهم فيه ثم قيل له ان الملك يمنحك
ويعطيك كذا وكذا فيقول لهم يكفيني في العطاء وجدان
السلامة من عقوبته وانت ايها الانسان طولبت بالاعمال
والاخلاص فيها واتقانها وتمام اقامتها فاتيت بطاعة
مشوبة بالخواطر والوساوس وعلى تقدير سلامتها من ذلك
فطلبك للجزاء يقتضي رؤية نفسك ووجود الفعل منك
وهو شرك تستحق عليه العقوبة فيكفيك من عطائه وجود
السلامة من عقابه **قال** الواسطي رضي الله عنه العبادة
الى طلب العفو عنها اقرب منها الى طلب الاعواض عنها
اه **وقال** خير النساج رضي الله عنه ميراث اعمالك
ما يليق بافعالك فاطلب ميراث فضله فانه اتم واحسن
وقال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون ومعنى كلامه رضي الله عنه ان جزاء
اعمالك ما يليق بافعالك الناقصة وجزاء الناقص ناقص
فاطلب منه ثمرة فضله فانه كامل من كل وجه فهو اتم
واكمل والله تعالى اعلم وكيف تطلب الجزاء على عمل لست
له فاعلا او لا علمت كون القبول له حاصلا كما اشار اليه
بقوله **لا تطلب عوضا عن عمل لست له فاعلا يكفي من**

الجزاء لك على العمل ان كان له قابلا قلت قد تقرر عند
اهل الحق ان العبد مجبور فى قالب مختار فليس له فعل
ولا اختيار وانما الفاعل هو الواحد القهار قال تعالى
وربك يخلق ما يشاء ويختار وقال تعالى والله خلقكم
وما تعملون وقال تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله
رب العالمين وقال صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء
وقدر حتى العجز والكيس اى النشاط وقال عليه السلام
كل ميسر لما خلق له فاما من كان من اهل السعادة فسيسر
فييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوه
فسييسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى
واتقى الاية فاذا تقرر هذا فكيف يطلب العبد الجزاء
على عمل ليس هو فاعله وعلى تقدير نسبته اليه فالجزاء متوقف
على القبول فمن اين تدرى هل يكون مقبولا ام لا واذا
تفضل عليك بالقبول على ما هو عليه من النقص والخلل
فهذا يكفيك فى جزائك على العمل فلولا جميل ستره لم يكن
عملا اهلا للقبول فلولا ان الله سبحانه تفضل على عباده
بالعفو والحلم ما قبل عملا قط اذ تصفية الاعمال كاد ان تكون
من المحال قال الله تعالى الله تعالى وما قدروا الله حق
قدره اى عظموه حق تعظيمه وقال تعالى كلا لما يقض
ما امره اى لم يقض الانسان ما امره سيده على الوجه
الذى امر به وانظر قوله تعالى اولئك الذين نتقبل
عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم لم يقل الحق
تعالى نتقبل منهم لانه يقتضى انه كامل بل عداه
بعن

قرآ ح

بعن المفيدة للتجاوز كانه قال اولئك الذين نتجاوز
عنهم فى احسن ما عملوا فنتقبلها منهم ولولم نتجاوز
عنهم فيها ما تقبلت منهم ولكن الكريم لا ينتقد بل يقبل
كل ما يعطاه لعظيم كرمه وغناه فالحمد دائما لله حيث
خلق فينا العمل واعطانا عليه غاية المنى والامل كما اشار
الى ذلك بقوله اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق فيك
ونسب اليك قلت الحق تعالى فاعل بالمشيئة والاختيار
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون اى لا يسئل عما يفعل
حقيقة وهم يسئلون شريعة ثم ان الحق سبحانه وتعالى
قسم عباده على ثلاثة اقسام قسم اعدهم للانتقام فاظهر
فيهم اسمه المنتقم واسمه القهار اجرى
عليهم صورة العصيان بحكمته ونسبها اليهم بعدله
وقهره ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء الله ما اشركوا
فقامت الحجة عليهم باعتبار النسبة واظهار الحكمة وما ربك
بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
وقسم اعدهم الله للحلم ليظهر فيهم اسمه الحليم واسمه الرحيم
اجرى عليهم العصيان وحلاهم بالايمان فاستحقوا العقوبة
على العصيان ثم ان الحق تعالى حلم عليهم وعفا عنهم
وادخلهم الجنان وقسم اعدهم الله للكرم ليظهر فيهم
اسمه الكريم واسمه الرحيم خلق فيهم الطاعة والاحسان
وحلاهم بالاسلام والايمان وربما زادهم التجلى
بالاحسان فادخلهم فسيح الجنان ومتعهم بالنظر الى
وجه الرحمن فاذا اراد الله ان يلحقك بهولاء السادات

ع ٢ تعالى

هيأك لانواع الطاعات وخلق فيك القوة على فعل الخيرات
ثم نسب اليك ذلك الفعل فقال يا عبدي فعلت كذا وكذا
من الخير فانا اجازيك عليه ادخل الجنة برحمتي وترق
الى مقامك بعملك فمقامك حيث انتهى عملك
قال تعالى كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما
كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على
بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وقال
تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ثم ينبغي لك +
ايها الانسان ان تتأدب مع الملك الديان فلا
تنسب اليه النقص والعصيان وانما غوتك نفسك
والشيطان قال تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور اي الشيطان فما كان من الكمال فانسبه الى
الكبير المتعال وما كان من النقصان فامسحه في منديل
النفس والشيطان قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اذا عمل العبد
حسنة وقال انت يا رب بفضلك استعملت وانت اعنت
وانت سهلت شكر الله ذلك له وقال يا عبدي بل انت اطعت
وانت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال انا عملت وانا اطعت وانا
تقربت اعرض الله عنه وقال له يا عبدي انا وفقت وانا اعنت
وانا سهلت واذا عمل سيئة وقال يا رب انت قدرت وانت قضيت
وانت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي بل
انت اسأت وانت جهلت وانت عصيت واذا قال يا رب انا
ظلمت وانا اسأت وانا جهلت اقبل المولى جلت قدرته عليه
وقال يا عبدي انا قضيت وانا قدرت وقد غفرت وقد حلمت

وقد

وقد سترت اه ثم ان هذه النسبة التي نسب الله لعبده
بما خلق فيه بها يستحق المدح والذم فاذا خلق فيه
الطاعة ونسبها اليه استحق المدح بلسان الشرع واذا
اجرى عليه المعصية وقضاها عليه استحق الذم
بلسان الشرع ايضا كما اشار اليه بقوله لا نهاية لمذامك
ان ارجعك اليك ولا تفرغ مدائحك ان اظهر جوده
عليك قلت اذا اراد الله اهانة عبد واذلاله رده الى
نفسه وهواه فاحيل عليها ووكل اليها فيوليه ما تولى
فاذا استولى عليه الهوى اعماه واصمه وفي مهاوي
الردى اسقطه كما قال الشاعر

• ترك يوما نفسك وهواها • سعى لها في رداها •

فالهوى مختصر من الهوان وموجب له كما قال البرعي
رحمه الله

• لا تتبع النفس في هواها • ان اتباع الهوى هوان •

واذا اراد الله اعزاز عبده وعنايته اظهر عليه
جوده وكرمه فتولاه وحفظه ولم يتركه مع نفسه وهواه
طرفة عين ولا اقل من ذلك فلا نهاية لمذامك
ايها الانسان ان ردك الى نفسك وحكمها فيك
وتركك مع هواك لان ذلك من علامة الاهمال وسقوطك
من عين الكبير المتعال والعياذ بالله من كل خسر
ووبال ولا تفرغ مدائحك ان اظهر جوده عليك
فتولاك بحفظه ورعاك بعنايته وحجزك عن
نفسك وحال بينك وبين تدبيرك وحدسك ومن

دعائه عليه السلام ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضعف
وعورة وذنب وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك والحاصل
انك ان كنت بربك تكمل عزك ولا يتناهى مدحك
وان كنت بنفسك تكامل ذلك ولا يتناهى ذمك
كما قال الشاعر

اذكنا به تهنا دلالا ، على كل الحرائر والعبيد ،
وان كنا بناعدنا الينا ، فعطل ذلنا ذل اليهود ،

او تقول من اهمله الله وتركه مع نفسه وهواه لا نهاية
لمذامه وقبائحه فان للنفس من النقائص ما لله من الكمالات
ومن تولاه الله واظهر جوده عليه ولم يتركه مع نفسه
وازعجه عن حظه وحال بينه وبين هواه فلا نهاية لمدائحه
اذ كمالات الله لا نهاية لها وما هنا الا مظاهره فكما لا نهاية
لجلاله فكذلك لا نهاية لجماله والله تعالى اعلم **هذا**
آخر الباب الثاني عشر وحاصلها تعظيم الاوراد
والتاهب لورود الامداد وتصفية البواطن من الاكدار
لتشرق عليها شموس الانوار وهي شموس العرفان
فيغنى العارف عن التدبير والاختيار فكل يوم ينظر
ما يفعل الواحد القهار فيتانس ح بكل شيء ويتادب
مع كل شيء ويعظم كل شيء ولا يستوحش من شيء لمعرفته
في كل شيء فيستانس في هذه الدار بالنظر الى الله في
حجاب صفاته وهي مظاهر مكوناته وسيكشف له في تلك
الدار عن كمال ذاته من غير حجاب صفاته وذلك انه
لما علم انه لا يصبر عنه اشهده ما برز منه ولما علم ان
من عباده

من عباده من لا يقدر ان يشهده في مكوناته اشغله بخدمته
وعلم ايضا انه ان دام على عمل واحد ربما حصل له الملل
نوع له الطاعة والعمل وعلم ما في عبده من الشره فحجرها
عليه في بعض الاوقات ليكون همه اقامة الصلاة لا وجود
الصلاة ثم ذكر ثمراتها ونتائجها ونهاك عن طلب
العوض ونهاك عن طلب العوض عليها لكونك
لست عاملا لها وانما هو فضل من الله عليك
خلق فيك القوة ونسبها اليك فان ردك الى نفسك
وتركك مع هواك لا تتناهى مذامك وان اخذك
عن نفسك وتولاك بجوده وفضله لا تفرغ مدائحك
حيث صرت وليا من اوليائه وصفيا من اصفيائه
جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين هذا آخر النصف
الاول والله المستعان على التمام بجاه نبيه المصطفى
بدر التمام صلى الله عليه وعلى آله الكرام ويليه النصف
الثاني اوله وهذا اول النصف الثاني فنقول وبالله
استعين
الخ

وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله
وصحبه
وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذا اول النصف الثاني فنقول وبالله استعين فاذا اردت
ان يظهر جوده عليك وتبسط مواهبه لديك فتحقق
بوصفك وتعلق بوصفه كما ابان ذلك بقوله
وقال رضي الله عنه كن باوصاف ربوبيته متعلقا
وباوصاف عبوديتك متحققا قلت اوصاف الربوبيه
هي العز والكبرياء والعظمة والغنا والقدرة والعلم
وغير ذلك من اوصاف الكمالات التي لا نهاية لها واوصاف
العبودية هي الذل والفقر والعجز والضعف والجهل وغير
ذلك مما يناسب العبودية من النقائص وكيفية التعلق
باوصاف الحق هو ان تلجئ تلتجئ في امورك اليه وتعتمد
في حوائجك عليه وترفض كل ما سواه ولا ترى في الوجود
الا اياه فاذا نظرت الى عزه وكبريائه وعظمته تعززت
به ولم تعزز بغيره وصغر في عينك دونه كل شيء واذا
نظرت الى وصفه تعالى بالغنى تعلقت بغناه واستغنيت
عما سواه ولم تفتقر الى شيء واستغنيت به عن كل شيء
واذا نظرت الى وصفه تعالى بالقدرة والقوة لم تلتجئ
في حال عجزك وضعفك الا الى قدرته وقوته واستصـ
واستضعفت كل شيء واذا نظرت الى سعة علمه واحاطته
اكتفيت بعلمه واستغنيت عن طلبه وقلت بلسان الحال
علمه بحالي يغني عن سؤالي وهكذا في جميع الاوصاف
والاسماء فكلها تصلح للتعلق والتخلق والتحقق وكيفية
التخلق باوصافه تعالى ان تكون في باطنك عزيزا قويا به
عظيما

عظيما كبيرا عنده قويا في دينه وفي معرفته عالما به وباحكامه
وهكذا وحاصلها استعمال الحرية في الباطن والعبودية
في الظاهر وكيفية التحقق باسماء الله تعالى ان تكون تلك
المعاني فيك راسخة متمكنة متحققا فيك وجودها غريزيا
وكيفية التخلق باوصاف العبودية هو التحقق بالذل في الظاهر
حتى يصير الذل عندك حرفة وطبيعة لا تانف منه بل
تستحليه وتغتبط به وكذلك الفقر والضعف والجهل وسائر
اوصاف العبودية تتحقق بوجودها في ظاهرك حتى
يكون ذلك شرفا عندك وكان شيخ شيوخنا سيدي
علي رضي الله عنه يقول اهل الظاهر يتنافسون في العلو
ايهم يكون اعلا من الاخر واهل الباطن يتنافسون في
الحنو ايهم يكون احنى من الاخر اه بالمعنى وقال الشيخ
زروق رضي الله عنه اوصاف الربوبية اربعة تقابلها
اربعة هي اوصاف العبودية اولها الغنى ويقابله الفقر
الثاني العز ويقابله الذل الثالث القدرة ويقابلها العجز
الرابع القوة ويقابلها الضعف وكل هذه متلازمة اذ وجد
واحدها وجد جميعها ووجود المقابل ملزوم بوجود مقابله
فمن استغنى بالله افتقر اليه ومن افتقر الى الله استغنى به
ومن تعزز بالله ذل له ومن ذل له تعزز به ومن شاهد
قدرته راى عجز نفسه ومن راى عجز نفسه شاهد قدرة
مولاه ومن نظر ضعف نفسه راى قوة مولاه ومن راى قوته
علم ضعف نفسه لكن ان كان انبساط النظر لاوصافك
فانت الفقير الى الله وان كان انبساط النظر الى اوصافه

فانت الغنى بالله وهما يتعاقبان على العارف فتارة يغلب عليه
الغنى بالله فيظهر عليه اثار العناية وتارة يظهر عليه اثار
الفقر الى الله فيلتزم الرعاية فحين غلب الغنى بالله على حبيب
الله اطعم الفا من صاع وحين غلب عليه الفقر الى الله شد الحجر
على بطنه من الجوع فافهم اه قلت والتحقيق ما قدمناه من ان
التعلق باوصاف الربوبية يكون فى الباطن والتحقق باوصاف
العبودية يكون فى الظاهر فالحرية فى الباطن على الدوام فحرية
الباطن هو شهود اوصاف الربوبية وهو معنى التعلق بها
لكن ان كان مجاهدة فهو تعلق وان كان طبيعة وغريزة
فهو تحقق او تقول ان كان حالا فهو تعلق وان كان
مقاما فهو تحقق وعبودية الظاهر هى شهود اوصاف
العبودية قياما بالحكمة وسترا للقدرة والحاصل ان عظمة
الربوبية ظهرت فى مظاهر العبودية فمن نظر للعظمة
صرفا تحقق بعظمة الربوبية ومن نظر لظاهر المظهر
تحقق باوصاف العبودية والكامل ينظر لهما معا فيحقق
فيتحقق بعظمة الربوبية فى الباطن ويتحقق باوصاف
العبودية فى الظاهر فيعطى كل ذى حق حقه فالجمع
فى باطنه مشهود والفرق فى ظاهره موجود والله تعالى
اعلم فان اظهر اوصاف الربوبية فقد تعدى طوره
وجهل قدره فلا بد ان تؤدبه القدرة والى ذلك اشار
بقوله منعك ان تدعى ما ليس لك مما هو للمخلوقين
افيبيح ان تدعى وصفه وهو رب العالمين قلت
الحق تعالى غيور فلا يحب لعبده ان يفشى سر خصوصيته
ولا

ولا يرضى لعبده ان يشاركه فى اوصاف ربوبيته فمن غيرته
تعالى ان ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية ولولا
ذلك لكان سر الربوبية مبتذلا ظاهرا وذلك مناقض
لحكمته وكيف وهو يقول ان ربك حكيم عليم ومن غيرته
تعالى ان اختص باوصاف الربوبية ونهانا عن اظهارها
والتجلى بها حالا او مقالا وذلك كاتصاف العبد بالعز والعظمة
والكبر وطلب الرياسة والعلو وادعاء ذلك بالمقال فان
فعل شيئا من ذلك استحق من الله الطرد والنكال ففى
الحديث القدسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله تبارك وتعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن
نازعنى واحدا منهما قصمته وقال ايضا صلى الله عليه وسلم
لا احد اغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن وفى البخارى فى قصة سيدنا موسى عليه السلام
انه خطب على الناس خطبة ذرفت منها العيون فقام اليه
رجل فقال له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فعتب الله
عليه اذ لم يرد العلم اليه فقال له بلى عبد نا خضر هو اعلم
منك فكان من شانهما ما قص الله فى كتابه فانظر
كيف ادبه بطلب غيره حتى صار تلميذا له يامره وينهاه
بقوة وصولة مع عظم قدره وجلالة منصبه وما ذلك
الا لاظهار شئ من الحرية فكل من اظهر الحرية رده الى
العبودية بالقهرية وكل من اظهر العبودية حقق له
فى باطنه الحرية وملكه الكون بالكلية فمن تواضع
دون قدره رفعه الله فوق قدره ومن غيرته تعالى ايضا

ان حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والفواحش كل
فحش قبحه وعظم جرمه كالزنى والغصب والسرقة والتعدى
واكل اموال اليتامى وغير ذلك من حقوق العباد فاذا كان
منعك ان تدعى ماليس لك مما هو للمخلوقين من العرض
الفانى فكيف يبيح لك ان تدعى وصفه من العزة والكبرياء
وهو رب العالمين فاذا ادعيت ماليس لك سلبك ماملكك
واذا تحققت بوصفك وسلمت له وصفه منحك مالم
يكن عندك وءاتاك مالم يوت احدا من العالمين
فكلما نزلت بنفسك ارضا ارضا سما قلبك سماء سماء
وقد تقدم هذا المعنى فى الخمول والله تعالى اعلم

تنبيه اعلم رحمك الله ووفقك للتسليم لاوليائه
ان الحرية اذا تحققت فى الباطن لابد من رشحات تظهر
على الظاهر فكل اناء بالذى فيه يرشح وصاحب الكنز
لابد ان يظهر عليه السرور وصاحب الغنى لا يخلو من
بهجة وحبور وكما قال الشاعر

ومهما تكن عند امرئ من خليقة • وان خالها تخفى على الناس تعلم

ولذلك تجد اهل الباطن رضى الله عنهم جلهم اقوياء
فى الظاهر فربما تصدر منهم مقالات تستخرجها القدرة (القدرة صح)
منهم فيظن الجاهل بحالهم ان ذلك دعوى وظهور
وليس كذلك وانما ذلك رشحات من قوة الباطن
لا قدرة لهم على امساكها منها ما يكون تحدثا بالنعم
ومنها ما يكون نصحا للعباد ليعرفوا حالهم فينتفعون
بهم فى طريق الارشاد ومن هذا الامر رفضهم كثير من
اهل

اهل الظاهر المتعمقون فى العبادة او المجمدون على ظاهر
الشريعة او من لم تطل صحبته معهم فى الطريقة وان كان
كاملا ومن ذلك ما وقع للشيخ زروق رضى الله عنه
مع ابى المواهب التونسى رضى الله عنه حين ظهرت عليه
ءاثار القوة الباطنية حتى قال فيه الشيخ زروق دعواه اكبر
من قدمه وليس كذلك فان الشيخ ابا المواهب عظيم الشان
راسخ القدم فى العرفان اخذ عن ابى عثمان المغربى وكان
يقول لبست خرقة التصوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وله شرح حسن على الحكم الا انه لم يكمل وله كلام رائق نظما
ونثرا ومن نظمه رضى الله عنه

من فاته منك وصل حظه الندم • ومن تكن همه تسموا به الهمم
وناظر فى سوى معناك حق له • يقتص من جفنه بالدمع وهو دم
والسمع ان جال فيه من يحدثه • سوى حديثك امسى وقره الصمم
فى كل جارحة عين اراك بها • منى وفى كل عضو بالثناء فم
فان تكلمت لم انطق بغيركم • وكل قلبى مشغوفا بحبكم
اخذتم الروح منى فى ملاطفة • فلست اعرف غيرا مذ عرفتكم
نسيت كل طريق كنت اعرفها • الا طريقا تؤدينى لربعكم
فما المنازل لولا ان تحل بها • وما الديار وما الاطلال والخيم
لولاك ما شاقنى ربع ولا طلل • ولا سعت بى الى نحو الحمى قدم (ولا سعت بى نحو الحمى قدم)

واطال الشعرانى فى ترجمته فى الطبقات بما يدل على كمال خصوصيته
وتمام ولايته وما حمل الشيخ زروق على مقالته تلك الا القوة
التى صدرت من ابى المواهب مع كونه لم تطل صحبته معه
مع ما صدر منه فى جانب الشيخ ابن عباد رضى الله عنهم

والله تعالى اعلم وهذا الامر الذى ذكرناه من القوة التى فى العارفين
لا يجهله الا من لم يبلغ مقامهم وحسب من لم يبلغ مقامهم
التسليم وسر هذه القوة التى ظهرت فى العارفين هو من جهة
الروح وذلك ان الروح جاءت من عالم العز والقوة فلما ركبت
فى هذا البدن حجبت وقهرت فأرادت الرجوع الى اصلها
فطلبته بالعز الاصلى والقوة الاصلية فمنعت منه وانتقلت
من كوة الذل والافتقار وخرقت عوائد نفسها فانخرقت
لها حينئذ الحجب فرجعت الى اصلها فلما رجعت الى اصلها
اتصفت بالقوة التى كانت لها فامرت ان تجعل ذلك فى
باطنها ففعلت لكن ربما رشح شئ من ذلك على الظاهر
غلبة ولذلك ذكر الشيخ خرق العوائد بأثر ذكر التحقق
بالعبودية فقال كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق
من نفسك العوائد قلت العوائد كلما تعودته النفس
والفته واستمرت معه حتى صعب خروجها عنه سواء كان
ظلمانيا او نورانيا كتتبع الفضائل وكثرة النوافل وهى على
قسمين عوائد ظاهرة حسية وعوائد باطنة معنوية
فمثال العوائد الحسية كثرة الاكل والشرب والنوم واللباس
وخلطة الناس والدخول فى الاسباب وكثرة الكلام والمخاصمة
والعتاب والاستغراق فى العبادة الحسية او العلوم الرسمية وغير
ذلك ومثال العوائد المعنوية حب الجاه والرياسة وطلب
الخصوصية وحب الدنيا والمدح وكالحسد والكبر والعجب والرياء
والطمع فى الخلق وخوف الفقر وهم الرزق والفظاظة والقسوة
وغير ذلك مما تقدم فمن خرق من نفسه عوائدها الحسية
بالرياضات

بالرياضات القهرية خرقت له العوائد الحسية كالطيران
فى الهواء والمشى على الماء ونفوذ الدعوة وغير ذلك من الكرامات
الحسية ومن خرق من نفسه عوائدها المعنوية خرقت له العوائد
الباطنة كرفع حجب الغفلة وتطهير القلوب وكشف الحجاب
وفتح الباب وتحقيق العرفان والترقى الى مقام الاحسان
وهذا هو المعتبر عند الاكياس وهو المطلوب من سائر
الناس واما خرق العوائد الحسية فقد تكون لمن ليست لهم
خصوصية كالسحرة وارباب الشعوذة نعم من جمع بينهما
خرقت له فيهما فكيف تطلب ايها المريد ان تخرق لك
عوائد نفسك حتى تدخل حضرة قدسك وانت لم تخرق
عوائد نفسك فما حجب النفس عن الشهود الا ما تعودته
من رؤية هذا الوجود فلو غابت عن رؤية هذا الوجود
لتحقق لها امر الشهود ولا يمكن ان تغيب عنه الا بخرق عوائد
نفسها وقد تقدمت حكاية الرجل الذى كان مع ابى يزيد
ثلاثين سنة فلم يذق شيئا فقال له لو صليت ثلاثمائة
سنة لم تذق شيئا لانك محجوب بنفسك ثم قال له اذهب
الساعة الى الحجام واحلق راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس
واتزر بعباءة وعلق فى عنقك مخلاة واملأها جوزا واجمع
حولك صبيانا وقل باعلا صوتك يا صبيان من يصفعنى
صفعة اعطه جوزة وادخل السوق وانت على هذه الحالة حتى
ينظر اليك كل من عرفك ثم قال له فلا مطمع لاحد فيما حجب
عن العامة من اسرار الغيب حتى تموت نفسه ويخرق عوائد
العامة فحينئذ تخرق لك العوائد اهـ وتقدمت ايضا فى باب الخمول

قصة الغزالي والششتري والمجذوب وغيرهم ممن خرقوا العوائد
وخرقت لهم العوائد وظهرت لهم الفوائد واما من بقي مع عوائد
نفسه فلا يطمع ان يتمتع بحضرة قدسه قال الشيخ ابو المواهب
رضي الله عنه من ادعى شهود الجمال قبل تادبه بالجلال
فارفضه فانه دجال ولا جلال اعظم على النفس من خرق
عوائدها كتبديل العز بالذل والغنى بالفقر والجاه بالخمول
وغير ذلك وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه ان القوم اللهم صح
قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى
وجدوا فلا مطمع في نيل العز بالله حتى يتحقق بالذل له
ولا في نيل الغنى به حتى يتحقق بالفقد مما سواه
وقال ابو حمزة البغدادي رضي الله عنه علامة الصوفي
الصادق ان يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى
بعد الشهرة اه فهذه الاخبار كلها تدل على ان خرق عوائد
النفس شرط في نيل الخصوصية فمن ادعاها قبل ان يخرقها
فهو كذاب كما تقدم عن ابي المواهب وكتب شيخ شيخنا
رضي الله عنه الى بعض الاخوان اما بعد فان اردتم
ان تكون اعمالكم زكية واحوالكم مرضية فقللوا من العوائد
فانها تمنع الفوائد اه وسمعته رضي الله عنه يقول
من جملة العوائد تتبع الفضائل وكثرة النوافل فانه يشتت
القلب وانما يلزم المريد ذكرا واحدا وعملا واحدا لكل واحد
ما يليق به او كلام هذا معناه وخرق العوائد ابدالها بضدها
كتبديل كثرة الاكل والنوم بالجوع والسهر وكتبديل كثرة
اللباس بالتقلل منها وما خشن من الثياب كالمرقعات

ونحوها

ونحوها وكتبديل الخلطة بالعزلة والاسباب بالزهد والكلام
بالصمت وسوء الخلق بحسن الخلق وكتبديل حب الجاه والرياسة
بالذل والخمول وسقوط المنزلة عند الناس وحب الدنيا
بالزهد فيها والفرار منها وكاتصافه بالتخلية من
الرذائل والتحلية من الفضائل فاذا تحقق الفقير بهذه المريد
الامور خرقت له العوائد على ما يريد حتى يكون بسم الله
عنده موافقة لكن من الله فيكون امره بامر الله وما ذلك
على الله بعزيز ولا بد في خرق العوائد الباطنية من شيخ
كامل جامع بين حقيقة وشريعة يحملك بهمته فاذا
رميت يدك في نفسك حملتك الهمة ونصرتك القدرة
فقتلتها بالمرة واما اذا لم يكن لك شيخ فكلما قتلتها
رجعت اكبر مما كانت ولا تموت النفس الحية الا مع الاموات
كما قال شيخنا رضي الله عنه وهذا الامر محجوب ولا بد له
التوفيق وخرق العوائد الباطنية التي هي رفع الحجب
وشهود المحبوب لا يكون بمجرد الطلب دون السعي في السبب
مع تحقق الادب كما نبه عليه بقوله ليس الشان وجود
الطلب انما الشان ان ترزق حسن الادب قلت قد
تقدم في اول الكتاب ان الطلب كله مدخول عند المحققين
اولي الالباب لما يقتضيه من وجود النفس والوقوف مع الحس
اذ العارف المحقق لم تبق له حاجة يطلبها لانه قد حصل الفنا
له الغنى الاكبر وفاز من مولاه بالحظ الاوفر وهو معرفة
مولاه والغيبة عما سواه ماذا فقد من وجدك فليس الشان
وجود صورة الطلب وانما الشان ان تستغني به عن كل

مطلب وترزق معه حسن الادب والاكتفاء بعلم الله والو
والوقوف مع مراد الله **قال** الشيخ زروق رضى الله عنه
والادب على ثلاثة اوجه ءاداب فى الظاهر وذلك
باقامة الحقوق وءاداب فى الباطن بالاعراض عن كل
مخلوق وءاداب فيهما وذلك بالانحياش للحق والدوام
بين يديه على بساط الصدق وذلك هو جملة الامر
وتفصيله وتفريعه وتاصيله اه فالطلب عند العارفين
ليس هو بلسان المقال وانما هو بلسان الحال وهو الاضطر
الاضطرار وظهور الذلة والافتقار كما نبه عليه بقوله
ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا اسرع بالمواهب
مثل الذلة والافتقار قلت انما كان طلب العارفين بلسان
الحال دون المقال لما حققهم به من وجود معرفته حتى
شهدوا منته فى محنته ونعمته فى نقمته فاذا تجلى لهم بالقوة
والجلال تلقوه بالضعف والاذلال فحينئذ يتجلى لهم باسمه
الجميل فيمنحهم كل جميل واذا تجلى لهم باسمه العزيز او القهار
تجلى لهم تلقوه بالذلة والافتقار فتتوارد عليهم المواهب
الغزار فاذا اردت ايها العارف ان تطلب من مولاك شيا
جلبا او دفعا فعليك بالاضطرار والاضطرار هو ان يكون
كالغريق فى البحر او الضال فى التيه القفر ولا يرى لغياثه
الا مولاه ولا يرجو لنجاته من هلكته احدا سواه فما طلب
لك من مولاك شيء مثل اضطرارك اليه والوقوف بين يديه
متحليا بحلية العبيد هنالك تنال كلما تريد كما قال الشاعر

ادب العبيد تذلل ❊ والعبد لا يدع الادب

فاذا

فاذا تكامل ذله ❊ نال المودة واقترب

وقال اخر

ومارمت الدخول عليه حتى ❊ حللت محلة العبد الذليل
واغضيت الجفون على قذاها ❊ وصنت النفس عن قال وقيل

واذا اردت ورود المواهب عليك وهى العلوم اللدنية والاسرار
الربانية فلا شيء اسرع لك بها مثل الذلة والافتقار بين
يدى الحليم الغفار يكون ذلك قلبا وقالبا فينبغى لك حينئذ ان تستعد
لكسب المواهب ونيل المراتب قال تعالى انما الصدقات للفقراء
والمساكين وقال تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال ايضا
ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال صلى الله عليه وسلم واعلم ح
ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا
وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما اظهر عبد فاقته
الى الله فى شيء الا قال الله تعالى للملائكة لولا انه لا يحتمل
كلامى لاجبته لبيك لبيك اه فاذا طلبت الدخول مع الاحباب
فقف ذليلا حقيرا بالباب حتى يرفع بينك وبينهم الحجاب
من دون حيلة منك ولا اسباب وانما هو فضل من الكريم
الوهاب كما اشار الى ذلك بقوله **لو كنت لا تصل اليه**
الا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل
اليه ابدا ولكن اذا اراد ان يوصلك اليه ستر وصفك
بوصفه وغطى نعتك بنعته فوصلك اليه بما منه
اليك لا بما منك اليه قلت الوصول الى الله هو العلم به
وباحاطته بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل وهذا
لا يكون الا بعد موت النفوس وحط الرؤوس وبذل الارواح
وبيع الاشباح لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين

انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اى جنة المعارف لاهل الجهاد
الاكبر وجنة الزخارف لأهل الجهاد الاصغر ولقوله عليه السلام
موتوا قبل ان تموتوا ذكره النقشبندى فى شرح الهائية حديثا
وقال فى لطائف المنن لا يدخل على الله الا من مات بين احدهما
الموت الاكبر وهو الموت الحسى والثانى الموت الذى تعنيه
هذه الطائفة يعنى موت النفوس وقال الششترى رضى الله عنه
، ان ترد وصلنا فموتك شرط ،، لن ينال الوصال من فيه فضله ،
وقال ايضا ليس يدرك وصالى ، ، ،، ، ، كل من فيه بقيا
وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه لا يصل الولى الى الله
تعالى ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته واحد
واختيار من اختياراته اهـ وهذه التصفية ليست هى من
فعل العبد وكسبه وانما هى بسابق عناية ربه فلو كان
العبد لا يصل الى الله تعالى الا بعد فناء مساويه ومحو دعاويه
من حيث هو هو لم يصل ابدا لكن الحق تعالى من كرمه وجوده
اذا اراد ان يطوى عنه مسافة البعد اظهر له من انوار قدسه
ونعوت وصفه ما يغيب به العبد عن شهود نفسه فحينئذ
تفنى المساوى وتمحق الدعاوى فيحصل الوصول ويبلغ المامول
بما من الله الى العبد من سابق العناية والوداد لا بما من
العبد الى الله من الكد والاجتهاد وان شئت قلت فناء المساوى
هو التطهير من اوصاف البشرية وهى الاخلاق المذمومة
من حيث هى ومحو الدعاوى هو التبرى من الحول والقوة
بحيث لا يرى لنفسه فعلا ولا تركا ولا نقصا ولا كمالا وانما هى
غرض لسهام الاقدار تجرى عليها احكام الواحد القهار
فتحقيق

فتحقيق هذين الامرين على الكمال كاد ان يكون من المحال
لكن الحق تعالى لكرمه وجوده اذا راى منك صدق الطلب واراد
ان يوصلك اليه وصلك الى ولى من اوليائه واطلعك على
خصوصيته واصطفائه فلزمت الادب معه فما زال يسير
بك حتى قال لك ها انت وربك فحينئذ يستر الحق تعالى
وصفك الذى هو وصف العبودية بوصفه الذى هو وصف
الحرية فتختنس اوصاف البشرية بظهور اوصاف الروحانية
ويغطى ايضا نعتك الذى هو الحدوث بنعته الذى
هو القدم او غطا نعتك الذى هو العدم بنعته الذى هو
الوجود وقال الشيخ زروق ستر فقرك بغناه وذلك بعزه
وعجزك بقدرته وضعفك بقوته ويصرفك عن شهود
ذلك منك واليك بشهود ما منه اليه اهـ قلت وهو
لازم لما فسرته به من وصف العبودية ونعت الحرية
فوصلك حينئذ بما منه اليك من الاحسان واللطف
والامتنان لا بما منك اليه من المجاهدة والطاعة والاذعان
ومثال النفس كالفحمة كلما غسلتها بالصابون زاد
سوادها فاذا اشتعلت فيها النار ونفخ فيها الريح كستها
النار ولم يبق للون الفحمة اثر فكذلك اوصاف البشرية
اذا كساها نور الروحانية تغطت ظلمة البشرية ولم يبق لها
اثر فتنقلب البشرية فى صفة روحانية وفى ذلك يقول
الششترى فى بعض ازجاله ، فمتى ما يبن لى ، زالت البشريا ،
وتحولت غيرى ، فى صفا روحانيا ، والنار التى تحرق البشرية
هى مخالفة الهوى وتحمل النفس ما يثقل عليها كالذل والفقر

ونحوهما مع دوام ذكر الاسم المفرد فكلما فنى فيه ذابت
بشريته وقويت روحانيته حتى تستولى على بشريته فحينئذ
يكون الحكم لها فتغيب فى نور مذكورها وتغرق فى شهود عظمة
محبوبها فحينئذ يحصل الوصال ويتحقق الفناء فى ذى
العظمة والجلال وللششترى ايضا رضى الله عنه فالتفت
للخطاب، وسمعت منها، كلى عن كلى غاب، وانا عنى مغنى،
وارتفع لى الحجاب، وشهدت انى، ما بقى لى اثر، غبت عن اثرى
لم اجد من حضر، فى الحقيقة غيرى، وبالله التوفيق هذا آخر
الباب الثالث عشر وحاصلها امرك بالتعلق باوصاف الربوبية
والتحقق باوصاف العبودية وعدم مشاركتك له فى وصف
الحرية وما تعودت به من ذلك فاخرق لها تلك العوائد
هنالك حتى تتهذب وتتادب وتكتفى بعلم الحال عن وجود
الطلب فيكون طلبها شاهد حالها من الذلة والانكسار وظهور
الفاقة والاضطرار فحينئذ تترادف عليها المواهب
وتنال بذلك غاية المطالب ومنتهى الرغائب
وهو الوصول الى حضرة القدس ومحل الانس من
غير حيلة ولا اكتساب وانما هو منة من الكريم الوهاب
من عليها بالوصول وتفضل عليها بالقبول كما اشار
الى ذلك فى اول الباب الرابع عشر فقال وقال رضى
الله عنه لولا جميل ستره لم يكن عمل اهلا للقبول
قلت لان العمل الذى يكون اهلا للقبول هو الذى
تتوفر فيه شروط القبول وهو سر الاخلاص وغاية
الحضور والتبرى فيه من الحول والقوة وهذا فى غاية

الندور فلولا ان الله سبحانه تفضل علينا بجميل
ستره فغطى مساوينا بجلائل لطفه وبره ما كان
عمل اهلا للقبول اصلا ولكن الذى من بوجود الاعمال
يمن بوجود القبول والاقبال قال بعضهم ما هنالك
الا فضله ولا نعيش الا فى ستره ولو كشف الغطاء
لكشف عن امر عظيم وقال يحيى بن معاذ رضى
الله عنه مسكين ابن آدم جسم معيب وقلب
معيب يريد ان يخرج من معيبين عملا بلا عيب اهـ
قلت ولهذا المعنى قال تعالى اولئك الذين
نتقبل عنهم احسن ما عملوا فعبر بعن التى تدل على التجاوز
ولم يقل نتقبل منهم فكأنه قال اولئك الذين نتجاوز عنهم
فى عملهم فنتقبلها منهم والله تعالى اعلم وروى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال البلاء والهوى والشهوة معجونة بطين
آدم اهـ قيل وهو معنى قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة
امشاج اى اخلاط فاختلط به البلاء والهوى والشهوة
فى كل ابن آدم منها فلزمته الثلاثة ما دامت بنيته قائمة
وبشريته موجودة فاذا انهدمت البشرية حسا ومعنى
لم يبق حكم النطفة الامشاجية وصار الحكم للروح النورانية
والله تعالى اعلم فاذا تقرر ان عملنا مدخول وليس اهلا
للقبول لولا جميل ستر المامول علمت ان افتقارنا الى حلمه
وعفوه فى حال الطاعة اعظم من افتقارنا اليه فى حال المعصية
كما اشار الى ذلك بقوله انت الى حلمه اذا اطعته احوج منك
اليه اذا عصيته قلت وذلك لان الطاعة بساط العز

اعمالهم

والرفعة وللنفس فيها شهوة ومتعة ولأن الناس يلحظون
صاحب الطاعة الظاهرة وينظرونه بعين التعظيم و
يبادرون اليه بالخدمة والتكريم وكلما اعظم في عين
الخلق سقط من عين الحق ان كان يفرح بذلك ويتنفع به
دون الملك الحق بخلاف المعصية فانما هي بساط الذل
والانكسار ومحل السقوط والاحتقار وكل ما سقط من عين الخلق
عظم في عين الحق فكان العبد في حال طاعته لربه احوج الى حلمه
وعفوه منه في حال معصيته لان الطاعة التي ينشأ عنها
العز والاستكبار اقبح من المعصية التي تورث الذل والافتقار
بل في الحقيقة ليست بطاعة لأن الطاعة التي توجب البعد
ليست بطاعة والمعصية التي توجب القرب ليست بمعصية
وفي الحديث يقول الله تبارك وتعالى انا عند المنكسرة
قلوبهم من اجلي ومن كان الله عنده فهو اعظم من الف مطيع
توجب له طاعته طرده وبعده اوحى الله تعالى الى بعض
الانبياء عليهم السلام قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فاني
ان اقم عليهم قسطي وعدلي اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي
الخاطئين لا ييأسوا من رحمتي فانه لا يكبر علي ذنب اغفره
اه وقال الشيخ ابو يزيد رضي الله عنه توبة المعصية واحدة
وتوبة الطاعة الف توبة وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى
استغفر ثلاثا تعليما للامة في شهود التقصير والا فلا استغفار
من طاعة ولا ذنب على المختار صلى الله عليه وسلم ولما كانت المعصية
بساط الذل والاحتقار كما تقدم وهي اقرب لمقام العبودية والطاعة
بساط العز والرفعة فافتقرت الى حلم الله اكثر منها والناس

يطلبون

يطلبون الستر في المعصية او عنها خوفا مما ينشأ عنها
كما بان ذلك بقوله الستر على قسمين ستر عن المعصية
وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله فيها خشية
سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر عنها
خشية سقوطهم من نظر الملك الحق قلت الستر هو الحفظ
والتغطية وهو في الحس من الآفات والبليات التي توجب
هلاكه وفي المعنى من الفضيحة والمقت وسقوط المرتبة
وهو باعتبار المعصية على قسمين قسم يقع الستر فيها
فلا يفضح صاحبها وقسم يقع الستر عنها فلا يقع العبد فيها
ولو طلبها لما شمله من حفظ الله ورعايته فالعامة يطلبون
الستر من الله فيها مع وقوعها لئلا يسقطوا من عين الخلق
فهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم
والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين فمحط
نظرهم انما هو شهود الخلق غائبين عن نظر الملك الحق وذلك
لضعف ايمانهم وقلة يقينهم وانطماس بصيرتهم وفي
بعض الآثار يقول الله تبارك وتعالى يا عبادي ان كنتم
تعتقدون اني لا اراكم فالخلل في ايمانكم وان كنتم تعتقدون
اني اراكم فلم جعلتموني اهون الناظرين اليكم اه واما الخاصة
فهم يطلبون من الله الستر عنها والعصمة منها خشية
ان يسقطوا من عين الحق لأن صدور المعصية من العبد
سوء ادب ومن اساء الأدب مع الاحباب طرد الى الباب فاذا
فاذا وقعت منهم معصية بادروا الى الاعتذار وصحبهم الخجل
والانكسار ثم جدوا في سيرهم ولم يقفوا مع نفوسهم

اذلاوجود لها فى نظرهم ولا التفات لهم الى الخلق اذ لم يبق فى
نظرهم الا الملك الحق غابوا بشهود الحق عن رؤية الخلق
اوبشهود المعنى عن رؤية الحس اوبشهود الموسوط عن
الواسطة واما خاصة الخاصة فلا يطلبون شيأ ولا يخافون
من شيء صارت الاشياء عندهم شيأ واحدا او اشتغلوا بشهود
واحد عن كل واحد فهم ينظرون لما يبرز من عنصر القدرة
فيتلقونه بالقبول والرضى فان كان طاعة شهدوا فيها
المنة وان كان معصية شهدوا فيها القهرية وبادروا بوامع
الله فيها بالتوبة والانكسار قيا ما بادب شريعة النبي
المختار صلى الله عليه وسلم وقد وردت احاديث فى المقامات
الثلاثة تعليما للامة فقد دعا عليه السلام بالستر على المساوى
ومنها وهى العصمة والحفظ وطلب مقام الرضى والتسليم
لاحكام الله القهرية كل ذلك منشور فى كتب الاحاديث
فلا نطيل به ثم اذا ستر الحق تعالى مساويك وذنوبك
ثم توجه الناس اليك بالتعظيم والمجد والتكريم فاعرف والتمجيد
منة الله عليك وانظر من الممدوح فى الحقيقة هل انت او من
ستر مساويك كما ابان ذلك بقوله من اكرمك فانما
اكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن
اكرمك وشكرك قلت اذا كان الحق تعالى تولى حفظك
برعايته وستر مساويك بستر عنايته فغطى وصفك
بوصفه ونعتك بنعته ثم توجه الناس اليك بالتعظيم
والتمجيد والتكريم فاعرف منة الله عليك وانعزل عن
شهود نفسك فمن اكرمك فانما اكرم فيك جميل ستره فلولا
فضل

فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا فالحمد فى الحقيقة
انما هو لمن سترك لا لمن اكرمك اذ لو اظهر للناس ذرة
من مساويك لمقتوك وابغضوك فاشكر الله على ما اسدى
اليك من الكرم وغطى عليك من المساوى التى توجب
انواع الاذاية والنقم قال الشيخ زروق رضى الله عنه
اذ لولا ستره عن المعاصى ما كنت مطيعا ولولا ستره فيها
لكنت مهانا عند الخلق ومخصوصا بالمقت بينهم ولولا
نعمة ربى لكنت من المحضرين فالخلق كلهم انما يتعاملون
بينهم بستر مولاهم ولو خلا عبده من ستره لابغضه احب
الناس اليه ولاذاه اشفق الخلق عليه ولاهلكه ارأف
الخلق به ولله در القائل

يظنون بى خيرا وما بى من خير ... ولكننى عبد ظلوم كما تدرى
سترت عيوبى كلها عن عيونهم ... والبستنى ثوبا جميلا من الستر
فصاروا يحبونى وما انا بالذى ... يحب ولكن شبهونى بالغير
فلا تفضحنى فى القيمة بينهم ... وكن لى يا مولاى فى موقف الحشر

ولما بلغت الاذاية كل مبلغ من حبيب الله صلى الله عليه
وسلم ما زاد على ان قال لا غنى لى عن عافيتك اوسع لى
الحديث اه وسيأتى التقسيم فى شهود الخلق فى حالة النعم
وان الناس على ثلاثة اقسام قوم عوام لا يشهدون الا الخلق
وقوم خواص لا يشهدون الا الخالق وقوم خواص الخواص
يشهدون الخالق فى الخلق والموسوط فى الواسطة فيعطون
كل ذى حق حقه كما ياتى مبينا ان شاء الله واذا تحقق

ان الذى اكرمك هو الذى ستر عيوبك وغطى مساويك
بعد اطلاعه على خفاياها وعلمه بخباياها فاتخذه صاحبا
وكن له مراقبا ودع الناس جانبا كما نبه عليه بقوله ما صحبك
الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك
الكريم قلت واذا علمت انه ليس لك صاحب الا مولاك فاعرف
حقيقة صحبته والتزم الادب فى ظاهرك وباطنك واستحى
منه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث امرك وفى الحديث
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه استحيوا من الله
حق الحياء ان تحفظ الراس وما حوى والبطن وما وعى وتذكر
القبر والبلا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء
اه فالصاحب الذى يدوم لك هو الذى يصحبك وهو الذى
عالم بعيبك لان ذلك داع للسلامة من التكلف والريا والتصنع
وليس ذلك الا مولاك العالم بخفاياك المطلع على سرك وعلا
وعلانيتك ان عصيته سترك وان اعتذرت اليه قبل عذرك
وقد قيل من الحكمة فى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم مع ان الكل ملكه ثلاثة اشيا احدها البشارة
بعدم الرد بالعيب لان المشترى عالم به الثانى ليسلم العبد
نفسه اليه فيتولى تدبيره اذ لا يتم بيع الا بالتسليم ولا كفالة
الا بعد اقباض الثالث اظهار الاستمام الفضل فى ظهور
النسبة لله سبحانه وذكر الصحبة فى جانب الحق وقعت فى
حديث انت الصاحب فى السفر واختلف فى اطلاقه فى غير ذلك
المحل والظاهر ان الشيخ يرى ذلك فى محل اشارة الادب والا
والانحياس وعليه مر ابو حامد الغزالى فى بعض كتبه قاله

الشيخ

الشيخ زروق رضى الله عنه واعلم ان الامر الذى يرغب فى
الصحبة ويعقد المحبة والمودة امران احدهما ما تقدم من
كون الصاحب يغطى شينك بحلمه ويستر وصفك بوصفه
والثانى كونه يحبك ويطلبك لحضرته من غير غرض ولا منفعة
له فى صحبتك والى الثانى اشار بقوله خير من تصحب من يطلبك
لا لشيء يعود منك اليه قلت ولا يوجد هذا الوصف العجيب
الا للغنى الحميد الفعال لما يريد يحب من يشاء بلا علة ولا سبب
ويمقت من يشاء بلا ضرر يلحقه ولا تعب يقرب من يشاء بلا عمل
ويبعد من يشاء بلا زلل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولو
شاء ربك ما فعلوه ولو شاء الله لهدى الناس جميعا وكلامنا
انما هو مع اهل التحقيق واما باعتبار الحكمة واهل التشريع
فلا يظلم ربك احدا ولكن فاعل السبب هو فاعل المسبب من وجد
خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وللجيلى
رحمه الله ؛ اذا كنت فى حكم الشريعة عاصيا ؛ فانى فى حكم الحقيقة طائع ؛
فخير من تصحبه ايها الانسان مولاك الذى يطلبك لحضرته
ويجتبيك لمحبته من غير نفع يعود منك اليه وانما هو
برور واحسان منه اليك فكيف تتركه وتطلب الانس بغيره
وضره اقرب من نفعه قال جرب الناس تجدهم عقارب فاذا
طلبت الصحبة فاصحب العارفين الذين ينهضك حالهم
ويدلك على الله مقالهم ولله در صاحب العينية حيث يقول فى
عينيته فشمر ولذ بالاولياء فانهم ؛ لهم من كتاب الحق تلك الوقائع ؛
هم الذخر للملهوف والكنز والرجا ؛ ومنهم ينال الصب ما هو طامع ؛
بهم يهتدى للعين من ضل فى العمى ؛ بهم يجذب العشاق والربع شاسع ؛

هم القصد والمطلوب والسؤل والمنا ... واسمهم للصب فى الحب شافع
هم الناس فالزم ان عرفت جنابهم ... ففيهم لضر العالمين منافع
وقال فى التحذير من صحبة غيرهم من الغافلين والعوام
وقاطع لمن واصلت ايام غفلة ... فما واصل العذال الا مقاطع
وجانب جناب الاجنبى لو انه ... لقرب انتساب فى المنام مضاجع
فللنفس من جلاسها كل نسبة ... ومن خلة للقلب تلك الطبائع

والحاصل ان صحبة من يوصل الى الله فما هى الا صحبة الله اذ ما ثم سواه والنظر الى العارف بالله فانما هو نظر الى الله اذ لم تبق فيه بقية لغير الله فصار نورا محضا من نور الله وقد قال عليه السلام ان لله رجالا من نظر اليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا اه وهم موجودون لا ينقطعون ابدا ظاهرون ظهور الشمس لا يخفون الا على من اراد الله منه طردا وبعدا والعياذ بالله من السلب بعد العطاء ومن سوء القضاء وشماتة الاعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء وزوال النعمة وفجأة النقمة امين ثم صحبة العارفين هو حصول اليقين كما اشار اليه بقوله لو اشرق نور اليقين لرايت الاخرة اقرب اليك من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها قلت اليقين هو العلم الذى لا يزاحمه وهم ولا يخالطه ريب ولا يصحبه اضطراب مشتق من يقن الماء اذا احتبس ولم يجر شبه به العلم اذا اصحبته الطمانينة ولم يبق للقلب فيه تحرك ولا اضطراب واشراق نوره هو ظهور اثره على الجوارح فيظهر فيها الزهد فى الدنيا والرغبة فى الاخرة ويظهر منه الانحياش الى الله والاشتياق

الى

علية

فائدة

الى حضرة جماله والسكون والخضوع تحت قهر جلاله والمسارعة الى ابتغاء مرضاته والمبادرة الى مظان محابه ولهج اللسان بذكره وشغل القلب بالفكرة فى عظمته وهيمان الروح فى حضرة قربه وسكرها من شراب حبه واغتماؤها بشهود قربه فهذه علامة اشراق نور اليقين فى القلب ومن علامته ايضا ان يصير الاجل عاجلا والبعيد حاصلا والغيب شهادة فانما توعدون لات وما انتم بمعجزين ولنا فى هذا المعنى

فلا ترضى بغير الله حبا ... وكن ابدا بعشق واشتياق
ترى الامر المغيب ذا عيان ... وتحظى بالوصال وبالتلاقى
كمنت ذيلت بهما قول القائل
فلا دهش وحام الحى حيى ... ولا عطش وساقى القوم باق
فما الدنيا بباقية لحى ... وما حيى على الدنيا بباق

فلو اشرق نور اليقين فى قلبك لرايت الاخرة الاتية حاضرة لديك اقرب اليك من ان ترحل اليها اذ هى الراحلة اليك والمدركة لك ولرايت محاسن الدنيا الوهمية الفانية قد ظهرت كسفة الفناء عليها اى قد انكسف نور وجودها بظهور ظلمة فنائها فصار ما كان ظاهرا باطنا وما كان باطنا صار ظاهرا وما كان كثيفا صار لطيفا وما كان لطيفا صار كثيفا وما كان غيبا صار شهادة وما كان شهادة صار غيبا وانما بعد ذلك عن الخلق ضعف ايمانهم وقلة نور ايقانهم ولو اشرق نور اليقين فى قلوبهم لراوا الدنيا مكسوفة انوارها بادية عوارها كما راها حارثة

رضى الله عنه حين اخبر عن حقيقة ايمانه **فقد** روى عن
انس رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمشى اذا استقبله شاب من الانصار فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت مؤمنا بالله حقا
فقال له انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك
فقال يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا اى بردت وهنت
فاسهرت ليلى واظمات نهارى فكانى انظر الى عرش ربى
بارزا وكانى انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكانى انظر
الى اهل النار يتعاوون فيها فقال له ابصرت فالزم عبد
نور الله الايمان فى قلبه قال يا رسول الله ادع الله لى بالشهادة
فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يوم بدر شهيدا
فجاءت امه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله قد علمت منزلة حارثة منى فان يكن فى الجنة اصبر
وان لم يكن فى الجنة ترى ما اصنع فقال او هبلت اجنة هى
انها جنان وان ابنك اصاب الفردوس الاعلى فرجعت
وهى تضحك وتقول بخ بخ يا حارثة اه وكما روى عن معاذ
ابن جبل رضى الله عنه حين دخل على النبى صلى الله
عليه وسلم وهو يبكى فقال له كيف اصبحت يا معاذ قال
اصبحت مؤمنا فقال ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة
فما مصداق ما تقول فقال يا رسول الله ما اصبحت صباحا
قط الا ظننت لا امسى وما امسيت قط الا ظننت لا اصبح
ولا خطوت خطوة قط الا ظننت انى لا اتبعها باخرى وكانى
انظر الى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها معها نبيها نبيها
واوثانها

١٦٥

واوثانها التى كانت تعبد من دون الله وكانى انظر الى اهل
النار وعقوبة اهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم
فهذان الرجلان الانصاريان اشرق نور الايقان فى قلوبهما
وشرح الله به صدورهما فرأوا ما كان اجلا عاجلا وما كان
نائيا واصلا **وفى الحديث** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح
قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافى
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل نزوله او كما قال عليه السلام **وقال** احمد بن عاصم الانطاكى
رحمه الله اليقين نور يجعله الله فى قلب العبد حتى يشاهد
به امور اخرته ويخرق به كل حجاب بينه وبينها حتى يطالع
الاخرة كالمشاهد لها اه **قلت** فاذا تكامل اشراق نور الايقان
غطى وجود الاكوان ووقع العيان على فقد الاعيان ولم يبق
الا نور الملك الديان كما اشار الى ذلك بقوله **ما حجبك عن الله**
وجود موجود معه اذ لا شىء معه ولكن حجبك عنه
توهم وجود معه قلت الحق تعالى ظاهر ونوره للبصائر من موجود
باهر وانما حجبه مقتضى اسمه الحكيم واسمه القاهر فما حجبك
عن شهود الحق وجود شىء معه اذ لا اله مع الله تعالى الله
عما يشركون ولكن حجبك عن شهوده توهم وجود موجود
معه ولا شىء معه وكما كان ولا شىء بقى ولا شىء هو الاول
والاخر والظاهر والباطن واحد فى ذاته وفى صفاته
وفى افعاله فالفعل لا يصدر من غير صفة والصفة لا تفارق
الموصوف فالفعل متحد والفاعل واحد والصفة متحدة

والمتصف بها واحد وللششترى رضى الله عنه

صفاتى لا تخفى لمن نظر ۔ وذاتى معلومة تلك الصور

فافن عن الاحساس تزعبر ۔ وسبب توهم الغيرية عدم الفكرة

وسبب عدم الفكرة حب العاجلة فهى الشاغلة للقلوب عن السير الى حضرة علام الغيوب وحكمة حب الدنيا ظهور القهرية من قهاريته تعالى ان احتجب بلا حجاب وغطى نور شمسه بلا سحاب وايضا قوالب العبودية حجبت مظاهر انوار الربوبية ووجود الحكمة ستر ظهور القدرة قال بعض العارفين الحق تعالى منزه عن الاين والجهة والكيف والمادة والصورة ومع ذلك لا يخلو منه اين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض لانه للطفه سار فى كل شيئ ولنوريته ظاهر فى كل شيئ ولاطلاقه واحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد بذلك ومن لم يذق هذا ولم يشهده فهو اعمى البصيرة محروم عن مشاهدة الحق اه ومن كلام ابن وفا رضى الله عنه

هو الحق المحيط بكل شيئ ۔ هو الرحمن ذو العرش المجيد

هو النور المبين بغير شك ۔ هو الرب المحجب فى العبيد

هو العين العيان لكل غيب ۔ هو المقصود من بيت القصيد

جميع العالمين له ظلال ۔ سجود فى القريب وفى البعيد

وهذا القدر فى التحقيق كاف ۔ فكف النفس عن طلب المزيد

وقال الشيخ القطب مولاى عبد السلام بن مشيش مخاطبا لوارثه الشيخ ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما فى وصية له وقد تقدمت حدد بصر الايمان تجد الله تعالى فى كل شيئ وعند كل شيئ ومع كل شيئ وقبل كل شيئ وبعد كل شيئ وفوق

كل

كل شيئ وتحت كل شيئ وقريبا من كل شيئ ومحيطا بكل شيئ بقرب هو وصفه وبحيطة هى نعته وعد عن الظرفية والحدود وعن الاماكن والجهات وعن الصحبة والقرب فى المسافات وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الاول والآخر والظاهر والباطن وهو هو هو كان الله ولا شيئ معه وهو الآن على ما عليه كان اه قال بعضهم ونبه بقوله وعد الخ على ان ما جرى فى كلامه من الظروف ليست بزمانية ولا مكانية لانها من جملة الاكوان وانما هى امور ذوقية فاعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير وسلم ذلك لاهله فانهم على بصيرة فيما رمزوا اليه مما ذاقوه ووجدوه بل هو من محض الايمان وخالص العرفان وهو حقيقة التوحيد وصفو الايمان واما قوله وهو الآن على ما عليه كان وان لم يرد فى الحديث الصحيح فهو فى نفسه صحيح اذ لا وجود فى الحقيقة للاشياء معه تعالى وانما هى كالخيال ووجود الظلال ولا تنسخ احديته ولا ترفع فردانيته وبالجملة فمن غلب عليه شهود الاحدية وكوشف بسر الوحدانية واستغرق فى الحقيقة العيانية انقطع عن الشعور بنفسه وغاب عن السوى بالكلية وان رد الى الشعور به رآه قائما به وظاهرا فيه وبه وحكما من احكامه اه وقال فى لطائف المنن واشبه شيئ بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع[2] الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم

[2] مراتب صح

واذا ثبتت ظلية للآثار لم تنسخ احدية المؤثر لان الشيئ

انما يشفع بمثله وينضم الى شكله كذلك ايضا من شهد ظلية الآثار لم تعقه عن الله فان ظلال الاشجار فى الانهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن هاهنا تبين لك ان الحجاب ليس امرا وجوديا بينك وبين الله تعالى ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى للزم ان يكون اقرب اليك منه ولا شيء اقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب اه ولما قرر امر الوحدة ونفى وجود الغيرية استشعر سائلا يقول له وهذه المكونات الظاهرة فما تقول فيها مع ثبوت الوحدة فاجاب بانها قائمة به ولولا ظهور نوره فيها ما ظهرت كما بين ذلك بقوله

لولا ظهوره فى المكونات ما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته قلت كان الله ولا شيء معه فكانت الخمرة الازلية القديمة لطيفة خفية نورانية روحانية وليس هناك شكل ولا رسم متصفة بصفات المعانى والمعنوية متسمية باسمائها القديمة منعوتة بنعوت الجلال والجمال فاقتضت الخمرة ظهور حسنها وجمالها واقتضت الصفات ظهور آثارها والاسماء ظهور مطالبها فكشفت الصفات من النور اللطيف قبضة نورانية لمقتضى اسمه الظاهر واسمه القادر فطلبها ايضا اسمه الباطن واسمه الحكيم فابطنها فى حال ظهورها وغطاها فى حال بروزها فكانت ظاهرة باطنة ثم تفرعت تلك القبضة على تفاريع كثيرة بعدد الصفات وتنوعت على اجناس كثيرة بتنوع الاسماء فالماء واحد والزهر الوان وفى ذلك يقول صاحب العينية

وكل الورى طرا مظاهر طلعتى • مرآة بها من حسن وجهى لامع

ظهرت

ظهرت باوصاف البرية كلها • اجل لى ذوات الكل نورى ساطع

فبحر الجبروت فياض الى عالم الملكوت ثم احتجب بالحكمة فصار ظاهره ظلمة وباطنه نورا ظاهره حكمة وباطنه قدرة ظاهره ملك وباطنه ملكوت والجميع جبروت فاذا تقرر هذا علمت ان الاكوان لا وجود لها من ذاتها فلولا ظهور الحق بها ما ظهرت ولا وقع عليها ابصار الخلق كما قال القائل

من لا وجود لذاته من ذاته • فوجوده لولاه عين محال

وقال آخر

فلم يبق الا الحق لم يبق كائن • فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان فما ارى • بعينى شيا غيره اذ اعاين

وظهوره تعالى بواسطة تجليات الاكوان فيه لطف كبير اذ لا يمكن شهوده ومعرفته الا بواسطة هذه التجليات ولو ظهر بالاوصاف التى كان عليها فى الازل بلا واسطة لتلاشت الكائنات واضمحلت وفى الحديث حجابه النور لو كشف عنه لاحرقت سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره اه وهذا معنى قوله لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته اى لو ظهرت نعوته الاصلية الازلية لاضمحلت المكونات الحدثية اذ الكائنات كلها تكثيف للاسرار اللطيفة التى هى نعوت الخمرة الازلية التى اشار اليها ابن الفارض فى خمريته بقوله

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى • ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها • قديما ولا شكل هناك ولا رسم

فلو ظهرت الاسرار اللطيفة لتلاشت الكائنات الكثيفة اذ لا ظهور للكثيف اذا رجع لطيفا وما مثال الكون الا كالثلجة ظاهرها جامد وباطنها مائع فاذا ذوبت الثلجة رجعت

الى اصلها ماء ولم يبق للثلجة اثر فكذلك المكونات الحسية
اذا ظهرت اسرارها اللطيفة التى قامت بها ذابت ذواتها الكثيفة
وتلاشت ورجعت لأصلها والى هذا المعنى اشار صاحب العينية بقوله
• وما الكون فى التمثال الا كثلجة • وانت لها الماء الذى هو نابع •
• فما الثلج فى تحقيقنا غير مائه • وغيران فى حكم دعته الشرائع •
فمن وقف مع ظاهر الثلجة انكر الماء الذى فى باطنها
وكان جاهلا بحقيقتها ومن نفذ الى باطنها عرف اصلها
وفرعها وكذلك الاكوان ظاهرها غرة لمن وقف مع كثافتها
وباطنها عبرة لمن نفذ الى اصلها وقد مثلوا
ايضا الكون بصورة جبريل حين كان يتطور على صورة دحية
فمن رآه كشفا قال دحية وانكر ان يكون ملكا ومن عرف اصله
لم ينكره ولم يقف مع ظاهره فاذا تلطف ورجع الى اصله ذهبت
تلك الصورة واضمحلت فكذلك الكون انما هو خيال
فما دام موجودا فى الحس رئى وظهر فاذا رجع الى اصله
بظهور اسراره التى قام بها اضمحل ولم يبق له اثر وقد
اشار الى هذا صاحب العينية ايضا بقوله
• تجليت بالتحقيق فى كل صورة • ففى كل شىء من جمالى لوامع •
• فما الكون فى التمثال الا كدحية • تصور روحى فيه شكل مخادع • لدحية
ويسمون هذه الاسرار التى قامت بها الاكوان معانى ويسمون
الاكوان اوانى حاملة للمعانى فلو ظهرت المعانى لاضمحلت
الاوانى ومن وقف مع حس الاوانى حجب عن اسرار المعانى
وفى ذلك يقول الششترى رضى الله عنه • لا تنظر الى الاوانى
وخض بحر المعانى • لعلك ترانى • وقال ابن الفارض رضى الله عنه

ولطف

• ولطف الاوانى فى الحقيقة تابع • للطف المعانى والمعانى بها تسموا •
فالاوانى كلها لطيفة فى الحقيقة تابعة للطف المعانى لانها
منها وانما تكثفت فى حق اهل الحجاب الذين وقفوا مع ظواهر
الاشياء واشتغلوا بخدمة الحس قلبا وقالبا فعظم عليهم الحس
وقويت دائرة حسهم وغلظ الحجاب فى حقهم فعباداتهم حسية
وفكرتهم حسية وذلك لصحبتهم اهل الحس ولو صحبوا اهل
المعانى لاشتغلوا بخدمة المعانى حتى تتلطف لهم الاوانى
قال شيخ شيوخنا سيدى على الجمل رضى الله عنه سالت الشيخ
يعنى سيدى العربى بن عبد الله فقلت يا سيدى كنت اظن انه
لا يشفى غليل الانسان الا الحس يعنى العبادة الحسية ولا ظننت
قط ان فعل المعانى يشفى الغليل ابدا والآن وجدت نفسى
بالعكس لا يشفى غليلها الا المعانى فاجابنى بان قال يا ولدى
لما كانت همتك مشورة للحسيات امدك الله فيها فصرت لا تقنع
الا بالحسيات والآن انعكس الامر لما رافقت اهل المعانى اثرت معرفتهم
فيك بتشويرهمتك لبلاد المعانى ولما انقلبت همتك عن
بلاد الحس وشورت لبلاد المعانى امدك الله فيها فصرت تقطع
بالمعانى كما كنت تقطع بالحسيات اه مختصرا فكل من صحب
اهل المعانى وانقلبت همته لبلاد المعانى حتى صارت عبادته
باطنية معنوية تلطفت فى حقه الاوانى ولم ير الا المعانى قلت
ومما من الله على بصحبة اهل المعانى انى اذا نظرت الى الكون
بعين بصيرتى من عرشه الى فرشه ذاب وتلاشى ولم يبق له اثر
والله ذو الفضل العظيم تنبيه سئل سيدى احمد بن يوسف
الملياني عن ذات الحق تعالى هل معنوية او حسية فقال هى حسية

لا تدركه قال سيدى عبد الله الهبطى ه وهذا مما يدل على
تحقيق معرفته قلت ذات الحق تعالى موجودة لطيفة لا تدركها
الابصار ولا تكيفها العقول متصفة بصفات المعانى والمعنوية
ولو كانت صفة او معنى كما يزعمه النصارى لم تتصف بصفات
المعانى ولا المعنوية لان الصفة والمعنى لا يقوم بنفسه
ولا بد ان يقوم بغيره والصفة لا تتصف بصفة اخرى واما
قول بعض المتاخرين المعنى لا يقبض الا بالحس وقولهم
ايضا لا تنظر الى الاوانى وخض بحر المعانى وقولهم الاكوان
اوانى حاملة للمعانى فاعلم انه قد تقدم انهم يطلقون على
اسرار الذات وهى الخمرة الازلية معانى لخفائها ولطافتها فا
فاشبهت المعانى من هذا الوجه فتحصل ان الحس لا قيام له الا
بالمعنى وهى معانى اسرار الذات فصار قيام الاشياء كلها
بالله ولا وجود لها معه وهو الذى اشار اليه ابن الفارض بقوله
• وقامت بها الاشياء ثم لحكمة • بها احتجبت عن كل من لا له فهم •
اى قامت الاشياء كلها بالذات العلية اى باسرارها اللطيفة الازلية
وقولهم ايضا الذات عين الصفات والصفات عين الذات فاعلم
انه لما كان لا ظهور للذات الا من انوار الصفات ولا قيام للصفات
الا بالذات والصفات لا تفارق الموصوف صار كانه هذا عين
هذا فنطقوا بتلك العبارة تحويشا للجمع وفرارا من الفرق وهو
اصطلاح منهم سموا ما تكثف وظهر للحس صفات وما بطن من
الربوبية ذاتا ومعنى والصفات لا تفارق الموصوف كما تقول
فى الثلجة ظاهرها ثلج وباطنها ماء فالثلج صفات والماء ذات
الثلج حس والماء معنى للطافته وخفائه صار كانه معنى قال

ابن

ابن عباس رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى وسخر لكم ما فى السموات
وما فى الارض جميعا منه قال فى كل شيء اسم من اسمائه واسم كل
شيء من اسمه فانما انت بين اسمائه وصفاته وافعاله باطنا
بقدرته ظاهرا بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات
بالصفات وحجب الصفات بالافعال وكشف العلم بالارادة واظهر
الارادة بالحركات واخفى الصنع فى الصنعة واظهر الصنعة بالادوا
بالذوات
فهو باطن فى غيبه وظاهر بحكمته وقدرته ليس كمثله شيء وهو
السميع البصير اه نقله شارح بداية السلوك هكذا عن ابن عباس
رضى الله عنه فقوله حجب الذات بالصفات اى حجب اسرار الذات بانوار
الصفات وهى اثرها وقوله وحجب الصفات بالافعال لان الافعال
ظروف للصفات لانها اثر من اثارها ومظهرة لها وقوله وكشف
العلم بالارادة اى اظهر ما سبق فى علمه بارادته المخصصة
لوقت اظهاره وقوله واظهر الارادة بالحركات اى اظهر ما سبق
فى ارادته بظهور الحركات الدالة على ما اراد وقوله واخفى الصنع
فى الصنعة اى اخفى الصانع فى صنعته وقوله واظهر الصنعة
بالادوات اى اظهر قدرته فى الاجرام وسائر الذوات والله تعالى
اعلم وقول شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه فى كتابه
فى تفسير الذات والصفات ان كل ما هو جلال فهو ذات وكل ما هو جمال
فهو صفات فانما ذلك على وجه التشبيه فان تجلى الصفات
كله جمال لانه محل نزهة ارواح العارفين وبه يرتقى اهل الدليل
الى معرفة رب العالمين وهو الذى شبهه الشيخ ابن مشيش
بالرياض فى قوله فرياض الملكوت الخ وايضا هو الذى تمكن رؤيته
وتحصل المعرفة به بخلاف تجلى الذات فانه جلال محض اذ لو ظهر

ذرة من نوره الاصلى بلا واسطة لاحترق الكون من اصله
وفى الحديث حجابه النار وفى رواية النور لو كشف عنها
لاحرقت سبحات وجهه كل شيئ ادركه بصره فصار
تجلى الصفات كله جمال وتجلى الذات كله جلال فاطلق وجه
التشبيه ان كل ما يشق على النفس فهو ذات لانه جلال كتجلى
الذات وكل ما يخف على النفس فهو صفات لانه جمال كتجلى
الصفات والله تعالى اعلم وانما اطلت الكلام فى هذه
المسئلة لانى لم ار من تكلم عليها ولا من شفا فيها الغليل
وكنت كثير البحث عنها فلم اجد من يشفينى فيها وهذا
ما ظهر لى فيها وما انتجته فكرتى والله تعالى اعلم وبالله
تعالى التوفيق ثم استدل على ظهوره فى المكونات بقوله
تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن فاشار الى تفسير
الظاهر والباطن بقوله اظهر كل شيئ بانه الباطن
وطوى وجود كل شيئ بانه الظاهر قلت مضمنه
ان اسمه تعالى الباطن يقتضى ظهور الاشياء حسا
ليكون باطنا بسبب ظهور حسها لان الحس رداء اسرار
المعانى واسمه الظاهر يقتضى بطون الاشياء اى هلاكها
واضمحلالها ليكون ظاهرا بما ظهر منها هذا معنى
قوله اظهر كل شيئ بانه الباطن اى بسبب انه الباطن
ليتحقق بطونه بها وطوى وجود كل شيئ بسبب
انه الظاهر ليتحقق انفراده بالظهور فيها والحاصل
ان الحصر فى قوله تعالى هو الظاهر يدل على انه لا ظاهر
معه فانطوى وجود الاشياء واضمحل لها وقوله هو الباطن

يدل

يدل على انه لا باطن سواه فبطنت الاشياء كلها بعد ظهورها
فدل كلامه سبحانه انما ظهر به هو الذى فيه والذى بطن به
هو الذى ظهر فيه والا لم يصح الحصر فان قلت المتقابلات
لا يجتمعان كالضدين وكيف جمعتهما فى ذات واحدة قلت
لم يتواردا على محل واحد بل ذلك باعتبارين فاسمه الظاهر
باعتبار الحس فى عالم الحكمة واسمه الباطن باعتبار المعنى
فى عالم القدرة فالحكمة ظاهرة والقدرة باطنة او تقول
ظاهر باعتبار مظاهر الربوبية باطن باعتبار قوالب
العبودية او تقول ظاهر باعتبار التعريف باطن باعتبار
التكييف فالذات واحدة والاعتبارات مختلفة وذلك كثير
فتحصل ان الحق سبحانه ظاهر فى بطونه باطن فى ظهوره
ما ظهر به هو الذى بطن فيه وما بطن به هو الذى
ظهر فيه اى ما ظهر فيه بحكمته هو الذى بطن فيه بقدر ته
وما بطن فيه بقدرته هو الذى ظهر فيه بحكمته وهو
الذى قصد الشاعر بقوله

لقد ظهرت فلا تخفى على احد ... الا على اكمه لا يبصر القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا ... وكيف يعرف من بالعزة استترا

والله تعالى اعلم تنبيه قد كنت سالت الشيخين
اعنى شيخنا وشيخه عن الحضرة الازلية قبل تجليها هل
تسمى ظاهرة باطنة او انما تسمى باطنة فقط للطافتها
حينئذ فاجابنى بان ما كان هو الذى ظهر وليس الذى
ظهر غير ما كان فى الازل كان الله ولا شيئ معه وهو الان
على ما عليه كان يعنى ان الذات العالية كما كانت متصفة

بصفاتها واسمائها فى الازل جقيت كذلك فيما لا يزال فكان
فى الازل ظاهرا باطنا وبقى بعد التجلى كذلك ظاهرا لنفسه
باطنا عن خلقه ما تجلى به ظاهرا هو فيه ايضا باطن
وقال القاشانى فى شرح تائية ابن الفارض ما نصه بعد
كلام واظهر الحق تعالى سر ذاته وصفاته فى مظاهر افعاله
وما كان لخفائه عليه قبل ذلك كما حكاه عن المحبوبة
بلسان الجمع فى قوله

مظاهر لى فيها بدوت ولم اكن ، على بخاف قبل موطن برزتى

ولكن ليتجلى باسمه الظاهر اخرا كما كان متجليا باسمه
الباطن اولا والعجب كل العجب انه تعالى ما ظهر بشيء من
مظاهر افعاله الا وقد احتجب به كما قال

بدت باحتجاب واختفت بمظاهر ، على صبغ الاكوان فى كل برزة

اه كلامه رضى الله عنه والتحقيق ان يقال الحق تعالى لم
يزل متصفا باسمائه وصفاته فى الازل وفى ما لا يزال والله
تعالى اعلم ثم بين كيفية النظر والاعتبار فى المكونات
لنعرف ظهوره تعالى فيها فقال اباح لك ان تنظر فى المكونات
وما اذن لك ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا
ماذا فى السموات والارض فبقوله انظروا ماذا فى السموات
فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا
يدلك على وجود الاجرام قلت انما ابرز الله هذه
المكونات واظهر هذه العوالم ليعرف بها ويظهر نوره
فيها قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وقال تعالى افحسبتم
انما

انما خلقناكم عبثا قال فى لطائف المنن فما نصبت
الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق
منك ان تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره
فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال ولنا فى هذا المعنى

ما اثبتت لك العوالم الا ، لتراها بعين من لا يراها ،
فارق عنها رقى من ليس يرضى ، حالة دون ان يرى فيها مولاها ،

فاباح لك ايها الانسان ان تنظر ماذا فى السموات والارض من
النور اللطيف الذى قامت به الاشياء وما اباح لك ان تقف
مع ذوات المكونات فتقف مع القشر وتحجب عن اللب وتقدم
قوله الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فمن وقف مع ظاهرها
كان محجوبا ومن نفذ الى باطنها كان عارفا محبوبا ولاجل هذا
السر قال تعالى قل انظروا ماذا فى السموات اى ما فيهما من عظمته
ومعانى اسرار ذاته وكمال قدرته وارادته وسائر صفاته فقد
فتح لك باب الافهام جمع فهم اى فتح لك باب الفهم لتدخل بها
من ظاهر القشر الى باطن اللب حتى تعرفه فى كل شيء وتفهم
عنه فى كل شيء ولو قال الحق تعالى قل انظروا السموات
لدلك على الاجرام وسد لك باب الافهام وكيف يدلك على الاجرام
وهى اغيار والاغيار مانعة من الدخول الى شهود الانوار
ومثال ذلك فى التقريب لو قال لك قائل انظر هذه الثلجة
لدلك على ظاهر جرمها ولو قال لك انظر ما فى هذه الثلجة لفتح
لك باب الفهم الى نظر ما فى باطنها دون الوقوف مع ظاهر
جرمها واعلم ان الحق سبحانه ندب عباده الى معرفة ذاته ودرجهم
اليها شيئا فشيئا فمنهم من قصر ومنهم من وصل فدرجهم اولا الى

توحيد الافعال وانه لافاعل سواه فعال تعالى وربك
يخلق مايشاء ويختار ان ربك فعال لما يريد والله خلقكم
وما تعملون ولوشاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما
يريد وقال فى فعل غير الادمى ما من دابة الاهو اخذ
بناصيتها وفى شان الطير ما يمسكهن الا الرحمن وقال تعالى
وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
امثالكم اى فى قهر قبضتنا مقدرة اجالها مقسومة
ارزاقها معدودة انفاسها محفوظة اجسامها
معلومة اماكنها ظاهرة اشباحها باطنة انوارها
وقال فى توحيد الصفات وانه لا سميع ولا بصير ولا قدير
ولا متكلم الا الله انه هو السميع البصير اى دون غيره
فلا سمع ولا بصر الا به سبحانه وقال تعالى انه هو الحكيم
العليم وقال تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله
الى غير ذلك من الايات وقال تعالى فى توحيد الذات
وهو الله فى السموات وفى الارض الله نور السموات
والارض على تفسير اهل الاشارة وهم اهل الباطن وقال
فاينما تولوا فثم وجه الله واذ قلنا لك ان ربك احاط
بالناس ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
وقال فى محو الواسطة فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا
الماء صبا ثم شققنا الارض[2] شقا ويحتمل ان تكون
منها ومن توحيد الافعال وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى ولكن الله الف بينهم وقد يجمع الحق تعالى فى
اية واحدة توحيد الصفات ويرقى الى توحيد الذات

[2] اي بالحرث

كقوله

كقوله سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين
لهم انه الحق ثم رقاهم الى الشهود بقوله اولم يكف بربك انه
على كل شئ شهيد الا انهم فى مرية من لقاء ربهم الا انه
بكل شئ محيط وقال تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب
لهم مغفرة واجر كبير ثم رقاهم من الغيب الى الشهادة بقوله
واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير فتحصل ان الاشياء كلها قائمة
بالله اثبتها ليعرف بها ثم محاها بوحدانيته كما
اشار الى ذلك بقوله **الاكوان ثابتة باثباته ممحوة**
باحدية ذاته قلت الاكوان هى ما ظهر فى عالم
الشهادة او تقول ما دخل عالم التكوين وهى موجودة
بوجود الحق قائمة به ثابتة باثباته ليعرف بها ممحوة
باحدية ذاته لانفراد وجوده فمن اثبتها لنفسها فقد
جهله فيها وحجب بها عن شهود موجدها ومن اثبتها
بالله فقد عرفه فيها وشهد فيها مولاها فالثبوت للاكوان
امر عرضى والحق اللازم هو وجود احدية الحق تعالى والاحدية
مبالغة فى الوحدة ولا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث
لا يمكن ان يكون اشد واكمل منها فمن مقتضى حقيقتها
محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت
لم تكن احدية ولكان فى ذلك متعدد او ثنينية كما قيل

ارب وعبد ونفى ضد ... قلت له ليس ذاك عندى
فقال ما عندكم فقلنا ... وجود فقد وفقد وجد
توحيد حق بترك حق ... وليس حق سواى وحدى

ومعنى كلام الشاعر الانكار على من اثبت الفرق بان
جعل للعبودية محلا مستقلا منفصلا عن اسرار معانى
الربوبية قائما بنفسه ولاشك ان العبودية تضاد اوصاف
الربوبية على هذا الفرق وانت تقول فى توحيد الحق لا ضد له
فقد نقضت كلامك ولذلك قال ونفى ضد فالواو بمعنى مع
وهو داخل فى الانكار اى ابوجد رب وعبد مستقل مع نفى
الضد للربوبية والعبودية تضاد اوصاف الربوبية والحق
ان الحق تعالى تجلى بمظاهر الجمع فى قوالب الفرق ظهر بعظمة
الربوبية فى اظهار قوالب العبودية فلا شيئ معه وقوله
فى الجواب وجود فقد اى عندنا وجود فقد السوى وفقد
وجود النفس وقوله توحيد حق بترك حق اى توحيد حق
الحق بترك حق الغير ولا غير ولذلك قال وليس حق موجود
سوى وجودى وحدى متكلم على لسان الفناء والله تعالى اعلم
وقال اخر سر سرى من جناب القدس افنانى • لكن بذاك الفنا عنى قد احيانى •

وردنى للبقا حتى اعبر عن • جمال حضرته لكل هيمان •
وصرت فى ملكوت من عجائبه • لم الف غير وجود ماله ثانى •

وانشد المؤلف لنفسه فى لطائف المنن يوصى رجلا من اخوانه
اسمه حسن

• حسن بان تدع الوجود باسره • حسن فلا يشغلك عنه شاغل •
• ولئن فهمت لتعلمن بانه • لا ترك الا الذى هو حاصل •
• ومتى شهدت سواه فاعلم انه • من وهمك الادنى وقلبك ذاهل •
• حسب الاله شهوده لوجوده • والله يعلم ما يقول القائل •
• ولقد اشرت الى الصريح من الهدى • دلت عليه ان فهمت دلائل •

وحيث

• وحديث كان وليس شيئ دونه • يقضى به الآن اللبيب العاقل •
• لاغر والا نسبة مثبوتة • ليذم ذو ترك ويحمد فاعل •

هذا اخر الباب الرابع عشر وحاصله تحويش العباد الى الله وتحبيبه
اليهم بذكر ما اشتمل عليه الحق سبحانه من الكرم والاحسان وغاية
اللطف والمبرة والامتنان وذلك انه سبحانه من علينا اولا بالطاعة
والعمل وتفضل علينا ثانيا بالقبول مع ما اشتمل عليه عملنا من النقص
والخلل ثم اذا وقعت منا معصية او زلل غطانا بستره ويغفر منه
لنا تفضلا واذا توجهنا اليه بقلوبنا سترنا منها وعصمنا لعظم
قدرنا ويظهر شكرنا فنتخذه صاحبا وندع غيره جانبا فحينئذ
تشرق فى قلوبنا انوار اليقين ونرحل الى الآخرة فى اقرب حين
ثم تشرق علينا انوار الاحسان فتنطوى لنا رؤية الاكوان
بشهود الملك الديان فحينئذ ينشر محاسننا للعباد نورحح ٧
فيقبلون علينا بالثناء والمحبة والوداد كما ابان هذا بقوله
فى اول الباب الخامس عشر وقال رضى الله عنه الناس
يمدحونك بما يظنون فيك فكن انت ذاما لنفسك
بما تعلمه منها قلت اذا امدحك الناس بشيئ ليس هو
موجودا فيك فاعلم ان ذلك هو انف من الحق يمتقون
بك ويحثونك الى الزيادة ويقولون لك الخير امامك
فلا تقنع بذلك ولا تركن الى ما هنالك بل ارجع الى نفسك
باللوم ولا يغرنك ثناء القوم فانهم لا يعلمون منك الا الصوان
الظاهر وانت تعلم من نفسك اللب الباطن قال بعضهم
من فرح بمدح الناس فقد مكن الشيطان ان يدخل بطنه
وكان بعضهم يقول اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ولا

تؤاخذنى بما يقولون واغفر لنا مالا يعلمون وانما قلنا
مدائح الناس هواتف الحق اذ ليس فى الوجود الا الحق ربنا
ما خلقت هذا باطلا سبحانك فاهل الفهم عن الله يستمعون
الى الخطاب فاذا سمعوه مدحهم بشيء نظروا فاذا كان فيهم
علموا انه تنبيه لهم على مقام الشكر وان لم يجدوه فيهم علموا انه
تنبيه لهم على تحصيل ذلك المقام ولهذا لما سمع ابو حنيفة
قوما يمدحونه بقيام الليل كله وكان لا يقوم الا نصفه جعل
يقوم الليل كله وقد ذم الله قوما احبوا ان يمدحوا بما لم يفعلوا
فقال ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب وقال المحاسبى رضى الله عنه مثل الذى يفرح بمدح
الباطل كمن يقال له العذرة التى تخرج من جوفك لها رائحة
المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به اه ثم ان ذمك
لنفسك اذا توجه الخلق اليك بالمدح انما هو حياء من ربك حيث
ستر عيوبك واظهر محاسنك وهو الذى نبه عليه بقوله المؤمن
اذا مدح استحيى من الله ان يثنى عليه بوصف لا يشهده من
نفسه قلت قد تقرر ان التحقيق ما ثم الا سابقة التوفيق ومن
تمام نعمته عليك ان خلق فيك ونسب اليك فاذا اطلق الثناء
عليك بشيء لا نسبة لك فيه وانما انت محل لظهوره فاستحى
منه تعالى ان يثنى عليك بشيء تعلمه انه من فعل غيرك
اولم يظهر عليك شيء منه اصلا فان مدحت بشيء زائد على ما ظهر
فيك فاطلب منه القوة على المزيد فان ربك فعال لما يريد
ولا يضرك مدحك بما تفعل ان لم تقصد التعرض للمدح ففى الحديث
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون من المؤمن قالوا الله
ورسوله

ورسوله اعلم قال الذى لا يموت حتى يملأ مسامعه مما يحب ولو
ان رجلا عمل بطاعة الله فى جوف بيت الى سبعين بيتا على كل
بيت باب من حديد لألبسه الله رداء عمله حتى يتحدث الناس
بذلك ويزيدون قيل يا رسول الله كيف يزيدون قال المؤمن
يحب ما زاد فى عمله الحديث وفى حديث اخر قيل يا رسول الله
الرجل يعمل العمل خفية ثم يتحدث الناس به فيفرح فقال عليه السلام يعمل
له اجر مرتين اجر العمل واجر الفرح فان مدح بما ليس فيه واغتر
بذلك فهو جاهل بربه كما اشار اليه بقوله اجهل الناس من
ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس قلت اليقين الذى عنده
هو علمه بمساويه وخفايا عيوبه وما انطوت عليه سرائره من
النقائص والتقصير وظن ما عند الناس هو ما يرون على ظاهره
من الكمالات وانوار الطاعات التى تصحبها العلل الباطنية
والحظوظ النفسانية فيتوجهون اليه بالمدح والثناء فاذا
قنع بذلك وفرح بما هنالك فهو اجهل الناس واحمق
الناس اذ قد قنع بعلم الخلق ولم يخف من مقت الحق والمطلو
والمطلوب من العقلاء عكس هذا وهو ان ينقبض عند المدح
وينبسط عند الذم حتى يستويا عنده هذا ان كان المادح
من اهل الدين والخير واما ان كان جاهلا او فاسقا فلا غباوة
اعظم من الرضى بمدحهم والفرح به فقد روى عن بعض
الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه ابكى
وقد مدحك فقال له انه لم يمدحنى حتى وافق بعض خلقى
خلقه فلذلك بكيت وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه
تزكية الاشرار هجنة لك وحبهم لك عيب عليك وقيل

لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك فاظهر الوحشة
من ذلك وقال لعلهم راوا مني شيا اعجبهم ولا خير في شيء
يعجبهم ويسوء فاه فينبغي للفقير ان يخفي محاسنه واعماله
التي يمدح عليها ويظهر ما يسقط به من اعينهم مما هو مباح
كما تقدم في الخمول وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه
يقول فينبغي للفقير ان لا يكون صيته اكبر من قدمه بل يكون
قدمه اكبر من صيته وقدره اكبر من دعواه اه فيكون
جلالي الظاهر جمالي الباطن فكل ما تظهره على ظاهرك من
الجلال يدخل في باطنك قدره من الجمال وكل ما تظهره من الجمال
يدخل قدره في باطنك من الجلال فتزيين الظواهر يخرب
البواطن وتخريب الظواهر يزين البواطن فبقدر ما تخرب
في الظاهر يكون عمارة في الباطن وبقدر ما تعمر في الظاهر
يكون خرابا في الباطن ولله در شيخ شيوخنا المجذوب
رضي الله عنه حيث قال في شان الجهال

اتفقوا على الدين تركوه ، تعاندوا في المال والكساوي
الثوب من فوق غسلوه ، وخلوا القلب خاوي

فاذا اظهرت الجلال واخفيت الجمال ثم اطلق الثناء عليك
الكبير المتعال بما لست له اهلا فاثن عليه بما هو اهله
كما ابان ذلك بقوله اذا اطلق الثناء عليك ولست
باهل فاثن عليه بما هو اهله قلت اذا اطلق الله تعالى
الثناء عليك على السنة خلقك بما لا تعلمه من نفسك
ولست باهل له فاثن على الله بما هو اهله اي بما يستحقه
من التعظيم ليكون ذلك شكر النعمة اطلاق الالسنة
بالثناء

بالثناء عليك وايضا فانه هو الذي ستر عنهم مساويك
واظهر لهم محاسنك ولو اظهر لهم ذرة من مساويك
لمقتوك وابغضوك فان العبد محل النقائص والحق
تعالى محل الكمالات فكل ما ظهر عليك من الكمالات
فانما هي رشحة من كمالاته تعالى فالثناء في الحقيقة
انما هو لله فاذا وقع عليك فرده انت الى اصله وفي
الحقيقة ما وقع الا في اصله ولكن لما اختلف القصد
اختلف الحكم اثني على بعض السادات وهو ساكت
فقيل له في ذلك فقال وما علي من ذلك ولست اغلط
في نفسي بل لست في البين والمجري والمنشي هو الله تعالى
اه هذه حالة اهل الجمع وكان بعض السادات يستعمل
الفرق اذا سمع الثناء عليك القى على راسه التراب في خلوته
فالناس في حالة الذم والمدح على ثلاثة اقسام قسم
يفرحون بالمدح ويكرهون الذم لان نفوسهم غالبة
عليهم ولا شك انها تفرح بالعز والرفعة وتنقبض بالذم
والضعة وهم العوام الغافلون وقسم يكرهون المدح ويحبون
الذم لانهم في مجاهدة نفوسهم فكل ما يثقل عليها ويقتلها
اقبلوا عليه وكل ما يحييها ويقويها فروا منه وهم العباد
والزهاد والسائرون من المريدين وقسم يفرحون بالمدح
لشهوده من مولاهم وينقبضون من الذم لشهودهم جلال
من به تولاهم وهم العارفون وقد اشار الى القسم الثاني
والثالث بقوله الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم
الثناء من الخلق والعارفون اذا مدحوا انبسطوا

لشهودهم ذلك من الملك الحق قلت اما العباد والزهاد
فلانهم محجوبون برؤية الخلق عن شهود الحق فاذا امدحوا
شهدوا اذ لك من الخلق وحجبوا عن الجمع بالفرق فانقبضوا
وخافوا على نفوسهم ان تغتر بذلك او تقف هنالك
وهم عاملون على ما تموت به نفوسهم وتحيى به قلوبهم
ولا شك ان المدح لها فيه حظ وافر فربما تميل الى ذلك
فتعتقد المزية على الغير فيوجب لها التكبر والرضى وهما
اصل كل معصية واما الذم فلا حظ لها فيه وانما فيه موتها
وفى موتها حياتها فلذلك اذا امدحوا انقبضوا واذا
ذموا انبسطوا او سكت عنه الشيخ وكانه يؤخذ بالمفهوم
واما العارفون الواصلون فلانهم فانون عن انفسهم
باقون بربهم غائبون عن الخلق بشهود الملك الحق
فاذا اثنى عليهم برو السنة الخلق اقلام الحق وشهدوا
الجمع فى عين الفرق ففرحوا بمدح مولاهم وانبسطوا عند
من تولاهم فيزدادون له حبا وشوقا ويفنون فيه شغفا
وعشقا وفى مثل هؤلاء ورد الحديث اذا امدح المؤمن
ربى الايمان فى قلبه ربوة واذا ذموا انقبضوا اهكونما
تحت فهم به الحق واد جامع جلاله وليس فى هذا الانقباض
دليل على كراهية الذم من حيث نسبته للخلق لانهم يرون
الخلق مصرفون بقدرة الحق به وعلامة ذلك انهم يسامحون
لمن اجرى ذلك عليه بل يتعطفون عليه ويتوددون
بالمحبة اليه كما قال الشاعر

رب رام لى باحجار الاذى ❊ لم اجد بدا من العطف عليه

نفسى

فعسى يطلع الله على ❊ فرح القوم فيدنينى اليه

وفى تعبير اخى الناس فى المدح والذم على اربعة اقسام عوام
جهال وعباد زهاد ومريدون سالكون وعارفون واصلون
فاما العوام فنفوسهم غالبة عليهم ودائرة الحس محيطة
بهم محط نظرهم الخلق غافلون عن طلب الحق اذا امدحوا
واقبل عليهم الخلق فرحوا وبطروا لنيل مرادهم وتحصيل
اغراضهم والنفس الامارة مجبولة على حب الامارة واذا
ذموا وادبر عنهم الخلق انقبضوا وحزنوا لفوات ما املوا
فهولاء قلوبهم خربة من النور واما العباد والزهاد
فهم مجتهدون فى العبادة فارون من الخلق طالبون
رضى الحق مستوحشون من الناس تحققوا منهم الاياس
فاذا اقبلوا عليهم بالمدح والثناء انقبضوا وخافوا ان
يشغلوهم عما هم فيه واذا ذموا وادبر عنهم الخلق فرحوا
وانبسطوا لتفرغهم حينئذ للعبادة واقبالهم على ما هم
عليه من المجاهدة واما المريدون السالكون فهم عاملون
على قتل نفوسهم وحياة قلوبهم فاذا ذموا وادبر الخلق عنهم
فرحوا لما فى ذلك من موت نفوسهم وحياة قلوبهم
واذا امدحوا انقبضوا خوفا على قوة نفوسهم وضعف
قلوبهم اذ فى موت النفس حياة القلوب وفى حياة النفوس
موت القلوب واما العارفون فقد ظفروا بنفوسهم
ووصلوا الى شهود معبودهم فهم يستانسون بكل شيء
لمعرفتهم فى كل شيء ياخذون النصيب من كل شيء وهم
ويفهمون عن الله فى كل شيء فاذا امدحوا انبسطوا

بالله لشهودهم المدح من الله والى الله ولا شيء في الكون
سواه وليس احد احب اليه المدح من الله كما في الحديث
واذا ذموا انقبضوا تادبا مع جلال الله او شفقة على عباد
الله من عادى لي وليا فقد اذن بالحرب فصار بسطهم
بالله وقبضهم بالله واستغنوا به عما سواه وبهذا
المعنى وهو الفناء عن النفوس صح مدحهم لانفسهم تحدثا
بما انعم الله عليهم كالشيخ عبد القادر الجيلاني رضي
الله عنه والشاذلي والمرسي والشيخ زروق واشباههم
رضي الله عنهم وذلك مشهور عنهم نظما ونثرا
ومن اجل ذلك ايضا اخرجوا من مدحهم واظهروا الانبساط
عند مدحهم وللمؤلف رحمه الله قصائد في مدح شيخه
ابي العباس وكان يقول له ايدك الله بروح القدس
كما كان يقول عليه السلام لحسان بن ثابت رضي الله
عنه حين يمدحه عليه السلام ومدح الشيوخ من اعظم
القربات واقرب الوسائل الى الوصول اذ هم باب الله الاعظم
ويد الله الآخذة بيد الداخلين الى الحضرة فمن مدحهم
فقد مدح الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله ومن ذمهم فقد ذم الله وكذلك مدح الرسول صلى الله
عليه وسلم هو باب عظيم في الوصول الى حضرة الكريم فان
قلت قوله عليه السلام احثوا التراب في اوجه المادحين
يقتضي العموم فيصدق بمدح العارفين وغيرهم قلت
هو محمول على المدح بالكذب على وجه الطمع كما يقع للملوك
وارباب الاموال طمعا فيما عندهم او يحمل على من كان

باقيا

باقيا مع نفسه خائفا عليها كالعباد والزهاد فاذا
مدحهم احد فينبغي ان يزجروه ويحثوا في وجهه
التراب قيل حقيقة وقيل كناية عن الخيبة والرد والنهي
والزجر واما العارفون المحققون فقد عرفوا الممدوح
وغابوا عن شهود الواسطة في المادح والممدوح
نفعنا الله بذكرهم وخرطنا في سلكهم آمين ثم من علامة
الكمال تحقيق الاعتدال واستواء الاحوال في ثمانية خصال
المدح والذم والعز والذل والقبض والبسط والمنع والعطاء
وقد تقدم بعضها واشار الى الاخيرتين بقوله مهما
كنت اذا اعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك
المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم
صدقك في عبوديتك قلت الطفولية والتطفل هو الدخول
في قوم وليس منهم ولم يستاذنهم والطفيلي هو الذي
ياتي للوليمة من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من اهل
الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل
الاعراس كان ياتي الى الولايم من غير ان يدعى اليها فشبه
المؤلف به من دخل مع القوم ولم يتحقق بما تحققوا به
من استواء الاحوال فاذا كنت ايها الفقير اذا اعطيت
حظوظك ومناك واتصلت بعوائدك وهواك من
الغنى والعز والجاه والبسط والصحة والعافية وغير ذلك
من الحظوظ والشهوات انبسطت وفرحت واذا منعت
من حظوظك وشهواتك وابدلك الغنى بالفقر والعز
بالذل والجاه بالخمول والبسط بالقبض والصحة بالمرض

والعافية بالبلية انقبضت وجزعت فاستدل بذلك على ثبوت تطفلك على كلامهم ولا نسبة لك من مقامهم وانما انت طفيلي الاعراس ما زلت في غفلة النعاس واستدل بذلك ايضا على عدم صدقك في عبوديتك اذ الصدق في العبودية يقتضي استواء النعمة والبلية كما قال الشاعر

احباي انتم احسن الدهر ام اسا ، فكونوا كما شئتم انا ذلك الخل

قال ابو عثمان الحيري رضي الله عنه لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في اربعة اشياء في المنع والعطاء والعز والذل اه فاذا كان يتضعضع عند الجلال ويتهضم عند حملة الابطال فاعلم انه ضعيف الحال متطفل على مقامات الرجال قال في التنوير وقد ابتلى الله بحكمته وجود منته الفقراء الذين ليسوا بصادقين باظهار ما كتموا من الرغبة واسروا من الشهوة فابتذلوا انفسهم لابناء الدنيا مباسطين لهم ملايمين لهم موافقين لهم على طلبه وذاتهم مدفوعين على ابوابهم فترى الواحد منهم يتزين كما تتزين العروس معتنون باصلاح ظواهرهم غافلون عن اصلاح سرائرهم ولقد وسمهم الحق بسمة كشف بها عوارهم واظهر اخبارهم فبعد ان كانت نسبته ان لو صدق مع الله ان يقال فيه عبد الكبير فخرج من هذه النسبة لعدم صدقه فصار يقال له شيخ الامير اولئك الكاذبون على الله الصادون العباد عن صحبة اولياء الله لان ما يشهده العموم منهم يستحسبونه على كل

منتسب

خاوية

منتسب لهم صادق وغير صادق فهم حجب اهل التحقيق وسحب شموس اهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشروا اعلامهم ولبسوا دروعهم فاذا وقعت الحملة ولوا على اعقابهم ناكصين السنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خالية من التقوى الم يسمعوا قوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم اترى اذا سئل الصادقين عن صدقهم ايترك المدعين من غير سؤال الم يسمعوا قوله سبحانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبوكم بما كنتم تعملون فهم في اظهار زي الصادقين وعملهم عمل المعرضين كما قال القائل

اما الخيام فانها كخيامهم + وارى نساء الحي غير نسائها
لا والذي حجت قريش بيته ، مستقبلين الركن من بطحائها
ما ابصرت عيني خيام قبيلة ، الا بكيت احبتي بفنائها

هذا اخر الباب الخامس عشر وحاصلها اداب المريد في المدح والذم ومرجعها الى خمسة الاول ذم النفس عند مدحها بما ليس فيها الثاني استحياؤه من الله ان يمدح بوصف لا يشهده من نفسه الثالث ان يرجع الى يقين ما عنده فيعول عليه ولا يغتر بظن ما عند الناس فيعتمد عليه الرابع ان يكثر من الحمد والشكر لمولاه حيث ستر عيوبه واظهر توفيقه وهداه الخامس ان يكون معتدل الحال سليم القلب فلا يحزن عند الذم ولا يفرح عند المدح قال بعض العارفين اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال لك بئس

بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل اه وجاء رجل الى
شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه فجعل يمدحه
فى وجهه فقال له يا هذا الا تعرف بقولك انا اعرف نفسى
حين اكون افضل الوجود او اقل الوجود فالوقت الذى تكون
فيه ذاكرا لربى انا افضل الوجود والوقت الذى لا نذكرالله
فيه انا اقل الوجود او كلام هذا معناه لكن هذا الادب
الخامس يختلف باختلاف الاحوال فالعباد يغلبون حب الذم
على المدح والعارفون يغلبون حب المدح على الذم او يعتدلون
كما يعتدلون فى حال المنع والعطاء والقبض والبسط
والذل والعز والفقر والغنى وغير ذلك من اختلاف الاثار
وتنقلات الاطوار ومن جملة ذلك الخوف والرجاء بحيث
اذا صدرت منهم طاعة لا يزيد رجاؤهم واذا وقعت منهم
زلة لا يعظم خوفهم ولا تنقص استقامتهم كما اشار
الى ذلك فى اول الباب السادس عشر بقوله وقال رضى
الله عنه اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يؤيسك
من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك اخر
ذنب قدر عليك قلت السائر الصديق او الواصل الى التحقيق
كالراكب المغير جادا فى المسير كاد من السرعة ان يطير فاذا
وقعت منه نكبة او سقطة او صدرت منه عثرة او هفوة
استوى على جواده واستمر على اغارته فى طلب مراده فاذا
وجعل يتمرغ فى سقطته كان ذلك دليلا على همته وعدم
تحصيل طلبته فاذا وقع منك ايها الفقير ذنب فلا يكن
سببا فى قطعك عن الله او يؤيسك من الاستقامة مع الله
فيتضاعف

فيتضاعف عليك وبال المعصية وتعظم فى حقك المصيبة
والبلية فقد يكون ذلك رحمة بك وتنبيها لك من سنتك
لحصول ملل او فترة فاذا سقطت نهضت واذا قمت جددت
وقد يكون ذلك اخر ذنب قدره الله عليك وتامل ما وقع
لكثير من الاكابر كانوا لصوصا فصاروا خصوصا كابراهيم
ابن ادهم والفضيل وابى يعزى وغيرهم ممن لا يحصى فليكن
لك بهم اسوة فى حسن الظن بالله قال تعالى قل يا عبادى
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية
وقال تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقال تعالى
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل ابن ادم خطاء وخير الخطائين التوابون
وقال عليه السلام ان الله يحب كل مفتن تواب يعنى كثير
الذنب كثير التوبة قال تعالى ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين فهذه الايات تقوى رجاء العباد وتوجب
الاعتدال والسداد وقد بين اصل الرجاء والخوف ومنشاهما
فقال اذا اردت ان ينفتح لك باب الرجاء فاشهد
ما منه اليك واذا اردت ان ينفتح لك باب الحزن فاشهد
ما منك اليه قلت اذا اردت ايها الانسان ان يتقوى
رجاؤك فى الكريم المنان فاشهد ما منه اليك من الاحسان
واللطف والبر والامتنان فهل عودك الا احسانا وهل اسدى
اليك الا امتنانا عليك بسط منته ولك هيأ جنته انعم عليك
فى هذه الدار بغاية الانعام وما قنع لك بذلك حتى اعد لك
دار السلام باقية مستمرة على الدوام ثم اتحفك بالنظر الى

الى وجهه الكريم تتماما على سابق احسانه القديم **واذا اردت**
ان ينفتح لك باب الحزن والخوف فاشهد ما منك اليه من
الاساءة والتقصير فى العبادة او من موافقة الشهوة والاسترسال
مع الغفلة فانك ان شهدت ذلك دام حزنك وقوى خوفك
وربما كان سببا فى سوء ظنك بربك فتزل قدم بعد ثبوتها
وفى الحديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم اخرين
يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم فدل الحديث
على ان شهود الكرم افضل عند الله من شهود الانتقام **و**
خصلتان ليس فوقهما شئ من الخير حسن الظن بالله وحسن
الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ من الشر
سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله كما فى الحديث وبقيت
مرتبة ثالثة وهى الغيبة عن الرجاء والخوف بشهود ما من الله
الى الله وهو مقام اهل الشهود فلذلك اعتمد امرهم فى جميع الاحوال
نفعنا الله بهم كرمه امين ثم ان ثمرة الرجاء ونتيجته فى البسط
وثمرة الخوف ونتيجته القبض فلذلك ذكرهما بعدهما فقال
ربما افادك فى ليل القبض ما لم تستفده فى اشراق نهار
البسط لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قلت القبض والبسط
حالتان تتعاقبان على الانسان كتعاقب الليل والنهار
فالليل محل السكون والقرار والنهار محل التحرك والانتشار
القبض لا حظ فيه للنفس والبسط تاخذ النفس حظها منه
وما لا حظ فيه للنفس اقرب للسلامة واعظم للافادة فالقبض
كالليل والليل محل المناجاة والمصافات وملاقات الاحباب
ورفع الحجاب فربما افادك فى ليل القبض من اخناس النفس
وذهاب

وذهاب الحس وموالات الانس ما لا تستفيده فى نهار البسط
من تحصيل العلوم وتحقيق الفهوم ومجالسة الاخيار ومخالطة
الابرار فالقبض له فوائد والبسط له فوائد والعبد لا يدرى
ايهما اقرب له نفعا فتعين الوقوف مع ما يواجهه من جهة
الحق فيتلقاه بالقبول والادب وقد تقدم اداب كل واحد منهما
عند قوله بسطك كى لا يتركك مع القبض الخ فلا تطلب البسط
ان واجهك بالقبض ولا تطلب القبض ان واجهك بالبسط
فقد تستفيد من احدهما ما لا تستفيده من الاخر فلا تدرى
ايهما انفع ولا ايهما اضر ولذلك استدل بالاية التى نزلت
فى ميراث الاب من الابن فالبسط كالاب لانه ناشئ من شهود
ما منه اليك وهو فعل الحق الذى صدر منه كل موجود وهو
الاصل والقبض كالابن لانه ناشئ من شهود ما منك اليه
وهو الفرع اذ الفعل كله من القدرة واما الحكمة فانما هى تغطية
واذا كان العبد جاهلا بمنفعتهما تجهله بالانفع من الاباء
والابناء تعين متابعة الحق باتباع مراده وانتهاج حاله
من غير تحول ولا اشتغال ولا تشوف الى غير ما هو فيه من ذلك
الحال بذلك يتنور قلبه ويتطهر سره ولبه فتنكشف عنه
الحجب والاستار ويتهيأ لحمل الانوار والاسرار كما ابان
ذلك بقوله **مطالع الانوار القلوب والاسرار** قلت
المطالع جمع مطلع وهو محل طلوع الشمس وغيرها والانوار
هنا الواردات والكشوفات التى تكشف الحجب وترفع رداء
الصون عن مظاهر الكون وقد تقدم ان النفس والعقل
والقلب والروح والسر عند كثير من الصوفية شئ واحد وما هى

الا الروح تتطور بحسب التصفية والترقية فما دامت مشغولة
بحظوظها وشهواتها فهي نفس ونورها مكسوف فاذا انزجرت
وعقلت بعقال الشرع الا انها تميل الى المعاصي والذنوب
فتارة تعصي وتتوب وتارة تخن وتؤوب سميت عقلا ونورها
قليل لانها محبوسة في سجن الاكوان معقولة بالدليل
والبرهان فاذا سكنت عن المعاصي الا انها تتقلب بين
الغفلة واليقظة وبين الاهتمام بالطاعة والمعصية
سميت قلبا وهو اول مطالع الانوار فتشرق عليه انوار التوجه
فلا تزال تترادف عليه الواردات وهي انوار التوجه حتى يسكن
الى الله ويطمئن بذكر الله فحينئذ تسمى روحا وهو اول مطالع
انوار المواجهة فبهذه الانوار ينكشف الحجاب وينفتح الباب
وتدخل في حضرة الاحباب فاذا تصفت من غبش الحس
وتطهرت من كدر الاغيار سميت سرا وهو اول مطالع
انوار المشاهدة فاذا تركت من لوث الانوار وهو الوقوف
مع المقامات او الالتفات الى الكرامات سميت سر السر
وهو اول مطالع انوار المعاينة والمكالمة ثم لا حال
ولا مقام يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا واما الترقي
في العلوم والمعارف فلا نهاية له على الابد فالقلوب
مطالع ومشارق انوار التوجه والاسرار مطالع ومشارق
انوار المواجهة والمشاهدة والمعاينة والروح والسر يقرب
بعضها من بعض في المرتبة فلذلك سكت الشيخ عن
الارواح لاندراجها في الاسرار والحاصل ان النفوس
والعقول الظلمة غالبة عليهما لانهماكهما في الحس
وقابليتهما

١٢١

وقابليتهما في الحس والجنس فليستا مطلعا لشيء من النور
لعدم توجههما الى الكريم الغفور واما القلب والروح والسر
فهي مطالع الانوار اي محل طلوعها واشراقها الا ان القلب
مطلع لانوار التوجه والروح والسر مطلعات لانوار المواجهة
جمة
وقد تقدم تفسيرهما عند قوله اهتدى الراحلون الخ
وقد سوى الشيخ بينهما ومراده ما ذكرناه والله تعالى
اعلم ثم بين ابتداء مطلع هذا النور وهو القلب ثم يشرق
على الروح ثم على السر فقال نور مستودع في القلوب
مدده النور الوارد من خزائن الغيوب قلت النور المستودع
في القلوب هو نور اليقين ويكون اولا ضعيفا كنور النجوم وهو
نور الاسلام ثم لا يزال يتقوى ويستمد من النور الوارد من
خزائن الغيوب حتى يكون كنور القمر وهو نور الايمان
ثم لا يزال ينموا بالطاعة والذكر والصحبة حتى يكون كنور
الشمس وهو نور الاحسان وخزائن الغيوب هي انوار
الصفات واسرار الذات فمنها تستمد انوار الاسلام وانوار
الايمان ثم تشرق انوار الاحسان فتغطي وجود الاكوان
قال في التنوير ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على
فقد الاعيان ولاشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان
اه واعلم ان وجه اصطلاح الصوفية رضي الله عنهم في
ترتيب الاسلام اولا ثم الايمان ثم الاحسان ان العبد مادام
مشغولا بالعبادة الظاهرة الحسية سمي ذلك المقام
مقام الاسلام فاذا انتقل العمل للقلب وهو اشتغاله بتصفية
القلب بالتخلية والتحلية وتحقيق الاخلاص سمي ذلك

مقام الايمان فاذا انتقل العمل للروح والسر وهو الفكرة
والنظرة سمى مقام الاحسان بخلاف الفقهاء فانهم يقدمون
يقدمون الايمان على الاسلام فيقولون لا يصح شئ
دون الايمان ولا مشاحة فى الاصطلاح قد علم كل اناس
مشربهم قال بعض المحققين اعلم ان لعالم الملك وهو
عالم الشهادة انوارا ظاهرة ولعالم الملكوت وهو عالم الغيب
انوارا باطنة واشهر ما فى عالم الملك ثلاثة انوار نور
الشمس ونور القمر ونور النجوم ويقابلها من عالم الملكوت
نور المعرفة ونور الفهم ونور العلم فبطلوع نجم العلم
فى ليل الجهل تبدو الاخرة والامور الغيبية وبطلوع قمر
الفهم فى افق التوحيد يتشاهد قرب الحق وبطلوع شمس
المعرفة فى افق التفريد يقوى اليقين ويلوح وجه المشاهدة
واول نور يلج فى الصدر نور الاسلام فاذا انشرح القلب به
انقذف فيه نور الايمان فاذا تقوى فيه صار شهود الله
المراد منه **قلت** وبهذا النور وسع القلب معرفة الحق
وهو الذى اشار اليه فى الحديث القدسى لن يسعنى
ارضى ولا سماءى ووسعنى قلب عبدى المؤمن فانظر هذا
القلب الذى وسع الرب سبحانه ما اعظمه واجله فتحبب
يا اخى الى ارباب هذه القلوب التى وسعت علام الغيوب
حتى يوصلوك الى ما وصلوا اليه من علم الغيوب وبالله
التوفيق ثم ذكر ثمرة النور وهى الكشف عن حقائق
الاشياء فقال **نور يكشف لك به عن اثاره ونور يكشف**
لك به عن اوصافه قلت اصل النور من حيث هو الكشف
فالنور

فالنور الحسى يكشف عن المحسوسات والنور المعنوى يكشف
عن المفهومات **او تقول** نور الحس يكشف عن الاوانى
والنور المعنوى يكشف عن المعانى ولا عبرة برؤية الاوانى
خاوية عن المعانى ثم ان النور المعنوى ينقسم على
ثلاثة اقسام باعتبار القوة والضعف فنور الاسلام الذى
هو كالنجوم يكشف لك الحق تعالى به عن وجود اثاره
فتستدل بها على صانعها ونور الايمان الذى هو كالقمر
يكشف لك به عن ثبوت اوصافه فلا يتحرك شئ او
يسكن الا تراه بقدرة الله وارادته وعلمه وحياته الى
اخر صفاته ونور الاحسان يكشف لك به عن حقيقة
ذاته فلا ترى شيئا الا رايت صانعه فيه بواسطة تجلياته
الله نور السموات والارض فنهاية كشف الاول الفناء فى ٣ النور ح
الافعال ونهاية كشف النور الثانى الفناء فى الصفات
ونهاية كشف النور الثالث التمكين فى الفناء فى الذات
واستغنى الشيخ عن النور الثالث بذكر النور الثانى لان
الفناء فى الصفات قريب من الفناء فى الذات لان الصفات
لا تفارق الموصوف فمن كان يرى سمعه بالله وبصره بالله
وحركته بالله يرى وجوده بالله ولذلك بعضهم لا الفناء ٢ استغنى ح
فى الذات عن الفناء فى الصفات لتقاربهما فمهما تحقق
احدهما تحقق الاخر والله تعالى اعلم ويحتمل ان يريد
بقوله نور يكشف لك به عن اثاره النور الحسى
المدرك بالبصر الحسى ونور يكشف لك به عن اوصافه
نور البصيرة المعنوى وعليه اقتصر الشيخ ابن عباد رضى الله عنه

لكن نور البصر الحسى لا يستقل بادراك المؤثر فى الاثر ما لم تمده
الانوار الباطنية العقلية فالمدار انما هو على الانوار الباطنية
واما الحسية فمدركة لكل احد حتى البهائم فلا خصوصية
لها وبالله التوفيق ثم المطلوب من العبد هو الترقى من
نور شهود الاثر الى نور الصفات ثم الى نور شهود الذات
وقد تقف بعض القلوب مع النور الاول فتحجب عن
الثانى ومع الثانى فتحجب عن الثالث كما ابان ذلك بقوله
ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس
بكثائف الاغيار قلت قد تقف بعض القلوب مع انوار
المقامات دون الوصول الى الغايات فتحجب عن الوصول
كما حجبت النفوس بكثائف المحسوسات عن ادراك
لطائف المعانى والمفهومات وذلك اما لعدم شيخ التربية
او لضعف الهمة عن الترقية فقد ينكشف لبعض القلوب
عن سر توحيد الافعال فتفنى فى العمل وتذوق حلاوته
فتقف معه وهواتف الحقيقة تنادى بها الذى تطلبه
امامك وقد ينكشف لها عن سر توحيد الصفات وتلوح لها
انوار المقامات كتحقيق الزهد والورع وصحة التوكل والرضى
والتسليم وحلاوة المحبة والاشتياق الى غير ذلك فتقنع به
بذلك وتقف هنالك والمطلوب هو الكشف عن سر توحيد
الذات وانوار الصفات وان الى ربك المنتهى فالنور
عبارة عن الحلاوة والقوة التى يجدها المريد فى باطنه
من مزيد ايمان وقوة ايقان كحلاوة الخدمة لاهل الفناء
فى الافعال وحلاوة الذكر الحسى اللسانى او القلبى لاهل الفناء
فى الصفات

فى الصفات مع الحجاب وحلاوة الفكرة والنظرة لاهل الفناء
فى الذات وان شئت قلت ربما وقفت القلوب مع انوار
الاحوال فتحجب عن مقامات الرجال او مع انوار المقامات
فتحجب عن معرفة الذات ولذلك قال الشيخ ابن مشيش
لتلميذه ابى الحسن اشكو الى الله من برد الرضى والتسليم
كما تشكوا انت من حر التدبير والاختيار خاف رضى الله
عنه ان يحجب بحلاوة الرضى والتسليم عن شهود الذات
واعلم ان الوقوف مع الاحوال او المقامات انما هو من عدم
الوصول الى الشيخ واما من صحب الشيخ واكثر الوصول اليه
فلا بد ان يرحله الى المقصود الا ان يرى همته ضعيفة
لا تطيق انوار الشهود فيتركه على ما هو عليه حتى تنهض همته
الى شهود المعبود وشبه الشيخ رضى الله عنه حجب
القلوب بالانوار بحجب النفوس بالاغيار لاشتراكهما فى الحجب
عن الله لكن حجب النفس بالاغيار اشد لانها ظلمة والظلمة
اشد حجابا من النور فالقلوب نورانية حجبت بالنور والنفوس
ظلمانية حجبت بالظلمة وكثائف الاغيار هى ما ظهر
من بهجة الدنيا وزخرفها وغرورها وزهرتها وهى اشار
اليها الحق تعالى بقوله زين للناس حب الشهوات من
النساء والبنين والقناطير المقنطرة الآية ويدخل فيها
ما يلايمها من حب الجاه والرياسة وحب المدح والتعظيم
وغير ذلك من شهواتها وعوائدها وهى التى حجبت
جل الناس وساقتهم الى الخيبة والافلاس نسئل الله
العصمة بمنه وكرمه ويدخل فى الاغيار العلوم العقلية والله

والسانية فالاشتغال بها والوقوف مع حلاوتها من اشد الحجب
عن معرفة الله اعنى المعرفة الخاصة ويدخل فيها ايضا
الكرامات الحسية كالطيران فى الهواء والمشى على الماء فالوقوف
مع ذلك من اشد الحجب ايضا ولذلك قال بعضهم اشد الناس
حجابا عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد فسبحان من حجب
العلماء بعلمهم عن معلومهم والعباد بعبادتهم عن معبودهم
والصالحين بصلاحهم عن مصلحهم والله من وراء ذلك
كله وفى ذلك يقول الششترى رحمه الله

تقيدت بالاوهام لما تداخلت ۔ عليك ونور العقل اورثك السجنا
وهمت بانوار فهمنا اصولها ۔ ومنبعها من اين كان فما همنا
وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما ۔ تبعد من اظلام نفس حوت ضغنا

وحكمة وجود هذه الانوار الحسية والاغيار الظلمانية
تغطية وستر لانوار السرائر الباطنية كما اشار الى ذلك بقوله
**ستر انوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها ان
تبتذل بوجود الاظهار وان ينادى عليها بلسان
الاشتهار** قلت انوار السرائر هى العلوم اللدنية والمعارف
الربانية ويجمعها علم الربوبية الذى يجب كتمه عن غير اهله
ومن اباحه ابيح دمه وهو الذى قتل بسببه الحلاج وكثائف
الظواهر هى البشرية الظاهرة او تقول انوار السرائر هى
علم القدرة الباطنية وكثائف الظواهر هى علم الحكمة
الظاهرة فانوار السرائر معانى لطيفة رقيقة سترها الله تعالى
بالكثائف الظاهرة ولذلك وقع الانكار على اهلها قديما
وحديثا حتى قال الكفار مالهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى
فى الاسواق

فى الاسواق وقالوا ما هذا الا بشر مثلكم ووقوع الانكار
على اولياء الله سنة ماضية وحكمة ذلك اجلال وتعظيم
لها ان تبتذل وتظهر بوجود الاظهار وان ينادى عليها
بلسان الاشتهار فلا يبقى لها سر ولا عز ولهذا طلب الاولياء
بالخمول واستعمال الخراب والتلبيس قال الششترى رضى الله عنه

اذا رايت الوجود ۔ قد لاح فى ذاتك ۔ هو دس ولازم الجحود
ذاتك صفاتك ۔ واضرب بترس العقود ۔ والق عصاتك

والتهودس التحقق والترس ما يستتر به الانسان مواقع النبل
والمراد بالعقود العلائق والشواغل اى اضرب بسيف عزمك
علائقك وعوائقك والقاء العصى كناية عن طرح
كل ما يستند اليه او يعتمد عليه من اصحاب او احباب او اسباب
او حول او قوة او غير ذلك مما يقع الركون اليه ويحتمل ان
يريد بانوار السرائر معانى الصفات السارية فى الذوات
وبكثائف الظواهر المحسوسات الظاهرة فلا ظهور
للصفات الا بالذوات الحسية ولا قيام للذوات الا بالصفات
فستر الله سبحانه صفاته الازلية اللطيفة بظهور
الذوات البشرية الكثيفة صونا لسر الربوبية ان يبتذل
بالاظهار او ينادى عليه بلسان الاشتهار والحاصل ان
الاشياء كلها قائمة بين ذات وصفات بين حس ومعنى
بين قدرة وحكمة فستر الحق سبحانه معانى اسرار الذات
بظهور الذوات الكثيفة وستر المعنى اللطيف بالحس الكثيف
وستر القدرة بالحكمة والكل من الله والى الله ولا موجود
سواه وهذه الكثائف الظاهرة هى اردية وقمص لا

وتشتهر

للمعانى اللطيفة **او تقول** هى ردا الصون الذى نشر على
الكون فاذا انهتك الرداء او قطع بقى المعنى سالما فالتصرفات
القهرية انما تجرى الاردية والستور دون المعانى والنور
فالحق منزه ومقدس ان يلحقه ما يلحق العبيد ولتكف عن
طلب المزيد والعجز عن الادراك من وصف العبيد وقد
مثلوا ايضا كمون المعانى اللطيفة فى الاشباح الكثيفة
بالحبوب اليابسة فى الاغصان الرطبة فهى كامنة مستترة
فاذا نزل المطر احضرت الاشجار واخرجت الثمار التى
كانت كامنة فيها والى هذا المعنى اشار ابن البنا فى مباحثه
الاصليه حيث قال

وهى من النفوس فى كمون ، كما يكون الحب فى الغصون
حتى اذا ارعدت الرعود ، وانسكب الماء ولان العود
وجال فى اغصانها الرياح ، فعندها يرتقب اللقاح

هذا اخر الباب السادس عشر وحاصلها اداب السائر
فى حال سيره بحيث لا يقف مع معصية ولا يركن الى طاعة
ولا يغلب عليه خوف ولا رجاء ولا قبض ولا بسط بل ينظر
ما يبرز من الغيب فيتلقاه بالمعرفة والحب فاذا فعل ذلك
اشرقت عليه الانوار فتخرجه من رق الاثار حتى تفضى
به الى شهود الملك القهار لكن لا بد للحسناء من نقاب
وللشمس من سحاب وللنواقيت من صوان فخفيت
الانوار بكثائف الاغيار اجلالا لها ان تبتذل بوجود الاظهار
وان ينادى عليها بلسان الاشتهار فمن ذلك اخفى
اولياءه فى خلقه فلا يطلع عليهم الا من اراد ان يخصه
بما

بما خصهم به من سره كما ابان ذلك فى اول الباب السابع عشر
بقوله **وقال رضى الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل
على اوليائه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم
الا من اراد ان يوصله** قلت الدليل هو الموصل للمطلوب
فاذا سار الحق تعالى بك الى ولى عارف به ودلك عليه
فقد سار بك الى معرفته ودلك عليه فمهما دلك على
وليه واطلعك على سره فقد دلك عليه قطعا ووصلك
الى حضرته سريعا فلم يجعل الحق سبحانه الدلالة على اوليا ئه
والوصول اليهم الا من جهة الدلالة عليه ولم يوصل احدا
اليهم الا من اراد ان يوصله اليه فلاجل هذه الملازمة
وعدم الانفكاك تعجب الشيخ من ذلك **وقال** شيخنا
رضى الله فى قول المؤلف رضى الله عنه وصولك
الى الله وصولك الى العلم به قال وصولك اليه وصولك
الى عارف به بمعنى مهما وصلك الى عارف به واطلعك
عليه فقد وصلك اليه ومهما حجبك عن العارفين به فقد
حجبك عنه فلا طريق الى معرفة الله الا من طريق معرفتهم
ولا دليل على الله اعنى على معرفته الخاصة العيانية الا
من حيث الدليل عليهم وكما حجب الحق سبحانه ذاته
المقدسة بعزته وقهريته كذلك حجب اولياءه بما
اظهر عليهم من اوصاف البشرية فلا يعرفهم الا من سبقت
له العناية الربانية اذ لا يعرف الخواص الا الخواص **قال
فى لطائف المنن** اهل الله من خاصة عباده هم عرائس
الوجود والعرائس محجوبون عن المجرمين فهم اهل كهف

الاولياء قليل من يعرفهم قال الشيخ ابو العباس المرسي
رضي الله عنه معرفة الولي اصعب من معرفة الله فان الله
معروف بكماله وجماله ومتى تعرف مخلوقا مثلك ياكل كما تاكل
ويشرب كما تشرب ثم قال واذا اراد ان يعرفك بولي من
اوليائه طوى شهود بشريته واشهدك وجود خصوصيته
اه وايضا فان الولي لا يعرف بالصورة الظاهرة وانما يعرف
بالمعاني الباطنة لان الله لا يعبأ بالصور رب اشعث
اغبر ذي طمرين لو اقسم على الله لابره في قسمه فمن اراد
معرفته بالصورة فلا يعرفه لانه لا يرى الا بشرا ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق فالعين لا ترى الا الاجسام الكثيفة
التي يطرأ عليها ما يطرأ على اهل الحجاب ولم يدرك ما انطوت
عليه الصورة من المعاني اللطيفة والاسرار المنيفة فمن
اراد الله سعادته رزقه الاعتقاد والتصديق اولا ثم
الهداية والتوفيق ثانيا فالتصديق باسرار الولاية اول
المعرفة ولهذا قال الشيخ ابو الحسن التصديق بطريقتنا
هذه ولاية وقال بعضهم لله رجال لا يعرفهم الا الخاصة
ولله رجال يعرفهم الخاصة والعامة ولله رجال لا يعرفهم
لا الخاصة ولا العامة ولله رجال اظهرهم في البداية
وسترهم في النهاية ولله رجال سترهم في البداية واظهرهم
في النهاية ولله رجال لا يعرفهم سواه ولا يطلع على
ما بينه وبينهم الا الحفظة الكرام الذين وكلوا بحفظ
السرائر ولله رجال اختص الله بمعرفتهم لا يظهر حقيقة
ما بينه وبينهم الى الحفظة فمن سواهم حتى يلقونه فهم
شهداء

شهداء الملكوت الاعلى وهم المغيبون وهم الذين يتولى الله
قبض ارواحهم بيده وهم الذين طابت اجسامهم من طيب
ارواحهم فلا يعدوا عليها الثرى حتى يبعثون مشرقين
بانوار البقاء المجعول فيهم ببقاء الابد مع الباقي الاحد
وهم المحفوفون تحت حجاب الانس المغموسون في بحار
المحبة والقدس فليس لهم مع غيره قرار ولا عن انفسهم اخبار
تولى الله شأنهم ومن يتولى الله ورسوله والذين امنوا
فان حزب الله هم الغالبون قال الشطيبي وهذه الاسرار
التي انطوت عليها اسرار الاولياء واحتجبت عن العامة
هي اسرار الملكوت الغيبية التي اشار اليها بقوله
ربما اطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف
على اسرار العباد قلت الملكوت مبالغة في الملك هذا
باعتبار اللغة واما باعتبار اصطلاح الصوفية فالعوالم
ثلاثة ملك وملكوت وجبروت فالملك ما يدرك
بالحس والوهم والملكوت ما يدرك بالعلم والفهم والجبروت
ما يدرك بالبصيرة والمعرفة وهذه العوالم محلها واحد
وهو الوجود الاصلي والفرعي وانما تختلف التسمية
باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقي
في المعرفة فالوجود عند المحققين من العارفين
واحد قسم لطيف غيب لم يدخل عالم التكوين وقسم
كثيف دخل عالم التكوين فالاول يسمى عالم الغيب
والثاني عالم الشهادة وما كان خفيا في عالم الغيب
ظهر في عالم الشهادة فمن نظر الى الكثيف الذي دخل

التكوين ورآه مستقلا بنفسه قائما بقدرة الله سمى فى
حقه ملكا وهو لاهل الحجاب من اهل الفرق ومن رآه نورا
فائضا من النور اللطيف متصلا به الا انه تكثف بالقدرة
وتستر بالحكمة سماه ملكوتا وسمى اللطيف الباقى على اصله
الذى لم يدخل عالم التكوين الذى هو اول كل شئ وآخر كل
شئ ومحيط بكل شئ جبروتا فان ضم الفرع الى اصله
والكثيف الى اللطيف سمى الجميع جبروتا وهذه المعانى لا يفهمها
الا اهل الاذواق بصحبة اهل الاذواق وحسب من لم يبلغ
لهذا المقام التسليم والاوقع فى الانكار على اولياء الله
بما لم يحط به علما ولنرجع الى كلام الشيخ رضى الله عنه
فنقول ربما كشف الله عنك الحجاب وترقيت الى الدخول
مع الاحباب فاخرجك من سجن رؤية الاكوان الى شهود
الملكوت ومن عالم الاشباح الى عالم الارواح فاطلعك على غيب
ملكوته فابصرت الكون كله نورا فائضا من بحر الجبروت
فالحقته باصله وغبت عن شهود الملك الذى هو عالم
الفرق بشهود الملكوت الذى هو عالم الجمع الذى قال فيه ابن البناء
مهما تغذيت عن الاجسام • ابصرت نور الحق ذا ابتسام
وحجب عنك الاستشراف على اسرار العباد رحمة بك لانك
قد تحجب بذلك عن شهود الملكوت فلا عبرة عند المحققين
بمكاشفة اسرار العباد فقد تكون عقوبة فى حق صاحبها
كما يأتى وقد يكون ذلك لمن لا استقامة له اصلا كالكهان
والسحرة وغيرهم والغالب ان اهل شهود الملكوت يحجبون عن
مكاشفة اسرار العباد لاشتغالهم بما هو اعظم واحظى
عند

عند الله وانما تكون هذه المكاشفات عند العباد والزهاد
واهل الرياضات والمجاهدات ولا تنكر ان تكون عند العارفين
فقد يجتمع المكاشفة والكشف اى مكاشفة اسرار العباد وكشف
الحجاب عن الفؤاد الا ان الغالب هو استغراق الروح فى شهود
الملكوت دون الاستشراف الى اسرار العباد التى هى من عالم الملك
وقد كان الشيخ ابو يعزى رضى الله عنه يطلع على سرائر
الناس ويفضحهم فكتب اليه شيخه ابو شعيب ايوب المعروف
بالسارية من ازمور يحذره من ذلك وينهاه عن هتك
استار المسلمين فكتب له الشيخ ابو يعزى يجيبه ليس هذا
من قدرة البشر ان يسع احد مع فتنة اسرار العباد واخراج عيوبهم
من عالم الغيب الى عالم الشهادة وانما هو شئ يلقى الى ويقال
لى قل واسمع الخطاب انت آية من آيات الله والمراد منك ان
يتوب الخلق على يديك فتاخذنى غلبة وتستولى على ملكة لا اقدر
معها عن الكف عن القول اه وكان الشيخ ابو عبد الله التاودى
يقول ما قطعه الشيخ ابو يعزى فى ستة عشر سنة قطعته
انا فى اربعين يوما ولم يتم لطريقتنا هذه غبار والله تعالى
اعلم وكلهم اولياء الله نفعنا الله بذكرهم وليس قصدنا
تنقيص احد منهم وانما مرادنا ان طريق المكاشفة
ليس هى النهاية بل قال بعضهم هى البداية وبالله التوفيق
وقد تكون وبالا فى حق المريد كما ابان ذلك بقوله من اطلع
على اسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه
فتنة عليه وسببا يجر الوبال اليه قلت الاطلاع على اسرار
العباد قبل التمكين فى الشهود والتخلق باخلاق الملك المعبود

فتنة عظيمة وبلية ومصيبة وذلك لانه قبل التمكين فى المعرفة
قد يشتغل بذلك قلبه ويتشوش خاطره ولبه فيفتره
عن الشهود ويفتنه عن الرسوخ فى معرفة الملك الودود
وايضا مادامت النفس حية ولم يقع الفناء عنها قد يعتقد
بذلك المزية على الناس فيدخله الكبر والعجب وهما اصل
المعاصى فكان اطلاعه حينئذ على اسرار العباد سببا
فى جر هذا الوبال اى العقوبة اليه وهو التكبر على الناس
واعتقاد المزية عليهم وهو سبب البعد عن الله بخلاف ما اذا
تمكن فى معرفة الحق وتخلق باخلاقه وتحقق بمعانى صفاته
واسمائه فانه يكون على خلق الرحمن فاذا اطلع على معاصى
العباد ومساويهم رحمهم وسترهم وحلم عليهم وقد قال عليه
السلام الخلق عيال الله واقربكم الى الله ارحمكم بعياله وقال
صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا اهل الارض
يرحمكم من فى السماء وفى الاشارات لمن الله سبحانه عبدى
ان استخلفتك شفقت لك من الرحمانية شقا فكنت ارحم
من المرء بنفسه وروى ان ابراهيم عليه السلام حدث نفسه
انه ارحم الخلق فرفعه الله حتى اشرف على اهل الارض فابصر
اعمالهم وما يفعلون فقال يا رب دمر عليهم فقال له الله تعالى
انا ارحم بعبادى منك يا ابراهيم فلعلهم يتوبون ويرجعون
وفى بعض التفاسير انه كان يعرج كل ليلة الى السماء وهو قوله
تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج به
ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم اهلكه
ياكل رزقك ويمشى على ارضك ويخالف امرك فاهلكه الله
تعالى

تعالى ثم فاطلع على اخر فقال اللهم اهلكه فنودى كف عن
عبادى رويدا رويدا فانى طالما رايتهم عاصين وفى رواية
اخرى فاوحى الله اليه يا ابراهيم اين رحمتك للخلق انا ارحم
بعبادى منك اما يتوبون فاتوب عليهم واما ان اخرج
من اصلابهم من يسبحنى ويقدسنى واما ان يبعثوا فى مشيتى
فاعفوا او اعاقب يا ابراهيم كفر ذنبك فى دعوتك بدم قربان
فنحر ابلا فنودى فى الليلة الثانية كفر ذنبك بدم فذبح
بقرا فقيل له فى الثالثة فذبح غنما فقيل له فى الرابعة كذلك
فقرب من الانعام الى الله ما بقى عنده فقيل له فى الخامسة
فقال يا رب لم يبق لى شئ فقيل له انما تكفر ذنبك بذبح ولدك
لانك دعوت على العصاة فهلكوا فلما شمر لذلك واخذ السكين
بيده قال اللهم هذا ولدى وثمرة فؤادى واحب الناس الى فسمع
هاتفا يقول اما تذكر الليلة التى سالت اهلاك عبادى
اوما تعلم انى رحيم بعبادى كما انت شفيق بولدك فاذا
سالتنى اهلاك عبادى سالتك ذبح ولدك واحدا بواحد
والبادى اظلم اه ولما كان الاطلاع على اسرار العباد قد يدرك
بكثرة الطاعات والاجتهاد فقد تقصد النفس بالطاعة
هذا الحظ الذى هو مرض خفى نبه عليه الشيخ بقوله حظ
النفس فى المعصية ظاهر جلى وحظها فى الطاعة باطن
خفى ومداواة ما خفى صعب علاجه قلت حظ النفس
فى المعصية هى متعة البشرية الظاهرة كلذة الاكل
والشرب والنكاح وسماع اللهو وغير ذلك مما هو اذواق
الحس التى هى محرمة وحظها فى الطاعة هى طلب الكرامات

وخوارق العادات والاطلاع على المغيبات وحب الخصوصية
والمنزلة عند الناس ومداواة هذا المرض الخفي اصعب
من مداوات الاول الجلي لان مداوات المرض الحسي الخفي
اصعب من مداوات الجلي فكذلك المعنوي الباطني ما كان
جليا متعلقا بالنفس اصعب مما كان خفيا متعلقا بالروح
فالاول يمكن دوائه بالعزلة والفرار من مواطن الاشرار
وبصحبة الاخيار وبكثرة الطاعة والاذكار بخلاف
الثاني فلا تزيده الطاعة الا كثرة وقوة اذ بها صارت
تطلب حظها فلا يداويها من هذا الا خوف مزعج او
شوق مقلق او ولي عارف محقق يصحبه بالمحبة
والتصديق قال بعضهم من عسرت عليه نفسه فليسلمها
الى شيخ التربية قال تعالى وان تعاسرتم فسترضع له
اخرى وان عسرت عليكم انفسكم فسترضع له نفسه نفس
اخرى حتى يكمل اوان فطامها فان لم يكن واحد من هذه
مات وهو سقيم ولم يلق الله بقلب سليم فالواجب على
العبد اتهام نفسه ومراقبة قلبه فاذا استحلت النفس
شيئا من الطاعات والقربة اخرجها الى غيرها ولو كانت
مفضولة في ظاهر امرها وسياتي للشيخ اذا التبس عليك
امران انظر اثقلهما على النفس فانه لا يثقل عليها الا
ما كان حقا قال ابو محمد المرتعش حججت كذا وكذا
حجة على التجريد فبان لي ان ذلك كان مشوبا وذلك
ان والدتي سالتني يوما ان استقي لها جرة ماء فثقل ذلك
علي فعلمت ان مطاوعة نفسي في الحج كانت لحظ وشوب
اذ

اذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق
في الشرع وقال الشيخ احمد بن ارقم رضي الله عنه حدثتني
حدثتني نفسي بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان
الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تامرني
بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت تريد لقاء
الناس فتستروح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها
بالتعظيم فقلت لها لا اسلك العمران ولا انزل على معرفة
فاجابت فاسات ظني بها وقلت الله اصدق قولا
فقلت لها اقاتل العدو حاسرا بالراس اي من غير وقاية
فتكوني اول قتيل فاجابت ثم عدد اشياء كلها اجابت [فتكوني ٢]
لها فقلت يا رب نبهني بها فاني لها متهم ولقولها
مصدق فالهمت كانها تقول انك تقتلني كل يوم
مرات بمخالفتك اياي ومنع شهواتي ولا يشعر بي احد
فان قاتلت وقتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك
ويتسامع الناس فيقولون استشهد احمد فيكون شرفا لي
وذكرا في الناس قال فقعدت ولم اخرج ذلك العام اه
وقال الجنيد رضي الله عنه ضاقت على نفسي ليلة
حتى لم اطق الصبر فخرجت ذاهبا على وجهي فانتهيت
الى رجل مطروح في المقابر مغطى الراس فلما احس بي
قال ابو القاسم قلت نعم قال متى يصير داء النفس
دواءها فقلت اذا خالفت هواها صار داؤها دواءها
فقال لنفسه اسمعي فقد اجبتك بهذا مرارا وانت تقولين
حتى اسمعه ذلك من الجنيد قال الجنيد فانصرفت وما عرفته

اه ثم فسر الشيخ ذلك الداء الذى يكون خفيا فى الطاعة ببعض
جزئياته وهو اعظمها فقال ربما دخل الرياء عليك
حيث لا ينظر الخلق اليك قلت الرياء هو طلب المنزلة
عند الناس وقصد ذلك بعمل صالح سواء كان ذلك العمل
ظاهرا للناس وهو الغالب او خفيا عنهم فقد يكون الرياء
فى العمل الخفى فيدخل الرياء عليك حيث لا ينظر احد اليك
وهذا اصعب من الاول لانه اخفى من دبيب النمل كما
فى الحديث وكان بعض العارفين يقول اجتهدت فى
ازالة الرياء من قلبى بكل حيلة فما ازلته من جهة حتى
نبت من اخرى من حيث لا اظنه وقال بعضهم من اعظم
الرياء من راى العطاء والمنع والضر والنفع من الخلق
وقال بعضهم اقسام الرياء ثلاثة كلها علة فى الدين علة
الاول وهو اعظمها ان يقصد بعمله الخلق ولولاهم لم يعمل
الثانى ان يعمل للمدحة والثناء ولو لم يعلمه الناس
الثالث ان يعمل لله ويرجوا على عمله الثواب ورفع العقاب
وهذا النوع جيد من وجه معلول من وجه عند العارفين
رياء وعند عامة المسلمين اخلاص وقد قيل فى قوله تعالى
والعمل الصالح يرفعه هو السالم من الرياء ظاهرا وباطنا
بحيث لا يريد عامله حظا دنيويا ولا اخرويا وللمرائى
علامات لا تخفى منها نشاطه فى الجلوة وكسله فى الخلوة
او اتقان العمل حيث يراه الناس وتساهله حيث لا يراه
الا الله ومنها التماسه بقلبه توقير الناس له وتعظيمه
ومسارعتهم الى قضاء حوائجه واذا قصر احد فى حقه الذى
يستحقه

يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره ويجد تفرقة
بين اكرامه واكرام غيره واهانته واهانة غيره من اقرانه
حتى ربما يظهر بعض سخفاء العقول ذلك على السنتهم
فيتوعدون من قصر فى حقهم بمعاجلة الله لهم بالعقوبة
وان الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ بثارهم
فان وجد الفقير هذه الامارات فى نفسه فليعلم انه مراءى
بعمله وان اخفاه عن اعين الناس وقد روى عن على كرم الله
وجهه ان الله تعالى يقول للفقراء يوم القيمة الم تكونوا
ترخص عليكم الاسعار الم تكونوا تبادرون بالسلام الم تكونوا
تقضى لكم الحوائج وفى الحديث الاخر لا اجر لكم قد استوفيتم
اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه
رضى الله عنه ان رجلا من العباد قال لاصحابه انا انما
فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون
قد دخل علينا فى امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على
اهل الاموال فى اموالهم ان احدنا اذا لقى احب ان يعظم
لمكان دينه وان سأل حاجة احب ان تعطى له لمكان
دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه
فبلغ ذلك ملكهم فركب فى موكب من الناس فاذا السهل
والجبل قد امتلاء من الناس فقال السائح ما هذا قيل له الملك
قد اظلك فقال للغلام ائتنى بطعام فاتاه ببقل وزيت
وقلوب الشجر فاقبل يحشو شدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال الملك
اين صاحبكم قالوا هذا قال له كيف انت قال كالناس
وفى حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير

فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت
لي ذام ومن هذا النوع من الرياء يخاف الكبار وعدوا انفسهم
من الاشرار كما روي عن الفضيل رضي الله عنه انه قال من
اراد ان ينظر الى مراءى فلينظر الى هذا وسمع مالك بن دينار
امراة تقول له يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي
اضله اهل البصرة الى غير هذا مما روي عنهم في هذا المعنى
ولا يسلم من الرياء الجلي والخفي الا العارفون الموحدون لان
الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية ا
لخلق بما اشرق على قلوبهم من انوار اليقين والمعرفة فلم يرجو
منهم حصول منفعة ولم يخافوا منهم وجود مضرة فاعمال
هؤلاء خالصة وان عملوها بين اظهر الناس ومن لم يحظ بهذا
وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار
فهو مراءى بعمله وان عبد الله تعالى في قنة جبل بالنون اي اعلاه
قاله الشيخ ابن عباد رضي الله عنه ه مخ ومنها اي ومن
علامة الرياء الخفية ايضا استشراف العبد وتطلعه ان يعلم الناس
بخصوصيته كما اشار اليه بقوله استشرافك ان يعلم الخلق
بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك.
قلت اذا خصك الله تعالى ايها الفقير بخصوصية من
خصوصية خواصه كزهد او ورع او توكل او رضى او تسليم
او محبة او يقين في القلب او معرفة او اظهر على يديك كرامة
حسية او مخرق معنوية او استخرجت فكرتك حكما او مواهب
كسبية او لدنية ثم استشرفت اي تطلعت وتمنيت
ان يعلم الخلق بخصوصيتك بان يطلعوا على تلك الخصوصية
التي

التي خصك الله بها فذلك دليل على وجود الرياء الخفي
في باطنك ودليل على عدم صدقك في عبوديتك بل انت
كاذب فيها اذ لو كنت صادقا في عبوديتك لاكتفيت بعلم الله
وقنعت بمراقبته اياك واستغنيت به عن رؤية غيره فالواجب
على الفقير اذا خصه الله بخصوصية كتمها وجحدها
وسترها الا عن شيخه فان اظهرها فهو على خطر فقد
يكون تحدثا وقد يكون تبجحا وفي الكتمان السلامة
وقد تقدم قول الشيخ من رايته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا
عن كل ما شهد وذاكرا لكل ما علم فاستدل بذلك على وجود
جهله وفي هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه
احفر لسرك ودكه في الارض سبعين قامة وخل الخلائق يشكو الى
يوم القيامة وكان بعض اخواننا اذا سئل ما ذا ادركتم
وما ذقتم في هذا الطريق يقول البرد والجوع فكان شيخ
شيخنا يعجبه ذلك ويستحسنه لدلالته على صدق الاخلاص
وما زالت اشياخنا واشياخهم يستعملون الخراب في ظواهرهم
صونا لما في بواطنهم ولاجل هذا افضل عمل السر على عمل العلا نية
بسبعين ضعفا كما في الحديث وقال سيدنا عيسى عليه
السلام اذا كان صوم احدكم فليدهن لحيته ويمسح شفتيه يوم ح
فاذا خرج الى الناس روا انه لم يصم واذا اعطى احدكم
فليعط بيمينه ويخفيها عن شماله واذا صلى احدكم فليسدل
عليه ستر بابه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال
الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه كل من لم يقنع في
افعاله واقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة

وقال بعضهم ما اخلص عبد قط الا احب ان يكون فى جب
لا يعرف ولهذا كان اسقاط المنزلة شرطا فى هذا الطريق فان
تحقق العبد بالمعرفة ومشاهدة الوحدانية جاز له الاخبار
باعماله والاظهار لمحاسن احواله بناء منه على نفى الغير
واداء الواجب من الشكر كان بعض السلف يصبح فيقول
صليت كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له اما
تخشى من الرياء فيقول ويحكم وهل رايتم من يرائى بفعل
غيره والحاصل من فنى عن نفسه وتحقق بشهود ربه فلا كلام
عليه وقد قالوا من احب الخفا فهو عبد الخفا ومن احب الظهور
فهو عبد الظهور ومن لم يرد غير ما اراد الله به فهو عبد الله
حقا اه ثم علمك الشيخ الدواء فى ترك الاستشراف الى
الخلق وهو الاكتفاء بنظر الحق فقال غيب نظر الخلق اليك
بنظر الله اليك وغب عن اقبالهم عليك بشهود
اقباله عليك قلت الخلق فى التحقيق عدم والوجود
انما هو لله الواحد الاحد فوجود السوى كالهباء فى الهواء
او كظلال الاشخاص ان فتشته لم تجده شيئا فغيب عنك ايها
الفقير نظر الخلق اليك اكتفاء بنظر الحق اليك اذ لا نظر لسواه
وغب عن اقبالهم عليك بالتعظيم والتكريم بشهود اقبال
الملك الكريم فتغيب عن الوهم بثبوت العلم فاقبالك على
الخلق ادبارك عن الحق وادبارك عن الخلق اقبالك على
الحق ولا يجتمعان وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم
فى وصيته لابن عباس احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده تجاهك اذا سالت فاسئل الله واذا استعنت

فاستعن

١٩٤

فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك
بشيء لم ينفعوك الا بشيء كتبه الله لك ولو اجتمعوا على
ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك
جفت الاقلام وطويت الصحف اه وقال الشيخ ابو الحسن
ايست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا اياس من نفع غيري لها
ورجوت الله لغيري فكيف لا ارجوه لنفسي اه وقال فى لطائف
المنن واعلم ان مبنى الولى على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه
والاغتناء بشهوده قال الله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو
حسبه وقال سبحانه اليس الله بكاف عبده وقال الم يعلم
بان الله يرى وقال اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد
فسبيل امرهم فى بدايتهم الفرار من الخلق والانفراد بالملك
الحق واخفاء الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا
لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم حتى اذا تمكن اليقين
وايدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بتحقيق الفناء وردوا
الى وجود البقاء فهناك ان شاء الحق اظهرهم هادين
اليه عباده وان شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شيء اليه
اه كلامه وقال سهل بن عبد الله لا ينال العبد حقيقة
من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين حتى يسقط
الناس من عينه فلا يرى فى الدارين الا هو وخالقه
فان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وتسقط نفسه
عن قلبه فلا يبالى باى حال يرونه اه ولله در القائل
فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر ... وبينى وبين العالمين خراب

وليت شرابي من ودادك صافيا ، وشربي من ماء المعين سراب
اذا صح منك الود فالكل هين ، وكل الذي فوق التراب تراب
واعلم ان رضى الخلق غاية لا تدرك وانظر قضية لقمان مع
ابنه وهي مشهورة يتبين لك ان رضى الخلق محال او متعذر
واجهل الناس من طلب ما لا يدرك وقال بعضهم مالي وللناس
كنت في بطن امي وحدي وخرجت الى الدنيا وحدي وتموت
وحدي وندخل قبري وحدي ونسئل وحدي ونبعث من
قبري وحدي ونحاسب وحدي فان دخلت الجنة دخلت
وحدي وان دخلت النار دخلت وحدي ففي هذه المواطن
لا ينفعني احد فمالي وللناس اه بالمعنى وقيل ان الولي
الصادق لا قدر له عند الخلق ولا قدر للخلق عنده فكلما عظم
امره عند الله خفي امره عند الناس ثم انه لا تتحقق الغيبة
عن نظر الخلق بنظر الحق الا بمعرفة الحق عند كل شيء وشهوده
في كل شيء كما ابان ذلك بقوله من عرف الحق شهده في كل
شيء ومن فني به غاب عن كل شيء ومن احبه لم يؤثر عليه
شيء قلت معرفة الحق هي شهود ذي ربوبيته في مظاهر
عبوديته او تقول هي الغيبة عن الغيرية بشهود الا
الأحدية او تقول هي الترقي من شهود عالم الاشباح الى شهود
عالم الارواح فيكون جسمك مع الاشباح وروحك مع الارواح
قال في المباحث
واستشعروا شيئا سوى الابدان ، يدعونه بالعالم الروحاني
ثم اقام العالم المعقول ، معارفا تلغز بالمعقول
والفناء هو ان تبدو لك العظمة فتنسيك كل شيء وتغيبك
عن

عن كل شيء سوى الواحد الذي ليس كمثله شيء وليس معه
شيء او تقول هو شهود حق بلا خلق كما ان البقاء شهود هو ح
خلق بحق والمحبة اخذ الحق قلب من احب من عباده فلا يكون
له عن نفسه اخبار ولا مع غير محبوبه قرار وقيل غير ذلك
فمن عرف الحق شهده في كل شيء ولم ير معه شيئا لنفوذ بصيرته
من شهود عالم الاشباح الى شهود عالم الارواح او من شهود ضيق
عالم الملك الى شهود فضاء الملكوت ومن فني به وانجذب
الى حضرته غاب في شهود نوره عن كل شيء ولم يثبت مع الله
شيئا والفرق بين الفاني والعارف ان العارف يثبت الاشياء بالله
والفاني لا يثبت شيئا سوى الله العارف يقرر القدرة والحكمة
والفاني لا يرى الا القدرة العارف يرى الحق في الخلق كقول
بعضهم ما رأيت شيئا الا رأيت الله فيه والفاني لا يرى
الا الحق بقول ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله العارف في
مقام البقاء والفاني مجذوب في مقام الفناء الفاني سائر
والعارف متمكن واصل ومن احب الله لم يؤثر عليه شيئا من
حظوظه وهوى نفسه ولو كان فيه حتف انفه كما قال القائل
فقالت وقد سألت عن حال عاشقها ، بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمأ ، وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
في المحبة ح والكلام في المحبة طويل ذكر الشيخ في لطائف المنن منه جملة
صالحة وكلام الشيخ رضي الله عنه من باب التدلي
فالمعرفة اعلا المقامات وقبلها الفناء وقبل الفناء
المحبة اي اولها فاول ما يعرف الله في قلب عبده الذي يريد
ان يصطفيه لحضرته ويعرفه به محبته فلا يزال يلهج بذكره

ويتعب جوارحه فى خدمته ويتعطش الى معرفته فلم يزل
يتقرب اليه بالنوافل حتى يحبه الحق فاذا احبه افناه عن نفسه
وغيبه عن حسه فكان سمعه وبصره ويده وجملته ثم رده اليه
وابقاه به فعرفه فى كل شيء وراه قائما بكل شيء ظاهرا فى كل
شيء والله تعالى اعلم ولهذا الذى ذكره الشيخ علامات تدل على
تحقق تلك المقامات فمن وجدها فى نفسه كانت دعواه لتلك
المقامات او بعضها صحيحة ومن لم يجدها فى نفسه كان دعواه
كاذبة وفضيحة فليعرف قدره ولا يتعد طوره وبالله التوفيق
ولما كانت المعرفة تقتضى ظهور الحق فى كل شيء فى كل شيء
حتى تراه ظاهرا فى كل شيء بيّن وجه احتجابه وخفائه
فقال انما حجب الحق عنك شدة قربه منك انما احتجب
لشدة ظهوره وخفى عن الابصار لعظيم نوره قلت
ذكر فى حكمة خفائه تعالى مع شدة ظهوره ثلاث حكم
الحكمة الاولى شدة القرب ولا شك ان شدة القرب
توجب الخفاء كسواد العين من الانسان فان الانسان
لا يدرك سواد عينه لشدة قربه منه والله تعالى اقرب اليك
من كل شيء قال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما تو
توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
فشدة قربه منك موجب لاضمحلالك قال فى لطائف
المنن فعظيم القرب هو الذى غيب عنك شهود القرب
قال الشيخ ابو الحسن حقيقة القرب ان تغيب فى القرب
عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا
يزال يدنو وكلما دنى منها تزايد ريحها فلما دخل البيت
الذى

الذى فيه المسك انقطعت رائحته عنه وانشد بعض العارفين

كم ذا تموه بالشعبين والعلم ... والامر اوضح من نار على علم
اراك تسأل عن نجد وانت بها ... وعن تهامة هذا فعل متهم

الحكمة الثانية فى خفائه تعالى شدة ظهوره ولا شك
ان شدة الظهور موجب الخفاء كما قال صاحب الهمزية
ومن شدة الظهور الخفاء وقد مثلوا ذلك بقرص الشمس
حين يعظم شعاعه ويتقوى اشراقه فان الابصار الضعيفة
لا تقوى على مشاهدته مع شدة ظهوره فصار شدة
الظهور موجبا للخفاء كما قال الشاعر

وما احتجبت الا برفع حجابها ... ومن عجب ان الظهور تستر

فاحتجب عن الابصار الضعيفة بلا حجاب الحكمة الثالثة
شدة نوره ولا شك ان شدة النور موجب لعدم الادراك
فان البصر لا يقاوم النور الباهر وفى حديث مسلم فى قصة
الاسراء قلنا يا رسول الله هل رايت ربك قال نور انى اراه
بلفظ الاستفهام اى غلبنى النور كيف اراه وفى رواية
رايت نورا فيحمل على انه اول مرة راى نورا ثم لم يطق مشاهدته
بالبصر مع تحقق شهوده بالبصيرة وانظر ايضا البرق
الخاطف فان البصر لا يطيق رؤيته وانشدوا

بالنور يظهر ما ترى من صورة ... وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره ... حسا ويدركه البصير من الورا
فاذا نظرت بعين عقلك لم تجد ... شيئا سواه على الذوات مصورا
واذا طلبت حقيقة من غيره ... فبذيل جهلك لا تزال معثرا

وهذا النور الذى نتكلم فيه ليس هو حسيا وانما هو ما يبدو

من معاني الصفات والاسماء التي تخرج من ظلمة الجهل الى معرفة
اسمائه تعالى وصفاته قاله الشيخ زروق قلت هو النور
الاصلي الذي فاض من بحر الجبروت الا انه تستر بالحكمة والعزة
والقهرية سئل ابو القاسم النصر باذي عن قولهم
« ويظهر في الهوى عز الموالي « فيلزمني له ذل العبيد «
فقال عز الموالي الستر لانه لو انهتك الحجاب لتقطعت
الالباب اه هذا اخر الباب السابع عشر وحاصلها ثلاثة
امور الاول تلازم الدلالة على اولياء الله للدلالة على الله
بحيث لا ينفك احدهما عن الاخر في الغالب الثاني
تفسير اسرار الولاية وهي الاطلاع على اسرار غيب الملكوت
دون اشتراط الاطلاع على اسرار العباد لان ذلك قد يكون
فتنة في حقه وسببا في عقوبته اذا لم يتمكن من معرفته
مع ما فيه من حظ النفس في بما تقصده بطاعتها فيكون
رياء في حقها وهو من الامراض الباطنية التي يصعب
علاجها كالاستشراف الى اطلاع الناس على خصوصيته
ودواؤه الغيبة عنهم والاكتفاء بنظر الله عن نظر غيره
الامر الثالث علامة وجود هذه الاسرار في العارف وهي
شهود الحق في كل شيء وفناؤه عن كل شيء وايثار محبته
على كل شيء فان قلت كيف يشهده وهو غيب قلت بل
هو ظاهر في كل شيء وانما حجبه شدة قربه وشدة
ظهوره وعظيم نوره واذا علمت انه قريب وانه اقرب
اليك من روحك وقلبك اكتفيت بنظره واستغنيت
بعلمه عن طلبه فان كان ولا بد من الدعاء فليكن عبودية
ومناجاة

ومناجاة وتملقا لا سببا للعطاء كما بان ذلك في اول الباب
الثامن عشر بقوله لا يكن طلبك سببا الى العطاء منه فيقل
فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما
بحقوق الربوبية قلت قد تقدم في اول الكتاب ان الطلب
كله معلول عند ذوي الالباب فان كان ولا بد من الطلب
فليكن اظهارا للعبودية وقياما بحقوق الربوبية فلا يكن
طلبك من الحق سببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه لان الفهم
عن الله يقتضي الاكتفاء بعلمه والاستغناء بمعرفته فلا
يحتاج الى شيء ولا يتوقف على شيء ماذا فقد من وجدك
فلا يكن يحط نظره الا ما يبرز من عنصر القدرة ولا يشتهي
الا ما يقتضيه عليه مولاه قيل لبعضهم ماذا تشتهي قال
ما يقضي الله قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لا يكن
حظك من الدعاء الفرح بقضاء حاجاتك دون مناجاة
محبوبك فتكون من المحجوبين وقال بعضهم فائدة الدعاء
اظهار الفاقة بين يديه والا فالرب يفعل ما يشاء قيل ان
سيدنا موسى عليه السلام قال يا رب اطعمني فاني جائع
فاوحى الله اليه قد علمت ذلك قال يا رب اطعمني
قال له حتى اريد وهذا مقام اهل النهايات واما اهل البدايات
فيرخص لهم في طلب الحاجات وفي كثرة الدعاء والتضرعات
فالدعاء في حقهم واجب او مندوب وفيهم ورد الترغيب
في الدعاء والالحاح فيه قال تعالى ادعوني استجب لكم وقال
امن يجيب المضطر اذا دعاه وورد في بعض الاخبار ان
الله تعالى قال لسيدنا موسى عليه السلام سلني حتى

ملح بجبينك تشريعا للضعفاء لأن الانبياء عليهم السلام
بعثوا معلمين الضعفا والأقوياء وينبغي ان يتأدب في الدعاء
فلا يدعوا بممنوع شرعا ولا ممتنع عقلا ويكون بتلطف
وانكسار وظهور فاقة واضطرار لا بانبساط وادلال
فان ذلك مقام الرجال اهل المكانة والكمال ومن ذلك قول
الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه في حزبه الكبير وليس من الكرم
ان لا تحسن الا لمن احسن اليك الخ وذكر في قوت القلوب ان
بني اسرائيل قحطوا سبع سنين فخرج سيدنا موسى عليه
السلام بسبعين الفا من بني اسرائيل ليستسقي لهم فاوحى
الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم
وسرائرهم خبيثة فدعوني على غير يقين ويأمنون مكري
ارجع اليهم فان عبدا من عبادي يقال له برخ قل له يخرج
حتى استجيب له فسألهم عنه موسى فلم يعرفه احد
فبينما موسى عليه السلام يمشي في طريق فاذا بعبد اسود
قد استقبله بين عينيه تراب من السجود وقد عقد
شملة على عاتقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله
فسلم عليه وقال ما اسمك قال برخ فقال له منذ حين وانا
اطلبك اخرج فاستسق لنا فخرج فكان من خطابه لربه
في دعائه ومناجاته ما هذا من فعالك وما هو من حكمك
وما بذلك عرفت انقصت عليك عيون مائك ام عاندت
الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك
على المذنبين ألست كنت غفارا قبل خطاء الخاطئين خلقت
الرحمة وامرت بالعطية فتكون لما تأمر من المخالفين امترينا

انك

انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما زال
حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب في نصف
يوم حتى بلغ الركب قال فخرج برخ فاستقبله موسى عليه
السلام وقال له ما هذا الخطاب الذي خاطبت به الحق فاوحى
الله اليه دعه فان دعاءه يضحكني فانظر هذه الحكاية
كيف وقعت على بساط المباسطة التي لا يفهمها الا اهل
المكانة والتمكين وحسب من لم يبلغ مقامات الرجال الأدب
والهيبة مع رب العالمين ثم بين وجه ما ذكره من كون الدعاء
انما يكون عبودية لا سببا في العطاء فقال كيف يكون طلبك
اللاحق سببا في عطائه السابق جل حكم الازل ان يضاف
الى العلل قلت العطاء السابق هو ما تعلق به علمه القديم قبل
ان تظهر تجليات الاكوان ولا شك ان الله سبحانه قدر في الازل
ما كان وما يكون الى ابد الابد فقد قسم الارزاق الحسية
والمعنويه وقدر الأجال قال تعالى انا كل شيء خلقناه
بقدر وقال تعالى وكل شيء عنده بمقدار وقال ولكل امة
اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة وقال وما يعمر من
معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقال تعالى وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فاذا علمت
ايها الانسان ان القضاء والقدر قد سبق برزقك واجلك
وانه قد سبقت قسمتك وجودك فماذا تطلب واذا
طلبت فكيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق
اذ قد سبق منه العطاء قبل ان يكون منك الطلب جل اي
عظم وتعالى حكم الازل القديم ان يضاف الى العلل والاسباب

الحادثة اذ محال ان يتقدم الحادث على القديم لا وجودا ولا حكما
قال ذو النون المصرى رضى الله عنه التوحيد ان يعلم
ان قدرة الله فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج
وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وليس فى السموات
العلى ولا فى الارضين السفلى مدبر غير الله وكل ما يخطر ببالك
فالله مخالف لذلك اه قوله وعلة كل شيء صنعه الضمير
فى صنعه يعود على الحق تعالى اى وعلة كل شيء صنع الحق
له يعنى ان سبب وجود الاشياء وظهورها هو صنع الحق
تعالى لها وصنع الحق لا علة له وقال بعضهم ليس فى الامكان
ابدع مما كان اى باعتبار العلم والمشيئة لا باعتبار القدرة
فالمراد بما كان القدر والقضاء السابق فما كونته القدرة
واظهرته لا يمكن ان يكون ابدع منه من حيث تعلق
العلم القديم فلا يمكن تخلفه وان كان العقل يجوز ان يخلق
الله تعالى ابدع منه والقدرة صالحة ولكن لما سبق به العلم
ونفذ به القضاء لم يكن ابدع منه او تقول ليس فى عالم
الامكان ابدع مما كان فما ظهر فى عالم الامكان وهو
عالم الشهادة الامكان فى عالم الغيب من المعانى القديمة
ولم يظهر ابدع منه ولا يظهر ابدا افافهم فالكلام صحيح على
هذا الوجه والله تعالى اعلم ومما يدلك على ان طلبك ليس
سببا فى عطائه لك وجود عنايته بك قبل ظهورك
الذى اشار اليه بقوله عنايته فيك لا لشيء منك
واين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته
لم يكن فى ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل لم يكن

هنالك

هنالك الا محض الافضال ووجود النوال قلت مما تواتر
به الاخبار والنقول ووافق المنقول المعقول ان ما شاء الله
يكون وما لم يشأ ربنا لم يكن ومشيئته تعالى قديمة لانها
عين ارادته وارادته على وفق علمه وعلمه قديم فكلما يبرز
فى عالم الشهادة فانما هو ما قدره الحق فى عالم الغيب جفت
الاقلام وطويت الصحف قال تعالى ما اصاب من مصيبة
فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها اى نظهرها
فلا سعادة ولا شقاء الا وقد سبق بهما القدر والقضاء السعيد
السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه
وقد تقدم قوله ما من نفس تبديه الا وله فيك قدر يمضيه
فاذا علمت ذلك ايها الانسان اكتفيت بعلمه السابق عن
طلبك اللاحق وبقى طلبك عبودية وادبا مع الربوبية
والا فعنايته فيك سابقة على وجودك لا لشيء منك تستحق
به عنايته ومننه واين كنت حين واجهتك عنايته فى ازله
حين سبقت لك منه العناية وكتبك فى جملة اهل الرعاية
والهداية ثم ثم لما استنطقك يوم الميثاق اقررت بربوبيته
واين كنت حين قابلتك رعايته وحفظه وانت فى ظلمة
الاحشاء حين اجرى عليك رزقه من عرق الدم وحفظك
فى ذلك المستودع حتى اشتدت اعضاؤك وقويت اركانك
فاخرجك الى رفقه وما يسر لك من رزقه لم يكن فى ازله حين
واجهتك عنايته ولا فى مستودعك فى الرحم حين قابلتك
رعايته اخلاص اعمال ولا وجود احوال تستحق بهما وجود
النوال بل لم يكن فى ذلك الوقت الا محض الافضال وعظيم النوال

قال الواسطي رضي الله عنه اقسام قسمت ونعوت اجريت
كيف تستجلب بحركات او تنال بمعاملات وقال الشاعر

فلا عمل مني اليه اكتسبته ⁂ سوى محض فضل لا بشيء يعلل

وقال اخر

وكنت قديما اطلب الوصل منهم ⁂ فلما اتاني العلم وارتفع الجهل
علمت بان العبد لا طلب له ⁂ فان قربوا فضل وان بعدوا عدل
وان اظهروا لم يظهروا غير وصفهم ⁂ وان ستروا فالستر من اجلهم يحلو

وقال اخر

قد كنت احسب ان وصلك يشترى ⁂ بنفائس الاموال والارباح
وظننت جهلا ان حبك هين ⁂ تفنى عليه كرائم الارواح
حتى رايتك تجتبي وتخص من ⁂ تختاره بلطائف الامناح
فعلمت انك لا تنال بحيلة ⁂ فلويت راسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام اقامتي ⁂ فيه غدوي دائما ورواحي

ولهذا لم يلتفت قلب العارف لخوف ولا رجاء ولم يبق له في غير
وجه الله حاجة فتخصلت الولاية وهي سر العناية
لا تنال بحيلة ولا تدرك بطلب لكن من سبقت له العناية
يسر لما اريد منه قيل لذي النون بم عرفت ربك قال عرفت
ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي اه وقيل لعلي كرم الله وجهه
هل عرفت الله بمحمد او عرفت محمدا بالله قال لو عرفت الله بمحمد
ما عبدته ولكان محمد اوثق في نفسي من الله
ولكن الله عرفني بنفسه فعرفت محمدا صلى الله عليه وسلم
بالله وهنا انتهت معرفة العارفين اعني حين تحققوا
بتلك الحقائق غابوا عن انفسهم في وجود معروفهم فاستراحوا

واستظلوا

واستظلوا في ظل الرضى والتسليم وهب عليهم من جنات
المعارف نسيم لكن اختلفت احوالهم في حال شرابهم الماء
واحد والزهر الوان فمنهم من يغلب عليه الهيبة والحياء قال
بعضهم من ازدادت معرفته ازدادت هيبته له ومن كان بالله
اعرف كان له اخوف وفيهم قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء ومنهم من يغلب عليه الشوق والاشتياق قال بعضهم
من عرف الله اتسم بالبقاء واشتاق الى اللقاء وضاقت عليه
الدنيا بحذافيرها وقال السري اجل مقام العارف الشوق يقول
الله تبارك وتعالى ان لي عبادا من عبادي احبهم ويحبوني
واشتاق اليهم ويشتاقون الي واذكرهم ويذكروني وانظر اليهم
وينظرون الي من سلك طريقهم احببته ومن عدل عنهم
مقته قيل يا ربنا وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار
كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما
تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط
الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه
نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني
بكلامي وتملقوا الي بانعامي فمن صارخ وباك ومن متاوه
وشاك ومن قائم وقاعد ومن راكع وساجد بعيني
ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي اول ما اعطيهم
ثلاثا اقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما اخبر
عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهن في موازينهم
لاستقللتها لهم والثالثة اقبل عليهم بوجهي اترى من
اقبلت عليه بوجهي يعلم احد ما اريد ان اعطيه اه وقال

ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه غلبني الشوق يوما فقلت يا رب
ان اعطيت احدا من المحبين ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك
فاعطني ذلك فقد اضرني القلق فرايت في النوم كانه اوقفني
بين يديه وقال يا ابراهيم اما تستحيي مني ان تسالني
ان اعطيك ما يسكن قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق
قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت فلم ادر ما اقول فاعف لي
وعلمني ما اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني
على بلائك واوزعني شكر نعمائك اه **ومنهم** من تغلب عليه
السكينة في القلب لان العلم واليقين يوجبان السكون والطمانينة
فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته قال تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب **ومنهم** من يغلب عليه الدهش والحيرة قال
بعضهم اعرف الناس بالله اشدهم تحيرا فيه وفي الحديث اللهم
زدني فيك تحيرا **ومنهم** من يغلب عليه التواضع والخضوع والذل
والانكسار قال الجنيد العارف كالارض يطاها البر والفاجر
وكالسحاب يظل الاحمر والابيض وكالمطر يسقي الماشي
والراشي **ومنهم** من تتسع معرفته ويخوض بحار التوحيد
فلا يكدره شيء ولا يتسلط عليه شيء بل ياخذ النصيب من كل
شيء ولا ياخذ من نصيبه شيء يانس بكل شيء ولا يستوحش
من شيء قال ابو تراب العارف يصفو به كدر كل شيء ولا يكدره
شيء اه وقال ابو سليمان الداراني ان الله يفتح للعارف
على فراشه ما لا يفتح له وهو قائم يصلي وقال بعضهم العارف
من انس بذكر الله حتى استوحش من خلقه وافتقر الى الله تبارك وتعالى
فاغناه عن خلقه وذل الى الله تبارك وتعالى فاعزه الله في خلقه

وفي

١٩٦

وفي زبور داود عليه السلام يا داود بلغ اهل رضائي
اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني وانيس لمن انس بذكري
وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني
بعزتي حلفت ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته
لنفسي واحببته اشد مما احبني ومن طلبني وجدني ومن طلب
غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها
وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وانسوا بذكري
اؤنسكم بي واسرعوا الى محبتي اسرع الى محبتكم فاني خلقت
طينة احبتي من طينة ابراهيم خليلي وموسى كليمي وعيسى
روحي ومحمد صفيي وخلقت قلوب المشتاقين من نوري
ونعمتها بجلالي وجمالي اه ولما كان الاعتماد على السابقة
يقتضي ترك العمل بين سر ذلك بقوله **علمان العباد يتشوفون
الى ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشاء وعلم
انه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال
ان رحمت الله قريب من المحسنين** قلت لما اخبر الله سبحانه
في كتبه على السنة رسله ان المدار انما هو على السابقة فمن
سبقت له العناية لا تضره الجناية تشوف الخلق كلهم الى
ظهور سر هذه العناية فكل واحد يظن انه من اهلها فاخبرهم
الحق تعالى ان ذلك السر انما هو للبعض دون البعض فقال
يختص برحمته من يشاء فاسندها الى مشيئته دون مشيئتهم
فعلموا ان ذلك انما هو للبعض دون الكل لان كل واحد
يطمع انه من ذلك البعض فربما يتركون العمل ويعتمدون
على سابق الازل فاخبرهم الحق تعالى ان ذلك السر له علامات

تدل على من هو من اهله ومختص به فقال ان رحمة الله قريب
من المحسنين فالرحمة هنا هى العناية السابقة وهى قريبة من
المحسنين الذين احسنوا عبادة ربهم واحسنوا الى عباد ربهم
فتحصل ان سر العناية انما تظهر على المحسنين المتقنين لا المتقنين
لأعمالهم المخلصين فى عبودية ربهم فمن استند الى الحكم السابق
وترك العمل فهو مغرور او مطرود لإبطاله الحكمة ومن استند الى العمل
دون النظر للقدرة والمشيئة السابقة فهو جاهل بعيد من الحضرة
غافل ومن جمع بينهما فهو محقق كامل وسر العناية اليه ان شاء
واصل **قال** ابو عثمان المغربى رضى الله عنه قلوب العارفين
فارغة لمفاجاة المقدور **وقال** بعضهم ليس كل من طلب
نال ولا كل من نال وصل ولا كل من وصل ادرك ولا كل من ادرك
وجد ولا كل من وجد سعد وكم من واحد حرم من المنى بمنى
وكم من واحد ادرك من القربات عرفات ومن ايد بالتوفيق
وصل فى لحظه العين الى عين القبول كما حكى عن بعض
الصالحين انه راى فى منامه ابليس اللعين ضج بالصياح
والعويل فاجتمع عليه جنوده وقالوا مالك فقال لهم كنت
اطمع فى فلان منذ سنين فاذا به قد استوى ظاهره وباطنه
وسره وعلانيته فلم اجد اليه سبيلا تخلى بالصدق فامتنع منى
فى مقعد صدق عند مليك مقتدر اه ثم بين ما تقدم من حكم
المشيئة فقال **الى المشيئة يستند كل شيء وليست تستند**
هى الى شيء قلت المشيئة والارادة شيء واحد واليهما تستند بلغ
الأشياء كلها قال تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله ولو
شاء ربك ما فعلوه الى غير ذلك من الآيات الدالة على سبق
المشيئة.

المشيئة لكل شيء واما هى فلا تستند الى شيء ولا تتوقف
على شيء فلا تتوقف على سؤال ولا على طلب فما شاء الله كان
من غير سبب ولا سؤال وما لم يشأ ربنا لم يكن قرب من شاء بلا عمل
وبعد من شاء بلا سبب لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقاعدة
التحقيق ما ثم الا سابقة التوفيق **قال** ابو بكر الواسطى رضى الله
عنه ان الله لا يقرب فقيرا لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه و
ليس للاعراض عنده خطر حتى بها يوصل وبها يقطع ولو
بذلت الدنيا والآخرة ما وصلت اليه بها ولو اخذتهما كلها ما قطع
قطعك بل قرب من شاء بغير علة وقطع من شاء من غير علة
كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اه فالنظر الى
المشيئة حقيقة والنظر الى السبب شريعة **او نقول** النظر الى المشيئة
قدرة والنظر الى الأسباب حكمة ولا بد من الجمع بينهما فالحقيقة
معينة والشريعة مبينة الشريعة حكمة والحقيقة قدرة
والحقيقة حاكمة على الشريعة فى الباطن والشريعة حاكمة
على الحقيقة فى الظاهر وليس حكم القدرة باولى من وصف الحكمة
فى محله ولا بالعكس **قال** الشطيبى واعلم ان الناس اربعة
ناظر فى السوابق لعلمه بان الحكم الازلى لا يتغير باكتساب العبد
وناظر فى العواقب لعلمه بان الاعمال بخواتمها وناظر للوقت
لا يشتغل بالسوابق ولا بالعواقب غير اداء ما كلف به من حكم
الوقت عالم بان العارف ابن وقته لا يهتم بما مضى ولا مستقبل
ولا يرى غير الوقت الذى هو فيه وناظر لله وحده لعلمه بان
الماضى والمستقبل والحال متقلبون فى قبضته متصرفون
فى حكمه والاوقات كلها قابلة للتغير وتبديل الحال فلا يراها

بعض صح

وانما يراقب من كل شيء بيده وقد اراد بعضهم الخروج من بين
يدي المشايخ فقال له الشيخ اين تريد فقال يا سيدي لئلا
اشغلك عن وقتك فقال له الشيخ ليس عند الله وقت ولا
مقت انما نرى رب الوقت لا الوقت ومن تمكنت فيه حالة الشهود
غاب بالموجد عن الوجود وتحسبهم ايقاظا وهم رقود **حكى**
ان رجلا قال لأبي يزيد اين ابو يزيد فقال له ليس هنا ابو
يزيد **وقال** رجل للشبلي اين الشبلي قال مات لا رحمه الله انما
عنى الشبلي لا رده الله لأحساسه عن مشاهدته لربه ورأى
ابو يزيد رجلا في المسجد يسئل عنه فقال له وانا اطلبه
منذ سنين فظن انه مجنون فلما اعلم انه هو قال له يا سيدي
عليك اسئل ولك اطلب فقال له ابو يزيد الذي تطلب
قد ذهب في الذاهبين في الله بالله لله فلا رده الله **هذا**
اخر الباب الثامن عشر وحاصلها اداب السؤال والطلب
وانه ينبغي ان يكون عبودية لا سببا في العطاء اذ قد سبقت
قسمتك في الازل قبل ان يكون منك طلب فعنايته سابقة
يختص برحمته من يشاء لكن الحكمة تقتضي وجود العمل
فوجود العمل امارة على خصوصية الازل مع توقف ذلك
على المشيئة لأنها يستند اليها كل شيء ولا تستند هي لشيء
فلزم السكون والأدب حتى في ترك الطلب كما بين ذلك في اول
الباب التاسع عشر بقوله **وقال رضي الله عنه ربما دلهم**
الادب على ترك الطلب قلت الظاهر ان رب هنا للتكثير لان
الغالب على العارفين واهل الفناء السكوت والسكون تحت مجاري
الاقدار فصدور الطلب منهم قليل لأن العارف فان عن نفسه

غائب

غائب عن حسه ليس له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار
فلا يتصور منه سؤال ولا فوات مامول من شغله ذكري عن مسئلتي
اعطيته افضل ما اعطي السائلين الاشياء تشتاق اليه وهو
غني عنها اشتاقت الجنة الى عمار وصهيب وبلال كما في الحديث
والحاصل ان العبد ما دام غائبا عن نفسه فانيا في شهود ربه
منقطعا عن حسه لا يتصور منه طلب اصلا اذ الطلب يقتضي
وجود الاثنينية والفرض انه غريق في بحر الوحدة فطلبه حينئذ
سوء ادب في حقه فان رد الى الشعور بنفسه وهو مقام البقاء قد
يتصور منه السؤال على وجه العبودية لا على وجه الاقتضاء كما
تقدم ثم بين مستندهم في ترك الطلب فقال **اعتمادا على قسمته**
واشتغالا بذكره عن مسئلته قلت اما الاعتماد على القسمة الازلية
فقد تقدم الكلام عليها في الحكمة قبل هذه واما الاشتغال بالذكر
عن المسئلة فقد تقدم قريبا في الحديث من شغله ذكري عن
مسئلتي **وقال** الواسطي رضي الله عنه ما جرى لك في الازل خير
من معارضة الوقت يعني بالطلب للحظ وقال القشيري اذا وجد في
قلبه اشارة الى الدعاء دعا كما اذا وجد نشاطا وانبساطا للدعاء فالدعاء
اولى واذا وجد في قلبه قبضا فالسكوت اولى **وقال** بعضهم ما سألت
الله تعالى بلساني شيئا منذ خمسين سنة ولا اريد ان ادعو ولا ان
يدعى لي اه وذلك لأن الله سبحانه ليس بغافل حتى يذكر بل هو
عليم بخفيات امورك فيأتيك منها ما قسم لك كما بين ذلك بقوله
انما يذكر من يجوز عليه الاغفال وقد قال تعالى وما الله بغافل عما
تعملون أليس الله بكاف عبده ولا يحتاج الى تنبيه لأنه لا يهمل
فيما هو من قسمتك كما بينه بقوله **وانما ينبه من يجوز عليه**

الاهمال والحق تعالى لا يجوز عليه الاهمال لكمال قدرته واحاطة
علمه ولكن حكمته اقتضت ارتباط الأسباب والعلل وتقديم
الاشياء وتأخيرها قال تعالى وكل شيئ عنده بمقدار فمن كمل
يقينه اكتفى بتدبير الحق عن تدبيره واستغنى بعلم الله عن
استعجاله ورضى بتصريف الحق فيما يفعل فيكون ابراهيميا
حنيفيا ولا شك ان من كان على ملة ابراهيم عليه السلام اقتدى
به وقد كان بين السماء والارض حين رمى به فاستغنى بعلم
الله عن سؤاله فكانت حالة سيدنا ابراهيم عليه السلام
فى ذلك الوقت الاستغراق فى الحقيقة فلما رد للشرائع دعا فقال
رب اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين
وكذلك الانبياء عليهم السلام اكثروا من الدعاء للتشريع وا
والتعليم واظهار الفاقات التى هى مواسم واعياد كما بان ذلك
بقوله ورود الفاقات اعياد المريدين قلت الاعياد جمع عيد
وهو ما يعود على الناس بالافراح والمسرة فالعوام فرحهم ومسرتهم
بالحظوظ والعوائد الجسمانية والخواص فرحهم باقبال الملك
عليهم ووجود قلوبهم وصفاء وقتهم من كدرات الأغيار والغالب
ان هذه المعانى انما توجد عند الفاقة والحيرة والاضطرار حيث
ينقطع حظ النفس فيها لأن النفس كلما ضيقت عليها رحلت الى
عالم الملكوت وفى ذلك العالم راحتها وفرحها ومسرتها قال تعالى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هى المأوى وهما جنتان معجلة ومؤجلة فلأجل هذا آثرت
الصوفية الفقر على الغناء والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض
على الصحة لما يحصل لهم بذلك من الرقة والحلاوة وكلما ازدادوا
فاقة

فاقة زادهم الله قربا وولاء وكان بعضهم يطوف حول الكعبة
ويقول

مؤتزر بشملتى كما ترى ... وصبية باكية كما ترى
وامرأتى عريانة كما ترى ... يا من يرى الذى بنا ولا يرى
اما ترى ما حل اما ترى

فسمعه بعضهم فجمع له كسرا ودفعها اليه فقال له اليك عنى لو
كان معى شيئ لما امكننى ان اقول هذا القول وقال ابو اسحاق
الهروى رضى الله عنه من اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر
سبعا على سبع فان الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير
اختاروا الفقر على الغناء والجوع على الشبع والدون على المرتفع
والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على
الحياة اهـ وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليتحرز من الغناء حذرا
ان يدخله فيفسد عليه فقره كما يتحرز الغنى من الفقر حذرا ان
يفسد عليه غناه وانشدوا فى اعياد العارفين

قالوا غدا العيد ماذا انت لابسه ... فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوباى تحتهما ... قلب يرى الفه الأعياد والجمعا
احرى الملابس ان تلقى الحبيب به ... يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم ان غبت يا املى ... والعيد ما كنت لى مرأى ومستمعا

وقال اخر

قالت هنا العيد بالبشرى فقلت لها ... العيد والبشر عندى يوم لقياك
الله يعلم ان الناس قد فرحوا ... فيه وما فرحتى الا برؤياك

ثم بين وجه كون الفاقة عيدا فقال ربما وجدت من المزيد
فى الفاقات ما لا تجده فى الصوم والصلاة الفاقات بسط
المواهب ان اردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة
لديك انما الصدقات للفقراء والمساكين قلت انما كانت

الإنسان يجد في الفاقة من المزيد ما لا يجده في الصوم والصلاة
لأن الفاقة من اعمال القلوب والصوم والصلاة من اعمال
الجوارح والذرة من اعمال القلوب افضل من امثال الجبال
من اعمال الجوارح الفاقات قوت الروح والصوم والصلاة قوت
القلب والروح محل المشاهدة والقلب محل المراقبه وما بينهما
معلوم قال بعضهم اعلم ان المدد الذى هو الفتح الربانى
انما يقع فى القلوب الفارغة من العوائق والشواغل وقد
يوجد العبد كثير الصلاة والصيام وباب قلبه مسدود
لاشتغاله بامور دنياه وهم الاكثر من الناس وقد
يوجد العبد قليل الصوم والصلاة وباب قلبه مفتوح
للعلوم اللدنية والتنزلات الفهمية وهم الاقلون من
الناس وكل العبادات يدخلها الرياء الا الخمول لكونه لاحظ
للنفس فيه اهـ وفى بعض الاخبار يقول الله تبارك
وتعالى لعبده سبكتك بالفاقة لتكون ذهبا الحديث
قال فى التنوير اعلم ان فى البلايا والفاقات من اسرار الالطاف
الألطاف ما لا يفهمه الا اولوا البصائر ولو لم يكن الا تذلل
النفس وتحقيرها وقطعها عن حظوظها لكان فى ذلك
غاية المطلوب منها وقد قيل حيثما وقعت الذلة وقعت
معها النصرة قال الله العظيم ولقد نصركم الله ببدر وانتم
اذلة اهـ فان اردت ايها الفقير بسط المواهب وورودها
عليك فصحح الفقر والفاقة لديك فاذا صححت الفاقة
والفقر عندك فاستعد لكتب المواهب فانها ترد عليك
كالسحاب وقد قلت فى هذا قصيدة سيأتى ذكرها قريبا
ان شاء الله

ان شاء الله وان ترد ان بسط المواهب عاجلا ففى الفاقة زج المواهب بنشر
والمراد بالمواهب معارف وكشوفات وطمأنينة وحكم
وعلوم واسرار ترد على القلوب من خزائن الغيوب حال
صفائها وتصفيتها من الغيرية واصفى ما يكون القلب
حين تذهب النفس وذهاب النفس انما يكون بترك
حظوظها ولا يتحقق ذلك فى الغالب الا فى حال الفاقة
والفقر ولذلك كانوا يفرحون بالفقر ويحزنون من الغنا
فتح على بعضهم بشئ من الدنيا فقال هذه عقوبة لم ادر
ما سببها وقال الهروى الفقر صفة مهجورة وهو الذ
ما يناله العارف لكونها تدخله على الله وتجلسه بين
يديه وهو اعم المقامات حكما لقطع العوائق والتجرد من
العلائق واشتغال القلب بالله قيل الفقير الصادق لا يملك
ولا يملك وقيل لسهل رضى الله عنه متى يستريح الفقير
قال اذا لم ير فى كل وقت غير ربه وقال الشبلى الفقير لا
يستغنى بشئ دون الله وقال السهروردى فى عوارف
المعارف الفقر اساس التصوف وبه قوامه ويلزم من
وجود التصوف وجود الفقر لأن التصوف اسم جامع لمعانى
الفقر والزهد مع زيادة احوال لا بد منها للصوفى وان
كان فقيرا زاهدا وقال بعضهم نهاية الفقر بداية
التصوف لأن التصوف اسم جامع لكل خلق سنى والخروج
عن كل خلق دنى لكنهم اتفقوا انه لا دخول على الله الا من
باب الفقر ومن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بشئ مما اشار
اليه القوم والتحقق بالفقر هو الاستئناس به والاغتباط

بحصوله والاستقرار معه حتى يكون عنده احلى من العسل
ويكون المال عنده امر من الحنظل فحينئذ تترادف عليه
المواهب وتتسع له المعارف حتى يكون اغنى الاغنياء
قال بعض الصالحين كان لى بعض مال فرايت فقيرا فى الحرم
جالسا منذ ايام ولا ياكل ولا يشرب وعليه اطمار رثة و
فقلت اغنيه بهذا المال فالقيته فى حجره وقلت استعن
بهذا على دنياك فنفض بها فى الحصاء وقال لى اشتريت
هذه الجلسة مع ربى بما ملكت وانت تفسدها على ثم
انصرف وتركنى القطها فوالله ما رايت اعز منه لما بددها
ولا اذل منى لما كنت القطها وهذا هو تصحيح الفقر و
الفاقة ظاهرا وباطنا وكان بعضهم اذا اصبح عنده شئ
اصبح حزينا واذا لم يصبح عنده شئ فرحا مسرورا فقيل له
انما الناس بعكس هذا فقال انى اذا لم يصبح عندى
شئ فلى برسول الله اسوة حسنة واذا اصبح عندى شئ
لم يكن لى برسول الله اسوة حسنة قلت وهذه حالة اشياخنا
رضى الله عنهم حسبما استقريناه من حالهم وقد بلغنى
ان شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه كان يشعل الصـ
الفتيلة وينظر فى نواحى البيت اذا وجد شيئا اخرجه يتصدق
به ويبيت على الفاقة هكذا كانت حالته فى حالة تجريده
رضى الله عنه هذا واستشهد المؤلف رضى الله عنه
بالاية الكريمة انما الصدقات للفقراء والمساكين اشارة
الى انما يهبه الله تعالى من المواهب والمعارف انما هى
صدقة ومنة لا جزاء على الاعمال والاحوال لان الصدقة
لا تكون

لا تكون فى مقابلة عمل وان الله لغنى عن العالمين
ثم التحقق بالفقر بمجموعه التحقق باوصاف العبودية
وهى الذل والعجز والضعف كما بين ذلك بقوله تحقق
باوصافك يمدك باوصافه تحقق بذلك يمدك
بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك
يمدك بحوله وقوته قلت اوصاف العبودية اربعة
يقابلها من اوصاف الربوبية اربعة اولها من العبد الفقر
ومن الله الغنا الثانى من العبد الذل ومن الله العز الثالث
من العبد العجز ومن الله القدرة الرابع من العبد الضعف
ومن الله القوة والتحقق بالوصف هو التخلق والاتصاف به
قلبا وقالبا ويكون ذلك بادياً بين خلقه فلا يتحقق الذل لله
حتى يظهر ذلك بين عباده فمن اراد ان يمده الله بالغنا
به عما سواه فليتحقق بالفقر مما سواه كما قال الشيخ ابو
الحسن فى حزبه الكبير فسئلك الفقر مما سواك والغنى بك
حتى لا نشهد الا اياك ومن اراد ان يمده الله بالعز الذى
لا يفنى فليتحقق بالذل لله والتواضع بين خلقه فمن تو
تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره ومن اراد ان يمده
الله بالقدرة الخارقة للعوائد فليتحقق بعجزه ويتبرئ من
حوله وقوته ومن اراد ان يمده الله بالقوة على طاعة
مولاه ومجاهدة نفسه وهواه فليتحقق بضعفه ويسند
امره الى سيده فبقدر ما تعطى تاخذ وبقدر ما تتخلق
تتحقق وبقدر ما تتحقق بوصفك يمدك بوصفه وقد
كنت قلت فى ذلك ابياتا وهى هذه

كذا هذا الشطر وشطر الذي بعده

تحقق بوصف الفقر فى كل لحظة ؞ فما اسرع الغنا اذا صح الفقر
وان تردن بسط المواهب عاجلا ؞ ففى الفاقة ريح المواهب ينتشر
وان تردن عزا منيعا مؤبدا ؞ ففى الذل يخفى العز بل ثم يظهر
وان ترد الحق فانه فاخفى عن الورى ؞ وعن كل مطلوب سوى الحق تظفر
وان تردن رفعا لقدرك عاليا ؞ ففى وضعك النفس الدنية يحضر
ترى الحق فى الاشيا تجلى تلطفا ؞ ففى كل موجود حبيبى ظاهر

قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والضعف والذل لله تعالى واضدادها اوصاف الربوبية فمالك ولها فلازم اوصافك وتعلق باوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقى يا غنى من للفقير سواك ومن بساط الضعف الحقيقى يا قوى من للضعيف سواك ومن بساط العجز الحقيقى يا قادر من للعاجز سواك ومن بساط الذل الحقيقى يا عزيز من للذليل سواك تجد الاجابة كانها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين بن اه ولا يصح التحقق بالوصف حتى يتعلق باضدادها من مولاه فلا يلتجى فى فقره ولا عجزه ولا ضعفه الى احد سواه روى ان بعض الملوك قال لبعض الفقراء ما يكون لك من حاجة فارفعها الى فقال له الفقير قد رفعت حوائجى لمن هو اقدر منك فما اعطانى منها رضيت به وما منعنى منها رضيت عنه فقال له ولا لك عندى حاجة قال بلى قال وما هى قال لا ترانى ولا اراك وانشدوا

ملكت نفسى وكنت عبدا ؞ فزال رقى وطاب عيشى
اصبحت ارضى بحكم ربى ؞ ان لم اكن راضيا فايش

فهذا

فهذا هو التعلق بوصف الربوبيه والتعزز بالله الذى لا يفنى عزه قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومن تعزز بالله ذل له كل شيء وقد حج شيبان الراعى مع سفيان الثورى فلما كانا فى البرية عرض لهما سبع فاخذ سفيان خارج الطريق ومضى اليه شيبان ثم عرك اذنه فلم يزد ان حرك ذنبه وبصبص وانصرف فقال له سفيان ما هذا يا شيبان فقال له لو شئت ان اركبه الى مكة لفعلت وكانت عجوز تاتى كل يوم لبيت السرى السقطى فتكنس بيته وتسوق له بعض القوت فسئل من هى فقال الدنيا سخرها الله لى لما زهدت فيها وفى هذا المعنى ورد الحديث يقول الله تعالى للدنيا يا دنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك وقال ابراهيم ابن ادهم من طلب الفقر استقبله الغنى ومن طلب الغنى استقبله الفقر والغنى هو الغنى بالله وقال سهل رضى الله عنه لم يشم رائحة اليقين من ركن لغير الله وقال ابو تراب رايت شابا فى البادية يمشى بلا زاد فقلت فى هذا الموضع بلا زاد قال لست ارى غير الله فقلت اذهب الان حيث شئت وقال ابراهيم الخواص لقيت فقيرا فى البادية فقلت له الى اين فقال الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال الذى يمسك السموات والارضين وكذا يحفظهما لا يعجزه قوتى بلا سبب ولا علاقة فقلت صدقت ثم رايته بعد ذلك فى مكة وهو يطوف ويقول

يا عين سحى ابدا ؞ يا نفس موتى كمدا ؞

ولا يُحبي احدا ، الا الله الصمد ،

فلما كان قال لى ما زلت على ضعف يقينك فقلت لا بل اعلم ان الله على كل شيئ قد ير اه هذا اخر الباب التاسع عشر وحاصلها ان العارفين ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اكتفاء بعلم الله اذ لا يذكر الا الغافل ولا ينبه الا الساهى وتعالى الله عن الامرين علوا كبيرا فاذا نزلت بهم فاقة اوشدة لم يسئلوا رفعها بل فرحوا بها وجعلوها مواسم واعياد الما يجدون فيها من المزيد وما يهب على قلوبهم من نسيم التوحيد والتفريد وهى المواهب الربانية والعلوم اللدنية فتحققوا باوصافهم وامدهم باوصافه فصاروا فى الظاهر عبيدا وفى الباطن احرارا فى الظاهر فقراء ضعفاء اذلاء وفى الباطن اغنياء اقوياء أعزاء وهذه هى الكرامة العظمى دون الكرامة الحسية كما اشار الى ذلك فى اول الباب الموفى عشرين فقال وقال رضى الله عنه ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة قلت الكرامة الحسية هى خرق الحس العادى كالمشى على الماء والطيران فى الهواء وطى الارض ونبع الماء وجلب الطعام والاطلاع على المغيبات وغير ذلك من خوارق العادات والكرامة المعنوية هى استقامة العبد مع ربه فى الظاهر والباطن وكشف الحجاب عن قلبه حتى عرف مولاه والظفر بنفسه ومخالفة هواه وقوة يقينه وسكونه وطمأنينته بالله والمعتبر عند المحققين هى هذه الكرامة واما الكرامة الحسية فلا يطلبونها ولا يلتفتون اليها اذ قد تظهر على يد من

لم تكمل

من لم تكمل استقامته بل قد تظهر على يد من لا استقامة له اصلا كالسحرة والكهان وقد تظهر على ايدى الرهبان وليست بكرامة انما هى استدراج قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب او ذو خطا فى العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى فجعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع المرضى قال وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور او ناقص او هالك مثبور اه وقال الشيخ ابو العباس المرسى رضى الله عنه ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة او غيرها من البلدان انما الشان من تطوى له صفات نفسه فاذا هو عند ربه قلت والكرامة الحقيقية هى الاستقامة على الدين وحصول كمال اليقين واما خوارق العادات الحسية فان صحبتها الاستقامة ظاهرا وباطنا وجب تعظيم صاحبها لانها شاهدة له بالكمال مما هو فيه وان لم تصحبها استقامة فلا عبرة بها والغالب ان اهل الباطن كراماتهم باطنية ككشف الحجب ومزيد الايمان ومعرفة الشهود والعيان وكذلك عقوبة من اذاهم جلها باطنية لا يتفطنون لها كقساوة القلب والانهماك فى الذنوب والغفلة عن الله والبعد

عن حضرته ولكن لا يشعرون وهي اعظم من العقوبة في
الحس والحاصل ان اهل الاستقامة الظاهرية كرامتهم ظاهرية
حسية واهل الكرامة الباطنية كرامتهم باطنية معنوية اهل
الظاهر من اذاهم عوقب في الظاهر واهل الباطن من اذاهم
عوقب في الباطن وقد لا يعاقب لانهم رحمة كل من قرب منهم
شملته الرحمة كان قربه تسليما او انكارا هم قوم لا يشقى جليسهم
على قدم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون وكل ولي اراد الله تعالى ان ينتفع الناس على
يده لا يعاجل بالعقوبة من اذاه اقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث خيره ملك الجبال فحلم صلى الله عليه وسلم
وعفا وقال لعل الله ان يخرج من اصلابهم من يقول لا اله الا الله
والله تعالى علم واعظم الكرامة الفهم عن الله والرضى بقضاء
الله وترك التدبير والاختيار مع الله واقامة العبد حيث اقامه
الله كما ابان ذلك بقوله **من علامة اقامة الحق لك في الشيء**
ادامته اياك فيه مع حصول النتائج قلت اذا اقام الحق
تعالى عبده في حالة لا يستقبحها الشرع ولا يذمها سليم الطبع
فلا ينبغي له الانتقال عنها بنفسه حتى يكون الحق تعالى الذي
ادخله فيها هو الذي يتولى اخراجه منها وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق فالمدخل الصدق ان
تدخل في الشيء بالله لا بنفسك والمخرج الصدق ان تخرج
منه بالله لا بنفسك فاذا اقامك الحق تعالى في الاسباب
فلا تخرج منها بنفسك فتتعب فامكث حتى يخرجك الحق
تعالى باشارة صريحة من شيخك او من هاتف من عند ربك
وقد تقدم

وقد تقدم هذا في اول الكتاب ومن علامة اقامة الله تعالى
لك في ذلك الشيء الذي انت فيه ادامة الحق اياك في ذلك
الشيء مع حصول النتائج وسلامة الدين والعرض بالنتائج
ما يترتب عليه من اعطاء حقه الواجب والمستحب كاداء الزكاة
واطعام الجائع وستر العريان واعانة اللهفان وغير ذلك من
انواع الاحسان واذا اقامه الحق تعالى في نشر العلم الظاهر
فعلامة اقامة الحق فيه تعليمه لله ونفع عباد الله والزهد
في الدنيا والرغبة فيما عند الله والتواضع والصبر على جفاء
المتعلمين وهكذا سائر الحرف اذا كان فيها على المنهج الشرعي
فلا ينتقل عنها بنفسه واذا اقامك الحق تعالى في التجريد فالزم
الباب وتحلى بالآداب حتى يفتح لك الباب فعلامة اقامته
اياك فيه حصول نتائجه وهو الترقي في الاحوال والمقامات
حتى تبلغ النهايات والمقامات هي التوبة والتقوى والاستقامة
والزهد والورع والخوف والرجاء والرضى والتسليم والاخلاص
والصدق والطمانينة والمراقبة والمشاهدة والمعرفة وكل
مقام له علم وعمل وحال فاوله علم وثانيه عمل وثالثه حال
ثم مقام فاذا بلغ الى مقام المعرفة وتمكن فيها انقطعت
المقامات **قال** بعضهم في بحر التوحيد غاصت الاحوال والـ
وانطمست المقامات وان الى ربك المنتهى فحينئذ ينغمس
في بحر الاحسان فاذا عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت
اذا اساء كما ابان ذلك بقوله **من عبر من بساط احسانه اصمته**
الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله اليه لم يصمت اذا
اساء قلت اهل التعبير وهم اهل التذكير الذين يذكرون عباد

الله ويعبرون عما منحهم الله به من العلوم والمواهب والفتوحات
والكرامات على قسمين علماء وعارفون **او تقول** اهل الحجاب
واهل الفتح فاهل الحجاب يعبرون من بساط احسان انفسهم فيقولون
فعلنا كذا اورأينا كذا او فتح علينا فى كذا او افعلوا ايها الناس كذا
واتركوا كذا فاذا وقعوا فى زلة او هفوة سكتوا حياء من الله
وخوفا ان يامروا بما لم يفعلوا لأنهم باقون مع نفوسهم
محجوبون عن ربهم فاذا فعلوا طاعة فرحوا بها واعتمدوا
عليها واذا فعلوا زلة حزنوا وجزعوا وسقط فى ايديهم فلما
عبروا من بساط احسان نفوسهم اصمتتهم الاساءة واهل الفتح
من العارفين يعبرون من بساط احسان الحق غائبين عن شهود
الخلق فانون عن انفسهم باقون بربهم فهؤلاء اذا عبروا عما
منحهم الله من المعارف والاسرار والعلوم والأنوار والكرامات
والفتوحات والمواهب وذكروا فأمروا ونهوا دام تعبيرهم ونفع
تذكيرهم فاذا اساؤا لم تصمتهم اساءتهم لأن اساءتهم من
انفسهم وتعبيرهم من بساط احسان الله اليهم واحسانه لا يكدره
شيئ وقولنا من انفسهم اعنى ادبا فقط اذ هم لا يشهدون الا
تصريف الحق فيهم فلذلك لم تصمتهم اساءتهم لأنهم مغموسون
فى بحر المنة لا يشهدون فى الكون سواه وايضا من عبر من بساط
نفسه نادته مساويه اسكت اما تذكر فعلك القبيح ووصفك
الذميم فيسكت خجلا ومن عبر من بساط احسان الله غابت عنه
مساويه لغيبته فى محاسن مولاه فلا يشهد الا اياه فاذا اراد ان
يعبر سبق نور معرفته الى قلوب عباده فيسمع فيهم التعبير ويأخذ
بقلوبهم التذكير كما ابان ذلك بقوله **تسبق انوار الحكماء**

اقوالهم

اقوالهم فحيث ما صار التنوير وصل التعبير قلت الحكماء
هم العارفون بالله الذين يتكلمون بالله ويصمتون بالله
غائبون عن انفسهم يشهدون ما من الله الى الله فاذا ارادوا
ان يعبروا عما منحهم مولاهم من العلوم والمعارف سبق نور
شهودهم الى القلوب المستمعة فتنسرح فيهم على قدر صدقهم
فمنهم من يدخل النور سويداء قلبه ومنهم من يقف النور
على ظاهر قلبه ومنهم من يشرق النور على طرف قلبه فاذا
عبر العارف عن المقامات والاحوال وصل التعبير على قدر ما
النور فمن وصل النور الى سويداء قلبه نهض من ساعته
الى ربه ومن وصل الى ظاهر قلبه خشع وخضع وعزم على
البر والتقوى ومن وصل الى طرف قلبه عرف الحق وصدق
فحيث ما صار التنوير وصل التعبير وقولنا فى تفسير الحكماء
هم العارفون مأخذنا فيه قوله عليه السلام رأس الحكمة
مخافة الله اهـ واعرف الناس بالله اشدهم له خشية وفيهم
قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء **وسئل**
مالك عن الحكمة فقال ما زهد عبد واتقى الا انطقه الله
بالحكمة ثم قال من اراد ان يفتح الله عين قلبه فليكن عمله
فى السر اكثر من عمله فى العلانية لأن عمل السر منبع الاخلاص
والاخلاص منبع الحكمة **وسئل** مرة اخرى عن الحكمة ايضا
فقال نور يقذفه الله فى قلب العبد المؤمن من فسحة الملك
اهـ فاصل التنوير هم الحكماء وهم العارفون بالله ولله در
القائل فى وصفهم حيث قال
«هينون لينون ايسار بنو يسر» «سوق مكرمة ابناء ايسار»

اليُسر واللين والانقياد واليسر ايضا الشهير اهـ قاموس

لا ينطقون بغير الحق ان نطقوا ولا يمارون ان ماروا بإكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقولنا فى وصفهم يشهدون مامن الله الى الله يعنى انهم غائبون
عن انفسهم لا يرون الا تصريف الحق فى مظاهر انواره قال الشيخ
ابو العباس المرسى رضى الله عنه الناس على ثلاثة عبد يشهد
مامنه الى الله وعبد يشهد مامن الله اليه وعبد يشهد ما من
الله الى الله الاول ذو حزن واشجان والثانى ذو فرح وامتنان
والثالث لم يشغله عن الله خوف نار ولا مثوى جنان الاول
ذو كد وتكليف والثانى ذو عناية وتعريف والثالث مشاهد
للمولى اللطيف ثم قال وقليل العمل مع شهود المنة خير
من كثيره مع رؤية التقصير من النفس اه مختصرا ثم ذكر علامة
التعبير الذى يسبقه التنوير والذى يسبعه التكدير فقال
كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز قلت علامة
الكلام الذى يسبقه التنوير هو تاثيره فى القلوب وتهييجه
الارواح وتشويقه الاسرار فاذا سمعه الغافل تنبه واذا سمعه
العاصى انزجر واذا سمعه الطائع زاد نشاطه وعظم شوقه
واذا سمعه السائر طوى عنه تعب سيره واذا سمعه الواصل
تمكن من حاله فالكلام صفة المتكلم فاذا كان المتكلم ذا تنوير
وقع فى قلوب السامعين واذا كان ذا تكدير حد كلامه اذان
المستمعين فكل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز
ولذلك قال سيدنا على كرم الله وجهه من تكلم عرفناه
من ساعته ومن لم يتكلم عرفناه من يومه وقيل الناس حوانيت
مغلقة فاذا تكلموا فقد فتحوها هنالك يتبين البيطار من

العطار

العطار وقالوا ايضا الكلام اذا خرج من القلب وقع فى القلب
واذا خرج من اللسان حده الاذان وانما ص الحال اكثر
من المقال واذا اجتمع الحال والمقال فهو البحر الطام والنجم
الثاقب التام وقال بعض العارفين من كان قلبه روحانيا كان
كلامه معنويا ينزل من القلوب فى اوسع ساحاتها ومن كان قلبه
نفسيا كان كلامه حسيا يعنى لا يتكلم الا فى الحس ولا يخوض الا
فيه ومن طمس اذن قلبه حجب الدنيا فلا يسمع ولا يسمع وقد
يكون من الناس من هو عالم اللسان جاهل القلب وعلامته ترجيح
حديث الدنيا على حديث الآخرة او حديث الحس على حديث
المعنى ومن مثل هذا الحذر الحذر لأن قلبه ميت فكلامه كله
على الميتة والميتة هى الجيفة قال صلى الله عليه وسلم
الدنيا جيفة وطلابها كلاب فمن تكلم على الدنيا فمثله كالكلب
ولا خير فى كلب ولو كان عالما قاله الشطيبى ثم ان هذه الكسوة
التى تبرز على الكلام انما هى من نتائج الاذن من الله فيه
واما اذا لم يكن اذن فيه فلا كسوة عليه كما اشار الى ذلك بقوله
من اذن له فى التعبير حسنت فى مسامع الخلق عبارته وجليت فهمت
اليهم اشارته قلت الاذن فى التعبير انما يكون على يد الشيخ
الكامل العارف الذى اهله الله للتربية ونصبه للتوصيل والترقية
فاذا رأى على تلميذه اهلية التذكير اذن له فى التعبير فاذا عبر
اخذ بمجامع القلوب وفاض من لسانه اسرار علم الغيوب فتحسن
فى مسامع الخلق عبارته وتجلى اليهم اشارته اى تظهر وتفهم
ولا عبرة عند المحققين بلحن الكلام واعرابه ولا خطأ فى رفعه
ونصبه من صوابه وانما العبرة بالمعانى دون القوالب والاوانى

يحكى ان بعض النحويين دخل مجلس الحسن بن سمعون
ليسمع كلامه فوجده يلحن فانصرف ذامًّا له فبلغ ذلك الحسن
فكتب له انك من كثرة الاعجاب رضيت بالوقوف دون الباب
فاعتمدت على ضبط اقوالك مع لحن افعالك وانك قد تهت
بين خفض ورفع ونصب وجزم فانقطعت عن المقصود
هلا رفعت الى الله جميع الحاجات وخفضت كل المنكرات وجزمت
عن الشهوات ونصبت بين عينيك الممات والله يا اخي
ما يقال للعبد لم لم تكن معربا وانما يقال له لم كنت مذنبا
ليس المراد فصاحة المقال وانما المراد فصاحة الفعال ولو
كان الفضل فى فصاحة اللسان لكان سيدنا هارون اولى با
بالرسالة من سيدنا موسى حيث يقول واخى هارون هو افصح
منى لسانا اه ومما ينسب للخليل رحمه الله او لسيبويه

لسان فصيح معرب فى كلامه ، فياليته من وقعة العرض يسلم
ولا خير فى عبد اذا لم يكن تقى ، وما ضر ذا تقوى لسان معجم
وقال اخر
مخرف بالفعال ذو زلل ، وان تكلم فى جدال وزنه
قال وقد كتبت لفظته ، تيها وعجبا اخطأ ما لحنه
وانما اخطأ من قام غدا ، ولا يرى فى كتابه حسنه

وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه اذا ذكر من تقدم له فى العربية
يقول له اترك انت شيئا من عربيتك وانت اترك شيئا من
جبليتى يعنى من اللغة الجبلية ولتتفقوا للطريق والحاصل ان
من اجتمع فيه الحال وفصاحة المقال فهو كمال الكمال وذلك
لانه ينتفع بكلامه بعمومه كالغزالى والششتري والشاذلى

وما ينفع الاعراب ان لم يكن تقى

والمرسى

والمرسى والشيخ رضى الله عنهم فقد عظم النفع بكلامهم
واعظمهم المؤلف رضى الله عنه فقد حاز قصب السبق
فى التعبير ونسخت كتبه كتب القوم وقد شهد له شيخه
بهذا المعنى فقال والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا
يدعو الى الله وقال له والله ليكونن لك شأن عظيم والله
ليكونن لك شأن عظيم وقال فيه ايضا حين نسخ له كتاب
التهذيب والله لاجعلنك عينا من عيون الله يقتدى بك
فى علم الظاهر والباطن وقال فيه ايضا والله ما رضى له
بجلسة جده ولكن بزيادة التصوف وكان جده فقيها شرح المد
اسمه عبد الكريم وكلام الشيخ رضى الله عنه يدل على مقامه
وما تخلص التصوف ولا تهذب الا على يديه فقد قرب المدارك
وبين المسالك فى احسن عبارة واوجز لفظ واشارة جزاه الله
عن المسلمين خيرا ثم بين رضى الله عنه الكلام الذى لم يؤذن
لصاحبه فى التعبير عنه فقال ربما برزت الحقائق مكسوفة
الأنوار اذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار قلت قد يتكلم
الإنسان بحكم وحقائق مع فصاحة وبلاغة وشقاشق
لكنها مكسوفة الأنوار مطموسة الاسرار ليس فيها حلاوة
ولا عليها طلاوة بسبب ذلك عدم الاذن فيها اذ لو اذن له
فى التعبير لظهر عليها كسوة التنوير قال فى لطائف المنن
من اجل مواهب الله لأوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا
ابا العباس يقول الولى يكون مشحونا بالمعارف والعلوم والحقائق
لديه مشهودة حتى اذا اعطى العبارة كان ذلك كالاذن من الله
فى الكلام وقال وسمعت ابا العباس يقول كلام المأذون له يخرج

وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف

الانوار حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل

من احدهما وترد على الاخر اه **قلت** وينبغى لاهل التعبير

ان يخاطبوا الناس بقدر ما يفهمون فليس التعبير لاهل البدا

البداية كاهل النهاية وفى الحديث خاطبوا الناس بقدر

ما يفهمون نعم ان ضاق الوقت على التفريق جمع الكل وذكر

فى البداية والوسط والنهاية وكل واحد ياخذ نصيبه و

ويشرب من منهله قد علم كل اناس مشربهم وهذه كانت

طريقة الجنيد رضى الله عنه يلقى الحقائق على رؤس الاشها

فقيل له فى ذلك فقال علمنا محفوظ ان يأخذه غير اهله او

ما هذا معناه ثم عبارتهم بعد الاذن لا تكون الا لحكمة

بينها الشيخ بقوله **عبارتهم اما لفيضان وجد او لقصد**

هداية مريد قلت ما اشتملت عليه قلوب العارفين من

المعارف واسرار التوحيد وغوامض العلوم التى لا تطيقها جل

الفهوم هو سر من اسرار الله وهم امناء الله عليها فلا يطلعون

عليها الا من راوه اهلا لها الا من كان مغلوبا على حاله لا يقدر

على امساكها وهو من لم يتمكن من حاله فيها فعبارتهم اذا اما

لفيضان وجد غلبه فلم يقدر على امساكها او لاجل هداية

مريد وارشاده وترقيته الى مقام استحق الاطلاع عليه والا فلا

يظهرون من تلك الاسرار قليلا ولا اقل من القليل وقد تقدم

قول بعضهم قلوب الاحرار قبور الاسرار وقال اخر

لا يكتم السر الا كل ذى ثقة ۞ فالسر عند خيار الناس مكتوم

ثم بين حال الفريقين ومقام الرجلين فقال **الاول حال السالكين**

وهم

وهم المتشوفون من السائرين حققوا ولم يتمكنوا فهم مملوكون

فى يد الاحوال اذا غلب عليهم الوجد فاضوا ولم يشعروا واذا رجعوا

الى انفسهم ندموا واستغفروا ثم بين حال الثانى فقال **والثانى**

حال ارباب المكنة والمتحققين وهم الراسخون المتمكنون فلا

يعبرون عن تلك الاسرار الا لاجل هداية المريدين وتربية

السالكين وترقية السائرين واما الغير هؤلاء فلا فان عبر عنها

السالك لا عن غلبة وجد كان فى ذلك نوع من الدعوى وان

عبر عنها المتمكن من غير قصد هداية كان فى ذلك افشاء

لاسرار الربوبية وهى عندهم اعز من الكبريت الاحمر وقد

كان الرجل يخدمهم سنين فلا يظهرون له منها قليلا ولا

كثيرا حتى اذا راوه اعطى نفسه وفلسه وبذل روحه

بالكلية اشاروا اليه اشارة خفية فقد ذكر شيخ شيوخنا

سيدى على فى كتابه ان طائفة من المريدين خدموا شيخا

ثلاثين سنة ثم قالوا له يا سيدنا اردنا ان تعرفنا بربنا

فقال لهم نعم غدا ائتونى لدارى فلما اتوه اخرج لهم صبيا

صغيرا فوجهه اليهم ثم دخل فانظر هذه الاشارة ما الطفها

واخفاها ثم من الله على اهل هذا الزمان برجال كرام من

صحبهم بالصدق منحوه من الاسرار فى يسير من الزمان ما لم

يدركه المتقدمون فى الازمنة الطويلة جزاهم الله عن الامة

المحمدية خيرا وقد تكلم الشيخ ابو الحسن على حال السالكين

والواصلين بكلام طويل ذكره فى لطائف المنن ونقله

الشطيبى فقال ان لله عبادا محق افعالهم بافعاله واو

واوصافهم باوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من اوصافه

مايعجز عن سماعه عامة الخلق فهم مغروقون في بحر الذات
وتيار الصفات فنوا عن افعالهم ثم فنوا عن صفاتهم ثم
فنوا عن ذاتهم وبقوا بذات الله تعالى ولم يبق لهم منهم
شيئ ومن فني في الله تلفه كان على الله خلفه ومن صح فناؤه صح
بقاؤه ثم قال واعلم ان الفناء يوجب الغيبة عما سوى الله
قلت وهو مقام السالكين والبقاء يوجب ايجاد كل شيئ
مع الله يعني بالله فصاحب الفناء يقوم الله عنه وصاحب
البقاء يقوم بالله عن الله وهما ولايتان فولي يتولى
الله ورسوله والذين امنوا وولي يتولاه الله وهو يتولى
الصالحين قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي وعلامة الولاية
الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والفرار الى الله عند الشدائد
والرجوع اليه عند النوائب فمن اعطى هذه الاربعة
من خزائن الاعمال والمجاهدة فقد صحت ولايته لله
ورسوله وللمؤمنين ومن اعطيها من خزائن المنن والمودة
فقد تمت ولاية الله له فالولاية الاولى ولاية صغرى
والولاية الثانية ولاية كبرى قيل له كيف يتولى الله و
رسوله والذين امنوا قال يتولى الله بالمجاهدة لقوله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويتولى
الرسول بالمتابعة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله من يطع الرسول فقد اطاع الله ويتولى المؤمنين بالاقتداء
بهم وهي علامات من خاض بحر الولاية واما الذين تولاهم
الله فهم الذين صلحوا لحضرته وغابوا عن خليقته فلا يرون
في الوجود الا الله الاولى تسمى ولاية ايمان وهذه ولاية

ايقان

٢١٢

ايقان فقيل له وما الفرق بين الايمان والايقان قال كل يقين
ايمان وليس كل ايمان ايقانا فالايمان ربما تدخله
الغفلة والايقان لا تدخله الغفلة المؤمن يتجلى له الحق
دون كل شيئ والموقن يتجلى له الحق في كل شيئ المؤمن فان
عن كل شيئ فلم يشهد مع الله شيئا والموقن باق في كل شيئ
فهو يشهد الله في كل شيئ اه ثم بين المؤلف رضي الله
عنه فائدة التعبير وثمرة العبارة فقال العبارة قوت لعائلة
قلوب المستمعين وليس لك منها الا ما انت له آكل قلت
العائل هو الفقير والعائلة جمع له فعبارة العارفين قوت لقلوب
الفقراء الطالبين لزيادة ايقان قلوبهم ومشاهدة محبوبهم
فلا يزالون في حضانة للشيوخ وعيالهم حتى يكمل ايقانهم
وترشد احوالهم فحينئذ يستقلون بانفسهم وعلامة
رشدهم انهم ياخذون النصيب من كل شيئ ولا ينقص
من كل حالهم شيئ يفهمون عن الله في كل شيئ ويعرفون
في كل شيئ ويشربون من كل شيئ فاذا كانوا كذلك فقد
استقلوا بانفسهم وتأهلوا لارشاد غيرهم قال بعض الحكماء
من لم يفهم صرير الباب ولا طنين الذباب ولا نبيح الكلاب
فليس من ذوي الالباب واما من لم يبلغ هذا المقام فلا
بد ان يلزم العش في حضانة من يزقه ويطعمه فاذا
طار من العش قبل تربية الجناح اصطادته الكلاب والبزل
ولعبت به النساء والصبيان فاذا كان في عش الشيخ
وكان يطعمه مع غيره فليس له من القوت الا ما يقدر ان
يأكله والا قتله فليس طعام الصبي الصغير كطعام

خ
لعائلة
المستمعين

الرجل الكبير وكذالك عبارة الشيوخ للمريدين كل واحد
يأخذ ما يليق بحاله فالشيوخ يذكرون فى الجملة فيذكرون
احوال البدايات والنهايات والوسط وكل واحد ياخذ ما يليق
به قد علم كل اناس مشربهم فلا يتعلق المبتدى بمذاكرة المنتهى
فيفسد كما اذا اكل الطفل الصغير طعام الكبير يقف فى حلقه
واذا اكل الكبير طعام الصغير لا يشبعه هذا معنى قول الشيخ
وليس لك منها الا ما انت له آكل اى ليس لك من قوت العبارة
الا ما انت قادر على اكله والا غصصت به والله تعالى اعلم
وقد سألنى بعض الاخوان من قوت الروحانية والبشرية
فقلت قوت البشرية معلوم وقوت الروحانية على وزان
قوت البشرية فالصبى لا يطيق الطعام الخشن حتى يكبر
كذلك الروح تربى شيئا فشيئا فتطعم اولا ذكر اللسان فقط
ثم ذكر القلب مع اللسان ثم ذكر القلب فقط ثم ذكر الروح
وهو الفكرة ثم ذكر السر وهو النظرة ثم تأكل كل شيء وتشرب
كل شيء حتى تشرط الكون باسره فلو اعطيتها الفكرة او
النظرة الذى هو طعام الرجال اول مرة وهى فى مقام الاطفال
للفظته وطرحته فاذا بلغت الروح ان تاكل كل شيء وتشرب
من كل شيء فقد صح لها ان تطير فى الملكوت الاعلا وتذهب
حيث تشاء وقد يختلف الشرب لجماعة من إنية واحدة لاختلاف
مقامهم كقضية الرجال الذين سمعوا قائلا يقول يا سعتر
برى وذلك ان رجلا فى الصفا بمكة صاح يا سعتر برى لرجل
آخر كان اسمه ذلك فسمعه الثلاثة فكل واحد تعلق
بذهنه ما يليق بحاله فسمع احدهم الساعة ترى برى وسمع
الأخر

الأخر اسع تر برى وسمع الثالث ما اوسع برى فالأول كان
مستشرفا والثانى كان مبتديا والثالث كان واصلا وكذلك
قضية ابن الجوزى كان يقرى ببغداد اثنى عشر علما فخرج
يوما لبعض شؤونه فسمع قائلا يقول

اذا العشرون من شعبان ولت ۝ فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب باقداح صغار ۝ فقد ضاق الزمان على الصغار

فخرج هائما على وجهه الى مكة فلم يزل يعبد الله بها حتى
مات رحمه الله ففهم من الشاعر انصراف العمر وضيق زمان
الدنيا كله قال فى لطائف المنن واعلم ان هذه المفهومات
المعنوية الخارجة عن الفهم الظاهر ليست باحالة اللفظ
عن مفهومه بل هو فهم زائد على الفهم العام يهبه الله لهذه
الطائفة من ارباب القلوب وهو من باطن الحكم المندرج فى
ظاهره اندراج النبات فى الحبة وذلك ان المدد النورانى
والفتح الربانى يتصل بعضه ببعض الى الطرف الظاهر بحيث
انتهت القوة انتهى الادراك فربما فهموا ما يوافق ظاهر
المعنى الباطنية وربما خالفه من جهة ما وربما كان الفهم
بعكس ظاهره وقد كان الشيخ مكين الدين بن الاسمر رضى الله
عنه ممن يشهد له الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه بالولاية
الكبرى والمكاشفة العظمى فانشد انسان فى مجلسه

لو كان لى مسعد بالراح يسعدنى ۝ لما انتظرت لشرب الراح افطارا
الراح شيء شريف انت شاربه ۝ فاشرب ولو حملتك الراح اوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية ۝ خذ الجنان ودعنى اسكن النارا

فقال بعض فقهاء الظاهر لا يجوز قراءة هذه الابيات فقال

الشيخ مكين الدين قل دعه فانه رجل محجوب يعني انه لا
يفهم الا الشراب الحسي دون المعنوي وهو جمود والله تعالى
اعلم ثم ان العبارة لا تدل على حال المعبر فقد يكون فوق ما يقول
وقد يكون دون ما يقول كما اشار الى بيان ذلك بقوله ربما
عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه
وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة قلت العبارة لا تدل
على نهاية المعبر ولا وصوله الى ما عبر عنه فقد يعبر عن المقام
من لم يصل اليه ولكن استشرف عليه وقد يعبر عنه من وصل اليه
وربما عبر عن المقام وقدمه فوق ما عبر عنه وذلك ملتبس اذ
لا يعرف المستشرف من الواصل الا ذو بصيرة نافذة يعني من فتح
عليه في المعرفة فكل من فتح عليه في معرفة الله ورفع عنه الحجاب
عرف كلام الواصل من المستشرف فليس من خالط البلد ووصفها
ثم نعتها كمن استشرف عليها ولم يدخلها ثم جعل ينعتها
قال بعضهم وقد يعرف المستشرف بطول التعبير والواصل
باختصاره فالمستشرف يطول العبارة ويكررها والواصل من اول
مرة يدركها وقد قالوا العارف بالضرب لا يكثر الهز والعارف
بالمفاصل لا يكثر الحز قلت وهذه القاعدة ليست كلية اذ
كثير من العارفين الواصلين تطول عبارتهم لمعرفتهم بمفاصل
الخطاب ومن المستشرفين من تقصر عبارتهم قال المؤلف رضي
الله عنه الاستشراف والوصول ليس الا مراتب التوجه للتحقق
بالعجز فمن وصل لمعرفة العجز عن الوصول فهو الواصل لكن
العجز لا يكون الا بعد الاتصاف به حقيقة لا مجازا وذلك ان
الجاهل عجزه حالي قهري والعارف عجزه جلالي رحماني قلت
المراد

المراد بالعجز في حقه الحيرة والدهش اولا ثم العجز عن الاحاطة
والكنه ثانيا ثم قال يشهد لذلك ان الجاهل متى تحرك وقع
في الحظوظ والعارف لا يتحرك الا بالحقوق والجاهل نصيبه الوهم
والعارف نصيبه الفهم الجاهل طالب للعلم والعارف طالب للمعلوم
الجاهل قانع بنظره للصور الحسية والعارف غائص ببصيرته مع
الارواح المعنوية وجميع المراتب والمقامات مراحل بين الحس
والمعنى وانتقال من الهياكل الجسمية للعوالم القلبية ثم من
العوالم القلبية الى الحقائق الروحانية ثم من الحقائق الروحانية
الى الاسرار الربانية ثم من الاسرار الربانية الى المعارف التوحيدية
اه ثم لا ينبغي للسالك ان يعبر عن هذه الاسرار اذا واجهته
في طريق السلوك كما ابان ذلك بقوله لا ينبغي للسالك
ان يعبر عن وارداته فان ذلك مما يقل عملها في قلبه ويمنعه ٢ بقلل
وجود الصدق فيها مع ربه قلت المريد في حال سيره مامور
بالكتمان لعلمه وعمله وحاله وارادته فان فشاؤه لعمله من
قلة اخلاصه وافشاؤه لاحواله من قلة صدقه مع ربه وايضا
الاحوال تأتي من حضرة قهار فتزعج القلوب خوفا وتقلقها
شوقا فاذا افشى ذلك كان تبريدا لها واطفاء لنورها كمن
غلت قدرته فصب فيها الماء البارد فيطول عليه غليانها
ثانيا ولو قلل نارها وحركها لاستفاد ادامها كذلك الواردات
الالهية تفجا القلوب لتحركها الى النهوض الى مولاها فاذا
افشاها وذكرها للناس قل عملها في قلبه ودل على عدم صدقه
فيها مع ربه قلت ومن ذلك استعمال الاحوال التي
تميت النفوس لا ينبغي افشاؤها فللنفس حظ في ذلك لانها

مجبولة على حب المدح والذكر الحسن ولو من الاخوان وكثيرا ما ترى
بعض الفقراء يذكرونها ويتبجحون بها وهو غير صواب نعم
ان كان يقتدى به فيذكرها للاقتداء ولا منها ض الفقراء
فذلك لك حسن مع نية حسنة وكثيرا ما تستعمل هذه الاحوال
فى حال السؤال فلذلك ذكره بادئه او تقول لما كان التعبير
عن الواردات الالهية مما يوجب الاقبال والتعظيم فيؤدى
ذلك الى العطاء فيحتاج الى آداب القبض بين ذلك بقوله
لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الا ان ترى ان المعطى
فيهم مولاك فان كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم

ماوافق العلم

قلت مد اليد الى الأخذ من الخلائق على قسمين اما ان يكون
من غير سؤال او بعد السؤال ولكل واحد منهما احكام اما
الأخذ من غير سؤال فشرطه امران احدهما علمى والآخر
صوفى اما العلمى فلا ياخذ ممن كسبه حرام ولا مخلط ولا محجور عليه كالصبى والمجنون والعبد واما الصوفى فلا يقبض
حتى يعرف ممن يقبض علما وحالا فان اتسعت معرفته و
تحقق فناؤه بحيث لم يبق له نظر للواسطة اصلا فربما يسلم
له القبض مطلقا لأنه يقبض من الله ويدفع بالله ولكن
الكمال هو الجمع بين الحقيقة والشريعة وقد كان كثير من الصوفية
المحققين يقبضون جوائز السلطان ثم يدفعونها على ايديهم
واما القبض بعد السؤال فالكلام عليه من وجهين الاول
فى جواز السؤال ومنعه والثانى فيما يقبضه بعد اخذه اما
حكم السؤال فاصله الجواز قال الله تعالى واما السائل فلا تنهر
فلو كان ممنوعا ما نهى الله عن نهره ثم تعتريه الاحكام

الخمسة

الخمسة يكون واجبا ومندوبا ومباحا ومكروها وحراما فاما
الواجب فهو ما يكون لسد الرمق بحيث اذا ترك السؤال مات
فهذا واجب عليه فلو تركه حتى مات مات عاصيا فاوجبه
الشارع خوفا على فوات حياة البشرية الحسية واوجبته الصوفية
ايضا على من خاف فوات حياة الروحانية بحيث منعته الرياسة
من حط راسه وذبح نفسه فقد نقل القسطلانى فى شرح البخارى
عن ابن العربى المعافرى انه قال هو واجب على المريد فى البداية
فتحصل انه واجب حيث يخاف فوات حياة البشرية او الروحانية

نية

واليه اشار ابن البنا بقوله

وما على السائل من تأويل ... لاجل قهر النفس والتذليل
فمن اولى الاذواق والاحوال ... من كان راض النفس بالسؤال
قالوا ولا خير اذا فى العبد ... ما لم يكن قد ذاق طعم الرد

وبالجملة فهو لرياضة النفس واجب او مندوب وكان ابراهيم
الخواص تعرض عليه الالوف فلا يقبلها وربما سال من يعرف
من الناس الدرهم والدرهمين لا يزيد على ذلك واما
المندوب فهو ان يسئل لغيره فهو من التعاون على البر
فيسال الطعام ليطعمه من يستحقها او يسئل اللباس او غير
ذلك وقد سال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين
قدموا عليه عراتا ويدخل فى المندوب ما كان لرياضة
النفوس حيث لم يخف عليها كما تقدم واما المكروه فهو
ان يسئل لقوت البشرية مع القدرة على الاستغناء عنه بسبب
من الاسباب وهذا ما لم ينقطع للعبادة ويتجرد الى الذكر
واما المنقطع الى الله فلا بأس به وقد فعله كثير من العارفين

المحققين فقد كان ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد يسئل
بابا او بابين او ثلاثا بين العشائين فكانت العامة تتعجب
منه اولا ثم عرف بذلك فكان لا يعيبه عليه العامة ولا الخا
ولا الخاصة مع جلالة قدره وعلو معرفته بربه وكان الشيخ ابو
سعيد الخراز اذا اشتدت به الفاقة يمد يده ويقول من عنده
شيء لله وكان ابراهيم بن ادهم معتكفا بجامع البصرة ولا
يفطر الا من ثلاثة ايام الى ثلاثة ايام يخرج بعد صلاة المغرب
يطلب على الابواب فطره وكان سفيان الثوري رضي الله
عنه يسئل الطعام لله فان فتح بكثير اخذ كفايته وترك
الاخر واكثر رجال على هذه الحال قطعوا الدنيا الفانية لنايثرهم
الاخرى الباقية وكل ذلك لا يقدح في شريعة ولا حقيقة ولا
يطفئ نور المعرفة وقد اشار ابن البناء الى هذين القسمين
اعني المندوب والمكروه فقال

وكره هواسؤاله لنفسه ... ثم اباحوه لابناء جنسه
ولم يعدوه من السؤال ... لكن من العون على الاعمال
اذ كان خير الخلق في اترابه ... يسئل احيانا الى اصحابه

واما المباح فهو ان يسئل لحاجته الغير الضرورية كسؤاله
لقضاء دينه او ما يزيد على ستر عورته وسد رمقه او غير ذلك
مما ليس بضرورة لكنه حاجي اي محتاج اليه واما المحرم فهو
ان يسئل تكثرا وزيادة على ما يكفيه وفي الحديث من له
اربعون درهما فالسؤال عليه حرام وفيه ورد الحديث انه
يبعث يوم القيمة وليس في وجهه مزعة لحم ومن المحرم
ايضا ما فيه الحاح واضرار بالمسؤول قال تعالى لا يسئلون

الناس

٢٢٦

الناس الحافا قلت واما ما يفعله بعض اصحابنا من صورة
الالحاح فانما قصدهم بذلك قتل نفوسهم بما يسمعون من
المسؤول في جانبهم ولا يفعلونه الا مع من يعرف عندهم بالانكار
فيستخرجون منه الجلال اختبارا لانفسهم وقد يقصدون بذلك
تحقيق الاخلاص وستر الحال فيظهرون الرغبة وهم من ازهد
الناس تحقيقا للاكتفاء بعلم الله وما كان ذلك الا في حال
قوتهم وجذبهم فالسكر غالب عليهم هذا ما حققته منهم
وقد انقطع ذلك كله اليوم فما بقي الا اهل الصفا واهل
الوفا وسبب دخول السؤال في هذه الطائفة ان شيخ شيوخنا
سيدي علي الجمل العمراني رضي الله عنه كان له جاه ووزارة
ورياسة في فاس فلما دخل في يد الشيخ ورأى صدقه وجده
قال له ارى لك خمرة لم يقدر عليها احد قبلك ولولا ما رايت
فيك من الصدق والجد ما دللتك عليها قال وما هي
يا سيدي قال السوق للسؤال هكذا سمعت من بعض
الاخوان والذي رايته في كتابه انه قال له يا ولدي اراك
تطلب هذا العلم ولا تنال منه ما تريد الا بالذل فدخل
فيه وسكن الى مماته فلما ذاق سره ورأى ما فيه من الاسرار
وما يقطع به المريد في سيره من المفاوز والقفار سير
اصحابه عليه ودلهم على استعماله فكان اصل مشروعيته قتل
النفوس لا قبض الفلوس فمن استعمله لقتل النفوس ولج
حضرة القدوس اذ ما حجبنا عنها الا حياة النفوس ومن
استعمله لقبض الفلوس نال الشقا والبوس وينبغي ان يكون
في حال السؤال يده مشيرة الى الخلق وقلبه معلق بالحق قال البنا

حث

وءاداب الصوفى عند المسئله ، ان يدخل السوق اليه بسئله ،
لسانه بشير نحو الخلق ، وقلبه معلق بالحق ،
وقد ذكر ابن ليون التجيبى وبين اصله وذكر مسئلة الزنبيل
وكيفيته ان يتوضاء الرجل ويصلى ركعتين و يأخذ الزنبيل
يعنى وعاء بيده اليمنى و يخرج الى السوق ومعه رجل اخر
يذكر الله ويذكر الناس والناس يعطونه فى ذلك الزنبيل
حتى يجمع ما تيسر من الطعام ويصبه بين الفقراء فياكلون
طعاما حلالا بلا تكلف ولا كلفة هذا ما تيسر لنا فى حكم
السؤال والذى يظهر لنا ان تركه اليوم احسن من استعماله
اذ زالت هيبته وصار حرفة من الحرف فصار نفس كثير من
الفقراء تتطش اليه وما ذلك الا لما فيه من الحظ عندها
والله تعالى اعلم واما ما ياخذه من السؤال فان كان فقيرا
اليه اخذه وان كان غنيا عنه تصدق به خفية بالليل
مثلا وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول كان قصدنا
من السؤال قوت الارواح فلما خرج منه قوت الاشباح تبارك
الله يعنى فيا خذه من اضطر اليه وبالله التوفيق وهذه
الحكمة التى ذكرها الشيخ هى من اعظم المهمات التى يحتاج
اليها اهل التجريد وليس مقصودة الكلام على السؤال انما
مقصوده الدلالة على تربية اليقين وعدم التشوف الى المخلوقين
فلا يعلق قلبه بالمخلوق فان تشوف اليه فينبغى ان لا يقبض
ما يعطاه ولا يمد يده الى الاخذ منه حتى يرى ان المعطى هو
الله ويكون ذلك ذوقا وحالا قلت وهذا الشرط انما هو
فيما يأخذه بغير سؤال واما فى حال السؤال فلا يشترط بل
يكون

يكون علما ومجاهدة حتى يصير حالا وذوقا واما ما ياخذه
بغير سؤال فلا بد من هذه المعرفة وقال شيخ شيخنا لا تشترط
هذه المعرفة بل يكفيه العلم فيها وهو الاصح ما لم تتشوف
نفسه الى الخلق فان تشوفت نفسه فليكف عن القبض من
الخلق وليكتف بضمان الملك الحق قال تعالى وما من دابة
فى الارض الا على الله رزقها قيل لبعضهم كيف خرجت من
الدنيا بعد ان كانت فى يدك قال نظرت منصفا لنفسى
فى معنى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها
فرايت جميع الخلق من البعوضة الى الفيل تكفل الله لهم بالرزق
ففوضت امرى اليه واشتغلت بالعبادة وقال عيسى عليه
السلام لا تهتموا بالرزق فان الذرة على صغرها تؤتى كل يوم
برزقها الحديث وقال ايضا عليه السلام عجبت لمن يعمل
للدنيا وهو يرزق فيها بلا عمل ولا يعمل للاخرة وهو لا يرزق
فيها الا بالعمل وقال صلى الله عليه وسلم من كان همه
الاخرة جعل الله غناه فى قلبه واتته الدنيا وهى راغمة
ومن كان همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ولم يأته
من الدنيا الا ما قدر له وان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه
وكان يحيى بن معاذ يقسم انه لا تسكن الحكمة قلبا فيه
ثلاث خصال هم الرزق وحسد الخلق وحب الجاه وكان حبيب
العجمى يخدم الحسن البصرى فصنع حبيب طعاما لا
لافطار رهما واذا بسائل فاعطاه جميعه فقال الحسن يا حبيب
انك كثير اليقين قليل العلم فهلا اعطيته النصف وتقوت
بالنصف فقال يا سيدى ثوابه لك وانا استغفر الله فلما

جن الليل واذا بقارع على الباب فخرج حبيب فوجد عبدا
معه طعام كثير والشتاء ينزل والغلام يبكى فقال له ما
هذا قال طعام قال لى سيدى اذ قبله منك للحسن البصرى
فانت حر لوجه الله وقد طال على الرق فقال حبيب لا اله
الا الله عتق رقبة واطعام جائع ثم دخل به على الحسن
وقال يا سيدى انك كثير العلم قليل اليقين فقال يا حبيب
تقدمناك وسبقتنا اه قلت ولشيخ شيخنا مثل هذه
الحكاية ذكرها لى بعض اصحابه ثم سالته عنها فقال
هى صحيحة وذلك ان اهله صنعوا طعاما جيدا فلما
وضعوه بين ايديهم واذا بسائل يسئل فاخرجه له الشيخ
كله وبقوا اولاده بغير عشاء فلما كان بعد صلاة العشاء
واذا برجل يدق الباب فخرج الشيخ فوجد رجلا معه مائدة
فيها الوان من الطعام فادخلها لعياله رضى الله عنه
وقال بعض الاغنياء كنت نائما واذا بانسان قد وقف
على فى عالم النوم وزجرنى وقال لى اجب الملهوف فانتبهت
وانا مذعور ولم ادر ما اصنع فاوقع الله فى قلبى ان اخذ
صرة فيها مائة دينار وركبت دابة واطلقت زمامها
فخرجت بى من العمران الى مسجد خرب ووقفت فنزلت ودخلت
المسجد فوجدت مسكينا وهو يتضرع الى الله ويسئله من
فضله فسالته عن حاله فقال انا صاحب عيال ولى بنيات
منذ ثلاث ما طعموا فانا اسئل الله من فضله فدفعت له
المائة وقلت له اذا نفذت فاسئل عنى فانا فلان وائتنى
فقال لا والله ما اسئل غير الله ثم انصرفت وانا متعجب من ثقته

بالله

بالله تعالى فهذه حكاية جنود من جنود الله تعالى تقوى
اليقين وتوجب الثقة برب العالمين فيستحيى العبد من الله
ان يرفع حاجته اليه فاولى ان يرفعها الى غيره كما بين ذلك
بقوله ربما استحى العارف ان يرفع حاجته الى مولاه
اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحيى ان يرفعها الى خليقته
قلت العارف هو الذى بلغ من التقرب والقرب حتى امتحق
عن نفسه بالكلية وزالت عنه الانينية والغيرية بحيث
لم يبق له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله قرار فاذا اراد
ان يسئل عبودية استحيى من مولاه ان يثبت معه
سواه اكتفاء بمشيئته وتحقيقا لاحديته فاذا كان يستحيى
من مولاه ان يرفع حوائجه اليه فكيف لا يستحيى منه ان
يرفعها الى غيره فلا جرم ان الحق سبحانه يعطيه افضل ما
يعطى السائلين ويبوؤه فى مقعد صدق مع النبيين
والصديقين وقد تقدم لحديث من شغله ذكرى الخ وقال
سهل بن عبد الله ما من وقت الا والله تعالى مطلع فيه على
قلوب عباده فاى قلب راى فيه حاجة الى سواه سلط
عليه الشيطان وحجبه عنه اه وقيل للواسطى لم لا تسئل
الله شيئا فقال اخشى ان يقال لى ان سالتنا الذى لك
عندنا فقد اتهمتنا وان سالتنا ما ليس لك عندنا فقد
اسات الادب معنا وان سلمت الامر لنا ونظرت بنظرنا
اجرينا لك الامور على مقتضى الموافقة اه وهذا اخر
الباب الموفى عشرين وحاصلها ان الكلام على الكرامات وما
ينشا عنها من العبارات لان الكرامات الحقيقية هى الاستقامة

على العبودية ومشاهدة انوار الربوبية فاذا تحقق ذلك
في الولي فاضى بالحكم واذن له في التعبير فحينئذ ربما يقبل
عليه الخلق بالعطاء فاذا عرف فيهم مولاه حل له الاخذ
من ايديهم والا فلا واما السؤال منهم لقوت البشرية
فلا يتصور من العارفين استحياء من الله واكتفاء بعلمه
ومشيئته هذا مقام الواصلين واما السائرون فهم عاملون
على مجاهدة نفوسهم فان ثقل عليها السؤال قدموها
اليه وان ثقل عليها الفاقة والصبر والاكتفاء بالمشيئة
والعلم قدموه كما بين ذلك الشيخ رضي الله عنه في اول
الباب الحادي والعشرين بقوله **وقال رضي الله عنه اذا**
التبس عليك امران فانظر اثقلهما على النفس فاتبعه
فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا قلت هذا ميزان
صحيح في حق السائرين المشتغلين بالجهاد الاكبر قال تعالى
وجاهدوا في الله حق جهاده وقال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا فكل ما يثقل على نفس المريد وتنفر منه
فهو حق فالواجب على المريد اتباعه وكل ما يخف عليها
فهو باطل وفيه حظها فالواجب عليه اجتنابه وهذا الامر
يختلف اختلافا كثيرا فرب نفس يثقل عليها غير ما يثقل على
الاخرى فبعضها يثقل عليها الصمت وبعضها يثقل عليها
الكلام كما اذا تربى في الصمت وبعضها يثقل عليها العزلة
وبعضها يثقل عليها الخلطة وبعضها يثقل عليها الصيام
وبعضها الفطر وبعضها يثقل عليها السؤال وتموت منه
في ساعة واحدة وبعضها يخف عليها كما اذا تعودته قبل

الامر

الامر به وقس على ذلك فليكن العبد على نفسه بصيرة ونص
ويصير معها على عكس مرادها هكذا يستمر معها يخالفها
فيما تامره ويتهمها فيما تستحسنه فاذا تزكت وتطهرت
من الحس ولم يبق فيها بقية فحينئذ يجب عليه موافقتها
اذ لا يتجلى فيها حينئذ الا الحق فقد جاء الحق وزهق الباطل
فيصير امر العارف معكوسا مع السائر فالسائر يضره التدبير
والاختيار والعارف ينفعه والسائر تضره الخلطة والعارف
تنفعه السائر يضره الكلام والعارف ينفعه السائر
تضره الدنيا ويهرب منها والعارف غائب عنها لا تضره
وربما تنفعه والحاصل ان الواصل معكوس مع السائر
في اموره كلها وبالله التوفيق ويجب على من اراد جهاد
نفسه ان يلقيها الى شيخ التربية اذ قد يلتبس عليه امرها
وعلى فرض علمه بما يثقل عليها لا قدرة له على مجاهدتها
الا بهمة الشيخ هذه سنة الله في عباده فان النفس
لا تريد ان تخرج عن رايها ومرادها ابدا فالواجب اسلامها

الى من يعينه عليها وانظر التكاليف الشرعية تجدها مخالفة
لهوى النفس ومن لا يلقي قياده للشرع فهو كافر وما كفر من
كفر الا بتتبع الاهواء والله تعالى اعلم وهاهنا ميزان اخر
تعرف به العمل الذي فيه حظ النفس وهواها وما لا حظ لها فيه
هو ان تعرض عليها الموت وانت في ذلك العمل فان رضيت
بالموت وهي في ذلك العمل فالعمل صحيح وان لم ترض با
بالموت وهي في ذلك العمل فالعمل باطل فكل عمل لا تنهزمه
لا تنهزم منه الموت فهو صحيح وكل عمل تنهزم منه الموت فهو

باطل يعنى فيه الهوى والحظ وكذلك الانسان يزن نفسه
بهذا الميزان ليعرف هل رحل من هذا العالم اوهو باق
فيعرض الموت على نفسه فى حال عافية وجمال فاذا اقبلت
الموت ولم تنفر منه فليعلم انه رحل من هذا العالم وان لم
تقبل نفسه الموت وطلبت البقاء ففيه بقية بقدر ما تفر
منها وبالله التوفيق ثم ذكر الشيخ ميزانا اخر يعرف
به اتباع الهوى من الحق فقال **من علامة اتباع الهوى**
المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات
قلت هذا ميزان اخر وان شئت قلت هو داخل فى الميزان
الاول اذ من شأن النفس ان يثقل عليها الواجب لمشاركة
الناس لها فيه اذ جل الناس يفعلونه فلا يظهر لها فيه
مزية على غيرها وهى ابدا تحب الخصوصية بخلاف النوافل
فانها تبطش اليها وتحب ان تنفرد بها اما لطلب المدح
والثناء واما لطلب الاجور من القصور والحور وهذا كله من
عند المحققين من الحظوظ الجلية او الخفية فالمسارعة الى
نوافل الخيرات وفضائل الطاعات مع التكاسل عن الفروض
الواجبات من علامات الهوى فيجب على الانسان ان يقدم
الفرض الواجب ولا يقدم عليه الا ما هو من كماله كالنوافل
قبله وبعده اعانة على الحضور فيه فان حصل الحضور
استغنى عن الوسيلة والنافلة الكبرى عندنا هو الاستغراق
فى مشاهدة مولاه بين فكرة ونظرة او ما يوصل الى هذا المقام
من مذاكرة او ذكر ومن رفض الدنيا بحذافيرها وغاب عن
نفسه وجنسه فقد جمع الفرائض والنوافل كلها ولو بات
نائما

نائما وظل مفطرا **وفى بعض** اخبار سيدنا داود عليه
السلام قال يارب اين اجدك فقال له اترك نفسك وتعال
اى غب عنها تجدنى اقرب اليك منها وقال الشيخ ابو الحسن
رضى الله عنه عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى
ومحبة المولى وبالله التوفيق ولما كان من شأن النفس
الأمارة التكاسل عن الطاعات قيدها الحق تعالى بأعيان
الاوقات كما ابان ذلك بقوله **قيد الطاعات بأعيان**
الاوقات لئلا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع
عليك الوقت ليبقى لك حصة الاختيار قلت من شأن
النفس تسويف العمل وتطويل الأمل فلو تركت مع اختيارها
ما توجهت قط الى ربها ولما علم الحق سبحانه ان من عباده
من لا تنهضه المحبة ولا يسوقه اليه مجرد الرغبة وانما تسوقه
اليه سلاسل الامتحان بتخويف النيران او شبكة الطمع
بنعيم الجنان اوعد من حاد عن طاعته بالعذاب الأليم
ووعد من اطاعه وتقرب اليه بالنعيم المقيم ثم فرض
عليهم ما تظهر فيه طاعته من الاحكام والفرائض وعين
لها اوقاتا مخصوصة اذ لو ترك ذلك لاختيار عباده
ما اقبل عليه بها الا القليل من اهل محبته ووداده ورحمته [من فح]
تعالى ان وسع عليهم فى تلك الاوقات فبقى لهم فى ذلك
ضرب من الاختيار فوسع الظهر مثلا الى العصر والعصر الى
الاصفرار والمغرب الى العشاء والعشاء الى نصف الليل والصبح
الى قرب الطلوع فقد قيد لك ايها العبد الطاعات التى
اوجبها عليك بأعيان الأوقات لئلا يمنعك التسويف

من فعلها فيؤدى ذلك بك الى تركها ووسع عليك الوقت
ليبقى لك حصة اى ضربا ونصيبا من الاختيار اذ لو
ضيق عليك الوقت لكان ذلك فى غاية الحرج والاضطرار
فالحمد لله على منته وسعة رحمته وقد قيل ان الله سبحانه
يقول لعبده الم اخرجك من العدم الى الوجود وامدك
بامداد الفضل والجود جعلت لك نورا فى بصيرتك
لتفهم به خطابى وتعى بالطاعة عقابى وترجو ثوابى
فوعدتك الثواب على الطاعة واوعدتك العقاب على
المخالفة ثم كلفتك من العمل ما تطيق ووسعت عليك
فى الاوقات كل ضيق فلو انك قضيت ما اوجبت عليك
فى اول عمرك فى آخره لقبلته منك فمن ذا الذى منعك
من الامتثال ولم يكن بك عذر غير الغواية والضلال
اه وقد قيل فى المثل من طلب جلب ومن هاب خاب وا
وانظر كيف قرن الله الهداية بالمجاهدة واوجب سبحانه
على نفسه ما لم يجب عليه فقال سبحانه وهو اصدق القائلين
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع
المحسنين وانشدوا فى هذا المعنى
لو صح منك الهوى ارشدت للحيل والصدق سيف منيل غاية الامل
فكن اخا همة تسمو بصاحبها ولا تكن بالتوانى محبط العمل
وكان الربيع بن خثيم يردد هذه الآية ويبكى قوله تعالى
ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين
آمنوا وعملوا الصالحات الآية وكان يصبح ليت شعرى
من اى الفريقين انت يا نفسى وهذه الآية تسمى مبكية
العابدين

بصيرتك لتدرك به ادلة قدرتى وعظمتى فاذا فى وجعلت الرسول فى بصيرتك ... صح

العابدين وقال سهل رضى الله عنه فى معنى هذه الآية
ليس اهل الموافقة كاهل المخالفة اهل الموافقة فى مقعد
صدق عند مليك مقتدر واهل المخالفة فى عذاب السعير اه
ولما ذكر حكمة توقيت الطاعة ذكر حكمة ايجابها على
عباده فقال علم قلة نهوض العباد معاملته فاوجب
عليهم وجود طاعته فساقهم اليه بسلاسل الايجاب
عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل اوجب
عليك وجود طاعته وما اوجب عليك الا دخول جنته
قلت هذه حكمة التشريع لكنه ما ذكر له حكمة اهل الظاهر
وحاصلها ان الحق سبحانه من حكمته لما علم من عباده قلة
النهوض الى معاملته لانه قال وقليل من عبادى الشكور
وقال ايضا وقليل ما هم فلما علم ذلك اوجب عليهم طاعته
واوعدهم على تركها بالعقوبة فساقهم اليه بسلاسل الايجاب
ثم ذكر الشيخ حديثا ورد فى شان الاسارى اشارة الى
ان العبد لا اختيار له فهو اسير فى يد قدرة القدير والحديث
مشهور وهو قوله عليه السلام عجب ربك من قوم يساقون
الى الجنة بالسلاسل لانه عليه السلام كان يدعو الى الله
والى دخول حضرته فمن وافقه نجا ومن خالفه جعل له
السلسلة فى عنقه وساقه الى حضرة ربه ولفظ الحديث
عجب الله من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل قال بعض
العلماء يجوز ان يكون معنى التعجب المنسوب الى الله اظهار
عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان وهو ان الجنة
التى اخبر الله بما فيها من النعيم المقيم والخلود فى العيش

الرغد الدائم ومن حكم من سمع بها من ذوى العقل ان يسارع
اليها ويبذل جهده فيها ويحتمل المكاره والمشقات
لينالها وهؤلاء يفرون منها ويرغبون عنها حتى
يقادوا اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكاره العظيمة
التى تنفر منها الطباع اه ثم ان الحق سبحانه غنى عن
الانتفاع بالمنافع فما امرك بهذا ونهاك عن هذا الا لما
لك فيه من جلب المنافع ودفع المضار اوجب عليك
وجود طاعته وما اوجب عليك الا دخول جنته قال بعض
الحكماء واعلم ان فى الطاعات تفاوتا ودرجات وفى المخالفة
كبائر ودركات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليتراءون الغرف من فوقهم كما يرى اهل الارض الكوكب
الدرى فى افق السماء قيل يا رسول الله تلك منازل الانبياء
قال والذى نفسى بيده رجال امنوا بالله وصدقوا
المرسلين وقال اخير الناس ثلاثة عبد اطاع الله
عبودية وشكرا وامتثالا وقياما بحق الخدمة فزاده الوجوب
شرفا وعلو درجة وعبد اطاع الله تعظيما للموجب
فالوجوب فى حقه تنبيه واظهار للحكمة وعبد اطاع
الله خوفا من عذابه ورجاء فى ثوابه ولولا ذلك ما عبده
فالوجوب فى حقه لطف به وفى الكل خير وشتان ما بينهما
اه قلت والتحقيق انما هما قسمان قسم اطاع على التكليف
وهم اهل التكليف وقسم اطاع على التعظيم وهم اهل التعليم
والتعريف اهل الحجاب اطاعوا خوفا وطمعا واهل العيان
اطاعوا حبا وشكرا وهو مقام الانبياء وخواص الاولياء
قال

قال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا فالحكمة عند اهل
الباطن فى وجوب الخدمة انما هى اظهار لستر سر الربوبية
الربوبية التى هى فى مظاهر العبودية فالربوبية
بلا عبودية نقص يلزم عليه ابطال حكمته والعبودية بلا
ربوبية محال لا يتصور وجوده
من لا وجود لذاته من ذاته ، فوجوده لولاه عين محال ،
ولاجل هذا المعنى كان العارفون اذا تحققوا بهذا السر
وهو ان العبودية لا وجود لها من ذاتها وانما حكمة و
وجودها ظهور سر الربوبية باظهار احكام العبودية وعرفوا
ذلك حالا وذوقا كانت عباداتهم شكرا وكانوا فيها محمولين
غير حاملين عملهم بالله لله فعبادة هؤلاء كثيرة عظيمة
فى المعنى وان كانت قليلة فى الحس ولا تقل ابدا اذ تصرفاتهم
كلها عبادة نومهم عبادة واكلهم عبادة ومشيهم عبادة
وفى مثل هؤلاء ورد الحديث نوم العالم عبادة وقال ايضا
رجال يدخلون الجنة على الفرش الممهدة قيل من هم يا رسول
الله قال الذاكرون الله كثيرا وكما قال عليه السلام ذكره
المنذرى وقال ابو سليمان قد يدرك العارف على فراشه
ما لا يدركه فى صلاته اه ولا يستغرب العبد من نفسه بلوغ
هذا المقام فان فضل الله لا ينال بسبب وقدرة الله صالحة
لدرك كل مطلب كما ابان ذلك بقوله من استغرب ان
ينقذه الله من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته فقد
استعجز قدرة الهية وكان الله على كل شيئ مقتدرا قلت
لا شك ان الحق تعالى لا يعجزه شيئ هو الغالب على امره وقلوب

عباده بيده يصرفها كيف شاء ويقلبها حيث شاء فمن
كان منهم كان في الغفلة مستغرقا في بحار الشهوة فلا يستغرب
ان ينقذه الله من غفلته وان يخرجه من وجود شهوته
فان ذلك قدح في ايمانه وكيف يستغرب ذلك وربنا تعالى
يقول وكان الله على كل شيء مقتدرا وانت من ذلك الشيء
وقال تعالى في حق العصاة يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال تعالى
فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه الى غير ذلك
من الآيات وقال عليه السلام لو اذنبتم حتى تبلغ خطاياكم
عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم وليتذكر من تقدم قبله
من اهل الغفلة والعصيان ثم صار من اهل المشاهدة والعيان
كانوا لصوصا فصاروا خصوصا كابراهيم بن ادهم والفضيل بن عياض وابي يعزى وكثير ممن يتعذر حصره
وقد ذكر القشيري في اول رسالته منهم رجالا قدمهم اولا
تقوية لرجاء المذنبين وليتذكر الرجل الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ثم سال راهبا عن التوبة فقال له لا توبة
لك فكمل به المائة ثم سال عالما فدله على التوبة وامره
بالذهاب الى قرية فيها قوم يعبدون الله فقصدهم
فمات بالطريق فاخذته ملائكة الرحمة والحديث في البخاري
مطولا وكذلك الذي كان لصا فسال عابدا هل له من توبة
فاستهزئ به واخذ عرجونا يابسا وقال له خذ هذا العرجون
فاذا اخضر فقد صحت توبتك فاخذه بالنية وجعل
يعبد الله وينظر اليه فاصبح ذات يوم مسعلجا اخضر

الرجل ح م

مسلجا ع م

قلت

قلت وقد ادركت اقواما كانوا مغروقين في الغفلة وترك
الصلاة لا يعرفون من الدين المشهور قليلا ولا كثيرا فضلا
عن طريق الخصوص فانقلبوا وصاروا خصوصا عارفين
وقد ادركت اقواما منهمكين في الذنوب مغروقين في المعاصي
وظلم العباد فصاروا من اعظم الصالحين وقد رايت نصارى
بثغر سبتة حضروا خلف حلقة الذكر فاتخذبوا وتبعونا حتى
خرجنا الحد الذي بيننا وبينهم ولو وجدوا سبيلا لاسلموا سريعا
وقد كان بعض اخواننا يقول في شان نفسه تعجبا من
خروجه من غفلته هذا مدفع النحاس المدبر من عنده شيء
فليخرجه فلقد رايته مجذوبا عاري الراس حافيا رجله فهو
اليوم من خواص الاولياء وهذا امر شهير لا يحتاج الى دليل
ومن شك فليشاهد فيا عجبا ممن ينكر ضوء الشمس بعد طلوعها
او نور القمر بعد ظهوره ولكن كما قال صاحب البردة
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويُنكر الفم طعم الماء من سقم
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا واعجب منه من ينكر وجود
شيخ التربية ويقر بعدم انقطاع اهل الخصوصية فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اعني
تعمى عن طريق اهل الخصوص وتبصر طريق اهل العموم
كحال الخفاش يبصر في الظلمة ولا يبصر في النور فهو عند الناس
معذور لفقده ما عند الاقوياء من النور وقد يسلط الله على
عباده الانهماك في الشهوات ويحبسه في سجن الغفلات
ثم يمن عليه بالتوبة والتيقظ من الغفلة ويدخله مع
احبائه مداخل الحضرة ليعرف قدر ما اظهر الله عليه من المنة

والغالب انما يتفق هذا لمن سقط على صحبة العارفين
الذين غيرهم الاكسير وهو موجود في كل زمان وهذا صح

كما ابان ذلك بقوله **ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر**
ما من به عليك قلت لا شك ان نيل الشيء بعد الطلب الذ
واعز من المساق بغير تعب والمحبة بعد القطيعة احلى من المحبة
بلا قطيعة والصفا بعد الجفا اصفى من الصفا بلا جفا وفطام
النفس عن مألوفاتها وعوائدها اشد معالجة من النفس
السلسة المنقادة من غير تعب فيكون الأجر والقدر على قدر
التعب فهذه حكمة تقديم ورود الغفلة والشهوة على العبد
ثم ينقذه منها ليعلم قدر هذه النعمة التي انعم الله بها عليه
فربما ورد عليك ايها الانسان الحق تعالى الظلم جمع ظلمة
وهي الاغيار والاكدار وحب الشهوات والعوائد فتستغرق
في بحارها وتسجن في سجون ظلماتها ثم ينقذك منها
في ساعة واحدة وذلك لتعرف بعد الفتح قدر ما من الله به
عليك فتزداد محبة وشكرا ويعظم السر عندك محلا وقدرا
فتعرف حقه وتصونه عمن لا يستحقه ولاجل هذا جعل الله
الجنة محفوفة بالمكاره ليعرف العباد بعد دخولها قدر
النعمة التي من الله بها عليهم وكذلك جنة المعارف محفوفة
بالمكاره ليعرف العارف قدر السر الذي كشف به والخير الذي
منحه الله اياه **واعلم** ان هذه الظلم التي ترد على القلوب
فتحجبه عن علام الغيوب هي ناشئة بحكمة الله من الدنيا بحكمة
والنفس والشيطان فمن زهد في الدنيا وغاب عن نفسه
واطلق يده منها وذكر الله حتى احترق الشيطان وذاب
دخل مع الاحباب وفتح له عن علم الغيوب الباب **قال** بعض
الحكماء واعلم ان الصانع البديع سبحانه لما خلق القلب
جعله

جعله خزانة اسراره ومعدن انواره وموضع نظره من عبده
ولم يخلق الله في الوجود اشرف منه ثم رمى على باب القلب
اخس الاشياء واقذرها لتقتضي حكمته اجتماع الاضداد
التي لا قدرة لغيره على ذلك فطرح على باب القلب جيفة
وكلبا ينهش فيها وهما الدنيا والشيطان فمن اراد الدخول
لخزانة سر الله لا بد له من تغميض عينه عن هذه القذرة وا
واعراضه عن الكلب لانه لا سبيل له على من اعرض عنه وعن
جيفته وكل من التفت اليها سلب النور الذي اراد الله به الدخول
لبيت قلبه وكان له ذلك كالطلسم على الكنز منعه منه لا محالة
اه **وقيل** ان الدنيا بنت الشيطان وطالب الدنيا صهر ابليس
والأب لا ينفك عن بنته ابدا ما دامت البنت في عصمة الصهر
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبده خيرا
زهده في الدنيا ورغبه في الاخرى وبصره بعيوب نفسه قيل
يا رسول الله اي الناس شر قال الاغنياء يعني البخلاء ثم قال
عليه السلام ومن عظم غنيا لاجل غناه كان عند الله كعابد
وثن ومن اسف على الدنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة
اه **واوحى الله** تعالى الى موسى عليه السلام ما احبني من احب
المال وما احبني من احب الدنيا فانه لا يسع في قلب واحد
حبي وحبها ابدا يا موسى ما خافني من خاف الخلق وما
توكل علي من خاف فوات الرزق وعزتي وجلالي ما توكل على
عبد الا كفيته وبيدي مفاتح الملك والملكوت وما اعتصم
بي عبد الا ادخلته الجنة وكفيته كل مهمة ومن اعتصم بغيري
قطعت عنه الاسباب من فوقه واسخت الارض من تحته

ولا ابالى كيف اهلكته ياموسى خمس كلمات ختمت لك بها
التوراة ان عملت بهن نفعك العلم كله وان لا لم ينفعك منه
شيء الاولى كن واثقا برزقي المضمون لك مادامت خزائني
مملوءة وخزائني مملوءة لا تنفذ ابدا الثانية لا تخافن ذا
سلطان مادام سلطاني وسلطاني دائم لا يزول ابدا الثالثة
لا ترى عيب غيرك مادام فيك عيب والعبد لا يخلو من عيب
ابدا الرابعة لا تدع محاربة الشيطان مادام روحك في جسدك
فانه لا يدع محاربتك ابدا الخامسة لا تامن مكري حتى ترى
نفسك في الجنة وفي الجنة اصاب ادم ما اصاب فلا تامن مكري
ابدا اه قلت وهذا كله تشريع لغيره والانبيا كلهم مطهرون
معصومون وكل ما ورد فيهم من التعليم والتربية فالمراد به غيرهم
وبالله التوفيق ثم من من الله عليه فاخرجه من اسر نفسه
واطلقه من سجن غفلته فلم يعرف هذه النعمة سلبها من ساعته
كما اشار الى ذلك بقوله من لم يعرف قدر النعم بوجدانها
عرفها بوجود فقدانها قلت هذا الذي ذكره الشيخ
مجرب صحيح وذلك ان العبد قد تترادف عليه النعم والعوافي
لا يعرف قدرها ولا تعظم عنده كل التعظيم فاذا سلبها وضرب
بالبلاء والاوجاع والمصائب حينئذ يعرف قدر العافية ولذ
وكذلك الفقير يكون مصحوبا بالحضور والفكرة والنظرة
فلا يعظم عنده قدرها فاذا اصابته الغفلة ورجع الى الحس
وفقد قلبه عرف قدر ما كان عنده فاذا التجأ واضطر
الى الله رد اليه ما سلبه قيل ان الله تعالى يقول لجبريل
يا جبريل انسخ حلاوة محبتي من قلب عبدي اختبره فينسخ

جبريل

جبريل حلاوة المحبة من قلب ذلك العبد فاذا هو اضطرب
وتضرع والتجأ وبكى يقول الله تعالى لجبريل رد عليه حلاوة
محبتي فقد وجدته صادقا واذا نسخ حلاوة المحبة من قلب
العبد فلم يبتهل ولم يتضرع لم يرد اليه شيئا وسلبه تلك الحلاوة
والعياذ بالله من السلب بعد العطاء ويستعين العبد على معرفة
قدر النعم بالتفكر فيها وبالتفكر في حال نفسه قبل وجودها
فينظر اذا كان غنيا الى حال فقره المتقدم حسا او معنى
وينظر اذا كان صحيحا الى حال مرضه وينظر اذا كان طائعا
في حال عصيانه وينظر اذا كان ذاكرا الى وقت غفلته وينظر
اذا كان عالما الى وقت جهله وينظر اذا كان مصاحبا لشيخ
عارف الى وقت ضلاله وينظر اذا كان عارفا الى وقت جهالته
وهكذا كل نعمة ينظر الى وجود ضدها الذي كان موجودا فيه
قبل ذلك فلا شك انه يعرف قدرها فيشكرها فتدوم عليه
واما من لم يتفكر في حال النعم فلا يعرف قدرها فيغفل عن
شكرها فيسلب منها وهو لا يشعر قال بعضهم شكر الله تعالى
باللسان هو الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع وشكر الله باليد
هو الاتصاف بالخدمة على وجه الاخلاص وشكر الله بالقلب
هو مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال الجنيد رضي الله عنه
الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة وان لا تعصي الله بنعمته
اه فان قلت كيف اقوم بشكر النعم وهي لا تحصى قلت
القيام بها هو الاعتراف بها للمنعم وحده والى هذا المعنى
اشار الشيخ بقوله لا تدهشك واردات النعم عن القيام
بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط وجود قدرك قلت

قد يتفكر الانسان فى نفسه وما به من النعم فيجد نفسه مغموسا
فى النعم حسية ومعنوية فى نعمة البصر فى نعمة السمع فى نعمة
الشم فى نعمة الذوق فى نعمة الكلام فى نعمة العقل فى نعمة اليدين
فى نعمة الرجلين فى نعمة الصحة والعافية فى نعمة الكفاية فى نعمة
الاهل فى نعمة الاولاد ثم فى نعمة الهداية الى الاسلام ثم فى نعمة
الايمان ثم فى نعمة الطاعة ثم فى نعمة العلم ثم فى نعمة
من يستعين به من الاخوان ثم فى النعمة الكبرى نعمة الشيخ
ثم فيما اعد الله له بعد الموت الذى لا نهاية له فاذا وجد
نفسه مغمورا فى النعم فلا يدهش منها ويتخمم فى نفسه
عن القيام بشكرها فان الاعتراف بها ومعرفتها والاقرار بها
انها من الله بلا واسطة هو شكرها وقوله الحمد لله رب العالمين
كاف فى شكر اللسان الا ترى ان الجنة هى من اعظم النعم فكان
شكر اهل الجنة فيها الحمد لله رب العالمين قال تعالى وآخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقد جاء فى بعض الاخبار
ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع
ان اشكرك الا بنعمة من نعمك ونعمتك توجب على الشكر
والشكر نعمة توجب الشكر ايضا وهكذا وانشد بعضهم فى هذا المعنى

اذا كان شكر العبد لله نعمة ، عليها من الله له يجب الشكر ،
فكيف له بالشكر والشكر نعمة ، ولو تتوالت الاحقاب واتصل العمر ،
وقال آخر ، لك الحمد مولانا على كل نعمة ، ومن جملة النعماء قولى لك الحمد ،
فلا حمد الا ان تمن بنعمة ، تعاليت لا يقوى على حمدك العبد ،

فاوحى الله اليه اذا عرفت ان النعم كلها منى فقد شكرتنى
وقد رضيت منك بذلك وفى رواية اخرى قال داود عليه
السلام

اذا كان شكر العبد نعمة عليها ... [illegible]

٢ تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

عليه السلام الهى ان ابن آدم ليس فيه شعرة الا وتحتها
نعمة فمن اين يكافئها فاوحى الله تعالى اليه يا داود انى
اعطى الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك
من نعمة فمنى وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
اليه انى بارض ولقد كثرت فيها النعم ولقد اشفقت على قلبى
ضعف الشكر فكتب اليه عمر انى كنت اراك اعلم بالله مما اراك
ان الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها الا كان حمده
افضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا فى كتاب الله المنزل
قال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى
فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال تعالى وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ثم قال وقالوا الحمد لله الذى صدقنا
وعده واى نعمة اعظم من دخول الجنة اه ولما كان اعظم
النعم واشرفها هو دواء القلب وشفاؤه من مرض الهوى
الذى قيده فى سجن الغفلة وعرضه لغضب المولى نبه الشيخ
على ذلك ليعرف العبد قدر هذه النعمة اذا كان شفاه الله
او يطلب من الله اخراجه من تلك النقمة اذا لم يكن شفاه الله
فقال تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال قلت
حلاوة الهوى على قسمين هوى النفس وهوى القلب فهوى
النفس يرجع لشهواتها الجسمانية كحلاوة المآكل والمشارب
والملابس والمراكب والمناكح والمساكن وهوى القلب هو
شهواته المعنوية كحب الجاه والرياسة والعز والمدح والخصوصية والكرامات وحلاوة الطاعات الحسية كمقام
العباد والزهاد وحلاوة علم الحروف والرسوم فاما علاج هوى

النفس فامره قريب يمكن علاجه بالفرار من اوطان ذلك
والزهد وصحبة الأخيار واما علاج هوى القلب اذا تمكن
فهو صعب وهو الداء العضال الذى اعضل الاطباء اى اعجزهم
وحبسهم عن علاجه فلا يزيده الدواء الا تمكنا وانما يخرجه
وارد الهى بعناية سابقة بواسطة او بغير واسطة كما اشار
الى ذلك بقوله لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج او
شوق مقلق قلت الشهوة اذا تمكنت من القلب صعب علاجها
فلا يمكن خروجها فى العادة الا بوارد قهرى جلالى او جمالى
فالوارد الجلالى هو خوف مزعج فيزعجك عن شهواتك و
ويخرجك عن وطنك واهلك والوارد الجمالى هو شوق مقلق
فيقلقك عن مراداتك وحظوظك فينسيك نفسك
ويؤنسك بربك ولأجل صعوبة هذا المرض كان اشد حجابا
عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد لأن هذه الشهوة
خفية لأن صاحبها اضله الله على علم الآية فهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا اى اضلهم عن طريق الخصوص وبقوا فى طريق
العموم اما العلماء الظاهريون فهم يعتقدون انه لا فضيلة
فوق علمهم حتى انى سمعت من بعضهم يقول ان مقام الاحسان
هو مقامهم الذى هم فيه من العمل بظاهر الكتاب والسنة ولا
مقام فوق ذلك فكيف يمكن اخراج هذا الا بعناية سابقة
واما العباد والزهاد فهم يقولون ايضا هذه غاية المحبة
والطاعة ويزيدهم بعدا ما يرونه من الكرامات الحسية
فيزدادون حجابا وتمكنا فى حالهم واما العوام واهل الغفلة
فهم اقرب الناس الى الانقياد والنفوذ الى ربهم وفى الحديث

عنه صلى الله عليه وسلم قال اكثر اهل الجنة البله اى المغفلون
ومما يدلك على ان الشهوة القلبية اصعب من الشهوة النفسية
قصة آدم والشيطان فان آدم عليه السلام كان شهوته
فى بطنه فتداركه الله بعنايته والشيطان كانت شهوته فى قلبه
قال انا خير منه فطرد الى يوم القيمة ثم اعلم ان الخوف على
قسمين خوف العوام وخوف الخواص خوف العوام من العقاب
والعذاب وخوف الخواص من القطيعة والحجاب والشوق ايضا
على قسمين شوق العوام للحور والقصور وشوق الخواص للشهود
والحضور شوق العوام لنعيم الاشباح وشوق الخواص لنعيم
الأرواح شوق العوام ناشئ عن قوله تعالى اعد الله للمؤمنين
والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسا
طيبة فى جنات عدن وشوق الخواص ناشئ عن قوله تعالى
ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم جعلنا الله من
اعظمهم قدرا واكملهم محلا وفضلا آمين بمنه وكرمه فاذا
دخل الخوف او الشوق الى القلب اخرج كل ما فيه من الاغيار وملئ
بالمعارف والانوار فحينئذ تخلص الاعمال وتزكو الاحوال
ويقبل عليه ذو العظمة والجلال كما ابان ذلك بقوله كما لا يحب
العمل المشترك لا يحب القلب المشترك العمل المشترك لا يقبله
والقلب المشترك لا يقبل عليه قلت العمل المشترك هو الذى تصحبه
الحظوظ النفسانية دنيوية او اخروية والقلب المشترك هو
الذى يكون فيه حب السوى فالعمل الذى تصحبه الحظوظ مدخول
والمدخول غير مقبول يقول الله تعالى انا اغنى الشركاء عن
الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشريكه والقلب

اي الباقون على اصل الفطرة

كن

الذى فيه حب شيء من السوى مُلَطّخ بالهوى لا يليق لحضرة
المولى قال تعالى وطهر بيتى للطائفين يا داود طهر لى
بيتا اسكنه ولله در الششترى حيث يقول

، لى حبيب انما هو غيور ، يظل فى القلب كطير حذور ،
، اذا راى شيئا امتنع ان يزور ، فمن حصن اعماله بالاخلاص

استحق القبول وكان من الخواص ومن حصن قلبه من الاغيار
امتلأ بالعلوم والانوار ونبعت منه المعارف والاسرار واعلم
ان العمل المشترك هو الذى يدخله ثلاث علل اما رياء او عجب
او طلب عوض اما الرياء فهى الشرك الأصغر وقد تقدم الحديث
من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشريكه وفى حديث
مسلم ثلاثة اول من تسعر بهم جهنم يوم القيمة فذكر القارى
لغير الله والشجاع الذى يقاتل لغير الله والغنى الذى يتصدق
لغير الله واما العجب فهو رؤية النفس واسناد العمل اليها
ورؤية المزية لها على الناس قال تعالى فلا تزكوا انفسكم
هو اعلم بمن اتقى قيل معناه اذا عملت عملا فلا تقل عملت ولا
تظهره عند من يعظمك لأجل عمله بذلك لأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه وقال زيد بن اسلم معنى لا تزكوا انفسكم
لا تعتقدوا انها بارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من الذنوب العجب قال
بعض السلف لأن ابيت نائما واصبح نادما احب الى من
أن ابيت قائما واصبح معجبا وقيل لعائشة رضى الله عنها
متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن قيل والعجب
اعمى

اعمى عن آفات نفسه وعمله والعمل اذا لم يتفقد ضاع وانما
يتفقد عمله من غلب عليه خوف الله وخوف ذنوبه ولا يريد الثناء
على نفسه وحمدها وتزكيتها وربما اعجب برأيه وعقله
فيستنكف عن سؤال غيره ولا يسمع نصح ناصح لنظره من سواه
بنظر الاستحقار نسئل الله السلامة والعافية واما طلب
العوض والجزاء فقد تقدم مرارا الزجر عنه وانك ان طالبته
بالجزاء طالبك بالاخلاص ويكفى المريب وجدان السلامة
فكل عمل فيه بعض هذه الآفات فان الله لا يقبله قبول
الخواص واما القلب المشترك فهو الذى يدخله ثلاث ايضا
حب الدنيا او حب الخصوصية او النعم الاخروية وكلها قادحة
فى الاخلاص مخرجة عن درجة التوحيد الخاص وبالله التوفيق
هذا آخر الباب الحادى والعشرين وحاصلها ذكر ميزان الاعمال
والاحوال الصحيحة والسقيمة وحاصل هذا الميزان ان كل ما يثقل
على النفس فهو صحيح وكل ما يخف عليها فهو سقيم ومن جملة
ما يثقل عليها القيام بالفرض الواجب دون النوافل فانها
تخف عليها فلما علم الحق سبحانه ذلك منها قيد الفرائض باوقات
معلومة كى لا يمنعها التسويف لأن جل النفوس يقل نهوضها
الى حضرة القدوس وليس للحق سبحانه غرض فيما فرض
وانما ساقهم الى جنته بسلاسل امتحانه فمن غلبته نفسه
على النهوض الى الطاعة واسرته شهوته عن اللحوق بالسباق
فلا يستغرب ان ينقذه الله منها فان قدرة القادر كلمح البصر
او اقرب وربما تكون تلك الشهوة او الغفلة فى حقك نعمة
وذلك لتعرف منة الله عليك حين ينقذك منها فان كثيرا

ممن انعم الله عليهم لم يعرفوا قدرها فسلبوا منها فاذا
انعم عليك بامثال ذلك من نفسك والحاقك بخواص جنسك
فانغمست فى النعم فلا تدهش عن شكرها فاقرار بالمنعم بالنعم
قيام بشكرها فاذا رايت من حبسته نفسه وتمكن داء الهوى من
قلبه فاعلم ان ذلك هو الداء العضال فلا يخرجه منه الاخوف
مزعج او شوق مقلق فاذا ازعجه الخوف او الشوق تفرغ قلبه
وخلص عمله فيقبل الله عليه فاذا اقبل عليه ملاه بالانوار وخلص
فمنها ما يصل الى سويداء قلبه ومنها ما يقف على ظاهر
قلبه كما بان ذلك بقوله فى اول الباب الثانى والعشرين
وقال رضى الله عنه انوار اذن لها فى الوصول وانوار اذن
لها فى الدخول قلت اما الانوار التى اذن لها فى الوصول فهى
لاهل الدليل والبرهان لان قلوبهم لم تتفرغ من الاغيار ولم تمح
منها صور الاثار فلما جاءت وجدت داخل القلب مملوا
بصور الاثار فوقعت فى ظاهر القلب واما الانوار التى
اذن لها فى الدخول فهى انوار الاحسان من الشهود
والعيان وذلك لانهم لما فرغوا قلوبهم مما سوى ربهم
دخلتها الانوار فوجدت متسعا فسكنت سويداء قلوبهم
وعلامة النور الواصل والداخل ان صاحب النور الواصل
للظاهر فقط تراه تارة مع الدنيا وتارة مع الاخرة
تارة مع حظ نفسه وتارة فى حق ربه تارة مع الغفلة مع ثم
وتارة مع اليقظة وصاحب النور الداخل لسويداء القلوب
لا تراه الا مع ربه لا يشغله عنه حظوظ الدنيا ولا حظوظ
الاخرة غائبا عن نفسه حاضرا مع ربه قال بعض الحكماء
ان الايمان

٢٢٩

ان الايمان اذا كان فى ظاهر القلب كان العبد محبا لاخرته
ودنياه فيكون صاحبه تارة مع ربه وتارة مع نفسه وبقدر
تمكن النور فى القلب ودخوله اليه يكون بغض العبد للدنيا
وتركه لهواه اه وفى هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل فهل له من علامة
يا رسول الله قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والتزود لسكنى القبور والتاهب ليوم النشور اه ثم
اعلم ان الانوار التى اذن لها فى الوصول عامة لجميع المومنين
وقد تقدم قول ابى الحسن لو كشف عن نور المومن العاصى
لطبق ما بين السماء والارض واما الانوار التى اذن لها فى
الدخول فهى خاصة بالخواص اهل التفرغ من الاغيار ولوث
الانوار فاما من كان قلبه محشوا بصور اثارها فلا يطمع
فى نيل اسرارها كما بان ذلك بقوله ربما وردت عليك
الانوار فوجدت القلب محشوا بصور الاثار فارتحلت
من حيث جاءت قلت رب هنا للتكثير اى كثيرا ما ترد عليك نزلت
انوار عالم الغيب لتغيبك عن عالم الشهادة فتجد قلبك
محشوا بصور عالم الشهادة فترحل عنك وتتركك محبوسا
فى يدها او تقول كثيرا ما ترد عليك انوار المعانى لتخرجك
من سجن الاوانى فتجد قلبك مملوا بها فتتركك فى وسطها
محجوبا بها او تقول كثيرا ما ترد عليك انوار الملكوت
فتجد قلبك محشوا بظلمة الملك فتتركك فى ظلمة الكون
او تقول قد ترد عليك انوار الجبروت فتجد قلبك محشوا
بانوار الملكوت فى حابها قانعا ببهجتها فتتركك واقفا

معهما وتنادى عليك الهاتفة من الله حرمات الذى تطلب
امامك ولو كان العلم ينتهى الى حد محدود لم يقل الله تعالى
لسيد العارفين وقل رب زدنى علما وقال عليه الصلاة والسلام
كل يوم لا ازداد فيه علما لا بورك لى فى طلوع شمس ذلك
اليوم اوكما قال عليه السلام فالمانع للقلب من دخول الانوار
هو وجود الاغيار كما اشار الى ذلك بقوله فرغ قلبك
من الاغيار تملأه بالمعارف والاسرار قلت التفريغ هو
الخلو من الشيء والتنظيف منه والاغيار جمع غير بكسر
الغين وفتح الياء ويصح ان يكون بفتح الغين وسكون
الياء وهو اليق والمراد به حينئذ السوى وانما جمعه
لتعدد انواعه كما قالوا فى جمع العالمين يقول رضى الله
عنه فرغ قلبك ايها الفقير من الاغيار وهو ما سوى الله
بحيث لا يتعلق قلبك بشيء من الكون علويا وسفليا دنيويا
او اخرويا حسيا او معنويا كحب الخصوصية وغيرها من
الحظوظ فاذا رحل قلبك من هذا العالم بالكلية ولم يبق فيه
الا محبة مولاه فانه يملأوه بالمعارف بحيث يكشف عنك
حجاب الوهم وتذهب عنك ظلمة الحس فتشاهد الاشياء
كلها انوارا ملكوتية مشاهدة ذوقية تمكينية ويملأوه
ايضا بالاسرار وهى اسرار الجبروت فتغيب بالجمع عن الفرق
وبشهود الجبروت عن شهود الملكوت وتكاشف باسرار القدر
فيهب عليك نسيم برد الرضى والتسليم وانت فى حضرة
النعيم المقيم عند الملك الكريم فالاسرار على هذا ابلغ من
المعارف فالمعارف انوار الملكوت والاسرار انوار الجبروت
لان

لان السائر قد يكشف له عن نور الملكوت فيشهد الكون كله
نورا لكنه مفتقر الى تلك الانوار ليترقى بها الى التمكين فى
شهود الذات كافتقار القارى الى النظر فى الرسوم فاذا حفظ
القارى المعنى وتمكن منها محى الرسوم ولم يفتقر اليها
كذلك السالك يكشف له اولا عن نور الكون فيغيب فى النور
عن ظلمة الحس ثم لا يزال فى السير حتى يقبض المعنى ويتمكن
منها فلا يحتاج الى مشاهدة نور فيستغنى عن نور الملكوت
بنور الجبروت وقد تقدم هذا المعنى عند قول المؤلف اهتدى
الراحلون الى الحكمة فيمحى السوى عن عين قلبه بالكلية ويغيب
عن نفسه وحسه بشهود الاحدية ولله در قول الشاعر
ان تلاشى الكون عن عين قلبى … شاهد السر غيبه فى بيان
فاطرح الكون عن عيانك وامح … نقطة الكون ان اردت ترانى
ويحتمل ان يريد بالمعارف علوم العرفان وبالاسرار الاذواق
والوجدانات فتكون المعارف هى علوم المعرفة بحيث يعرف
فى كل شيء ولا ينكر شيئا والاسرار اذواق تلك العلوم فان
المعرفة تكون اولا علما وآخرا ذوقا ويحتمل ان يكون من عطف
التفسير فتكون الاسرار هى المعارف والله تعالى اعلم ومن اراد سرعة
السير الى هذا المقام فليفرغ قلبه وينظفه على التمام فبقدر التخلية
تكون التحلية وبقدر التصفية تكون الترقية ولاجل هذا انهى
السائر عن التزوج وعن التعلق بالاسباب اذ لا يخلو من علقة و
فاذا تمكن من المعنى لم يبق له مراد الا مراد معروفه صار كل ما يبرز
من عند مولاه تلقاه بالقبول فان طال بالمريد السفر وتأخر عنه
الفتح والظفر فلم يدرك هذه الاسرار ولم يكشف له عن تلك الانوار

فلا يستنبط من ربه النوال فانه جواد كريم ولكن يستنبط منه وجود
الاقبال والى ذلك اشار بقوله **لا تستنبط منه النوال ولكن**
استنبط من نفسك وجود الاقبال قلت الحق سبحانه جواد كريم
حليم رحيم من تقرب اليه شبرا تقرب منه ذراعا ومن تقرب منه
ذراعا تقرب منه باعا ومن اتاه يمشى اتاه هرولة كما فى الحديث
فان توجهت اليه بقلبك وتاخر الفتح من قبله فلا تستنبط منه النوال
اى العطاء وهو كشف الحجاب ولكن استنبط من نفسك وجود الاقبال
فلعل اقبالك عليه لم يكن بكليتك فان الله سبحانه يقول بلسان
الحال ليس يدرك وصالى كل من فيه بقية اوكان بحرف او حظ واما
لو زالت اغيارك لا شرقت انوارك ولو تطهرت من جنابة الغفلة
لاستحققت الدخول الى مسجد الحضرة وقد يكمل اقبالك ويفوتك
الادب مع سيدك وهو استنبطاؤك النوال ولو صح منك الاقبال
قال بعضهم هب ان السيد الكريم اهل لكل فضل وكرم افترى
العبد يقل الادب بين يدى سيده ويكشف جلباب الحياء عن
وجهه فان فعل ذلك فهو بالعقوبة اولى من الكرم وقد قال
ارباب المعرفة لان تكون صاحب استقامة خير من ان تكون
صاحب كرامة اهـ ومن باع نفسه لله وكان عبدا مملوكا لمولاه
فاى شيء يستحق على مولاه **حكى** عن ذى النون المصرى رضى
الله عنه انه راى رجلا قد اشترى دارا واراد ان يكتب عقدها
فقال له ذو النون يا اخى ان قبلت وصيتى اوصيتك فقال
نعم قل يا سيدى فقال له لا تشتر دارا تفنى وتدع دارا تبقى
فقال له من لى بها فقال له هلا اشتريت من الله دارا بدار السلام
ومجاورة الكرام لتنال فيها الامان وتتنعم بنعيم لا يدرك
بالاثمان

شرح ٣

بالاثمان دار لها اربع حدود **الاول** منازل الخائفين الثانى
منازل العارفين الثالث منازل المشتاقين الرابع رياض
المحبين دار سقفها عرش الرحمن وبابها باب الرضوان
مكتوب على بابها بالخط الازلى

دار تقى ورضى عليها ، اسست ونعم دار المتقين ،
ثم نادى الحق من ارجائها ، ادخلوها بسلام امنين ،

فان اردت عقد شرائها قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة هذا
ما اشترى العبد الثواب من الملك الوهاب بثمن قيمته الخروج
من ذل المعاصى الى عز الطاعة ومن تعب الحرص والطمع الى
راحة الزهد والورع شهد بذلك عدول القلب واللسان وصحيح
ما نزل من القرءان وبتاريخ حل عقدة الاصرار من وقت الانابة
ومن اوفى بعهده من الله قال له نعم ثم تصدق بماله وخرج
معه الى الله اهـ ثم من صح اقباله على الله لم يضيع شيئا من الاوقات
فى غير طاعة مولاه كما نبه على ذلك بقوله **حقوق فى الاوقات**
يمكن قضاؤها وحقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها
قلت اما الحقوق التى فى الاوقات فهى الطاعة التى عين الله
تعالى لها وقتا محدودا كالصلوات الخمس والسنن المؤكدة وكذلك
الزكاة والصيام لهما وقت محدود فى العام فاذا خرج وقتها
امكن قضاؤها وان كان يسمى مفرطا لكن بعض الشر اهون من
بعض واما حقوق الاوقات بانفسها فهى مراقبة الحق او مشاهدته
كل واحد على قدر وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها وهذه
الحقوق اذا فات وقتها لا يمكن قضاؤها اذ الوقت الثانى له

حق مخصوص لا يسع غيره فما من لحظة الا ويجب عليك ان تكون
فيها عاملا لله مشتغلا فيها بما يوصلك الى قربه ورضاه وهذا
معنى قوله اذ ما من وقت يرد الا ولله عليك فيه حق جديد
وامر اكيد فكيف تقضى فيه حق غيره وانت لم تقض حق الله
فيه قلت ما من وقت او لحظة ترد عليك ايها العبد الا ولله
عليك فيها حق جديد من ذكر او فكرة او نظرة او من مراقبة
او مشاهدة او من خدمة حسية او معنوية قد علم كل اناس
مشربهم وامر اكيد من التحقق بالعبودية والقيام بوظائف
الربوبية فان غفلت عن الحق الجديد والامر الاكيد فى وقت
ما ودخل الوقت الثانى فقد فاتك القضا وندمت على ما
مضى فكيف يمكن ان تقضى فى الوقت الثانى حق غيره
وهو ايضا له حق يجب عليك ان تؤديه فيه فلا يمكنك
ان تقضى حق الوقت الاول فى الوقت الثانى وانت لم تقض
حق الله فيه اى فى الوقت الثانى والحاصل ان كل وقت له حق
فان فات فلا قضاء له ولذلك قالوا فى اهل داب التصوف
هو ضبط الانفاس وحفظ الحواس والانفاس هى دقائق الساعات
وضبطها هى عمارتها بانواع الطاعات فاذا اضيع
حقوق الساعات خرج عن ادب التصوف والله تعالى اعلم قال
الشيخ ابو العباس رضى الله عنه اوقات العبد اربعة لا خامس
لها نعمة او بلية طاعة او معصية ولله على عبده فى كل وقت
منها حق ففى النعمة الشكر وفى البلية الصبر وفى الطاعة شهود
المنة وفى المعصية اللجاء والانابة وطلب الاقالة اه بالمعنى
وفى هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام من اعطى فشكر

وابتلى

٩

٢٤٢

وابتلى فصبر وظلم فغفر واذنب فاستغفر ثم سكت عليه
السلام فقالوا ماله يا رسول الله قال اولئك لهم الامن وهم
مهتدون اى لهم الامن يوم القيمة وهم مهتدون فى الدنيا
وقيل لهم الامن فى الدارين وهم مهتدون الى حضرته فى الكونين
والاول اصح واعلم ان القيام بحقوق الاوقات على التمام يكاد ان
يكون متعذرا فى حق البشر قال تعالى وما قدروا الله حق قدره
اى ما عبدوه حق عبادته وما عرفوه حق معرفته فلهذا كانت
حقوق الاوقات لا يمكن قضاؤها لانها راجعة لحفظ الانفاس
والخطرات وقد اعيى الرجال حفظها فى حال الصلاة فكيف فى
كل وقت لكن قد يختص برحمته من يشاء قال بعضهم منذ
عشرين سنة ما خطر على قلبى شىء سوى الله تعالى وقال
الشيخ ابو الحسن من احب الله لم يستعمل جوارحه الا فيما يوافق
محبوبه وانفاسه كلها محفوظة بالطاعة ولو حيل بينه وبين
الخدمة لفارق الدنيا من ساعته لان الطاعة قد صارت غذاء
ارواحهم فان فارقوها ماتوا اه نفعنا الله بهم اميين
ثم فى تضييع حقوق الاوقات تضييع العمر الذى هو اعز من
الكبريت الاحمر وهو الذى نبه عليه بقوله ما فاتك من
عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له قلت عمر المومن
هو راس ماله فيه ربحه وخسرانه فمن شديده عليه كان
من الفائزين ومن ضيعه فى البطالة والتقصير كان من
الخاسرين فما فات منه فى غير طاعة ربه لا عوض له اذ ما
ذهب لا يرجع ابدا وما حصل لك منه لا قيمة له تفى بقدره
اذ لو اشتريت ساعة منه بملاء الارض ذهبا لكان نزرا فى حقه

لأن ساعة منه تذكر الله فيها تنال بذلك ملكا كبيرا ونعيما
مقيما لو بيعت الدنيا بحذافيرها ما بلغت منه عشر العشر ولاجل
هذا المعنى اشتدت محافظة السلف الصالح على الاوقات وبذ
بذلوا مجهودهم فى اغتنام الساعات ولم يقنعوا من انفسهم
الا بالجد والتشمير ولم يسمحوا لها فى الراحلة والبطالة بقليل
ولا كثير وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تاتى
على العبد ساعة لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة يوم
القيمة وقال على كرم الله وجهه بقية عمر العبد ما لها ثمن يدرك
بها ما فات ويحيى بها ما مات وقال الجنيد رضى الله عنه
الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شيء اعز من الوقت وفى معناه
قيل • السباق السباق قولا وفعلا • حذر النفس حسرة المسبوق •
وقال الحسن البصرى رضى الله عنه ادركت اقواما كانوا على
انفاسهم واوقاتهم اشد حفظا واحرص شفقة منكم على
دنانيركم ودراهمكم كما لا يخرج احدكم درهمه ولا دينارة الا
فى رد منفعة واستجلاب فائدة كذلك كانوا لا يضيعون نفسا
من انفاسهم فى غير طاعة ابدا كان سيدنا على رضى الله عنه
يقول لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صنعت
طعاما فميعيه اى اجعليه مائعا خفيفا فان بين المائع
واليابس خمسين تسبيحة وقال ابو على الجرجانى ما مضغت
الخبز منذ اربعين سنة وانما اسف السويق واعود لذكر الله
تعالى قال وقد كنت عددت ما بين المدغ والبلع ستين
تسبيحة وقيل ان ساعات الليل والنهار اربع وعشرون
ساعة تبعث يوم القيمة خزائن مصفوفة اربعا وعشرين

خزانة

خزانة فمن كان عمرها فى الدنيا بطاعة الله رآها خزائن
معمورة بالنعيم ومن كان ضيعها رآها خزائن فارغة خاوية
فيتحسر عليها ويندم وجاء فى الخبر ان اهل الجنة بينما هم فى
نعيمهم اذ سطع لهم نور من فوق اضاءت منه منازلهم
كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فينظرون الى رجال من فوقهم
اهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الدرى فى افق السماء وقد
فضلوا عليهم فى الانوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على
سائر النجوم فينظرون اليهم يسيرون على نجب تسرح بهم
فى الهوى يزورون ذا الجلال والاكرام فينادى هؤلاء يا اخواننا
ما انصفتمونا كنا نصلى كما تصلون ونصوم كما تصومون
فما الذى فضلتم به علينا فاذا النداء من قبل الله عز وجل انهم
كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين ترووت و
ويعرون حين تكسون ويذكرون حين تنسون ويبكون حين
تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تامنون
بذلك فضلوا عليكم اليوم فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون اهـ ومما يعين على حفظ
الاوقات واتصال الطاعات الزهد فى السوى ومحبة المولى فان
من احب شيئا اكثر من ذكره وخدمه وخضع له وكان عبدا
حقيقة له كما اشار الى ذلك بقوله ما احببت شيئا الا كنت
له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا قلت القلب اذا
احب شيئا اقبل اليه وخضع له واطاعه فى كل ما يامره
ان المحب لمن يحب مطيع وهذه حقيقة العبودية الخضوع
والطاعة للقلب له وجهة واحدة وليس للانسان الا قلب

هذا مح

واحد قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واذا كان
للقلب وجهة واحدة فمهما اقبل بها على مولاه اعرض عما
سواه وكان عبد الله حقيقة واذا اقبل على هواه اعرض قطعا عن
مولاه وكان عبدا لسواه والحق سبحانه لا يرضى لعبده ان يكون
عبدا لغيره قال تعالى في ذم من كان عبد الهواه افرايت من اتخذ
الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل
على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله فالآية نص في ذم
من احب هواه واتخذه ربا من دون مولاه **واما** تفسير اهل الباطن
فهو اشارة لا تفسير معنى **وفي الحديث** ان للقرآن ظاهرا
وباطنا وحدا ومطلعا فقد ورد عن شيخ شيوخنا سيدي
محمد بن عبد الله في اشارة هذه الآية الآية انه يمكن ان
يكون مدحا ومعناه حينئذ افرايت من اتخذ الهه الذي خلقه
هواه لا يحب سواه واضله في محبته على علم وبينة من ربه وختم
على سمعه وقلبه بمحبته وجعل على بصره غشاوة منعه من النظر
لما سواه فمن يهديه هذه الهداية العظمى من بعد الله
لا هادي له سواه وهذا في ظاهر العبارة خارج عن سياق ظاهر
الآية لكنه باطنها ولا يصح تفسير الآية به واعلم ان تفسير هذه
الطائفة لكلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
على غير المعنى المعهود ليس هو عندهم عين المعنى المراد ولكنهم
يقررون الآية والحديث على ما يعطيه اللفظ ثم يفهمون
اشارات ودقائق واسرار خارجة عن مقتضى الظاهر خصهم
الله بها لصفاء اسرارهم هكذا ذكر المؤلف في لطائفه ثم نرجع
الى ما كنا فيه من طلب العبودية لله والحرية مما سواه قال صلى

الله

والخميصة

الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة وفي
رواية والزوجة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش **وقيل**
للجنيد من العبد قال من بقي في قلبه ادنى علاقة غير الله لأن
المكاتب عبد ما بقي عليه درهم قيل له ومن الحر قال من تخلص
من رق طبعه واستنقذ قلبه من شهوات نفسه **وكان** للشبلي
تلميذ فكساه رجل يوما جبة وكان على راس الشبلي قلنسوة
فخطر على قلب التلميذ محبة القلنسوة ليجمعها مع الجبة
فكاشفه الشيخ فأزال له الجبة وجمعها مع القلنسوة ورمى
بهما في النار وقال له لا تبق في قلبك التفاتا لغير الله
وانكر عليه بعض الظاهر المتجمد بن على ظاهر الشريعة   اهل ح
جهلا بالمقصود لأن اعمال الصوفية مبنية على العبادة
القلبية لأن الاعمال الظاهرة ان لم يوافقها القلب كانت
اشباحا خاوية وبالله التوفيق واعلم ان من تخلص من رق
طبعه واستنقذ من اسر نفسه فقد تحقق بمحبة ربه
والمحبة لها بداية ووسط ونهاية فأول المحبة وبدايتها
ملازمة امتثال الامر واجتناب النهي قال تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ووسطها لهج اللسان
بالذكر وتعلق القلب بشهود المحبوب ونهايتها لا تدرك
بالعبارة ولا تلحقها الاشارة وفي هذا المعنى قيل

فلم يبق الا الله لا رب غيره ، حبيب لقلب غاب عن كل مقصد
هنيئا لمن قد نال حب حبيبه ، وخاض بترك الغير اكرم مورد
نعيم بلا حد لديه مجدد ، على عدد الانفاس في كل مشهد

روى ان ابا يزيد رضي الله عنه كان بحذاء المنبر فقرأ الخطيب

فقرأ

وماقدروا الله حق قدره فصبر نفسه حتى طار الدم من عينه فهذه
المعانى لاتدركها العامة ولا الخاصة وانما يذوقها خاصة
الخاصة وانشدوا

وحقك لوافنيت قلبى صبابة … لكنت على هذا حبيبا الى قلبى
ازيد على عذل العذول تشوقا … ووجدا على وجد وحبا الى حب
ابى القلب الا انت فى كل حالة … حبيبا ولو دارت عليه يد الكرب
فلا تبتليه بالبعاد فانما … تلذذ انفاس المحبين بالقرب

ومعنى محبة الله لعبده حين يقبل عليه هو تقريبه لحضرته
وهدايته لمحبته من غير نفع له فى ذلك اذ لا تنفعه طاعة
من اقبل عليه ولا تضره معصية من ادبر عنه اذ هو غنى عن
الكل كما اشار الى ذلك بقوله لا تنفعه طاعتك ولا
تضره معصيتك وانما امرك بهذا ونهاك عن هذا
لما يعود اليك لا يزيد فى عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص
من قدره ادبار من ادبر عنه قلت الحق سبحانه غنى عن كل
شيء مفتقر اليه كل شيء لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره
معصية العاصين وسيأتى فى المناجات الهى تقدس رضاك
ان تكون له علة منك فكيف تكون له علة منى انت الغنى
بذاتك ان يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عنى
اه فلا تنفعه ايها العبد طاعتك فيكون محتاجا اليها
تعالى الله عن ذلك ولا تضره معصيتك فيكون مقهورا بها
وهو القاهر فوق عباده فانما امرك بالطاعة ليقربك اليه
ان رحمت الله قريب من المحسنين وانما نهاك عن المعاصى
لما جعل فيها من علامة البعد عن حضرته فما امر الله بشيء

الاوفيه

الاوفيه تقريب وءاداب للحضرة وما نهى الله عن شيء
الاوفيه ضرر وابعاد عن الحضرة لما فيه من سوء الادب
والتحقيق انه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يزيد
فى عزه اقبال من اقبل عليه لأن عزته ازلية قديمة ولا
ينقص من عزه ادبار من ادبر عنه لأنه غنى عن العالمين
وفى الحديث القدسى لو ان اولكم وءاخركم وانسكم وجنكم
كانوا على اتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك فى ملكى شيئا
ولو ان اولكم وءاخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل
واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا الحديث خرجه مسلم
فى صحيحه ومن اسمائه تعالى القدوس قال بعضهم معناه
انه منزه عن كل كمال لا يليق بذاته ولا يقال انه منزه عن
النقائص اذ لا تصح نسبتها اليه حتى ينزه عنها اذ لا ينفى
عن الشيء الا ما يصح اثباته له فان نفيت ما لا يصح اثباته
فربما يكون نقصا كما يقال السلطان ليس بجزار ومن
اجاز ذلك فانما مراده التعميم وكمال التقديس والتنزيه
قال بعضهم لو اراد الخلق تنزيه الخالق الا بلسان العجز
ما استطاعوا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصى ثناء
عليك انت كما اثنيت على نفسك اه ثم قال ذلك البعض
ان صفات البارى واسماءه كلها كليات والمخلوق جزء والجزء
لا يحيط بالكل ولا يدرك حقيقته فليتحرز من التاويلات
المخرجة عن المعنى اللائق بجناب الحق مسلما اذ لا يعرف الله
الا الله وانشدوا

لا يعلم الله الا الله فاتئدوا … والدين دينان ايمان واشراك

وللعقول حدود لا تجاوزها ، والعجز عن درك الادراك ادراك ،
فهذه اوائل المعرفة واما وسطها فهو اغتراف من بحر الحقيقة
واستشراف على غوامض الطريقة ولا تسعه كل عقول العامة
وانما يخوض فيه الخاصة فان ما تقدم كان فيه استدلال بالاسم
على المسمى وهذه مرتبة تسقط التفرقة بين الاسم والمسمى
وبين الصفة والموصوف ثم قال ولهذا قالوا الجمع سقوط التفرقة
وليس بعد هذا الاجمع الجمع وهو غاية المعرفة فاول المعرفة
دلالة الصنعة على الصانع ووسطها دلالة الصانع على الصنعة
وغايتها تلاشى كل ما دون الحق كل من عليها فان ويبقى وجه
ربك ذو الجلال والاكرام اه قاله الشطيبي مختصرا هذا اخر
الباب الثاني والعشرين وحاصلها الترغيب في تحصيل الانوار
بالتفرغ من الاكدار فاذا فرغت قلبك وتاخر الفتح عليك فلا
تستبطئ منه وجود النوال ولكن استبط من نفسك وجود الاقبال
ولا يكمل اقبال العبد على ربه حتى يستغرق الاوقات كلها في
طلبه فكل وقت من العمر لا ثمن له ولا يمكنه التفرغ لحفظ الاوقات
حتى يتحرر من رق الكائنات فاذا تحرر مما سواه كان عبدا حقيقة
لمولاه فحينئذ اجتباه لحضرته اصطفاه من غير منفعة له
فيه ولا ضرر وانما يعود نفعه له وضرره عليه اذ لا يزيد في
عزه اقبال من اقبل ولا ادبار من ادبر وانما وصل من وصل
بمحض فضله وابعد من ابعد بمحض عدله ومعنى وصول
العبد الى مولاه علمه بنور عظمة ربه وسناه كما ابان ذلك
في اول الباب الثالث والعشرين بقوله وقال رضى الله عنه
وصولك اليه وصولك الى العلم به والا فجل ربنا ان يتصل

به

به شيء او يتصل بشيء قلت قد ذكر اهل الفن في هذا المقام
اصطلاحات والفاظا تداولوها بينهم تقريبا لفهم المعاني
فمنها السير والرحيل وذكر المنازل والمناهل والمقامات ومنها
الرجوع والوقوف وكل ذلك كناية عن مجاهدة النفوس ومحا ربتها
وقطع العوائق والعلائق عنها والوقوف مع شيء منها
وسيأتي للمؤلف لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين
ومنها الوصول والتمكين والسكون والطمأنينة ومنها المشاهدة
والمكالمة والمجالسة والمسارة وغير ذلك وكل ذلك كناية
عما ادركته ارواحهم وذاقته اسرارهم من عظمة الحق وجلاله
وسيأتي تفسير شيء من ذلك في محله ان شاء الله ومعنى
الوصول عندهم تحقيق العلم بوجوده وحده فوصولك اليه
هو شعورك بعدمك حتى يكون عدمك عندك ضروريا
وعلمك بوجوده كذلك وهذا الامر كان حاصلا لك في نفس الامر
لكن لم تشعر به وفي هذا المعنى قال بعضهم وبعضه للششتري
بين طلوع ونزول • تخبلت العزول • انا من لم يكن • يبق من لم يزل •
جولكي تزول • او امتزج المحول • فالزوال هو المعرفة وهو معنى
الوصول وسببها جولات الفكرة ولذلك امر بها وقال شيخ
شيوخنا سيدي على الناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون
وسمعت شيخنا يقول الناس كلهم في البحر اي في بحر الوحدة
ولكن لا يشعرون فوصول العبد الى الله هو تحقيق العلم بوجوده
والغيبة عن نفسه وعن كل ما سواه وان لا يكن كذلك بان تعتقد
ان الوصول يكون حسيا فجل ربنا اي تعالى وترفع ان يتصل به شيء
للزوم تحيزه او يتصل هو بشيء للزوم افتقاره وحصره وتعالى الله

عن ذلك علوا كبيرا واعلم ان هذا العلم بالله يكون كسبيا ثم
لا يزال يغيب عن نفسه وحسه سكرة بعد سكرة وحيرة بعد حيرة
حتى يصحو وينجلى عنه ضباب الحس وسحاب الجهل وظلمة
النفس فتشرق عليه شمس النهار وتنجلى ظلمة الاغيار وفى ذلك قيل

ليلى بوجهك مشرق + وظلامه فى الناس سارى
الناس فى سدف الظلام + ونحن فى ضوء النهار

اى ليل وجودى صار مشرقا مضيئا بسبب شهود ذاتك وظلام ليل القطيعة سار فى جل الناس الناس فى جوف ظلمة الاكوان ونحن فى ضوء شموس العرفان ثم لا يزال فى تربية الشيخ وتحت حضانته ومدده سار اليه بقدر صدقه حتى يسلم له خصيم الفرق الظلمانى وينفرد النورانى ويحس ذلك من نفسه فحينئذ يقول بلسان الحال اى الخصم فارتفع النزاع فاذا انفرد الخصم النورانى استمد من كل شيء وشرب من كل شيء واخذ النصيب من كل شيء فيبقى وصوله الى الواسطة شكرا واحسانا ان اشكر لى ولوالديك وينشد حينئذ بلسان حاله ومقاله

الحمد لله لا تفنى محامده ++ والحمد لله فى الآصال والبكر
من يهده الله اضحى عالما فطنا + بالله فى كل ما يبدو من الصور
يا طالب الوصل جد بالنفس ملتفتا + عنها الى منزل الاشياء بالقدر
فان ظفرت فانت الفرد والعلم الـ + ـمنعوت بالحسن والحسنى لذى نظر

ومنها اى من اصطلاحاتهم ذكر القرب والاستشراف والمراقبة وفسر الشيخ معنى القرب فقال قربك منه ان تكون مشاهدا لقربه والا فمن اين انت ووجود قربه قلت اذا حققت
ان

ان الاكوان ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته علمت علم يقين ان الاكوان والمكان والزمان لا وجود لها وان الحق كما كان وجوده ولا اين ولا مكان بقى كذلك لا اين ولا مكان ولا زمان نورا حديته محى وجود الاكوان فانتفى بوجوده الزمان والمكان ولم يبق الا الواحد المنان وفى البخارى عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وانا الدهر بيدى الليل والنهار فالوجود الحقيقى انما هو لذاته واثر صفاته تجلى واستتر واختفى فيما ظهر فاذا علمت هذا علمت انه تعالى قريب من كل شيء محيط بكل شيء ولا شيء الا الذى ليس كمثله شيء لكن حكمة الحكيم اثبتت الحادث والقديم فمن فتح الله عين بصيرته شهد عدمه لوجوده فابصر الحق محيطا به وماحيا لوجوده ومن طمس الله عين بصيرته لم ير الا الفرق ولم يدرك الا البعد فاذا اراد الله ان يقربه اليه فتح شعاع بصيرته فيبصر الحق قريبا منه ومحيطا به روى ان الشيخ ابا الحسن رضى الله عنه قال يوما بين يدى استاذه اللهم اغفر لى يوم لقائك فقال له شيخه هو اقرب اليك من ليلك ونهارك ولكن الظلم اوجب الظلال وسبق القضاء حكم بالزوال عن درجات الانس ومنازل الوصال وللظالم يوم لا يرتاب فيه ولا يحال والسابق قد وصل فى الحال اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين اه كلامه رضى الله عنه فمعنى قربك من الحق ان تكون مشاهدا لقربه منك قرب وجود واحاطة وذلك بعد ان تلطفت عوالمك وفنيت

وحده

دائرة حسك وحينئذ يتحقق قربك منه قال تعالى واذ
قلنا لك ان ربك احاط بالناس وقال تعالى اولم يكف بربك
انه على كل شيئ شهيد الآية وان لا تعتقد هذا واعتقدت
وجود نفسك وثبوت حسك الوهمي فلا تشاهد الا البعد
فمن اين انت ووجود قربك الحسي من نوره اللطيف حتى تراه
بعين الحس فما دمت في عالم الاشباح فانت بعيد من عالم
الارواح في حال قربك منه كما قال القائل

ومن عجب اني احن اليهم ، واسئل شوقا عنهم وهم معي ،
وتبكيهم عيني وهم بسوادها ، ويشكوا النوى قلبي وهم بين اضلعي ،

سبحان من بعد قوما في حال قربهم وقرب قوما من غير بعدهم من عين
وراجع ما تقدم لنا في الشرح عند قوله شعاع البصيرة الخ
تفهم المسئلة على اصلها وحق هذه الحكمة ان تتقدم على
التي قبلها لان القرب سابق على الوصول ولما ترتب على ذكر
الوصول من ذكر الواردات والامر قريب والله تعالى اعلم
وقال الشيخ زروق رضي الله عنه في شرح هذه الحكمة
القرب في الجملة على ثلاثة اوجه احدها قرب الكرامة وهو
تقريب الحق عبده حتى يكون مشاهد القربه منه فيتولاه
دون ما سواه الثاني قرب الاحاطة احاطة العلم والقدرة
والارادة وعموم التصرف وهذا هو قرب الحق من عبده الثالث
قرب المناسبة والمسافة ولا يصح في جناب الربوبية لاستحالة
المسافة عليه وتغي مناسبة العبد للرب فتقدير الكلام قربك
منه على وجه الكرامة ان تكون مشاهد القربه منك على وجه
الاحاطة والا فمن اين انت ووجود قربه على وجه التناسب
والمسافة

٢٤٩

والمسافة اه وانما نقلته لعلمي ان الكتاب يطالعه من يحسن
العوم ومن لا يحسنه فاذا خاف من البحر وجد جزيرة ياوي
اليها وبالله التوفيق ومن حصل على مقام القرب والوصول
ترد عليه الحقائق العرفانية والاسرار الربانية والعلوم اللدنية
تارة ترد مجملة ثم يقع التفصيل وتارة مفصلة وهو غالب
واردات اهل التمكين والغالب ان هذه الواردات انما ترد بعد
بعد الفتح والوصول ولذلك قلنا الاحسن لو قدم الشيخ مقام
القرب ثم يذكر مقام الوصول ليتصل بهذه الحكمة التي
تكلم فيها على الواردات حيث قال الحقائق ترد في حال التجلي
مجملة وبعد الوعي يكون البيان فاذا قرأناه فاتبع
قرآنه ثم ان علينا بيانه قلت الحقائق هي ما يرد على
قلب العارف من تجليات العلوم والحكم والمعارف فتارة تكون
علوما وتارة تكون حكما ومعارف وتارة تكون كشفا بغيب
كان او سيكون وحكمة ذلك الروح اذا تخلصت وتصفت من
غبش الحس كان غالب ما يتجلى فيها حقا ثم ان هذه الحقائق
قد ترد في حال التجلي مجملة فيقيدها الانسان كما تجلت
ثم يتفكر فيها فيتبين معناها فبعد الوعي وهو الحفظ يكون
البيان ثم استدل باية الوحي لان الوحي على اربعة اقسام
وحي الهام ووحي منام ووحي اعلام ووحي احكام
فشاركت الانبياء الاولياء في ثلاثة وحي الهام ووحي منام
ووحي اعلام وهو الفهم عن الله وانفردت الانبياء بوحي
الاحكام فالاولياء لهم وحي الالهام ويكون اولا مجملا
في القلب فاذا قرأه واظهره تتبعه وبينه قال تعالى فاذا قرأناه

فاتبع قرآنه كما قرأناه عليك ثم ان علينا بيانه حتى تفهمه
وتبينه للناس كان عليه السلام يعالج من التنزيل شدة
مخافة ان ينساه فلما نزلت الآية كان يستمع لجبريل فاذا
فرغ قرأه كما انزل فالوحى الذى هو وحى احكام مصون
فلا ينسى بخلاف وحى الالهام فلذلك ينبغى للولى ان يقيد
تلك الواردات فى ميادين الحكمة فى حال التجلى تكون
كالجبل فاذا غفل عنها ترجع كالجمل فاذا غفل عنها بعد رجعت
كالثور ثم كالكبش ثم كالبيضة ثم تغيب وكذلك كان
شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه لا تفارقه
الدواة والقلم والقرطاس ليقيد المواهب وكذلك كان
اشياخنا وكانوا يأمرون بذلك **قلت** وجل هذا الشرح
الذى نقيده انما هو مواهب لأنى اكتب الحكمة ولا ندرى
ما نكتب فنقف مفتقرا الى ما عند الله فاذا ورد شيء من
عند الله كتبته اولا ثم ننظر فى كتب القوم ان وجدت
نقلا غريبا موافقا لما افاض الله علينا كتبته والا تركناه
واكتفينا بما آتى الله وكثيرا ما نكتب الكلام ثم نطالعه
ونستغرب انى كتبته او صدر منى وذلك كله ببركة صحبة
اشياخنا فجزاهم الله عنا احسن جزائه ولقد كنت فى حال
الرياضة والمجاهدة اذا اردت ان نتكلم فى التفسير او غيره
نشرع فى الكلام ثم نغيب فكنت نحس بالكلام يخرج منى
من غير اختيار كانه السحاب فتصدر منى علوم وحكم فاذا
سكت لم يبق منها الا القليل **ولقد** حضر معنا ذات يوم
رجل صالح كبير السن فسمع ذلك فقال والله لقد حضرت
مجالس

مجالس العلماء والصالحين والله ما رأيت مثل هذه الجواهر
واليواقيت التى تخرج من سيدى فلان فبقيت كذلك
مدة عمرانى لم نكن نقيد شيئا ثم انتقل ذلك الى حال
التقييد فصار القلم عندى افصح من عبارة اللسان **وكان**
بعض العارفين يقول لأصحابه اذا كنت نتكلم عليكم نكون
نستفيد من نفسى ما يجريه الله على لسانى كما تستفيدون
انتم منى وفى ذلك يقول ابن الفارض رضى الله عنه

ولا تك ممن طيشته طروسه ۔ بحيث استخفت عقله واستفزت
فثم وراء النقل علم يدق عن ۔ مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته منى وعنى اخذته ۔ ونفسى كانت من عطائى ممدتى

وكان الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه اذا استغرق فى الكلام
وفاضت عليه العلوم يقول هلا رجل يقيد عنا هذه الاسرار
تعلموا الى رجل صيره الله بحر العلوم او كلاما نحوه وكان
يحضر مجلسه اكابر وقته كعز الدين بن عبد السلام وابن الحاجب
وابن عصفور وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذرى
وكان عز الدين بن عبد السلام اذا سمع كلامه يقول هذا كلام
قريب عهد بالله **وكان** الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد
يقول والله ما رأيت اعرف بالله من ابى الحسن الشاذلى رضى
الله عنه وكان فى كل سنة يطلع الى القاهرة ويجتمع عليه
مشايخ القاهرة ومصر ومن بتلك الناحية فيفيض عليهم
بالعلوم والمواهب الربانية والاسرار اللدنية فلما مات رضى
الله عنه واستخلفه ابو العباس المرسى جعل يطلع الى القاهرة
كما كان يفعل شيخه فاجتمع اليه جماعة من اكابر مصر وعلمائها

وقالوا يا شيخ كان الشيخ ابو الحسن اذا جاء الى هذا الموضع
يجيئ لعقدنا ونتبرك بقدومه وما نسمع منه من مواهب
الله تعالى وانت قد اقامك الله مقامه فنحب ان نتبرك
بكلامك فقال لهم اذا كان صبيحة غد يجيئ اليكم ان شاء الله
فلما كان صبيحة غد امر اصحابه بالمسير الى مصر وامر بحمل
رسالة القشيري رضي الله عنه قال ابن الصباغ فحملتها
ووصلنا الى جامع عمرو بن العاص فوجدناه قد امتلاء باكابر
اهل مصر وعلمائها فقال لي منتقد ومعتقد قال فجلسنا
بشرقي الجامع فقال اخرج رسالة القشيري فاخرجتها فقال
اقرا فقلت وما اقرا قال الذي يظهر لك ففتحنا الكتاب
فوجدنا باب الفراسة فقرات اول الباب فلما فرغت من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي اغلق الكتاب ثم قال
الفراسة تنقسم الى اربعة اقسام فراسة المؤمنين وفراسة
الموقنين وفراسة الاولياء وفراسة الصديقين فاما فراسة
المؤمنين فحالها كذا ومددها من كذا ثم تكلم بكلام عظيم
ثم انتقل الى فراسة الموقنين فتكلم بطبقة اعلا ثم قال واما
فراسة الاولياء فمددها من كذا وحالها من كذا وتكلم في ذلك
بكلام موهوب غير مكسوب اذهل عقول الحاضرين
واستغرق بذلك الى اذان الظهر والناس يبكون ورايت العرق
ينحدر من جبينه حتى ينحدر على لحيته وكانت لحيته كبيرة
اه وقال في لطائف المنن وكنت انا لامره من المنكرين وعليه
من المعترضين لا لشيئ سمعته منه ولا لشيئ صح نقله عنه
حتى جرت مقاولة بيني وبين بعض اصحابه وذلك قبل
صحبتي

صحبتي اياه وقلت لذلك الرجل ليس الا اهل العلم الظاهر
وهؤلاء القوم يدعون امورا عظاما وظاهر الشرع ياباها
فقال لي ذلك الرجل بعد ان صحبت الشيخ تدري ما قال لي
الشيخ يوم تخاصمنا قلت لا قلت دخلت عليه فاول ما قال لي
هؤلاء كالحجر ما اخطاك منه خير مما اصابك فعلمت ان
الشيخ كوشف بما قال ولعمري لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاما
فما سمعت منه شيئا ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله
عنه من يقصد الاذى وكان سبب اجتماعي به ان قلت
في نفسي بعد ان جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل
دعني اذهب فارى هذا الرجل فصاحب الحق له امارة لا يخفى
شانها فاتيت الى مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي
امر الشارع بها فقال الاول اسلام والثاني ايمان والثالث
احسان وان شئت قلت الاول عبادة والثاني عبودية
والثالث عبودة وان شئت قلت الاول شريعة والثاني
حقيقة والثالث تحقق او نحو هذا فما زال يقول وان شئت
قلت وان شئت قلت الى ان ابهر عقلي وعلمت ان الرجل
انما يغرف من فيض بحر الهي ومدد رباني فاذهب الله
ما كان عندي الى اخر كلامه فهذه الحقائق التي يفيضها
الحق تعالى على قلوب اوليائه فينطقون بها تكون اولا مجملة
فاذا حفظت وتقيدت تبين معناها فمنها ما تدركه العقول
ويطابق المنقول ومنها ما لا تفهمها العقول فتكلها
الى اربابها ولا تنتقدها عليهم بمجرد سماعها وانظر قول
ابن الفارض رضي الله عنه

فثم وراء النقل علم يدق عن • مدارك غايات العقول السليمة
ومع هذا كان الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه يقول اذا عارض
كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع
الكشف وقل لنفسك ان الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب
والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والالهام ومثل هذا ايضا
قول الجنيد ان النكتة لتقع في قلبي من جهة الكشف فلا
اقبلها الا بشاهدي عدل الكتاب والسنة ولا يلزم من عدم
العمل بها انتقادها على اهلها فان العلم واسع له ظاهر وباطن
ومسائل الالهامات تارة ترد على حسب العلم الظاهر وتارة
ترد على حسب العلم الباطن فان لم تفهم فسلم ودع ما تعرف
لما لا تعرف وكان الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
يقول من اداب مجالسة الصديقين ان تفارق ما تعلم لتظفر
بالسر المكنون اه يعني اذا اردت ان تظفر بما عندهم من
السر المكنون فاسقط عنهم الميزان في اقوالهم وافعالهم
واحوالهم واما ما دمت تزن عليهم بميزان علمك فلا تشم
رائحة من سرهم وكان شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه
يقول طريقتنا لا ينال منها شيئا الا من يصدق بالمحال
فان اردت يا اخي ان يهب عليك نسيم اسرارهم ونفحات
مواهبهم فدع ما تعرف الى ما لا تعرف واغتسل من علمك وعملك
حتى تفتقر الى ما عندهم كما فعل شيخ طريقتنا الشاذلي رضي
الله عنه ولقد حدثني من اثق به ان الشيخ ابا الحسن رضي
الله عنه طلع الى الشيخ ابن مشيش رضي الله عنه بالميزان
فلم يشم رائحة الولاية فرجع ثم طلع ثانيا كذلك فرجع كما
طلع

طلع فلما اسقط الميزان واغتسل من علمه وعمله وطلع فقيرا
اغناه الله قال له الشيخ ابن مشيش يا ابا الحسن طلعت الينا
فقيرا من علمك وعملك فاخذت منا غنى الدارين اه نفعنا
الله بذكرهم ونفح علينا ما نفح عليهم حتى نستغني بهم غنى
لا فقر معه ابدا امين ثم ان هذه الواردات التي تتجلى بالحقائق
والعلوم انما هي واردات اهل النهاية واما واردات اهل البداية
فانها تاتي قوية قهارية اما بخوف مزعج او شوق مقلق
لترحله عن شهواته وعوائده وهي التي ذكرها الشيخ
بقوله متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت
العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
قلت الوارد الالهي هو قوة شوق او اشتياق او محبة يخلقها
الله في قلب العبد وقد تنشا عن قوة خوف او هيبة او جلال
فتزعجه تلك القوة الى النهوض الى مولاه فيخرج عن عوائده
وشهواته وهواه ويرحل الى معرفة ربه ورضاه وقد تترادف
عليه انوار تلك المحبة والشوق فتغيبه عن حسه بالكلية
وهو الجذب وانما جمع الواردات باعتبار تلك المحبة والشوق
فانها لا تهدم عوائدها الا ان كثرت وتزايدت وتسمى
ايضا هذه الواردات نفحات قال عليه السلام ان لله نفحات
فتعرضوا لنفحاته فمن لم ترد عليه هذه الواردات اختيارا
فليتعرض لها بصحبة العارفين اهل الاكسير الذي يقلب
الاعيان فان صحبهم ولم ترد عليه فليخرق عوائد نفسه
من الظاهر فانها تدخل منه الى الباطن فمتى وردت عليك
حينئذ تلك الواردات الالهية هدمت العوائد عليك وافسدتها

لديك فنرد عزك ذلا وغناك فقرا وجاهك خمولا ورياستك
تواضعا وحنوا وكلامك صمتا ولذيذ طعامك خشنا وشبعك
جوعا وكثرة كلامك صمتا وقرارك في وطنك سياحة وسفرا
هكذا شأن الوارد الالهي يخرب العوائد ويهدمها فهو كملك
جبار ذي جيش طغاة دخل قرية او مدينة فافسد بناءها
وغير عوائدها قال تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
اي نزعوها وخربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي رؤساءها
اتباعا مرؤسين وكذلك يفعلون اي هذا شأنهم والاستشهاد
بالآية في غاية الحسن والمناسبة ثم ذكر الشيخ علة هدم الوارد
عوائد الانسان فقال **الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل ذلك**
لا يصادمه شيء الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق قلت انما كان الوارد الذي يرد على قلوب
السائرين او الطالبين قويا شديدا لانه ياتي من حضرة اسمه
تعالى القهار ليدفع بقهريته كل ما وجد في النفس او القلب
من الاغيار وانما قلنا من حضرة اسمه القهار لان الحق تعالى
له حضرات بعدد اسمائه فاسمه تعالى القهار يتجلى من حضرة
قهريته واسمه جميل يتجلى من حضرة جماله واسمه جليل يتجلى
من حضرة جلاله واسمه رحيم يتجلى من حضرة رحمته واسمه
الحليم يتجلى من حضرة حلمه واسمه الكريم يتجلى من حضرة
كرمه وهكذا فكل اسم يخرج تجليه على وفق حضرته قال تعالى
وان من شيء الا عندنا خزائنه ولو كان هذا الوارد الذي
يرد على قلوب اهل البداية من حضرة الرحيم او الحليم او الجميل
ما امكن ان يدفع بحكمة الله ما صادمه من الباطل وشبهه

الشيخ

الشيخ الباطل وهو كل ما سوى الله كحيوان له دماغ فاذا ضرب
دماغه وتشتت مات كذلك الباطل اذا صادمه الحق اهلكه
وتشتت دماغه فالوارد الالهي محض حق فاذا صادم الباطل
دمغه وقتله ولذلك اتى بالآية التي نزلت في شأن القرآن
مع الكفر فان الكفر تشتت واضمحل حين نزل القرآن
كذلك السوى اذا تجلى الحق بقهريته نوره تشتت واضمحل
وكان الشيخ ابو العباس رضي الله عنه كثيرا ما ينشد
هذه الابيات في هذا المعنى

فلو عاينت عيناك يوم تزلزلت ۞ ارض النفوس ودكت الاجبال
لرايت شمس الحق يسطع نورها ۞ عند التزلزل والرجال رجال

قال والارض ارض النفوس والجبال جبال العقل يعني ان
الوارد الالهي اذا ورد قويا من حضرة قهاريته تعالى دك وجود النفوس
وتدكدكت منه جبال العقول فينكشف له حينئذ عن اسرار خارجة
عن مدارك العقول غير مدركة بعبارة النقول فيصير صاحب
هذا الوارد كله حقا لا يصادم شيئا الا دمغه وهذا المعنى
قصد شيخ شيوخنا القطب ابن مشيش بقوله واقذف بي على
الباطل فادمغه طلب ان يكون حقا محضا يقذف به على
السوى فيدمغه فاذا ذهب السوى واضمحل بقي الحق
الذي لا يفنى ظاهرا لا يخفى كما بان ذلك الشيخ فلله دره
ما ادق نظره في مناسبة الكلام وحسن التخلص لكل مقام
حيث قال **كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو**
فيه ظاهر وموجود حاضر قلت قد كرر الشيخ هذا المعنى
في كتابه مرارا تحريضا على الجمع وتحذيرا من الفرق فقد تقرر

ان الحق تعالى ليس محجوبا بشيء ولا يصح ان يحتجب بشيء
اذ لو احتجب بشيء وجودي لكان ذلك من اثر قدرته وقدرته
لا تفارق ذاته فالصفة لا تفارق الموصوف فما ظهر شيء
من بحر الجبروت الا كان نورا من انواره واثرا من اثر صفاته
وقد قال صاحب العينية

فاوصافه والاسم والاثر الذي ، هو الكون عين الذات والله جامع

فلذلك تعجب الشيخ من تصور الحجاب في حقه تعالى مع ان
كل ما يبرز من عنصر القدرة كله نور من نور ملكوته فائضا
مندفقا من بحر جبروته فتحققت الوحدة وانتفى الحجاب
بالكلية فكل موجود نور الحق فيه حاضر موجود ثم ان
الواردات هي الاحوال والاحوال نتائج الاعمال في الغالب
فلذلك ذكر الشيخ العمل وامرك ان لا تتركه حيث لم تذق
حلاوته والعمل منه ما يجد العامل ثمرته وهو الحال والحلاوة
ومنه ما لا يجد ثمرته عاجلا فلا ينبغي تركه ولا ييأس من
ثمرته ولا من قبوله كما ابان ذلك بقوله لا تيأس من
قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل
ما لم تدرك ثمرته عاجلا قلت قد تقدم قوله من
وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول ولا يقتضي
المفهوم انه ان لم يجد ثمرته فليس بمقبول بل هو مسكوت
عنه فان توفرت فيه شروط القبول من جهة الشريعة
ان صحبه الاخلاص والتقوى والاتقان الشرعي فهو مقبول
عند الله ان شاء الله سواء وجد ثمرته ام لا قال الله تعالى
انما يتقبل الله من المتقين وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل

الله من مسمع ولا مراء فان كنت متقيا لله في ظاهرك وباطنك
على قدر استطاعتك ومخلصا لله في اعمالك ثم لم تجد حلاوة
العمل ولا حضور قلبك فيه ولم تجد ثمرته من احوال الواجدين
واذواق العارفين فلا تيأس من قبوله عند الله فليس
وجود الحال ولا الحلاوة شرطا في العمل انما هي علامة والعلامة
لا يلزم طردها فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته
عاجلا فيعطيك ثوابه اجلا فلا ينبغي لك ان تستحقر
عملك فتتركه لعدم حضورك فيه او لعدم وجدان حلاوته
بل يجب عليك ان تدوم عليه حتى تجلي ثمرته فمن قرع الباب
يوشك ان يفتح له واسمع قول الشاعر

اطلب ولا تضجرن من مطلب ، فآفة الطالب ان يضجرا
اما ترى الحبل بتكراره ، في الصخرة الصماء قد اثرا

واذكر قضية العابد الذي بقي في مكة اربعين سنة وهو يقول
لبيك اللهم لبيك والهاتف يقول لا لبيك ولا سعديك وحجك
مردود عليك وهو ملازم لم يبرح من موضعه ولم يرجع عن عمله
فجاء اليه رجل يزوره فلما قال الرجل العابد لبيك فقال له الهاتف
لا لبيك فقام الزائر منصرفا عنه وقال في نفسه هذا رجل مطرود
فناداه العابد ما لك فقال يا سيدي انت قلت لبيك والقائل
قال لك لا لبيك فقال له يا هذا لي اربعون سنة اسمع
هذا الخطاب وهل ثم باب اخرى نأتيه منها انا واقف ببابه
ولو طردني الف مرة ما برحت عن بابه فقبله الحق تعالى
فلما قال لبيك قال له الحق تعالى لبيك وسعديك اوكما
قال فانظر من لازم الباب كيف التحق بالاحباب وفتح في وجهه

الباب ولذلك قال عليه السلام احب العمل الى الله ادومه
وان قل وقال ان الله لا يمل حتى تملوا فالمراد من العمل القيام
برسم العبودية وتعظيم جانب الربوبية وليس المراد منها
طلب الاحوال والمقامات فان ذلك قدح فى الاخلاص عند
اهل التوحيد الخاص وقد يكون الحال سببا فى الحجاب لمن
وقف معه واستحلاه ولذلك قال بعضهم اتقوا حلاوة
الطاعة فانها سموم قاتلة اى لمن وقف معها ولم ينفذ
الى شهود المعبود بها فلا تكن عبد الحال وكن عبد المحول
كما نبه على ذلك المؤلف بقوله **لا تزكين واردا لا تعلم
ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار وانما المراد
منها وجود الاثمار** قلت ثمرة الوارد هو هدم العوائد
واكتساب الفوائد والتخلية من الرذائل والتحلية بالمعى
بالفضائل **وان** شئت قلت ثمرة الوارد الصادق هو
ما ينشأ عنه من الذلة والانكسار والخشوع والسكينة وا
والوقار والحلم والزهد والسخا والايثار والتخلص من رق
الشهوات الجسمانية والعوائد النفسانية والخروج من
سجن الاكوان والترقى الى فضاء الشهود والعيان والتحرر
من بد الاغيار والتمحض الى تحقيق المعارف والاسرار
وكل هذا قد تقدم للمؤلف مفرقا قال فى اول الكتاب اورد
عليك الوارد لتكون به عليه واردا اورد عليك الوارد
ليتسلمك من يد الاغيار وليحررك من رق الاثار اورد
عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك الى فضا شهودك
وقال فيما تقدم قريبا متى وردت الواردات الالهية اليك
هدمت

هدمت العوائد عليك وقال ايضا الوارد يأتى من حضرة
قهار لاجل ذلك لا يصادمه شىء الا دمغه انه فاذا ورد
عليك وارد ولم يترك فيك هذه الخصال فلا تزكه واتهم
نفسك فيه لئلا يكون شيطانيا فان الوارد الالهى تعقبه
برودة وسكون وزهد وطمأنينة وفترة والوارد الشيطانى
تعقبه حرارة وقساوة وتكبر وصولة ورؤية نفس فليس
المراد من الحال فرحه وخفته وشطحته انما المراد منه
ثمرته فهو كسحابة الامطار فليس المراد منها وجود
الامطار وانما المراد ما ينشأ عنها من وجود الاثمار فلا
تطلب بقاء الحال فقد يكون بقاؤه ضررا لك فان دوام
الامطار يعود نفعها ضررا والى ذلك اشار بقوله **لا تطلبن
بقاء الواردات بعد ان بسطت انوارها واودعت اسرارها
فلك فى الله غنى عن كل شىء وليس يغنيك** عنه **شىء**
قلت طلب الشىء يدل على محبته ومحبة الشىء عبودية
له والحق تعالى لا يحب ان تكون عبد الغير فلا تطلب معه
حالا ولا مقاما فان وردت عليك الاحوال وهى الواردات
الالهية ثم انقشعت وانصرفت فلا تطلب بقاءها
بعد ان بسطت فى قلبك انوارها فاخرجت منه ظلمة
الاغيار وصور الاثار واودعت اسرارها من مزيد الايقان
وشهود العيان او تقول لا تطلب بقاء الواردات بعد ان
بسطت انوارها من هدم عوائد نفسك عليك فتحررت
من رق الشهوات الجسمانية والعوائد النفسانية وتحليت من
الرذائل وتحليت بالفضائل فهذه اثار انوار الواردات

وبعد ان اودعت اسرارها فى قلبك من اليقين والطمأنينة
والمعرفة او من الزهد والرضى والتسليم او من الخشوع والتو
والتواضع والذلة والانكسار فهذه علامة صدق الوارد
وحصول نتيجته فاذا حصلت النتيجة فلا حاجة للشيخ لشيء خ
فلك فى الله غنى عن كل شيء فلا تفتقر الى شيء وليس يغنيك
عنه شيء وسيأتى للشيخ ماذا فقد من وجدك وما الذى
وجد من فقدك وقال الشاعر
لكل شيء اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض
وفى الاشارة عن الله تعالى لا تركنن الى شيء دونى فانه وبال
عليك وقاتل لك فان ركنت الى العلم تبعناه عليك
وان أويت الى العمل رددناه اليك وان وثقت بالحال
وقفناك معه وان انست بالوجد استدرجناك فيه
وان لحظت الخلق وكلناك اليهم وان اغتررت بالمعرفة
نكرناها عليك فاى حيلة لك واى قوة معك فارضنا
لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا ه وسئل ابو سليمان الدارانى
عن افضل ما يتقرب به الى الله فقال اقرب ما يتقرب به الى الله
ان يطلع على قلبك وهو لا يريد من الدنيا والآخرة سواه ومن
ذلك قيل من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقى
ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقى
فاذا حصل لك الغنى بالله استغنيت عن كل ما سواه فلا
تتطلع فلا تتطلع الى بقاء حال ولا وارد ولا مقام سوى
شهود الملك العلام فتطلعك الى بقاء حال او وارد دليل
على عدم غناك به كما ابان ذلك بقوله تطلعك الى
بقاء

بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له قلت اذ لو وجدته
ما طلبت شيئا ولا افتقرت الى شيء اصلا فكل من يفرح بالوارد
والحال فهو غير متحقق بالوصال وكل من يفتقر لغير الله فليس
بعارف بالله وكل من يحتاج الى شيء او يركن الى شيء فليس
من الله فى شيء وليس على شيء وكثيرا ما كنت نقول للفقراء
كل من تروه يزور غير الشيخ بعد ان قبض الورد فهو باق
من العوام ولم يدخل بلاد الخصوص لقلة صدقه ولو دخل
بلاد الخصوص لاجتمعت همته واجتمع قلبه واستغنى عن
ماء غيره فتعطشه الى غير شيخه دليل على انه لم يشرب من
مائه ولله در القائل ويقال انه الغزالى حيث قال
كانت لقلبى اهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائى
فصار يحسدنى من كنت احسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى
ومن علامة الغنى به ايضا الانس به والوحشة من غيره فالله
يغنى عن كل شيء ولا يغنى عنه شيء فاذا فقد حالا او مقاما
سوى شهود ربه ثم استوحش منه فهو بعيد من الحضرة
كما ابان ذلك بقوله استيحاشك بفقدان ما سواه
دليل على عدم وصلتك به قلت استيحاشك بفقدان
الاحوال والواردات دليل على عدم وصلتك اذ لو وصلت
اليه لم تستوحش من فقدان شيء وفى الحقيقة ما فقدت
شيئا وهذه علامة الغنى بالله انه اذا فقد شيئا مما
هو فى العادة يؤلم فقده كالولد مثلا او قريبا او فاتته
عبادة حسية مثلا وغير ذلك فانه يرجع للمعرفة فالله

يغنى عن كل شئ وهو المقصود من العبيد قال الله تعالى
لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم قال فى التنوير
اعلم ان الله سبحانه انما يد خلك فى الحال لتنال منها
لا ليينال منك وانما جاءت لتحمل هدية التعريف من الله
اليك فيها فتوجه اليها باسمه المبدى فابداها وابقاها
حتى اذا وصلت اليك ما كان لك فيها فلما ادت الامانة
توجه اليها باسمه المعيد فارجعها وتوفاها فلا تطلبن
بقا رسول بعد ان بلغ رسالته ولا بقاء امين بعد ان
بلغ امانته وانما يفتضح المدعون بزوال الاحوال بعزلهم
بعزلهم عن مراتب الانزال هنالك يبدوا العوار وتنهتك
الاستار فكم من مدعى الغنى بالله وانما غناه ببطاعته
او بسوره او فتحه وكم من مدع العز بالله وانما اعزازه بمنزلته
وصولته على الخلق معتمدا على ما ثبت عندهم من معرفته فكن
عبد الله لا عبد العلل وكما كان لك ربا ولا علة فكن عبدا
له ولا علة لتكون له كما كان لك انتهى هذا اخر الباب الثالث
والعشرين وحاصلها الكلام على القرب والوصال وما ينشأ
عن ذلك من مقامات الانزال ونتائج الاحوال والغنى بالله
عنها فى كل حال فهذا هو النعيم على الدوام والاتصال الذى
فتح به الباب الرابع والعشرين فقال وقال رضى الله عنه
النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه
والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو بوجود حجابه
فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بالنظر
الى وجه الكريم قلت نعيم الروح وعذابها انما هو
بشهود

بشهود ربها واحتجابها وذلك بعد تخلصها من عالم
الاشباح وترقيها الى عالم الارواح فيكون حينئذ نعيمها
روح الوصال وريحان الجمال وعذابها احتجابها عن شهود
ذلك الجمال وبعدها عن الكبير المتعال وهذا الامر حاصل فى
دار الدوام لجميع الانام لانه تميز الحق من الباطل وعرف كل
واحد مثواه ومستقره فاهل الجنان احسوا بالرضى والرضوان
فهم عالمون بقرب الحق منهم ورضاه عنهم لكنهم متفاوتون
فى العلم فمنهم من يعلم من وراء الرداء ومنهم من يعرف داخل
الرداء وفى البخارى وما بين الناس وبين ان ينظروا الى
ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ولا يفهم
هذا الرداء الا اهل الاذواق واما اهل النار فاحسوا بالبعد
من الواحد القهار فتضاعف عذابهم فى دار البوار ولو ان
الحق تعالى يتجلى لهم بصفة جماله لانساهم ذلك اليوم
عذابه ولولا انه تعالى احتجب عن اهل الجنة لضاق عليهم
فسيح الجنان ولا تغلب نعيمهم نقمة وعذابا اما من
كان فى دار الدنيا عارفا فلا يحتجب الحق تعالى عنه كما شهده
هنا بوسائط انواره يشهده ثم بلطائف اسراره بل ثم
اولى لغلبة المعنى على الحس والقدرة على الحكمة واما من كان
هنا محجوبا فهو ثم ايضا محجوب قال تعالى ومن كان فى
هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى وللاية تفسيرات
ظاهر وباطن لكن فى دار البقاء يرق الحجاب لرقة الابدان
ولطافتها فلذلك صار نعيمهم لا يكمل الا بشهود القرب
فاذا فقدوه نقص نعيمهم لان فى تلك الدار صار الحكم للارواح

وفى هذه الدار الحكم للاشباح الامن نزقى هنا الى عالم الارواح فهو
من اهل الجنة فنعيمه نعيم الارواح وهو روح الوصال وشهود
الكمال فنعيمه بشهوده اقترابه ورضوانه فلو زال عنهم شهود
القرب او انقطع عنهم مدد الرضوان لضاق عليهم فسيح
الجنان واما نعيم الاشباح وعذابها فعنى من كان محجوبا
بها فانما هو بموافقة ما يلايم طبعه او مخالفته فاذا
جاء ما يلايمه من صحة وعافية وجمال حسى فهو فى حقه نعيم
واذا جاء ما يخالف طبعه من وجع او فقد او منع او فتنة
فهو عذاب فى حقه اذ لا حظ له فى لذة القرب ومرارة البعد
فانما حظه من النعيم نعيم البها ثم نعم لو قدرنا ان
العادة تخرق له ويتجلى الحق تعالى له فى حال عذابه الحسى
بصفة جماله لنسى ذلك العذاب والحاصل ان كلام الشيخ
انما هو فى حق اهل القرب او الشهود بحيث يجد لذة القرب
وحلاوة الشهود ويحس بمرارة البعد وضيق الحجاب فى هذه
الدار وفى تلك الدار هذا ما ظهر لى وهذا الذى ذكره الشيخ
مذوق عند اهل العشق فكم من عاشق ضرب بمحضر محبوبه ارباب
فلم يحس بالم الضرب فلما غاب عنه تضرع واستغاث فقيل له
فى ذلك فقال لما حضر من كنت اضرب من اجله غبت عن
الم الضرب فلما غاب عنى وجدت المه قلت ولهذا المعنى
استلذ العارفون الفاقات وانواع التعرفات وضروب البليات
لما ذاقوا فى ذلك من اقبال محبوبهم ورضى مشهودهم
كان بعض الصحابة رضى الله عنهم الا حبذا المكروهات يقول ح
الثلاث الفقر والمرض والموت اى ما احبهم لى واعزهم
زوجة

زوجة بلال تصيح عند موته واكرباه فيقول هو واطرباه
غدا القى الاحبة محمدا وحزبه ولما ضرب عامر بن فهيرة بالرمح
ونفذ من ظهره الى صدره قال فزت ورب الكعبة وكان بعض الاولياء
مجذوما وهو يدعو للمرضى فيبرؤن من حينهم فقيل له لو
دعوت الله ان يخفف عنك فقال رايت رب العزة فى النوم وهو
يقول لى اتريد ان ابتليك ببلية ارفع لك بها اعلا الدرجات
قلت نعم فاصبح مجذوما فانظر هولاء السادات لما عرجوا
من عالم الاشباح الى عالم الارواح لم يبق لهم نعيم ولا عذاب
الا نعيم الارواح وعذابها واما عذاب الاشباح فقد غابوا
عنه فكان نعيم هولاء وقوت ارواحهم هو ذكر ربهم وشهود
نوره واقترابه حتى صار لهم غذاء لا بقاء لهم الا به ولا غناء
لهم عنه ولو فقدوه لفارقت ارواحهم اشباحهم وفى ذلك قيل

بالقوت احياء الجسوم وذكره ۞ تحيى به الالباب والارواح
هو عيشهم ووجودهم وحياتهم ۞ حقا وروح نفوسهم والراح

وقد قلت فى قصيدة لى عينية

ولى لوعة بالراح اذ فيه راحتى ۞ وروحى وريحانى وخيره واسع
سكرنا فهمنا فى بهاء جماله ۞ فغبنا عن الاحساس والنور ساطع
بدت لنا شمس النهار واشرقت ۞ فلم يبق ضوء النجم والشمس طالع

والحاصل ان نعيم الارواح التى تشاهد محبوبها لا ينقطع عنها
فنعيم العارفين لا ينقطع لان قرب الحق لا ينقطع فمن بعدت
نفسه احس بالعذاب ولزمه الهموم والاحزان والنصب
كما ابان ذلك بقوله ما تجده القلوب من الهموم والاحزان
فلاجل ما منعته من العيان قلت انما كان سبب الهموم هو

فلاجل ما منعت من وجود العيان

فقد الشهود لان الحق تعالى قريب على الدوام رقيب على الدوام
فمن كان قريبا من الحبيب فكيف يحس بفراق شيء او فوات
نظر الحبيب يغيب عن كل بعيد وقريب وايضا كلما ينزل
من عند الحبيب فهو حبيب فلا يلحقه شيء مكروه عنده
حتى يهتم به ولا يفوته محبوب سوى محبوبه حتى يحزن
عليه ففى محبوبه اجتمعت المحاسن كما قال القائل

تذلل له تحظى برؤيا جماله ، ففى وجه من تهوى الفرائض والنفل

وفى هذا المعنى ايضا قال صاحب العينية

تلذ لى الالام اذ كنت مسقمى ، وان تختبرنى فهو عندى صنائع

وبالجمله من كان نظره الى محبوبه ومشاهدا لنوره وجماله
لم يبق له هم ولا غم كما قال ابن الفارض فى شهود الخمرة

فما سكنت والهم يوما بموضع ، كذلك لم يسكن مع النغم الهم

وقال ايضا

ولو خطرت يوما على خاطر امرئ ، اقامت به الافراح وارتحل الهم

ومما اوحى الله تعالى الى داود يا داود لا تمزج هم غيرى بقلبك عليه السلام صح
فتنقص منه حلاوة الروحانيين يا داود انا مصباح قلوب الروحانيين
الروحانيين ومن كنت مصباح قلبه لم يغتم ابدا يا داود انما
مرادى من خلقى ان يكونوا روحانيين اه وبالجملة من كان
عبد الله غائبا عما سواه لم يبق له شيء من الهم لانه قد
حصلت له المعية التى توجب النصر والظفر بكل ما يريد الا
ترى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر لا تحزن صح
ان الله معنا حين احدق به المشركون فكان عليه السلام الصلاة والسلام
فى محل العيان فلم يهمه شيء ولم تقرب من ساحته الاحزان
وكان

وكان ابو بكر فى ذلك الوقت موقنا غير مشاهد فدله عليه السلام
على مقام الكمال لان الشهود فوق الايقان وانشدوا

كبر العيان على حتى انه ، صار اليقين من العيان توهما

ومن جملة ما وقع الاهتمام به لمن لم يكمل يقينه امر الرزق وخوف
الخلق حتى قال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه من ضمنهما لى
ضمنت له الولاية اشار الشيخ الى الاول بقوله من تمام النعمة
عليك ان يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك
قلت من تمام نعمة الله على عبده ان يوجه همته اليه ويفرغ
قلبه من التعلق بغيره كائنا ما كان فيرزقه ما يكفيه عن التعلق
بغيره وهو الغنى بالله اذ لا نعمة اعظم من الغنى بالله والغيبة
عما سواه ويكفيه كل ما يطغيه حتى يشتغل به عن ربه فاذا
رزقك الحق تعالى ما يكفيك لقيام بشريتك اكلا ولباسا ومسكنا
ولقيام روحانيتك علما وعملا وذوقا ومعرفة ومنعك ما
يطغيك ويشغلك عن حضورك مع ربك فقد اتم نعمته عليك
فاشكره على ما اسدى اليك وتوجه اليه وحده فيما تعذر
عليك ودفع ما يشغل قلبك من النهوض اليه ان الله يدافع
عن الذين آمنوا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وقد استعاذ عليه السلام مما يشغل القلب وينسى الرب فقرا
او غنى فكان يتعوذ من الفقر المنسى والغنى المطغى وقال
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وقال عليه السلام خير الذكر الخفى
اى فى القلب وهو الفكرة وخير الرزق ما يكفى وقال عليه السلام
ما طلعت شمس الا وبجنبيها ملكان يسمعان الخلائق
غير الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر

والهى وقال عليه السلام ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى
غنى النفس وفى ذلك قيل
غنى النفس ما يكفيك عن سد خلة ؛ فان زدت شيئا عاد ذاك الغنى فقرا
وقال عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه سمعت ان جارية
مجنونة فى خراب الابلة تنطق بالحكم فكنت اطلبها حتى
وجدتها وهى محلوقة الراس وعليها جبة صوف فلما راتنى
قالت مرحبا بك يا عبد الواحد فعجبت من معرفتها لى ولم
ترنى فقلت لها رحب الله بك ثم قالت ما جاء بك قلت تعظينى
قالت واعجبا لواعظ يوعظ يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا
كان فى كفاية ومال الى شيء من الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد
وظل حيرانا ولها فان كان له عند الله نصيب عاتبه وحيا
فى سره فيقول له عبدى اردت رفع قدرك عند ملائكتى
واجعلك دليلا لاوليائى ومرشدا لاهل طاعتى فملت الى
عرض الدنيا وتركتنى فاورثتك ذلك الوحشة بعد الانس
والذل بعد العز والفقر بعد الغنى ارجع الى ما كنت عليه ارجع
اليك ما كنت تعرفه من نفسك ثم انصرفت عنى وتركتنى
وبقيت حسرتها فى قلبى وفى بعض الكتب المنزلة ان اهون
ما اصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة مناجاتى
اه وانما كانت الكفاية نعمة والزيادة عليها نقمة كما قال
الشيخ لان النفوس مجبولة على حب العطاء وكراهية الفقد
فاذا اعطاها فرحت واذا زال عنها حزنت فمن اراد ان يدوم
فرحه فلا ياخذ فوق كفايته ما يحزن على فقده كما ابان ذلك
بقوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه قلت فاذا اردت
ان يدوم

ان يدوم سرورك فلا تملك شيئا تحزن على فقده لان حزنك على
فقده دليل محبتك له فاذا اقتصرت على الضرورة والحاجة من
مال او جاه او عز او غير ذلك فلا تجد ما تفقده حتى تحزن عليه
قيل لبعضهم لم لا تغتنم قال لانى لا اقتنى ما يغمنى وفى ذلك قيل
ومن سره ان لا يرى ما يسوءه ؛ فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا ؛
فان صلاح المرء يرجع كله ؛ فسادا اذا الانسان جاز به الحدا ؛
يحكى انه رفع لبعض الملوك قدح من فيروزج مرصعا بالجوهر
لم ير له نظير ففرح به الملك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء
عنده كيف ترى هذا فقال اراه مصيبة وفقرا فقال كيف ذلك
فقال ان انكسر كان مصيبة لا صبر لها وان سرق صرت فقيرا
اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك فى امن من المصيبة
والفقر فاتفق انكسار القدح فعظمت مصيبة الملك به
فقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا اه وهنا ميزان احرى احسن
من هذا وهو انك اذا اطلقت من نفسك وجعلتها غرضا لسهام
اقدار ربك لا تعارضه فيما يفعل بك لا شك انك تستريح
ويدوم فرحك لانك حينئذ منتظر ما يبرز من عند الحبيب
فتتلقاه بالرضى والترحيب وهذه حلاوة برد الرضى
والتسليم فان صحبها شهود الفاعل المختار فهو النعيم
المقيم وهذه هى الولاية الكبرى من تقلدها لا يعزل ابدا
كما اشار الى ذلك بقوله ان اردت ان لا تعزل فلا تتول ولاية
لا تدوم لك قلت الولاية التى لا تدوم هى الولاية التى
تاتى من جهة الخلق وهى ولاية الخلق كخطة السلطنة
والقضاء والقيادة وغير ذلك من الخطط التى تقلدها الله بعض

فيروزج

عنها صح

عباده ويدخل فيها ايضا ولاية المال اذا كان يعظم من اجله او النسب اذا كان خاليا عن التقوى او العلم اذا كان خاليا عن العمل وغير ذلك من رياسة الدنيا فانها تفنى وتنقطع ويعقبها ذل وفقر والولاية التى تدوم هى الولاية التى تاتى من جهة الجمع وهى العز بالله والغنى به والمعرفة له والغيبة عما سواه فلا شك ان هذه ولاية لا تنقطع وشرف لا ينفذ وعز لا يبيد **يحكى** ان سيدى عبد الله بن المبارك وكان من تابع التابعين ومن العلماء العاملين الزاهدين قدم على هارون الرشيد فلما دخل العسكر انكب عليه العسكر لزيارته فوقع من الازدحام ضجة كبيرة حتى تقطعت النعال وار وارتفعت الغبرة فاشرفت ام ولد هارون من قصر الخشب فلما رات كثرة الناس وازدحامهم قالت ما هذا قالوا لها هذا عالم خراسان فقالت هذا والله هو الملك والعز لا ملك هارون الذى يجمع الناس بالسوط والعصى وايضا الولاية التى تدوم تنسحب عليه وعلى ذريته ثم تدوم فيهم على قدر جاهه عند الله وعظيم ولايته فكل من عظمت ولايته دامت على اولاده واتباعه بعقد تلك الولاية وهو معنى قوله تعالى على بعض التفاسير وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الاية اى وليخش الذين خافوا على اولادهم فان الله يحفظه فيهم وقيل فى قوله تعالى وكان ابوهما صالحا انه كان جدهم السابع فحفظ الله كنز اليتامى ببركة صلاح الجد والله تعالى اعلم واما ان تولية الولاية التى لا تدوم فكن فيها على حذر ولا تغتر بحلاوة بدايتها فان نهايتها مرارة

كما ابان

كما ابان ذلك بقوله **ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات** قلت الولاية التى لا تدوم كعز بمال او جاه او عشيرة او غير ذلك من عز الدنيا اولها حلو لمتعة النفس ووجود حظها فيها واخرها مر لفقد تلك الولاية ولو بالموت ولما يعقبه من الذل والهوان ولذلك قال عليه السلام نعمت المرضعة وبئست الفاطمة فان رغبتك فى هذه الولاية التى تفنى حلاوة بدايتها زهدتك فيها مرارة نهايتها فان غرتك بظاهر بهجتها فاعتبر بباطن حسرتها ان رغبتك فيها حلاوة اقبالها زهدتك فيها مرارة ادبارها **قال** الشيخ ابو على الثقفى رضى الله عنه اف لاشغال الدنيا اذا اقبلت واف من حسرتها اذا ادبرت والعاقل لا يركن الى شىء اذا اقبل كان فتنة واذا ادبر كان حسرة وانشدوا فى ذلك

ومن يحمد الدنيا لشىء يسره • فسوف لعمرى عن قريب يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة • وان اقبلت كانت كثيرا همومها

وكتب على كرم الله وجهه الى سلمان الفارسى رضى الله عنه مثل الدنيا كمثل الحية لين لمسها قاتل سمها فاعرض عن كل ما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون منها فان صاحب الدنيا كلما اطمان الى سرورها اشخص الى مكروهها وقيل الدنيا احلام منام وسرورها ظل غمام احداثها سهام وفتنها طوام اى امواج وسمها الله بالوحشة وقرنها بالفجائع والدهشة ثم اوحى لها يا دنياى تشددى على اوليائى وتوسعى على اعدائى فمن نظر الدنيا

بعين الانصاف كفاه منها اقل الاوصاف اذ ليس فيها شيئ
محمود الا وقابله شيئ مذموم كالمال بالانصراف والذهاب
والشباب بالهرم والصحة بالسقم والفرح بالحزن والعز بالذل
والحياة بالموت قلت حكى عن الولى الصالح سيدى قاسم بن صبيح
من قبيلة بنى سعيد انه قصد اذاية بعض الحكام ففر الى
سيدى الغزال بنزغه فجلس عند ضريحه مشتكيا بلسان حاله
فمد له من القبر بعود الريحان كاغدا مكتوبا لم يجف مداده
فيه هذان البيتان

اذا ما رماك الزمان يوما بنكبة • فهيئ له صبرا ووسع له صدرا
لان حوادث الزمان كثيرة • فيوما ترى عسرا ويوما ترى يسرا

الدهر
لان تقاليب الزمان كثيرة

فمن وقف مع ظاهر الدنيا نادته هواتف باطنها انما
نحن غرة فلا تغتر وهذا معنى قوله ان دعاك اليها
ظاهر نهاك عنها باطن قلت ظاهرها خضرة حلوة
وباطنها خبيثة مرة قال عليه السلام الدنيا خضرة حلوة
وان مما ينبت الربيع يقتل او يلم حبطا الحديث فاخبر عليه
السلام ان ظاهر الدنيا خضرة حلوة وباطنها سم قاتل وقد
شبه بعض الحكماء الدنيا بسبعة اشياء شبهها بالماء
المالح يغرق ولا يروى ويضر ولا ينفع قلت وكذلك الدنيا
تغرق صاحبها فى حبها ويموت عطشانا منها وشبهها
بظل الغمام يغر ويخذل قلت وهو الذى يغطى بعض المواضع
فاذا اشرقت الشمس تقشع عنه وشبهها بالبرق الخاطف
يعنى فى سرعة الذهاب والاضطراب وبسحاب الصيف يضر
ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بزهرته ثم يصفر فتراه هشيما

وباحلام

وباحلام النائم يرى السرور فى منامه فاذا استيقظ لم يجد
فى يده شيئا الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يغر ويقتل
اه قال حفيده فتاملت هذه الحروف السبعة سبعين سنة ثم
زدت فيها حرفا واحدا فشبهتها بالغول التى تهلك من اجابها
وتترك من اعرض عنها اه نقلها ابن عباد رضى الله عنه
فانظره ثم علل كون الدنيا محلا لهذه الاكدار والاغيار فقال
انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا
لك فيها قلت انما وسم الله الدنيا بهذه الاوصاف من
كونها محلا للاغيار والاحزان ومعدنا لوجود الاكدار والفتن
تزهيدا لك فيها فتقبل بكليتك عليه وتتوجه بهمتك
اليه وتعرض عن الدنيا وتقبل على الاخرة قال بعضهم انما
مثل الدنيا كالبحر الهائل المحيط والاخرة من وراء ذلك البحر
ولا ينكشف الحجاب عن عين القلب بالنظر الى الدار الاخرة الا
بعد الجواز على ذلك البحر فى سفن الصبر والرضى لانه بحر
لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض يغشاه موج الشهوات من فوقه موج الغفلات من
فوقه سحاب الكائنات وايضا لو بسطت لك الدنيا لكرهت لقاء
الله فيكره الله لقاءك ولو بسطت لك العوافى والنعم لركنت
الروح الى هذا العالم فتبقى دائما فى عالم الاشباح والمقصود
منك هو الرحيل الى عالم الارواح فضيق الحق تعالى عليك
هذا العالم السفلى لترحل منه بهمتك الى العالم العلوى فهو
منه سبحانه انعام واحسان لكنها فى قالب الامتحان فلا يذوقها
الا اولوا البصائر الحسان فهذا ما اشار اليه بقوله علم انك

لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما سهل عليك
فراقها قلت قد علم الحق سبحانه ان من عباده من لا يقبل
النصح بمجرد القول فلا يزهد في الدنيا بمجرد سماع الوعظ
اذ كثير من اهل العلم والفهم يسمعون القرءان يقرعهم عليها
ويحذرهم من غرورها وهم غائبون عن ذلك التذكير
مشغولون بما يوجب لقلوبهم التكدير فلما اراد سبحانه
ان يصطفي لحضرته من شاء من عباده نغصها عليهم وشدد
عليهم البلاء والمحن واجرى على ظاهرهم مواقع الفتن كل ذلك
عناية بهم ليذوقوا مرارة باطنها فلا يغتروا بحلاوة زخرف
ظاهرها سئل عليه السلام من اولياء الله الذين لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون قال الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر
الناس الى ظاهرها واهتموا بآجلها حين اهتم الناس
بعاجلها الحديث وقد تقدم عند قوله الاكوان ظاهرها
غرة وباطنها عبرة فكل ما ينزل بالولي من هذه التعرفات
الجلالية التي تغير النفس وتقهرها فهو خير كثير في حقه
فقد قالوا الامتحان بقدر الامتكان وكل محنة تزيد مكنة
واختيار الباقي يقطع الفاني فقد تبقى في القلب بقية
من حب شيء من هذا العالم او ركون لشيء من الدنيا فيسلط
عليه من يشوشه عليه وينغصه لديه كل ذلك عناية به
ليرحل من هذا العالم الى عالم الملكوت فاذا تحقق رحيله استوى
عنده الحلو والمر والعز والذل والغنى والفقر لانه تحقق ان
كلا من عند الله وما في الوجود سواه وهذا هو العلم الحقيقي
الذي هو العلم النافع واليه اشار بقوله العلم النافع هو
الذي

الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب
قناعه قلت العلم النافع هو علم القلوب ومرجعه الى تصفية
القلوب من الرذائل وتحليتها بالفضائل او تقول مرجعه
الى التخلية والتحلية فيبحث اولا عن عيوب النفس وعيوب
القلب وعيوب الروح وعيوب السر فيطهر كل واحد من عيوبه
فاذا تطهر الجميع تحلى بصفات الكمال كالايمان والا
والايقان والطمانينة والمراقبة والمشاهدة وتحلى ايضا
بالحلم والرافة والسخا والكرم والايثار وسائر الاخلاق
الحسنة فشعاع العلم الذي ينبسط في الصدر هو ثلج اليقين
وبرد الرضى والتسليم وحلاوة الايمان ومواجيد العرفان
وينشأ عن ذلك مخافة الله وهيبته والحياء منه والسكون
والطمانينة وغير ذلك مما تقدم من الاخلاق الحسنة
والقناع الذي ينكشف به عن القلب هو الغفلة وسبب
الغفلة هو الرضى عن النفس وسبب الرضى عن النفس
هو حب الدنيا الذي هو اصل كل خطيئة فمن حب الدنيا
ينشأ الحسد والكبر والحقد والغضب والشح والبخل وحب
الرياسة والقساوة والفظاظة والقلق وغير ذلك من
العيوب فاذا انكشفت هذه الامور عن القلب انبسط فيه
شعاع العلم الذي هو ثلج اليقين وبرد الرضى وما تقدم
ذكره لان العلم بالله نور في القلب وينبعث منه شعاع
تنبسط في الصدر فتكسبه الزهد في الدنيا فاذا زهد في الدنيا
سن اتسع صدره باليقين والرضى والتسليم وغير ذلك من المحا
فكشف القناع مقدم على بسط الشعاع فلو قدمه لكان اولى

لأن التخلية مقدمة على التحلية فلو قال هو الذى ينكشف به
عن القلب قناعه وينبسط فى الصدر شعاعه ويحتمل ان يريد
بانبساط الشعاع فى الصدر نور الاسلام والايمان وهى
انوار التوجه وبكشف القناع عن القلب كشف حجاب الحس
وظلمة الكون فتبدو انوار المواجهة وهى انوار الاحسان
واسرار العرفان وعلى هذا يكون ترتيب كلام الشيخ حسن والله
تعالى اعلم والحاصل ان العلم الذى يوجب الخشية هو العلم النافع
وغيره ليس بنافع واليه اشار بقوله **خير علم ما كانت الخشية**
معه فان لم تكن خشية فلا خير فيه لانه حجة على صاحبه واليه
اشار بقوله **العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك**
قلت لان العلم الذى تصحبه الخشية يمنع صاحبه من الغفلة
واسبابها ويزهده فى كل ما يشغل عن العمل به ويرغبه فى كل ما يقربه
الى ربه فيكون عونا له على الوصول الى معرفة الله والقرب من ساحة
رضاه فان لم تقارنه الخشية كان وبالا عليه لانه حينئذ حجة عليه
لان المعصية مع العلم اقبح من المعصية مع الجهل **وفى الحديث**
عنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للجاهل مرة وويل للعالم اذا لم يعمل
عشر مرات ذكره الغزالى ومثله قول الشيخ ابى الحسن رضى الله عنه فى
حزبه الكبير فالويل لمن لم يعرفك بل الويل ثم الويل لمن اقر بوحدانيتك
ولم يرض باحكامك فان قلت قد ورد فى بعض الاحاديث ان الله
يغفر للعالم اربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا واحدا قلت قد يجاب
بان الحديث الاول ورد فى من مات مصرا من العالم والجاهل فان عذاب
العالم اكثر لانه قد ورد انه يجر قصبه فى النار ويدور فى رحى جهنم
بخلاف الجاهل لم يرد فيه هذا والحديث الثانى فيمن تحققت توبته
منهما

منهما فان العالم بيده مصباح العلم يستدرك به ما فات اكثر من
الجاهل اذا تاب فقد يجبر العالم من الخلل فى شهر ما لا يجبره الجاهل فى سنة
او اكثر والحاصل ان الاول فى العالم والجاهل اذا ماتا مصرين والثانى فيهما
اذا تابا واصلحا والله تعالى اعلم **وقال** الشيخ ابو الحسن الشاذلى العلم كالدنانير بلغ
والدراهم ان شاء الله نفعك بها وان شاء ضرك بها **وقال** فى لطائف المنن
فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله تعالى من عباده الخشية لله وشاهد
الخشية موافقة الامر اما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها
وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهات والاستكبار وطول
الامل ونسيان الآخرة فما ابعد من هذا علمه من ان يكون من ورثة الانبياء
عليهم السلام وهل ينتقل الشئ الموروث الى الوارث الا بالصفة التى
كان بها عند الموروث ومثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلماء
كمثل الشمعة تضئ على غيرها وهى تحرق نفسها جعل الله العلم الذى
علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا فى تكثير العقوبة لديه اهـ
قال الشيخ زروق رضى الله عنه وفيه اشعار بان العالم غير المتقى
ليس بوارث وفيه نظر لان افساد الموروث والعمل به فى غير حق لا يخرج
عن كون الوارث وارثا والعقوق لا ينفى النسب لكن يقال فيه وارث سوء
وقد اثبت الله العلم لمن لا يخشاه وما نفاه عن من لم يخشه اهـ **قلت**
وقد يقال الموروث عن الانبياء هو غاية العلم وثمرته وهى الخشية والمعرفة
به لا مجرد الرسوم لان ذلك واسطة فاذا لم يحصل الموسوط فلا عبرة بالواسطة
فاذا لا وراثة لعالم الرسوم اذ ليست مقصودة بالذات وقد كان الشيخ
الولى الكبير ابن ابى جمرة يقول فى علماء وقته انما هم معلمون يعنى
انهم محترفون بحرفة العلم فهم صناع وليسوا بعلماء والله تعالى اعلم
وقد اشبع الشيخ ابن عباد الكلام فى هذا الموضع فليطالعه من اراد

تخليص نفسه من محبة العلم وبالله تعالى التوفيق ومن علامة العلم
النافع القناعة بعلم الله والاكتفاء بنظره وثمرة القناعة عدم
المبالات بذم الناس ومدحهم واقبالهم وادبارهم اكتفاء بعلم
الله ونظره كما ابان ذلك بقوله متى آلمك عدم اقبال الناس
عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك
فان كان لا يقنعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك
بعلمه اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم قلت اذا
سلط الله عليك خلقه ليختبرك هل انت غني به او بخلقه فادبروا
عنك او اشتغلوا بذمك وشتمك ثم توجعت من ذلك فارجع
الى علم الله فيك واطلاعه عليك اذ لا يخفى عليه شيئ من امرك
فان كفاك ذلك وقنعت به وانست بذكره او شهوده استوى
عندك ذمهم ومدحهم واقبالهم وادبارهم بل ربما اثرت ادبارهم
اذ فيه راحتك وتفريغ قلبك مع ربك فان لم تقنع بعلم الله
ولم تكتف بنظره وتاسفت على ادبارهم او تالمت من اذاهم
فمصيبتك بضعف ايمانك وذهاب يقينك اشد من
مصيبة ذم الناس وادبارهم عنك لان هذا موجب لسخط
الله وغضبه وسقوطك من عين محبته واما اذاية الخلق
وبعدهم عنك فرحمة بك وايضا اذا اشتغل الناس بذمك فرحمة
واضرارك فانظر انت مقامك مع ربك فان كنت مع ربك
صافيا فلا يكيدك شيئ ولا يضرك شيئ كما قال شيخ شيوخنا
المجذوب رضى الله عنه

الناس قالوا لى بدعى ، وانا طريقى منجورا
اذا صفيت مع ربى ، العبد مامنه ضرورا

قال

قال ابراهيم التيمى رضى الله عنه لبعض اصحابه ما يقول
الناس فى قال يقولون انك مراءى قال الآن طاب العيش
قال بشر الحافى حين بلغه كلام التيمى اكتفى والله بعلم الله فلم
يحب ان يدخل مع علم الله علم غيره وقال ايضا سكون القلب الى قبول
المدح لها اشد فيها من المعاصى وقال احمد بن ابى الحوارى
رضى الله عنه من احب ان يعرف بشيئ من الخير او يذكر به فقد
اشرك مع الله فى عبادته لان من عمل على المحبة لا يحب ان يرى
عمله غير محبوبه وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه لا تنشر
علمك ليصدقك الناس وانشر علمك ليصدقك الله وان
كان لا بد من العلة موجودا فعلة تكون بينك وبين الله من حيث
امرك خير من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك
ولعلة تردك الى الله خير لك من علة تقطعك عن الله فلاجل
ذلك لم يعملوا بالثواب اذ لا يخاف ولا يرجى الا من قبل الله
وكفى بالله صادقا ومصدقا وكفى بالله عالما ومعلما وكفى
بالله هاديا ونصيرا ووليا هاديا يهديك ويهدى بك
ويهدى اليك ونصيرا ينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك ووليا
يواليك ويوالى بك ولا يوالى عليك اه ثم ذكر حكمة وجود
الاذى من الخلق لاولياء الله فقال انما اجرى الاذى عليهم
كى لا تكون ساكنا اليهم اراد ان يزعجك عن كل شيئ حتى
لا يشغلك عنه شيئ قلت الروح اذا ركنت الى هذا العالم
السفلى وسكنت فيه واحبت ما فيه تعذر نقلها الى عالم الملكوت
الذى هو العالم الروحانى لما الفته من حب الاهل والاولاد
والاصحاب والعشائر فمن حكمة الله تعالى ولطفه وابراره بوليه

ان يحرك عليه ما ركنت اليه نفسه والفته روحه الأحبّ فالأحبّ
فاول من ينكره اهله واولاده ثم جيرانه واحبابه ثم ينكره العالم
باسره فاذا رات الروح ان هذا العالم انكرها وضاق عليها رحلت
الى مولاها ولم يبق لها تشوف الى هذا العالم اصلا فحينئذ يكمل
وصلها ويتحقق فناؤها وبقاؤها فلو بقيت النفس على ما هي
عليه من السكون تحت ظل الجاه والعز ما رحلت من هذا العالم
اصلا وكلما قوي على الاولياء الاذى دل على علوّ مقامهم عند
المولى فانما اجرى الحق سبحانه الاذى على ايدي الخلق اليك
اذ هو المجري والمنشي فلا فاعل غيره كي لا تكون ساكنا بقلبك
وروحك اليهم فيعوقك ذلك عن العروج الى الملكوت اراد
الحق تعالى ان يزعجك عن كل شيء من هذا العالم حتى لا تركن
الى شيء ولا يشغلك عن شهوده شيء اذ محال ان تشهده
وتشهد معه سواه او تحبه وتحبّ معه سواه ابت المحبة
ان تشهد غير محبوبها فاذا تمكنت المحبة وكمل المشهود ردهم
ان شاء الى عباده مرشدين اليهم بالله **قال** في لطائف المنن
اعلم ان اولياء الله تعالى حكمهم في بدايتهم ان يسلط الخلق عليهم
ليطهروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا وكي لا يساكنوا هذا الخلق
باعتماد او يميلوا اليهم باستناد ومن آذاك فقد اعتقك (قف على هذا البحث)
من رق احسانه ومن احسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه
فان لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان
الخلق ويتعلق بالملك الحق ثم قال وقال الشيخ ابو الحسن اهرب
من خير الناس اكثر من ان تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك

في قلبك

في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولان تصاب في بدنك خير
من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى الله خير من حبيب يقطعك
عن الله وعد اقبالهم عليك بلاء وادبارهم عنك نعماء الا ترا (هم)
اذا اقبلوا افتتنوا قال وتسليط الخلق على اولياء الله في مبدأ طريقهم
طريقهم سنة الله في احبائه واصفيائه **قال** الشيخ ابو
الحسن في حزبه اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا
وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ثم قال ومما يدلك على ان
هذه سنة الله في احبائه واصفيائه قوله تعالى وزلزلوا حتى
يقول الرسول الآية الى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى
اه **وقال** بعض العارفين ويجب ان تعلم ان النفوس شانها
استحلاء الاقامة في موطن العز والرفعة فلو تركها الحق سبحانه
لهلكت فازعجها عن ذلك بما سلط عليها من أذى المؤذيين
ومعارضة الجاحدين وفي هذا المعنى قيل

عداتي لهم فضل علي ومنة ، فلا ابعد الرحمن عني الاعاديا
فهم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ، وهم نافسوني فارتكبت المعاليا

وقال بعضهم الصيحة من العدو سوط من الله يرد بها القلوب
اذا سكنت الى غيره والا رقد القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب
عن الله تعالى عظيم **وقال** الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه آذاني
انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرايت يقال لي من علامة
الصديقية كثرة اعدائها ثم لا يبالي بهم اه اذا تقرر هذا
علمت ان اذاية الخلق للولي سنة ماضية يعني سنة انبياء
الله ورسله فلن تجد لسنة الله تبديلا وانظر الى احوال نبينا
عليه الصلاة والسلام ما راى مع قريش وبني يائل مكث معهم

بعد النبوة التى هى محل الاذى من الخلق ثلاث عشرة سنة كلها
جلا لو شدة وبلاد وحين انتقل الى المدينة لم تكن له راحة
بين جهاد وتعليم ومعاناة احبار يهود بالاذاية والتشغيب
حتى لقى الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم
وكذلك اصحابه معه وبعده لم تكن لهم راحة وجلهم ماتوا
مقتولين فقد مات الصديق مسموما ومات الفاروق مقتولا
وعثمان مذبوحا وسيدنا على مضروبا بالسهم مسموما حتى
مات والحسن مسموما والحسين مقتولا حتى لعبوا براسه بالشام
ثم دفن بمصر فداه بعض الملوك ودفنه بمصر وهو مزارة
الحسين المشهورة عندهم ثم مالا يحصى وقد سعى بالجنيد
واصحابه للسلطان وامر بهم للسيف ثم لطف الله بهم
وقصتهم ان فقهاء بغداد قالوا للمتوكل ان الجنيد قد تزندق
هو واصحابه فقال لهم الملك وكان يميل الى الجنيد يا اعداء
الله ما اردتم الا ان تفنوا اولياء الله من الارض واحدا بعد
واحد قتلتم الحلاج وانتم ترون له كل يوم عبارة ولا تزدجرون
وهذا الجنيد لا سبيل لكم اليه حتى تغلبوه بالحجة فاجمعوا له
الفقهاء واعملوا له مجلسا فان انتم غلبتموه وشهد الناس
بانكم غالبون عليه قتلته وان هو غلبكم والله لامشين عليكم بالسيف
حتى لا ابقى منكم احدا على الارض قالوا نعم فجمعوا له الفقهاء
من الشام واليمن والعراق والامصار فلما اجتمع الفقهاء
فى ذلك حتى لم يبق فى الجوانب الاربع من يعرف مسئلة فى دينه
الا حضر فلما اجتمع الفقهاء فى المجلس بعث الملك اليه
فاتى هو واصحابه الى باب القصر فدخل الجنيد وترك اصحابه
وادى

وادى حق الخليفة يعنى من التعظيم وقعد فقام اليه احد
الفقهاء يسئله فى مسئلة فسمعه القاضى على بن ابى ثور
فقال لهم اتسئلون الجنيد فقالوا نعم فقال لهم افيكم من
هو افقه منه فقالوا لا فقال يا عجبا هو افقه منكم فى علمكم
وقد تفقه فى علم تنكرونه عليه يعنى ولا تعرفونه فكيف
تسئلون رجلا لا تدرون ما يقول فبهت القوم وسكتوا
زمانا ثم قالوا اما العمل يا قاضى المسلمين فاشر بما شئت
فنصنع فامرك مطاع قال فرد القاضى وجهه الى الامير
وقال له اترك الجنيد واخرج الى اصحابه صاحب سيفك
وهو الوليد بن ربيعة ينادى فيهم من يقوم الى السيف
فاول من يقوم اليه نسئله فقال الملك يرحمك الله لم
ذلك نروع القوم ولم تظهر لكم حجة لا يحل لنا ذلك فقال
القاضى يا امير المؤمنين ان الصوفية يحبون الايثار على
انفسهم حتى بانفسهم فاذن من ينادى ايكم يقوم للسيف
فالرجل الذى يقوم مبادرا الى السيف هو اكثر الناس جهلا
واكثرهم صدقا لله عز وجل فيقوم يؤثر اصحابه بالعيش
بعده فاذا قدم اجهلهم علينا جعل الفقهاء يناظرونه
فيما يطلبونه منه فان الفقهاء لا يغلبونه ولا يغلبهم
فيقع الصلح بيننا وبينهم فانها قد نزلت مصيبة عظيمة
لا ندرى لمن يقع النجاة منها فانه ان قتل الجنيد نزلت داهية
فى الاسلام فانه قطب الايمان فى عصرنا وان قتل العلماء والفقهاء
فهى مصيبة عظيمة فقال له الامير لله درك لقد اصبت
ثم عطف على الوليد وقال افعل ما يقول لك القاضى فخرج الوليد

وهو متقلد سيفه فوقف على المريدين وهم مائتان وسبعون
رجلا قعودا ناكسين رؤسهم وهم يذكرون الله فنادى فيهم
افيكم من يقوم الى السيف فقام اليه رجل يقال له ابو الحسن
النورى فقال الوليد ما رايت طائرا اسرع منه فوثب قائما
بين يدى فتعجبت من سرعة قيامه فقلت يا هذا اعلمت
لما قمت فقال نعم الم تقل افيكم من يقوم الى السيف فقلت
له نعم ولم قمت قال علمت ان الدنيا سجن المؤمن
فاحببت ان اخرج الى دار الفوز وان اوثر اصحابى على
بالعيش ولو ساعة ولعلى اقتل فيطفى الشر بى فيسلم جميعهم
ولا يقتل احد غيرى قال الصاحب فعجبت من فصاحته
فقلت له اجب القاضى فتغير لونه وسالت عبرته على خده
فقال او دعانى القاضى قلت نعم لا عالم قال فهما على
اجابته قد خلت وهو معى فاخبرت الملك والقاضى
بقصته فتعجبا منه وساله القاضى عن مسئلة غميضة فقال
من انت ولم خلقت وما اراد الله بخلقك واين هو ربك
منك فقال ومن انت الذى تسئلنى فقال انا قاضى
القضاه فقال له اذ لا رب غيرك ولا معبود سواك انت قاضى
القضاه وهذا يوم الفصل والقضاء والناس قد حشروا ضحى
فاين النفخة فى الصور التى قال الله فيها ونفخ فى الصور فصعق
من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله انا ممن صعق
ام انا ممن شاء الله الذى لم اشهد النفخ فبهت القاضى زمانا
وقال يا هذا اجعلت منى الها قال معاذ الله بل انت تالهت
حيث تسميت بقاضى القضاه وليس قاضى القضاه الا الذى
يقضى

يقضى ولا يقضى عليه اضاقت عليك الاسماء اما كفاك
قاضى المسلمين او احد الفقهاء ام احد من عباد الله حتى
تسميت بقاضى القضاة اذا ستكبرت ان تقول انا على بن
ابى ثور فما زال يقرعه حتى بكى القاضى وهم ان تزهق نفسه
وبكى الملك لبكائه وبكى الجنيد فقال لتلميذه اقصر من
عتابك للقاضى فقد قتلته فخل سبيله فلما افاق القاضى
قال يا ابا الحسن اجبنى عن مسئلتى وانا اتوب الى الله بين يديك
فقال اذكر مسئلتك فانى نسيتها فاعاد عليه مسئلته
فنظر عن يمينه وقال اتجاوبه ثم قال حسبى الله ثم فعل عن
يساره مثل ذلك ثم نظر امامه وقال اتجاوبه ثم قال الحمد
لله ثم رفع راسه الى القاضى وقال له اما قولك يرحمك الله
من انت فانا عبد الله لقوله تعالى ان كل من فى السموات
والارض الا اتى الرحمن عبدا واما قولك لماذا خلقت فكان
الله كنزا لم يعرف فخلقنى لمعرفته قال تعالى وما خلقت الجن لا يعرف
والانس الا ليعبدون اى ليعرفون كذا قال ابن عباس وغيره
واما قولك ما اراد الله بخلقى فانما اراد بى الاكرام فى قال تعالى
ولقد كرمنا بنى ادم واما قولك اين ربك منك فهو منى
حيث انا منه لقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم فقال اخبرنى
كيف هو معك ومعنا فى قوله وهو معكم اينما كنتم قال هو معنا
كيف ما كنا معه فان كنا معه بالطاعة كان معنا بالعون
والهدى اليه وان كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة وان
كنا معه بالمعصية كان معنا بالمهلة وان كنا بالتوبة
كان معنا بالقبول وان كنا بالترك كان معنا بالعقاب

قال صدقت فاخبرني اين هو مني اخبرني اين انت منه اعلمك
اين هو منك قال صدقت يا علي فيما قلت ولكن اخبرني بمسئلة
ثانية قال وماهي قال لم ملت عن يمينك حين سالتك قال
اعز الله الفقيه ان المسئلة التي سالتني عنها لم يكن عندي ما
اخبرك به فيها فسالت الملك الكريم الذي يكتب في اليمين فقلت
له اتجاوبه انت فقال لي لا علم لي فقلت حسبي الله وفوضت امري
الى الله فقال وعن شمالك فقال كذلك فقال وامامك فقال سالت
قلبي فقال عن سره عن ربه ما اجبتك به فقلت الحمد لله شاكرا
على الهداية ومقرا له بالعجز عن ادراك النهاية فقال له يا هذا
اتكلمك الملائكة فقال له ويحك اما ترى رب الملائكة كلمني
حين هداني لحجتي وكنت لا اعرفها فقال له يا هذا الان
قد صح عندي حمقك وثبت عندي كفرك وزندقتك فما
تريد ان افعل بك وباي قتلة تريد ان اقتلك فقال له
وما الذي تريد ان تفعل بي وانت قاضي القضاة ان كنت
تقضي ولا يقضى عليك فاقض بما شئت واي فعل لك
فقال له انا القاضي المقتضي بما يقضى به او نقضي
بما يقضى به فقال له او فهمت الخطاب عن القاضي الذي
يقضي ولا يقضى عليه قال له وما هو قال قوله تعالى فاليوم
لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون فقال له
وما تريد انت اقض بما شئت الان طبت وطابت نفسي
على لقاء ربي فعند ذلك رد القاضي راسه الى المتوكل وقال
له يا امير المؤمنين اترك هؤلاء فان كان هؤلاء زنادقة
فليس على وجه الارض مسلم هؤلاء مصابيح الدين ودعائم
الاسلام

م ... عندي فيها جواب لاني ما سئلت فيها قط ولا سمعتها فلما سالتني ...

الاسلام وهؤلاء المؤمنون حقا عباد الله المخلصون
فعند ذلك عطف الملك على الجنيد وقال يا ابا القاسم هؤلاء
الفقهاء ما اجمعوا لك هذا المجلس العظيم واستعدوا
لمناظرتك الا ليقتلوك لو غلبوك والان انت الغالب عليهم
وانا اليت على نفسي اذا انت غلبتهم ان امشي عليهم
السيف فاما ان تعفو عنهم واما ان يموتوا فقال العياذ
بالله يا سيدي ان يموت احد منهم بسببي عفا الله عنا وعنهم
ولا اخذ عليهم في انكارهم علينا لانهم ما ساقهم لذلك
الا الجهل وقلة العلم بما طلبوا عفا الله عنا وعنهم فانحل المجلس
على سلام ولم يمت فيه احد والحمد لله ثم عطف القاضي على
على النوري وقال له يا علي اعجبني حالك والله شهيد اني احبك
ولكن اسئلك سؤال رجل مسترشد فارشدني يرحمك الله
فقال سل عما بدا لك فان كان عندي جواب اخبرتك والا
قلت لك لا علم لي ولا يعظم ذلك علي ثم ساله عن مسائل
عديدة قد تقدم بعضها عند قوله يا عجبا كيف يظهر
الوجود في العدم فراجعها ان شئت وتركت الباقي لكثرة
التصحيف في النسخة التي وقعت بايدينا والله تعالى اعلم
فهذه محنة الصوفية التي وقعت في زمن الجنيد وهذه سنة
الله في اوليائه وانبيائه هم اشد الناس بلاء وانظر ايضا
قضية القطب الشهير شيخ اشياخنا الشيخ ابن مشيش فقد
مات مقتولا كما هو معلوم وكذلك قضية تلميذه مع
القاضي ابن البراء حيث اخرجه من تونس وكتب به الى
عامل مصر وعمل به بينة انه مشوش وانه يطلب الملك

فانتصر الله له كما هو شانه سبحانه من انتصاره لاوليائه و
وكذلك قضية الغزواني فانه لما كملت تربيته وظهر رشده
ارسله شيخه الشيخ التباع يعمر بلده فسكن بنى زكار جوار
ضريح الشيخ ابن مشيش فلما عمر سوقه وانكبت عليه المخلوقات
سعى به الى السلطان المريني فارسل اليه الحرس واطلعوه
مكبلا الى العرايش لان السلطان كان مثم نازلا ثم ارسل به الى
فاس فسجن اربعة اشهر وسنة حتى قدم السلطان الى فاس
فاطلقه وشرط عليه السكنى معه بفاس فسكن معه فلما قرب
انقراض مدة المرينيين خرج الى مراكش وقال ذهبت دولة
بنى مرين وبقى بمراكش حتى توفى رضى الله عنه وذكر التجيبي
ان الشبلي رفع الى السلطان واخرج ابو يزيد من مدينة بسطام
مرارا وهذا امر شهير قال بعض الحكماء اذا اراد الله ظهور
الحق جعل من خلقه من يعانده ويريد اخماده فيكون ذلك سببا
لظهوره وايضاحه ولذلك سلط الله على كل نبى عدوا من المجرمين
وعلى الاولياء كذلك وانشدوا

واذا اراد الله نشر فضيلة ... طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

وانما اطلنا هنا النفس لان الحال اقتضى هنا ذلك لان
وقت التاليف صادف عنفوان الجلال والله يرزقنا التاييد
نحن واحباؤنا ومن تعلق بنا بجاه المصطفى وآله وعلامة
التاييد هو حفظ التوحيد فى اوقات الشدة بحيث يكون ابراهيميا

العنفوان اول الشيء قاموس وكان ذلك الوقت طلبا دى بعيجان فتنة تطاون

ابراهيميا فاذا رمى به فى نار الجلال وتعرض له الكون
يقول له الك حاجة يقول له العارف اما اليك فلا واما الى

الله

٢٥٩

الله فبلى فحينئذ يقول لنار الجلال يا نار كونى بردا وسلاما
على وليى فينقلب حرها بردا وسلاما وسلاما قال سيدنا
ابراهيم الخليل ما رايت نعيما قط مثل تلك الايام التى كنت
فيها فى النار قلت وكذلك نار الجلال ليس يشبهها نعيم
حين تنقلب بردا وسلاما برد الرضى وسلام التسليم فيكمل
النعيم واعلم ان اذاية الخلق هى احدى القواطع التى قطعت
الناس عن الولاية اذ لا يصبر عليها الا الصديقون فذكر
الشيخ حكمة ذلك وسره ومن القواطع ايضا الشيطان
والنفس فاشار الشيخ الى كيفية دفع اذاية الشيطان
بقوله اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل انت
عن من ناصيتك بيده قلت اعلم ان الحق تعالى جعل
بحكمته الشيطان والنفس والناس حراس الحضرة فلا يدخل
الحضرة حتى يخرقهم ويجوز عنهم لانهم واقفون بالباب
وكلهم الله بباب حضرته وقال لهم لا تتركوا احدا يدخل
الا من يغلبكم فوقفوا بالباب فاذا جاء من يريد الدخول
تعرض له الخلق فيعيبون له الطريق وينكرون من يرغب فيها
فاذا غلبهم جاءه الشيطان يطول عليه مدة الفتح ويخوفه
من الفقر ويقول له متى يفتح الله عليك قيل يكون وقيل
لا يكون فاذا غلبه وزاد تعرضت له النفس تقول له كيف
تترك دنياك وجاهك وعزك الى شيء يكون او لا يكون
فاذا غلبها قال له الحق تعالى مرحبا بك واهلا ولكن القواطع
لا يزول طمعها عنه حتى يسكن فى الحضرة ولذلك قالوا
والله ما رجع من رجع الا من الطريق واما من وصل فلا يرجع

وقال اخر والله ما نشكر خليع • وان تمل وان صحى •
• حتى يقطع فى القطيع • ويدور ورد والرحى •
• وان ثبت يسر سريع • وان شرب حتى امحى •

فاذا علمت ايها الفقير والانسان ان الشيطان لا يغفل عنك ساعة لأن له بيتا فى صدرك من جهة شمالك فاذا غفلت عن ذكر الله وسوس واذا ذكرت الله انخنس فاذا علمت ذلك فلا تغفل انت عمن ناصيتك وناصيته بيده وهو الحق تعالى فاذا اشتغلت بالله رده عنك وكفاك امره قال تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقد حذر الله تعالى منه فى كتابه قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ففهم قوم ان الشيطان لهم عدو فاشتغلوا بمحاربته ففاتهم محبة الحبيب وفهم قوم ان الشيطان لكم عدو وانا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبة الحبيب فكفاهم عداوة العدو كما قال الشيخ ابو العباس **وقال** شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه عداوة العدو حقا هى اشتغالك بمحبة الحبيب حقا فاذا اشتغلت بعداوة العدو فاتتك محبة الحبيب ونال عدوك مراده منك **وكتب** الشعرانى الى شيخ له بالمغرب يشكو اليه اذاية الخلق فكتب له الشيخ لا تشتغل بمن يؤذيك قط واشتغل بالله يرده عنك وقد غلط فى هذا الامر خلق كثير واشتغلوا بمن اذاهم فطال الاذى مع الاثم ولو انهم رجعوا الى الله لكفاهم امرهم ولردهم عنهم والسلام هكذا سمعت هذه الحكاية من الشيخ **وقال** الشيخ زروق رضى الله عنه وانما يندفع الشيطان بالتوكل والايمان قال

تعالى

تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وقيل الشيطان كلب ان اشتغلت به عقرك ومنه مزق الاهاب وقطع الثياب وان رجعت الى ربك صرفه عنك برفق وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه ان كان هو يراك من حيث لا تراه فالله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه اه **قلت** ومن عرف الله ذاب الشيطان من نوره فلم يبق يعرف الا الله ولذلك قال بعضهم نحن قوم لا نعرف الشيطان قيل له اوليس قد ذكره الله فى كتابه قال اجل ولكن اشتغلنا بالله فكفانا امره حتى نسيناه وبالله التوفيق ثم ذكر حكمة وجوده فقال **جعله لك عدوا ليحوشك اليه** قلت لم يخلق الله شيئا عبثا قال تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا فايجاد الشيطان له حكم **اولها** انحياش عبده اليه لان العبد الضعيف اذا رأى عدوا يطلبه هرب الى سيده والتجأ الى حصنه فيكفيه امره **الثانية** قيام الحجة على عباده فاذا خالفوا امره قال لهم اتبعتم عدوى وعصيتم امرى قال تعالى قل فلله الحجة البالغة **الثالثة** كونه منديلا للعار تمسح فيه اوساخ الاقدار وكذلك النفس والدنيا **الرابعة** ظهور مزية المؤمن بمجاهدته ومحاربته فهذه حكم فى تسليط الشيطان على الانسان والله غالب على امره وهو العليم الحكيم **حكاية** روى ان الشيطان تعرض لسهل ابن عبد الله التسترى وهو يضحك فقال له سهل مم تضحك بالعين وقد ابلست ويئست من رحمة الله فقال يا سهل انا بينى والله تعالى يقول ورحمتى وسعت كل شىء فقال سهل انه يقول فساكتبها للذين يتقون فاين انت من التقوى فقال التقوى

صفة العبد والرحمة صفة الرب واين الفانى من الباقى فلم يجد
سهل جوابا قلت وقد يجاب بان هذه الشبهة مبنية على
النظر للفرق واما على الجمع فالرحمة وصفه والتقوى فعله [قف على هذا البحث]
وفعله بعيد وصفه والكل منه واليه لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون ثم ذكر حكمة ظهور النفس فقال وحرك عليك النفس
ليديم اقبالك عليه قلت انما حرك الحق تعالى عليك النفس [ليدوم]
ليدوم اقبالك وتوجهك اليه لان النفس لما غلبت عليها
البشرية جرتها اليها فهى دائما تهوى بها الى ارض الشهوات
وانت دائما تريد ان تعرج الى سماء الحقوق والواجبات هى تريد
ان تركن الى اصلها من عالم الصلصال والطين وانت تريد ان تردها
الى اصل روحانيتها فى اعلا عليين هى تريد السكون فى عالم الاشباح
وانت تريد ان ترقيها الى عالم الارواح فهى دائما تريد التسفل
وانت دائما تريد الترقى فهذا معنى دوام اقبالك عليه وسيأتى
لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين فالنفس والشيطان
نعمتان فى الباطن اذ لولاهما ما تحركت اليه ولا تحقق سيرك
اليه ولذلك كان شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه اذا اشتكى
اليه احد بالنفس يقول اما انا فجزاها الله عنى خيرا ما على الافضل
الله وفضلها والله ما ننسى جميلها يشير لهذا المعنى الذى ذكرناه
وهما نقمتان فى الظاهر لمن وقف معهما وحجب بهما والحاصل
ان النفس والشيطان والدنيا والناس قواطع لمن قطعوا
به الطريق موصلات للحضرة لمن وفق للتحقيق وسبق له من
الله التوفيق والنفس اصعب من الشيطان لانه عدو متصل وانت [لأنها]
به شفيق فهى اقبح من سبعين شيطانا فى قطع الطريق وذكر
ابن

ابن القسطلانى عن احمد بن سهل رحمه الله انه قال اعداوك
اربعة اولها الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها الخلوة الثانى
الهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت الثالث الشيطان
وسلاحه الشبع وسجنه الجوع الرابع النفس وسلاحها النوم
وسجنها السهر وقد نظم بعضهم هذه القواطع فقال

انى بليت باربع يرميننى ۞ بالنبل عن قوس له توتير
ابليس والدنيا ونفسى والهوى ۞ يارب انت على الخلاص قدير

وقد ذكر هذه القواطع الشيخ فذكر اولا الدنيا ثم الناس ثم
الشيطان ثم النفس لكن ذكرها على وجه توحيدى لم يذكرها
على انها سوى او قواطع وانما ذكر اسرارها وحكمة وجودها فلله
دره ما اشد معرفته بالتوحيد واسرار التفريد نفعنا الله بذكره
وخرطنا فى سلكه آمين هذا آخر الباب الرابع والعشرين وحا
وحاصلها ذكر غاية النعيم وهو شهود نور وجهه الكريم فمن
تحقق به فلا تعتريه احزان ولا هموم ثم ذكر القواطع التى
تقطع عنه وهى الدنيا وما يتعلق بها من رياسة علم غير
نافع وجاه وغيره والخلق وما يتعلق باذايتهم والشيطان
والنفس لكن ذكرهم على وجه التحقيق لا على وجه التشريع فاذا
تخلص من هذه القواطع فى الحس افضى الى شهود نور عظمة
ربه فى تجلياته فيتواضع مع الاشياء كلها لمعرفته فيها كما اشار
الى ذلك فى الباب الخامس والعشرين بقوله وقال رضى الله
عنه من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذ ليس
التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت لنفسك تواضعا فانت
المتكبر حقا قلت التواضع هو مجاهدة النفس فى وضعها

وسقوطها فهى تريد الرفعة وانت تريد السقوط فاذا حققت
ونظرت بعين فكرتك وجدت الاشياء كلها مستوية معك
فى الخلقة والتجلى من النملة الى الفيل فالمتجلى فى النملة هو المتجلى
فى الفيلة فانت والكلب فى حقيقة الخلقة سواء وانما وقع الـ
التفصيل فى التشريع والحكمة عند اهل الفرق فاهل الفرق
يرون المزية لانفسهم عما سواهم فاذا تساووا بانفسهم مع الاشياء
راوا انهم قد تواضعوا وفى الحقيقة انما تكبروا لانهم اثبتوا
المزية لانفسهم ورفعوها ثم اثبتوا لها التواضع فهم المتكبرون
على خلق الله حقا والعارفون بالله لم يثبتوا لانفسهم مزية
قط راوا الاشياء كلها سواء خلقا واحدا ونورا واحدا فلم
يثبتوا لانفسهم رفعا ولا وضعا فهم متواضعون من اول
مرة فتواضعهم حقيقى اصلى فمن اثبت لنفسه تواضعا
وراى انها تواضعت دون قدرها المتكبر حقا حيث جعل لها
قدرا زائدا على خلق الله اذ ليس التواضع واثباته للنفس الا
عن رفعة لها اولا فمتى اثبت لنفسك ايها الفقير تواضعا
فانت المتكبر حقا ولا تكون متواضعا حتى ترى الاشياء كلها
مثلك او احسن منك ان عصيت ربك قال ابو يزيد ما دام
العبد يرى فى الخلق اشر منه فهو متكبر ولا يكون متواضعا حتى
لم يثبت لنفسه حالا ولا مقالا وقال بعضهم من راى لنفسه قيمة
على الكلب فهو متكبر ممقوت عند الله وانما يتضع العبد
بقدر تحققه بعلو قدر سيده والنفس اذا لم تتصف بالذل
والهوان حقيقة فهى غير مشاهدة لعظمة الله لان اصل
نشأة النفس الضعف والذل والهوان ولا صلاح الا فى الرجوع

لاصلها

لأصلها وتبريها من رؤية العز والجاه ومن تبريها من ذلك وقال
الجنيد رضى الله عنه من راى نفسه قد تواضعت فهو يحتاج
الى تواضع ولو تبرأ منها ومن تواضعها لكان متواضعا اه
وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الكريم
التقوى وانما الشرف التواضع وانما الغنى اليقين
والمتواضعون فى الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة اذا
العبد رفعه الله الى السماء السابعة ولا يزيد التواضع للعبد
الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله واذا رايتم المتواضعين
من امتى فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين من امتى فتكبروا
عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار بهم اه اوحى الله الى
موسى عليه السلام انما اقبل عمل من تواضع لعظمتى ولم
يتكبر على خلقى والزم قلبه خوفى وقطع النهار بذكرى وكف
نفسه عن الشهوات من اجلى اه ثم فسر التواضع الكامل فقال
ليس المتواضع الذى اذا تواضع راى انه فوق ما صنع ولكن
المتواضع الذى اذا تواضع راى انه دون ما صنع قلت
التواضع الحقيقى هو الذى ينشأ ممن يشاهد الاشياء كلها
منه فاذا تواضع معها راى انها تستحق اكثر من ذلك التعظيم
التعظيم وان نفسه فى الدناءة والذل دون اى اسفل مما صنع
من التواضع وليس المتواضع الذى يرى لنفسه مزية
على الاشياء فاذا تواضع معها راى ان نفسه فوق وافضل
مما صنع من التواضع فهذا هو المتكبر لانه اثبت لنفسه
تواضعا مما تستحقه وهذه الحكمة كانها بيان وتتميم لما
قبلها يحكى عن ابى الحسن بن الكرنبى استاذ الجنيد رضى الله عنهما

عظيمة

ان رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد
ذلك حتى ادخله داره فى المرة الرابعة فساله عند ذلك فقال
قد ريضت نفسى على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب رضت
يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتنى خمسين مرة ثم دعوتنى بعد ذلك لاجبتك **قال**
ابو طالب رضى الله عنه وحدث عن بعض الصوفية انه وقف
على رجل ياكل فمد يده وقال ان كان ثم شيء لله تعالى فقال
اجلس فكل فقال اعطنى فى كفى فاعطاه فى كفه فقعد فى مكانه
ياكل فساله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالى مع الله
تعالى الذل فكرهت ان أفارق حالى **وقال** السهروردى رايت
شيخنا ضياء الدين ابا النجيب وكنت معه فى سفره الى الشام وقد
بعث له بعض ابناء الدنيا طعاما على رؤس الاسارى من الافرنج
وهم فى قيودهم فمدت السفرة وقال للخادم احضر الاسارى
مع الفقراء فجاء بهم واقعدهم على السفرة صفا واحدا وقام
الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد معهم كالواحد منهم
واكل واكلوا وظهر لنا على وجهه ما نزل باطنه من التواضع لله ما نازل
والانكسار فى نفسه وانسلاخه عن التكبر عليهم **وكان** الشيخ ال
الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن سعيد من الفقهاء والعلماء
العاملين بينما هو يوما يمشى فى يوم شات كثير الطين فاستقبله
كلب يمشى على الطريق التى كان عليها قال من رءاه رايت الشيخ
قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز
فلما قرب منه الكلب ترك مكانه الذى كان فيه ونزل اسفل
وترك الكلب يمشى فوقه قال فلما جاوزه الكلب وصلت اليه
فوجدته

فوجدته وعليه كآبة فقلت له يا سيدى رايتك الآن
صنعت شيئا استغربته كيف رميت بنفسك فى الطين وتركت
الكلب يمشى فى الموضع النقى فقال لى بعد ان عملت له طريقا
تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسى ارفع منه
بل هو والله ارفع منى واولى بالكرامة لانى عصيت الله تعالى
وانا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فنزلت له عن موضعى
وتركته يمشى عليه وانا الآن اخاف من الله ان لا يعفو عنى
لانى رفعت نفسى على من هو خير منى اهـ نقله الشيخ ابن عباد
رضى الله عنه ثم ان التواضع منه ما يكون مجاهدة وتصنعا
وهو مجاهدة اهل اليمين من السائرين ومنه ما يكون اختياريا
حقيقيا وهو تواضع العارفين لانه ناشئ عن شهود عظمة
المعبود فلا يتخلف الا فى وقت الغفلة وهو قليل وهو الذى
ابانه بقوله **التواضع الحقيقى هو ما كان ناشئا عن شهود
عظمته وتجلى صفته** قلت التواضع الحقيقى هو تواضع
العارفين لانه ناشئ عن شهود عظمة الحق وتجلى ذاته
وصفاته وهو من عطف المفسرات لان تجلى الصفات هو عين
عظمة الذات لان الحق تعالى كان فى ازله القديم متصفا
بصفاته ومتسميا باسمائه فى خفاء ولطف لم يعرفه احد
فلما اراد ان يعرف اظهر بقدرته وارادته عظمة ذاته ال
المقدسة متصفا بصفاته الازلية فتجلت القدرة لعظمة
الذات فشهود عظمة الذات هو شهود تجلى الصفات
واليه اشار صاحب العينية بقوله
فاوصافه والاسم والاثر الذى ۞ هو الكون عين الذات والله جامع

فالتواضع الحقيقي هو الذي ينشأ عن شهود عظمة الذات ونور
الصفات فلذلك ترى العارفين يتواضعون مع الحجر والمدر
وكل شيء لمعرفتهم في كل شيء قال ذو النون رضي الله عنه
من اراد التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله فانها تذوب وتصغر
ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب عنه سلطان نفسه لان
النفوس كلها محقورة عند هيبته ومن اشرف التواضع ان لا ينظر
الى نفسه دون الله تعالى اهـ والحاصل ان التواضع الحقيقي
انما هو للعارفين لانهم حين شهدوا عظمة الحق خرجت
عنهم اوصاف نفوسهم اذ لا يخرج عن الوصف الا شهود الوصف
كما ذكره بقوله لا يخرجك عن الوصف الا شهود الوصف
فلا يخرجك عن اوصاف نفسك الذميمة الا شهود اوصاف ربك
العظيمة فلا يخرجك عن دناءة نفسك الا شهود كرم ربك
فلا يخرجك عن شهود اوصافك الحادثة الا شهود اوصاف
ربك الكريمة القديمة فيخرجك عن شهود فعلك بشهود
فعله وعن شهود صفاتك بشهود صفاته وعن شهود ذاتك
بشهود نور ذاته وقد سئل شيخ اشياخنا القطب ابن
مشيش عن حقيقة المحبة فقال المحبة اخذ القلب وخطفه عند
كشف نور الجمال وقدس الجلال والشرب مزج الاوصاف بالاوصاف
والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاسماء بالاسماء
والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال الخ فما دام العبد لم يشاهد
اوصاف ربه العظيمة لا يمكنه ان يخرج عن اوصاف نفسه
اللئيمة خروجا كليا وانما يكون ذلك مجاهدة تارة له وتارة
عليه بين طلوع ونزول بخلاف ما اذا شاهد اوصاف ربه
فانه

سائله تلميذه ابو الحسن رضي الله عنهما

فانه يغيب عن نفسه قد تولاه محبوبه فكان سمعه وبصره
ويده ورجله ومؤيدا له فلا يتصرف الا بالله ومن يعتصم بالله
فقد هدي الى صراط مستقيم وانشدوا

اذا حزت الفخار فلا تبال ... بنقص في الجلالة او كمال
فما التانيث في اسم الشمس نقص ... ولا التذكير فخر للهلال

يشير الى انه اذا تحقق الفناء في الذات والبقاء بالله فلا نقص للنفس
ولا كمال وانما الكمال للكبير المتعال فله الحمد والثناء على كل حال
كما قال الشيخ رضي الله عنه المؤمن يشغله الثناء على الله
عن ان يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن ان يكون
لحظوظه ذاكرا قلت النفس عند تحقق الفناء لا وجود لها حتى
تذكر ولا فعل لها حتى تشكر فليس للعارف عن نفسه اخبار حتى يخبر
عنها بفعل شيء فضلا عن ان يشكر لها وصفا فقد استغرقه شهود
فعل الحق عن فعله وشهود وصف الحق عن شهود وصفه وشهود
ذات الحق عن شهود ذاته فيشغله الثناء على الله عن الالتفات
الى ما سواه اذ لا يشهد في الكون الا اياه وتشغله حقوق الحق
عن الالتفات الى حظوظ النفس اذ لا نفس مع الفناء فلا يبقى الا
حقوق العالم الاسنى فتنقلب الحظوظ في حقه حقوقا لانهم اذا نزلوا
من عش الحضرة الى ارض الحظوظ نزلوا بالاذن والتمكين والرسوخ
في اليقين نزلوا بالله ومن الله والى الله فليس لهم نظر الى سواه قد
تخلصت ارواحهم من طلب الحظوظ معجلة او مؤجلة نفسانية او روحانية
ان صدر منهم عمل راوه منة من الله فيستحيون ان يطلبوا عليه
عوضا او غرضا كما ابان ذلك بقوله ليس المحب الذي يرجوا
من محبوبه عوضا او يطلب منه غرضا قلت لا شك ان المحبة

التى تكون على الحروف والحظوظ ليست بمحبة وانما هى مصانعة لقضاء
الحاجة فمن احب احدا ليعطيه او ليدفع عنه فانما احب نفسه اذ لولا
غرض نفسه فيه ما احبه **قال** ابو محمد رويم رضى الله عنه من احب
العوض نقص العوض اليه محبوبه وايضا فطالب العوض انما هو
بائع يريد ان يعطى لينال والمحب مقتول فى محبة سيده لا يعرج
على سوى مرضاته وفى معنى ذلك قيل

بنى الحب على الجور فلو ۝ انصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن فى حكم الهوى ۝ عاشق يطلب تأليف الحجج

ومما لا يستحسن ايضا فى حكم المحبة والهوى اظهار الحزن او الكآبة
من اجل الجفا من المحبوب او الشكوى بذلك بل الواجب هو التجلد
والصبر على جفاء المحبوب حتى يظفر بالمطلوب وفى ذلك قيل

ان شكوت الهوى فما انت منا ۝ احمل الصد والجفا يا معنا
تدعى مذهب الهوى ثم تشكوا ۝ اين دعواك فى الهوى قل لى اينا
لو وجدناك صابرا لهوانا ۝ لاعطيناك كل ما تتمنا وقال آخر
الحب دينى فلا ابغى به بدلا ۝ والحسن ملك مطاع جار ام عدلا
والنفس عزت ولكنى فيك ابذلها ۝ والذل مر ولكن فى رضاك حلا
يا من عذابى عذب فى محبته ۝ لا اشتكى منك صدا لا ولا مللا

وان شئت قلت المحبة هى اخذ الرب بقلب العبد بحيث لا يلتفت
الى غيره او اخذ جمال المحبوب بمحبة القلب حتى لا يجد مساغا
للالتفات لسوى المحبوب فمتى وقع الالتفات نقص الحب على
قدره **قال** بعض الناس لامرأة انى أحبك فقالت وكيف
وخلفك من هو خير منى فالتفت فقالت قبحك الله من محب
تدعى المحبة وتلتفت للغير وكذلك العبد اذا ادعى محبة

سيده

سيده ثم احب شيئا او استحسن شيئا من السوى او اشتكى شيئا او
خاف شيئا سوى محبوبه فهو ناقص او مدعيها ومن ادعى
ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان ثم علل الشيخ كون المحبة
على العوض مدخولة فقال **فان المحب من يبذل لك ليس
المحب من تبذل له** قلت المحب فى الشيء هو الذى يبذل
نفسه وفلسه فيه ويزهد فى جنسه من اجله ولا يصح ذلك على
التمام الا فى جانب الذى اسبغ عليك سوابغ الانعام انعم عليك
اولا بالايجاد وثانيا بالامداد واعطاك كل ما تريد وملكك
الكون كله تتصرف فيه كما تريد قال تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه
وقال خلق لكم ما فى الارض جميعا فهذا سبب محبة العوام واما
محبة الخواص فهى ناشئة عن شهود جماله وبهائه فغابوا
فى شهود جماله وتاهوا فى حضرة بهائه وانشدوا

يا ساقى القوم من شذاه ۝ الكل لما سقيت تاهوا
غابوا وبالسكر فيك طابوا ۝ وصرحوا بالهوى وفاهوا

فهؤلاء باعوا ارواحهم فى طلب مولاهم ثم استقلوا ما باعوا
واستحيوا مما بذلوا لعلة ما اعطوا فى جانب ما طلبوا وفى ذلك
يقول سلطان العشاق ابن الفارض رضى الله

لو ان روحى فى يدى ووهبتها ۝ لمبشرى بقدومكم لم انصف
مالى سوى روحى وباذل روحه ۝ فى حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد اسعفتنى ۝ يا خيبة المسعى اذا لم تسعف

قال الشيخ ابو عبد الله القرشى رضى الله عنه حقيقة المحبة
ان تهب كلك لمن احببته حتى لا يبقى لك منه شيء **وقال** ابو
يعقوب السوسى حقيقة ان ينسى حظه من الله وينسى حوائجه

بوصالكم

المحبة صح

اليه وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه المحب على الحقيقة من لا سلطان
على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له مع مشيئته وقيل اول ما يقول الله
للعبد اطلب العافية والجنة والاعمال وغير ذلك فان قال لا اريد
الا انت قال له من دخل في هذا معي فانما يدخل باسقاط الحظوظ
ورفع الحدث واثبات القدم وذلك يوجب له العدم وفي معنى ذلك
قيل ٭ من لم يكن بك فانيا عن حظه ٭ وعن الفنا والانس بالاحباب ٭
٭ فلانه بين المنازل واقف ٭ لمنال حظ او لحسن مآب ٭
وبالجملة فامر المحبة كبير وبحرها خطير وفي ذلك قالوا ما خاضوا
بحر الارباح حتى خاضوا بحر الخسارة لا تنال الا بموت النفوس
وترك الفلوس ان ترد وصلنا فموتك شرط لا ينال الوصال من فيه فضله
فما تحقق سير السائرين ورحيلهم الى المحبوب الا بمحاربة
النفوس ومجاهدتها وقتلها كما ابان ذلك بقوله لولا ميادين
النفوس ما تحقق سير السائرين قلت الميادين جمع
ميدان بكسر الميم وبفتحها وبه صدر في القاموس وهو مجال
الخيل ثم استعير هنا لمحاربة النفوس ومجاهدتها فهي تارة
تكر عليه فتظفر به وتارة يكر عليها فيظفر بها وفي هذا المعنى
قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه
٭ سايس من النفس جهدك ٭ وصبح ومس عليها ٭
٭ لعلها تدخل بيدك ٭ فتعود تصطاد بيها ٭
فقد بين رضي الله عنه كيفية مجاهدتها وعلمك الحيلة
في اخذها وذلك ان تدخل معها شيئا فشيئا فتعلمها الصمت
وحده ثم العزلة ثم تقدمها للخراب شيئا فشيئا تقدمها
للقليل فاذا استأنست به زدتها شيئا اخر وهكذا فاحب

الاعمال

الاعمال الى الله ادومه وان قل ولا يعلمها البطالة فورده
من العمل الذي تموت به لا يتركه وقد كنت في حالة المجاهدة
اذا هممت بترك وردي نادتني هواتف الاكوان حتى كنت
في بعض الايام تخاطبني الصبيان يا هذا اليهودي حين
هممت بترك وردي من السؤال وقد سمعت مرارا متعددة حين
نستعمل خرابا زد على يدك وتارة يقول زد صف سيبكيك
وتارة نسمع يا عساس حين يسرقني شيء من الحس وهكذا وكانت
مجاهدتي لنفسي كلها سياسة لم احملها من المرة الاولى الا
ما تطيقه حتى تستأنس به ثم نزيدها حتى كنت نفعل بها
ما نشاء قال بعض العارفين انتهى سير الطالبين الى الظفر
بنفوسهم فان ظفروا بها وصلوا وما ذكرته من السياسة
للنفس والاحتيال عليها هو الصواب قال في المباحث
٭ واحتل على النفس فرب حيله ٭ انفع في النصر من قبيله ٭
واما ان حملها من اول مرة ما لا تطيقه فانها تسقط وتمل وربما
ترجع بالكلية قال صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما
تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وقال لا يكن احدكم
كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والمنبت هو المنقطع وحـ
وحاصل ما ذكره الشيخ في هذه الحكمة ان الناس على قسمين
قسم لا سير لهم اذ لا توجه لهم الى الله فهم واقفون مع
ظاهر الشريعة كلما اباحته الشريعة اخذوه كان ثقيلا على
النفس او خفيفا بل لا ياخذون الا الخفيف لانهم يقصدون
رخص الشريعة وتسهيلها مما يوافق هواهم فلم يغيروا
من عوائدهم وشهواتهم شيئا فعزهم وافر وجاههم باق

ودنياهم فى الزيادة وهو لاعوام المسلمين وقسم شاقت نفوسهم
الى حضرة الملك وغلبهم الشوق فتوجهوا الى حضرته واشتغلوا
بمجاهدة نفوسهم ومحاسبتها فكل ما يثقل عليها ادخلوها فيه
وهى تموت وكل ما يخف عليها جنبوها منه وهى تبكى هكذا
يدومون عليها حتى ترتاض وتلين وحينئذ نطاوعهم
فيما يريدون فاول ما يجاهد المريد فى ترك الدنيا والتخفيف
حتى لا يبقى ما يشغله عن ربه ثم فى ترك الناس والفرار
منهم يتنكر لمن يعرف ولا يتعرف لمن لا يعرف ثم فى اسقاط
المنزلة والجاه حتى يسقط من عين الناس ويسقط الناس من
عينه ثم فى الذل والانكسار قلبا وقالبا بالمشى بالحفاء
وتعرية الراس وغير ذلك فاذا تحققت بالذل والتواضع
والخمول والفقر وسكنت فى ذلك واستحلته فقد تمكنت منها
وملكها بل ملك الكون كله

ونفسك تحوى بالحقيقة كلها ، اشرت بحد القول ما انا خادع

فكل من ملك نفسه فقد ملك الوجود باسره فلولا مجاهدة
النفوس ومحاربتها فى هذه الميادين ما تحقق سير السائرين
اذ لا يتحقق السائر من القاعد الا بمخالفة الهوى وخرق
العوائد فمن خرق عوائد نفسه حتى استوى عنده العز
والذل والفقر والغنا وغير ذلك من مكروهات النفوس
فقد تحقق سيره ووصوله ومن لم يقدر على تغيير شعرة
من نفسه فلا سير له ولا وصول قال ابو عثمان الحيرى لا يكمل
الرجل حتى يستوى قلبه فى اربعة اشياء فى المنع والعطاء
والعز والذل يعنى انه يكون عنده الذل كالعز والمنع كالعطاء
لا ينقص

لا ينقص منها وقال محمد بن خفيف رضى الله عنه قدم علينا
بعض اصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت اخدمه
واخذ منه الطشت طول الليل قال فغفوت مرة فقال لى
نمت لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله
لعنك الله قال كقوله رحمك الله وحكى عن ابراهيم بن
ادهم رضى الله عنه انه قال ما سررت فى الاسلام الا ثلاث
مرات معدودات كنت فى مركب يوما وكان به رجل يحكى
الحكايات فيضحك منه الناس وكان يقول رايت وقتا
فى معركة الترك علجا ويقول هكذا وكان ياخذ بلحيتى
ويمد يده على حلقى والناس يضحكون منه ولم يكن فى ذلك
المركب عند احد اصغر منى ولا احقر فسررت بذلك ويوما
اخر كنت جالسا فجاء انسان فصافعنى ويوما اخر كنت فصفعنى
جالسا فجاء انسان وبال على وقال بعضهم حقيقة زوال
الهوى من القلب حب لقاء الله فى كل نفس من غير اختيار حالة
يكون عليها فاذا وجد المريد هذه العلامات فى نفسه
فقد خرج من عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما
قال الشاعر

لك الدهر طوعا والانام عبيد ، فعش كل يوم من ايامك عيد زمانك

وكما قال سيدى ابو العباس بن العريف رضى الله عنه فى هذا المعنى

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ، ولاح صباح كنت انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه ، ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنبت ، على مركب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه ، شهى الينا نثره ونظامه

اذا اسمعته النفس طابت نعيمها   وزال عن القلب المعنى غرامه
فان لم يجد المريد هذه العلامات فليستمر على سيره ولا يمل
ولا يفتر فمن عرف ما قصد هان عليه ما ترك وهذا الكلام
انما هو مع من اسعده الله فوصله الى شيخ التربية واما من
لم يصل اليه فلا يطمع فى السير ابدا ولو جمع العلوم كلها
وصحب الطوائف كلها وهذا امر ذوقى لا اقلد فيه احدا
فقد صلينا كثيرا وصمنا كثيرا واعتزلنا كثيرا وذكرنا كثيرا
وقرانا القرآن كثيرا والله ما عرفنا قلوبنا ولا ذقنا حلاوة
المعانى حتى صحبنا الرجال اهل المعانى فاخرجونا من
التعب الى الراحة ومن التخليط الى الصفا ومن الانكار
الى المعرفة فان قلت قد قال الحضرمى قد انقطعت
التربية وما بقى الا الهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة
قلت لم يقصد الحضرمى انقطاعها على الابد وحاشا
الحضرمى ان يتحكم على الله ويعجز قدرة الله وانما اراد ان
فى زمانه مدعين كثيرين فحذر اهل زمانه منهم ومعرفة
الحضرمى وزروق رضى الله عنهما تنافى هذا القصد وعلى
تقدير صدورها منهما فليسا بمعصومين فكل كلام يرد
ويقبل الا صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم **وقد** وجد
بعد الحضرمى رجال كانوا من اهل التربية النبوية بالحال
والمقال والهمة لا يمكن عدهم وهم موجودون فى زماننا
هذا مشهورون كنار على علم قد هدى الله على ايديهم خلقا
كثيرا وخرج على ايديهم من الاولياء ما لا يعلمهم الا من من
عليهم بمعرفتهم **قال** فى لطائف المنن انما يكون الاقتداء
بولى

٢٦٨

بولى دلك الله عليه واطلعك على ما اودعه من الخصوصية
لديه فطوى عنك شهود بشريته وعرفك وجود خصوصيته
فالقيت اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات
نفسك وكمائنها ودقائقها ويدلك على الجمع على الله
ويعلمك الفرار مما سوى الله ويسايرك فى طريقك حتى تصل
الى الله يوقفك على اساءة نفسك ويعرفك باحسان الله اليك
فتفيدك معرفة اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون
اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الاقبال عليه و
القيام بالشكر اليه والدوام على ممر الساعات بين يديه قال
فان قلت فاين من هذا وصفه لقد دللتنى على اغرب من
عنقاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان الدالين وانما
يعوزك وجدان الصدق فى طلبهم جد صدقا تجد مرشدا
وتجد ذلك فى كتاب الله قال تعالى امن يجيب المضطر
اذا دعاه وقال فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت
الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف
الى الامن لوجدت ذلك اقرب اليك من وجود طلبك
ولو اضطررت الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت
الحق منك قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر
عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك اه **قال** الشيخ
ابن عباد رضى الله عنه وفى كلامه تنبيه على ان الشيخ
من منح الله وهداياه للعبد المريد اذا صدق فى ارادته
وبذل جهده فى مناصحة مولاه لا على ما يزعمه من لا علم عنده
من كونه لا يشترط ثم قال وعند ذلك يوفقه الله تعالى

من
ودفائنها

لاستعمال الادب معه لما شهده من علىّ مرتبته ورفع درجته
اه وقال ايضا فى لطائف المنن وليس شيخك من سمعت
منه انما شيخك من اخذت عنه ليس شيخك من واجهتك
عبارته انما شيخك من سرت فيك اشارته وليس شيخك
من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه
الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله انما شيخك
من انهض بك حاله شيخك هو الذى اخرجك من سجن
الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذى ما زال يجلو
مرآة قلبك حتى تجلت فيه انوار ربك نهض بك
الى الله فنهضت اليه وسار بك حتى وصلت اليه ولا
زال محاذيا لك حتى القاك بين يديه فزج بك فى نور
الحضرة وقال ها انت وربك اه والسير هنا الى الله تعالى مجازى
عبارة عن قطع العلائق والعوائق والا فالامر كما قال الشيخ
لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا
قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك قلت هذا
سؤال عن بحث مقدر كان قائلا قال له هل بيننا وبينه مسافة جواب ٢
حتى يتحقق سير السائرين اليه فقال لا مسافة بينك
وبينه الا حجاب النفس الكثيفة وعلائق القلب الكونية
فخرق عوائدها وقطع شهواتها وقطع العلائق والعوائق
هو السير الى الله فمن خرق عوائد نفسه زالت عنه الحجب
الظلمانية ومن قطع علائق القلب فاضت عليه العلوم
الربانية واشرقت عليه الشموس العرفانية وهذا هو الوصول
فلا مسافة بينك وبينه حسية حتى تطويها رحلتك ولا
قطعة

٢٦٩

قطعة بينك وبينه اى لا حاجز بينك وبينه حتى تمحوها
وصلتك قال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس
به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فما حال بيننا
وبينه الا توهم وجود نفوسنا فلو غبنا عنها لوجدنا انفسنا
فى الحضرة ولا يمكن الغيبة عنها الا بموتها وموتها فى مخالفة
عوائدها قال الشيخ ابو مدين من لم يمت لم ير الحق وقال الشيخ
ابو العباس المرسى رضى الله عنه لا دخول على الله الا من بابين
اما بالفناء الاكبر الذى هو الموت الطبيعى او بالفناء الاصغر
الذى تعنيه هذه الطائفة وقال بعضهم لا يدخل على الله حتى
يموت اربع موتات الموت الاحمر وهو مخالفة النفس والموت
الاسود وهو احتمال الاذى من الخلق والموت الابيض وهو الجوع
والموت الاخضر وهو لبس المرقعات قال الشطيبى رضى الله
عنه واعلم ان طريق الحق تعالى ليس فيها مفازة ولا متاهة
بل هى منازل واحوال قد جعل الله جميعها اعوانا وانصارا
وهو سبحانه يصدق وعده وينصر عبده ويهزم الاحزاب
وحده وانما المفاوز والمسافات فى الركون الى المألوفات
واتباع العادات وفى مسامحة النفس والوقوف مع الحس والحدس
وعند كشف الغطاء يتبين ذلك كما قال صاحب المباحث الاصلية

وانما القوم مسافرون ۰ لحضرة الحق وظاعنون ۰
فافتقروا فيها الى دليل ۰ ذى بصر بالسير والمقيل ۰
قد سلك الطريق ثم عاد ۰ ليخبر القوم بما استفاد ۰

الى آخر كلامه وقال ايضا ومن الناس من تحجبه المجاهدة عن
المشاهدة فتسطو عليه الاحوال فتحول بينه وبين الغاية

القصوى ومناهج الخلق متفاوته لا تجرى على منهاج واحد
قال الله العظيم لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولكل وجهة
هو موليها فاستبقوا الخيرات وكل شخص انما يعبر عن وجهته
التى خصه الله بها ولذلك كان النظر فى المكتب يضعف
المسالك لتشعبها وكثرتها عند اختلاف الهمم لا سيما من
جبلت طبيعته على علم الظاهر فانه ابعد الناس عن الطريق
مالم يداركه الله بفتح منه لان التشريع كل حكمة تحتها حكم
من لم يفهمها فبستانه مزهر غير مثمر ومن هنا وقع الانكار
حتى امتحن الله كثيرا من الصوفية على ايدى علماء الظاهر
عند ما نسبوهم للكفر والزندقة والبدعة والضلال وسر الخصوصية
يقتضى ذلك لا محالة سنة الله التى قد خلت
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وما هلكت الامم السابقة
الا بقولهم انا وجدنا اباءنا على أمة وانا على اثارهم مقتدون
فتحصل ان الانسان اذا جال مع النفس فى ميدانها فجاهدها
حتى هذبها وطهرها من الاوصاف الحاجبة لها رجعت نفسه
حينئذ الى اصلها وهى الحضرة التى كانت فيها اذ لم تكن بينها
وبين الحضرة الا الحجب الظلمانية فلما تخلصت منها رجعت الى
اصلها نورا مشرقا فى قالب ظلمانى فصارت عنده ياقوتة
مكنونة تنطوى عليها اصداف المكونات كما ابان ذلك بقوله
جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة
قدرك بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوى عليها اصداف
مكوناته قلت قد عظم الله سبحانه هذا الانسان وجعله نخبة

الاكوان

الاكوان اجتمع فيه مالم يجتمع فى غيره فيه ملك وملكوت ونور وظلمة
وغيب وشهادة وعالم علوى وسفلى وقدرة وحكمة وحس ومعنى
فقد جعلك الله ايها الانسان ناشئا فى العالم المتوسط بين ملكه
وهو بشريتك وملكوته وهو روحانيتك او تقول بين ملكه وهو
عالم الاشباح وملكوته وهو عالم الارواح فلست ايها الانسان
ملكا فقط فتكون كالبهائم والجمادات ولا ملكوتيا فقط فتكون
كالملائكة ولكن جعلك مركبا من ملك وملكوت لتظهر مزيتك
بالمجاهدة والمشاهدة ولذلك خصصت بالخلافة وتقدمت
لحمل الامانة ثم متعت بالنعيم والنظر الى وجهه الكريم ثم
انقسمت الناس على قسمين فمنهم من غلبت بشريتهم على
روحانيتهم وملكهم على ملكوتهم وظلمتهم على نورهم فبقوا
فى ظلمة الاكوان ومنعوا من الشهود والعيان وهم عوام المسلمين
ومنهم من غلبت روحانيتهم على بشريتهم ونورهم على ظلمتهم
وملكوتهم على ملكهم وهم الخواص العارفون السائرون اليه
بمجاهدة نفوسهم فى ميدان الحرب وهو مجال الفرسان فمنهم
السابق والمقرب ومنهم اللاحق المحبب كل واحد على قدر صدقه
فى محبة سيده وظاهر كلام الشيخ ان الانسان شئ زائد على
البشرية والروحانية لأنه قال جعلك الله فى العالم المتوسط
بين الملك وهو البشرية والملكوت وهو الروحانية فيقتضى
انه شئ ثابت بينهما والتحقيق ان الانسان هو المجموع
من الجسد والروح فهو بنفسه عالم متوسط اى مركب من ملك
وملكوت فلو قال جعلك عالما متوسطا بين ملكه وملكوته
لافهم المراد بسهولة اى لست ملكا فقط ولا ملكوتا فقط

بل جعلك متوسطا بينهما اى مركبا منهما كقوله عليه السلام
كنت نبيا وادم بين الماء والطين اى مركبا منهما دون
روح ولكن عبارة الشيخ فيها الغاز وتدقيق اشارة وعلمنا
كله اشارة وانما جعلك بين ملك وملكوت ليعلمك جلالة
قدرك وفخامة امرك قال تعالى ولقد كرمنا بنى ادم
وقال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وليعلمك
ايضا انك جوهرة نفيسة مصونة فى صدف نفيس
وهو الكون باسره فتطوى عليك اصداف مكوناته من
عرشه الى فرشه فانت ايها الانسان كالياقوتة فى صدف
الارض تقلك والسماء تظلك والجهات تكتنفك والجن
والحيوانات تخدمك والجمادات تدفع عنك وانت فى
وسط الجميع فالافلاك دائرة بك والشمس والقمر منيرات
لما انت فيه فانت جوهرة الصدف ولباب الكون ومداره
عليك قال الشيخ ابو العباس المرسى رضى الله عنه
الاكوان كلها عبيد مسخرة لك وانت عبد الحضرة وقد ورد
فى بعض الكتب يا ابن ادم انا بدك اللازم فالزم بدك
وفى بعض الاثار المروية عن الله عز وجل يا ابن ادم
خلقت الاشياء من اجلك وخلقتك من اجلى فلا تشتغل
بما هو لك عمن انت له وقد قالوا فى عجائب الانسان
ان الوجود كله منطو فيه فهو نسخة من العالم الاكبر
ومما ينسب لابى العباس المرسى رضى الله عنه

يا تائها فى مهمه عن سره + انظر تجد فيك الوجود باسره
انت الكمال طريقة وحقيقة + يا جامعا سر الاله باسره

وقال

وقال فى المباحث

يا سابقا فى موكب الابداع + ولاحقا فى جيش الاختراع
اعقل فانت نسخة الوجود + لله ما اعلاك من موجود
اليس فيك العرش والكرسى + والعالم العلوى والسفلى
ما الكون الا رجل كبير + وانت كون مثله صغير

قلت انما يكون الانسان نسخة من العالم او كونا صغيرا ما لم تغلب
روحانيته على بشريته ومعناه على حسه ونوره على ظلمته واما ان غلبت
روحانيته على بشريته ومعناه على حسه فقد صار حينئذ ملكوتيا
جبروتيا قد استولى على الكون باسره وصار هو العالم الاكبر والكون نسخة
منه وفى ذلك يقول ابن الفارض رضى الله عنه

وانى وان كنت ابن ادم صورة + فلى فيه معنى شاهد بابوة

اذ الروح لم يسعها ارض ولا سماء كما بين ذلك بقوله وسعك الكون
من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك قلت
الروح اذا اتصفت وتطهرت من كدرات الحس عرجت الى عالم الجبروت
فلم يحجبها عن الله ارض ولا سماء ولا فلك ولا عرش ولا كرسى بل يصير
ذلك فى جوفها كشئ تافه وهذا امر مذوق عند العارفين اذا نظروا
الى الكون باسره ذاب ورجع ماء فاذا شربوه صار فى قلوبهم كنقطة
وهم متفاوتون فى احاطتهم بالكون فمنهم من يصير عنده كالسـ
كالبيضة ومنهم من يصير عنده كالخردلة وذلك بحسب اتساع النظرة
وضيقها فكلما جالت الروح فى بحر الجبروت صغر الكون عندها حتى
لا تحس به ولذلك قال بعضهم لو كان العرش فى زاوية من زوايا قلب
العارف ما احس به وقال اخر العرش والكرسى منطبعان فى ترسى
وقال شيخ اشياخنا مولاى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه والعرش

والكرسى فى طى قبضتى ثم يتلاشى الكون ويضمحل ويتصل
عالم الملكوت بعالم الجبروت فلا بقاء الا للحى الذى لا يموت وهذا
لا يفهمه الا العارفون الذين غلبت روحانيتهم على بشريتهم
فصاروا روحانيين ملكوتيين اشباحهم مع الخلق وارواحهم
مع الحق فقد وسعك ايها الانسان الكون وحصرك من حيث
جثمانيتك وبشريتك وهيكلك المحصور ولم يسعك
من حيث ثبوت روحانيتك لان روحك متصله بعالم الجبروت
المحيط فلما تكثفت وانحصرت فى هذا الهيكل لزمتها القهرية فلما
فاحتجبت بالحكمة وتقيدت بالقدرة فما دامت البشرية كثيفة
بحب الشهوات والعوائد فهى محجوبة فاذا تلطفت بذكر الله
وانخرق عنها حجاب الحس رجعت الى اصلها فاتصلت ببحرها
فصار الملكوت والملك فى طى قبضتها فلم يسعها حينئذ ارض
ولا سماء ولا يحصرها عرش ولا فرش ولذلك قيل الصوفى لا تقله
الارض ولا تظله السماء وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى
لم تسعنى ارضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اى
الكامل وهو العارف والله تعالى اعلم فالجبروت هو المعانى
اللطيفة القديمة التى لم تدخل عالم التكوين والملكوت ما دخل
عالم التكوين باعتبار جمعه ولحوقه باصله والملك ما دخل
التكوين واعتقد فيه الفرق فاهل الجمع لا ملك عندهم وانما عندهم
الملكوت والجبروت فما داموا يفرقون بين النور الكثيف والنور
اللطيف فعندهم الملكوت والجبروت فاذا ضموا كل شئ الى اصله
لم يبق الا الجبروت واهل الفرق اثبتوا الملك بوهمهم وحجوا به
عن الله والله غالب على امره فما دام الكون مسجونا بالكون
محصورا

محصورا فى بشريته فهو فى سجن الاكوان فان نفذت بصيرته
وعرجت روحه الى الملكوت خرج من السجن الى الفضاء كما بين
ذلك بقوله الكائن فى الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب
مسجون بمحيطاته محصور فى هيكل ذاته قلت ميادين
الغيوب هى ما ادركته الروح حين خرجت من ضيق الاشباح
الى عالم الارواح من فضاء الشهود ومعرفة الملك المعبود فما
دام الانسان فى الكون بحيث لا يشهد الا الكون ولا يدرك الا الحس
ولم تفتح له ميادين الغيوب اى لم يخرج الى فضاء الشهود
فهو مسجون بمحيطاته اى بالاكوان المحيطة به كالسموات
والافلاك الدائرة به فهو فى سجن الاكوان محصور ايضا
فى هيكل ذاته اى فى شكل بشريته وكثائف جسمه فاذا غلبت
روحانيته على بشريته فقد خرجت من حصر الهيكل واذا نفذت
بصيرته الى فضاء الملكوت او بحار الجبروت فقد خرجت من سجن
الاكوان الى شهود المكون فحينئذ تحرر من رق الاكوان وتخطى
بنعيم الشهود والعيان واما ما دام محصورا فى الهيكل مسجونا
فى الاكوان فهو محجوب عن الله ولو كان عالما بالعلوم الرسمية
متبحرا فيها اذ لا يزيده التغلغل فيها الا حجابا عن الله وقد قال
الشيخ ابو الحسن التغلغل فى علم الظاهر يضر بصاحبه فى علم الخصوص
او ما هذا معناه وقال فى قوت القلوب كل من لم يفتح له فى هذا العلم
يعنى علم الباطن فهو من اهل اليمين وكل من فتح له فى علم الباطن
فهو من المقربين السابقين اه وهو ظاهر لان علم الرسوم
لا يخرجه من سجن الاكوان فهو مع الاكوان على الدوام واذا كان
مع الاكوان فاته شهود المكون كما قال الشيخ رضى الله عنه

**انت مع الاكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان
معك** قلت مادام العبد مقيدا فى سجن الاكوان ومحصورا فى هيكل
جسمه فالاكوان حاكمة عليه فهو يحبها ويعشقها وهى تبغضه
وتبعده عن ربه وهو يفتقر اليها وهي غنية عنه وهو يميل اليها
ويحرص عليها وهى تفر منه وهو يخاف منها ويهيبها وهى تخوفه
وترعبه فاذا شهد مكونها وغاب عنها وتحرر من رقها كانت حينئذ
هى خادمه وهو حاكم عليها وهى تحبه وتعشقه وهو مشغوف
بحب خالقها وهى تفتقر اليه وهو غنى عنها وهى تحرص عليه
وهو زاهد فيها وهى تخاف منه وتهابه وهو فى امن منها فالجنة
تشتاق اليه وهو غنى عنها **وفى الحديث** اشتاقت الجنة الى على
وعمار وصهيب وبلال كانوا من اهل الصفة والنار تهابه وهو
فى غيبة عنها وقد ورد فى الحديث انها تقول يوم القيمة جز يا مؤمن
فقد اطفأ نورك لهبى اوكما قال عليه السلام فانت ايها
الانسان محبوس مع الاكوان فى عالم الاشباح مقيد فى قيودها
فهى حينئذ تتصرف فيك كيف شاءت حين تكون تحبها وتحرص
عليها وتشتاق اليها كائنة ما كانت شهادية اوغيبية مالم
تشهد المكون وتعرفه فاذا شهدت المكون وعرفته كانت
الاكوان معك لانك تكون حرا عنها وهى مملوكة لك لا تحب
منها شيئا من حيث كونيتها ولا تخاف منها شيئا كذلك
لانك قد رحلت عنها الى عالم الارواح فحينئذ تكون فى
قبضتك تتصرف فيها كيف شئت لأنك حينئذ تصير خليفة
الله فى ارضه الكون كله فى قبضتك وعند همتك لانك علقت
همتك بالله فصير الاشيا عند همتك **وفى** بعض الآثار
المروية

المروية عن الله عز وجل يقول عبدى اجعلنى مكان
همك اكفك كل همك ما كنت بك فانت فى محل البعد وما
كنت بى فانت فى محل القرب فاختر لنفسك **وقال** بعض الاشياخ
انى لادخل السوق والأشياء كلها تشتاق الى وانا غنى عنها
وقال ابن الجلا رحمه الله من علت همته عن الاكوان وصل الى
مكونها ومن وقف بهمته على شيء دون الحق فقد حجب به عنه
لأنه اعز من ان يرضى معه بشريك اه فمن رفع همته عن
الاكوان وتمتع بشهود المكون فقد ثبتت له الخصوصية
الكبرى والولاية العظمى ولا يلزم من رفع الهمة عن الاكوان
استغناؤه عما تحتاج اليه البشرية مما يقوم به وصفها اللازم
لها واليه اشار بقوله **لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم
وصف البشرية** المراد بالوصف البشرى ما جعله الله محتاجا
اليه بحكمته فى قوام بدن الانسان من اكل وشرب ولباس ومسكن
وما فطره عليه من شهوة مباحة كنكاح وشهوة غير محرمة
فهذه الاوصاف لا ينافى وجودها وجود الخصوصية فقد قال
تعالى فى الرسل وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون
الطعام ويمشون فى الاسواق وقال تعالى ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نعم وصف البشرية
فى حق اهل الخصوصية ليس هو كغيرهم لان اهل الخصوصية
امرهم كله بالله انقلبت حظوظهم حقوقا بخلاف غيرهم انفسهم
غالبة عليهم فتقلباتهم كلها فى حظوظ انفسهم فاذا تقرر
هذا علمت انه لا يلزم من ثبوت الخصوصية وهى الولاية
والمعرفة اوالحرية ومعناها واحد عدم وصف البشرية فالخصوصية

محلها البواطن ووصف البشرية محلها الظواهر ولذلك اختفت
الاولياء والانبياء والرسل عن الناس لظهور اوصاف البشرية عليهم
فكيف تعرف رجلا ياكل كما ناكل ويشرب كما تشرب وينام ويتزوج
النساء فلا يعرفهم الا من اراد الله سعادته وما وقع الانكار
على الانبياء والاولياء الا لاعتقادهم ان اوصاف البشرية تنافى
ثبوت الخصوصية فقد قال الكفار فى حقه عليه السلام وقالوا
مالهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق فرد الله تعالى
عليهم بعدم تنافيهما فقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين
الآية فهذه الاوصاف التى ذكرنا لا ينفك الطبع البشرى عنها
وهو موجودة مع خصوصية النبوة والولاية واما الاوصاف
التى هى مذمومة كالحسد والكبر والبغض والعجب والريا
والغضب والقلق وخوف الفقر وهم الرزق والتدبير والاختيار
والاختيار وغير ذلك فهذه لابد من التطهير منها فى خصوصية
النبوة والولاية وقد تقدم قوله اخرج من اوصاف بشريتك
عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا
ومن حضرته قريبا اما فى حق النبى فتطهيره منها واجب
لانه معصوم من جميع النقائص واما فى حق الولى فليس
بواجب لكنه محفوظ فقد يصدر منه شيء من هذه الاوصاف
المذمومة على سبيل الهفوة والزلة ولا تنافى وجود خصوصيته
لكنه لا يصر عليها ولا يدوم فيها فقد يصدر من الولى الغضب
مثلا والقلق والتدبير والاختيار وغير ذلك لكنه كالريح يضرب
ويسرح قال فى النصيحة الكافية وقد تكون للولى هفوة وهفوات
وزلة وزلات ولكن لا يصر عليها وقيل للجنيد ايزنى العارف
فسكت

فسكت ثم قال وكان امر الله قدرا مقدورا قال ابن عطاء الله
ليت شعرى لو قيل له اتكون همة العارف مع غير الله لقال لا
ثم ضرب مثلا لنور الخصوصية مع ظلمة البشرية الحسية فقال
انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت فى الافق
وليست منه تارة تشرق شموس اوصافه على ليل وجودك
وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك فالنهار
ليس منك اليك ولكنه وارد عليك قلت مثل نور الربوبية
الذى اشرقه الله فى قلوب اوليائه وستره بظهور البشرية
كمثل نور الشمس اذا اشرقت على الآفاق وهو الفضاء الذى
بين السماء والارض فان الفضاء قبل ظهور الشمس مظلم ليس
فيه نور فاذا اشرقت عليه الشمس رجع نورا صافيا فنورانيته
ليست من ذاته وانما هى من نور الشمس كذلك نور الربوبية
هو مستودع فى باطن البشرية فاذا اراد الله تعالى ان يظهر
خصوصية عبده اشرق ذلك النور على ظاهر بشريته
فتستولى روحانيته على بشريته فلا يبقى للبشرية اثر فتصير
البشرية كلها نورا فنور البشرية منها ولكنه وارد عليها يسرح
فتارة تشرق شموس اوصافه وهى الوجود والقدم والبقا
وسائر اوصافه السلبية والوجودية والمعانى والمعنوية
على ليل وجودك الظلمانى الكثيف فتذهب اوصافك الحادثة
العدمية بظهور اوصافه القديمة الازلية فيتحقق الوصال
ويذهب الانفصال وتارة يقبض ذلك النور ويغيبه عنك
ويرده الى باطنك فترجع الى شهود عبوديتك ويردك
الى حدودك وهذا حال الوارد الالهى اذا فاض على الانسان

غيبه عن نفسه واقتطعه عن حسه فلا يرى الا اوصاف ربه وينكر وجود نفسه
من اصله فاذا سكن الوارد رجع الى شهود نفسه بربه ورجع ذلك النور
الى باطنه فيكون باطنه نورا على الدوام وظاهره تارة يغلب عليه
ذلك النور وتارة تغلب عليه الظلمة اى العبودية فنور الوارد ليس
من الانسان من حيث بشريته ولكنه وارد عليه من حيث روحانيته
كمالات نور الافق ليس هو من ذات الافق لكنه وارد عليه من اشراق
شمس النهار عليه وها هنا مثال اخر وهو الحديد والفحمة اذا جعلتهما
فى النار ونفخت عليهما فانهما يرجعان من جنس النار وتكسوا
النار الحديد كله والفحمة كلها فاذا بردا رجع الحديد حديدا والفحمة
فحمة كذلك البشرية اذا استولت عليها الروحانية صارت كلها
روحانية معنوية فلا ترى الا المعانى ولا تحس الا بها واعلم ان
الناس فى هذا النور على ثلاثة اقسام قسم نوره حده الباطن
ولم يصعد من شعاعه شىء لظاهره وهم العوام وقسم استولى
نورهم على ظاهرهم وباطنهم وهم المجذوبون فى حضرة الله
وقسم امتلأ باطنهم نورا وصعد على ظاهرهم فاستوى على الظاهر شعاعه صح
على الدوام وهم السالكون بعد الجذب الراسخون فى المعرفة
والله تعالى اعلم ثم ذكر الطريقة الموصلة الى الخصوصية فقال
**دل بوجود اثاره على وجود اسمائه وبوجود اسمائه على
ثبوت اوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته اذ محال
ان يقوم الوصف بنفسه** قلت هذه طريقة الترقى فوجود
الأثر يدل على وجود القادر والمريد والعليم والحى مثلا فالقادر
يدل على قيام القدرة به بحيث لا تفارقه اذ محال ان يقوم الو
الوصف بنفسه فلزم من وجود الأثر وجود المؤثر وهنا
افترق

افترق اهل الظاهر من اهل الباطن فاهل الظاهر اثبتوا
من وجود الأثر وجود الاسماء والصفات ولم يقدروا على
شهود الذات غلبهم الحس عن شهود المعنى والوهم عن ثبوت
العلم وشهود الحكمة عن شهود القدرة واهل الباطن لما فرغوا
قلوبهم من الاغيار وباعوا نفوسهم للواحد القهار فتح الله
بصيرتهم عين بصيرتهم واطلعهم على مكنون سره فافردوا الحق بالوجود
وانتفى عن نظرهم كل موجود اذ محال ان تفارق الصفة
موصوفها او تقوم بنفسها فلزم من وجود الصفات وجود
الذات وهذا هو سر الخصوصية الذى خص الله به اولياءه
ولم يشاركهم فيه غيرهم ثم بين اهل الجذب من اهل السلوك
واهل التدلى من اهل الترقى فقال **فاهل الجذب يكشف
لهم عن كمال ذاته ثم يردهم الى شهود صفاته ثم يردهم
الى التعلق باسمائه ثم يردهم الى شهود اثاره والسالكون
على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين
لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا فى الطريق هذا فى ترقيه
وهذا فى تدليه** قلت عباد الله المخصوصون بسر الخصوصية
هم فى سيرهم على قسمين منهم من يبدا بالجذب ثم يرد الى
السلوك ومنهم من يبدا بالسلوك ثم يتداركه الجذب ثم
يصحوا فارباب الجذب يكشف لهم اولا من غير مجاهدة عن
شهود الذات فيسكر بشهود نورها فينكر الواسطة اصلا وينكر
الشرائع الا انه مغلوب ثم يرد من شهود الذات الى شهود الصفا
فلا يرى الا صفات الحق تكشفت وظهرت وينكر الاثر ثم اذا شهد
الصفات تعلق بالاسماء اللازمة لها ثم يرجع الى شهود اثاره

فبداية السالكين نهاية المجذوبين وبداية المجذوبين نهاية السالكين

فيقوم باحكام عبوديته والسالكون على عكس هذا فيستدلون
بوجود آثاره على وجود اسمائه وبوجود اسمائه على وجود
صفاته وبوجود صفاته على وجود ذاته كما تقدم فنهاية
السالكين وهي شهود الذات بداية المجذوبين ونهاية المجذوبين
وهي شهود الاثر بداية السالكين ولكن ليس بمعنى واحد
بل احدهما نازل يشهد الاشياء بالله والآخر صاعد يشهد
الاشياء بنفسه لله فربما التقيا في الطريق كشهود الصفات
والتعلق بالاسماء مثلا هذا في ترقيه وهذا في تدليه فاذا وصلا
معا اجتمعا لأن المرتقي يرجع للاثر الذي انتهى اليه المجذوب
بعد شهود الذات ويكون رجوعه بالله فيجتمعان معا في
مقام البقاء والمترقي اكمل من المتدلي في التربية لانه قاسى شدائد
الطريق واهوالها بخلاف المجذوب فانه كان محمولا وهو نادر
اذ الغالب على الناس السلوك ثم الجذب بالسلوك والطريق
الشاذلية الغالب عليها الجمع بين الجذب والسلوك من اول
قدم ومعنى الجذب هو اختطاف الروح من شهود الكون الى شهود
الملكوت واعلم ان الناس في الجملة على اربعة اقسام سالكون
فقط مجذوبون فقط سالكون ثم مجذوبون ومجذوبون
ثم سالكون فالاولان لا يصلحان للتربية والارشاد اما السالك
فقط فلانه ظاهري محض فلا نور له في باطنه يجذب به
واما المجذوب فقط فلا سلوك عنده يسير به والآخران يصلحان يصلح به
للتربية مع افضلية الاول واعلم ايضا ان حقيقة السلوك
الاول هو شهود خلق بلا حق وحقيقة الجذب هو شهود
حق بلا خلق وحقيقة السلوك الثاني هو شهود خلق بحق
والله

والله تعالى اعلم ثم ما يدركه الواصل من انوار الشهود وا
والعيان ليست هي حسية يدركها كل انسان وانما هي معاني
قلبية واسرار باطنية ملكوتية كما ابان ذلك بقوله لا يعلم
قدر انوار القلوب والاسرار الا في غيب الملكوت كما لا تظهر
انوار السماء الا في شهادة الملك قلت اعلم ان الناس كلهم
عندهم النور في قلوبهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة اي على اصل النشأة الاولية وهي
القبضة النورانية وقال تعالى الله نور السموات والارض قال
اهل تفسير الظاهر اي نور اهل السموات والارض وهو عام
في كل موجود فيهما فقد تحقق ان النور سار في الجميع فمن
الناس من حجب عن هذا النور وعمي عنه وهو من وقف
مع ظاهر الملك وهو قشر الكون وحسه الظاهر ويسمى عالم
الاشباح ولم ينفذ الى باطنه وهو الملكوت ويسمى عالم الارواح
فهذا محجوب عن نوره الباطني لا يرى الا النور الحسي لانه
مسجون في سجن الاكوان محصور في ظلمة الحس والوهم ومن الناس
من نفذت بصيرته الى شهود النور الباطني فيه ولم يقف مع
القشر بل نفذ الى اللب وهو نور الملكوت واسرار الجبروت وهو الذي شهود
اشار اليه في المباحث بقوله

مهما تعديت عن الاجسام • ابصرت نور الحق ذا ابتسام •

وهذا النور ايضا هو الذي تراه قلوب العارفين دون الغافلين
كما اشار اليه الحلاج بقوله •

قلوب العارفين لها عيون • ترى ما لا يرى للناظرين •

فاذا تحققت هذا علمت انه لا يعلم يا بنا المفعول

اى لايظهر قدر انوار القلوب الغيبية وشرفها وانوار الاسرار
القدسية وكمالها الا فى غيب الملكوت والجبروت فانوار القلوب
لايعلم قدرها الا فى غيب الملكوت وهى الانوار المتدفقة
من بحار الجبروت فمن لم ينفذ الى شهود الملكوت لم يعلم قدرها
بل لم يعرفها اصلا وانوار الاسرار لا يعلم قدرها الا فى غيب
الجبروت وهى الانوار الاصلية الازلية وهو ما لم يدخل عالم
عالم التكوين فمن كان محجوبا فى عالم الملك لايعلم قدر
انوار الملكوت ولا يحس بها بل ينكرها كما شهدناه ممن
يدعى الخصوصية وهو بعيد منها ومن كان واقفا مع
انوار الملكوت لايعلم قدر انوار الجبروت ومن نفذ منهما شهد
الجميع وكما لا تظهر الانوار الغيبية الا فى غيب الملكوت
او الجبروت كذلك لا تظهر انوار الملك وهى الانوار الحسية
الا فى عالم الشهادة وهو عالم الحس ويسمى عالم الملك **والحاصل**
ان انوار القلوب هى انوار الملكوت وانوار الاسرار هى انوار
الجبروت وهى غيبية لايعلم قدرها الا من ترقى الى عالم الملكوت
او الجبروت فحينئذ يدركها ويعلم قدرها علما وحالا والله
تعالى اعلم **تنبيه** قد رايت كثيرا ممن شرح هذا الكتاب
غلط فى تفسير الملك والملكوت والجبروت فزعموا ان الملك
هو عالم الدنيا والملكوت هو عالم الاخرة والجبروت ما لا يعلمه
احد وهذا غلط اذ لو كان كما زعموا ما صح الترقى من الملك الى
الملكوت والى الجبروت اذ يلزم على تفسيرهم ان الملك لا يرجع
ملكوتا والملكوت لا يصير جبروتا وهو غير سديد اذ قد نص
كثير من المحققين ان اهل الملكوت لا يرون الملك اصلا
واهل

واهل الجبروت محجوبون عن الملكوت هكذا ذكره النقشبندى فى شرح
الهائية والصواب ان المحل واحد وهو الوجود الاصلى والفرعى
فما لم يدخل خزانة عالم التكوين من عظمة البارى تعالى فهو عالم
الجبروت وما دخل التكوين فمن لحقه وجمع فيه فهو فى حقه ملكوت
ومن فرقه وحجب به فهو فى حقه ملك فتحصل ان المحل واحد
والامر انما هو اعتبارى تختلف التسمية باختلاف النظرة و
وتختلف النظرة باختلاف الترقى فى المعرفة فمن وقف مع
الكون كان فى حقه ملكا ومن نفذ الى شهود النور الفائض
من الجبروت الا انه رآه كثيفا نورانيا ولم يضمه الى اصله فى اللطافة
سمى فى حقه ملكوتا ومن ضمه الى اصله ولم يفرق بين النور
الكثيف سمى جبروتا وقد حققت ذلك فى قصيد فى التائية
وتقدم بعضها وكذلك فى شرح التصلية المشيشية والله تعالى
اعلم ولا بد لمن اراد ان تكشف له هذه الانوار ويدرك هذه
المقامات من وجود اعمال ومقاساة احوال فاذا عمل عملا ووجد ق
حلاوته فليستبشر بالفتح الذى هو جزاء السائرين وهو الذى
اشار اليه بقوله **وجدان ثمرات الطاعة عاجلا بشائر العا**
العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا قلت من وجد
فى بدايته حلاوة مجاهدته فليستبشر بوجود مشاهدته ومن
لم يجدها فلا ييأس من روح الله فان لله نفحات تهب
على القلوب فتضحى عند علام الغيوب او تقول من وجد ثمرة
عمله فى الدنيا فليستبشر بوجود الجزاء آجلا فى الآخرة وقد تقدم
هذا للشيخ مرارا وهذا الجزاء الذى يستبشر به لا ينبغى قصده
ولا طلبه لئلا يكون ذلك قدحا فى الاخلاص كما ابان ذلك

بقوله **كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك**
ام كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهدى به اليك قلت
العبد انما هو آلة مسخرة فاذا اسخره ربه تحرك والا فلا واذا كان
كذلك فلا نسبة لك فى العمل الا ظهوره عليك حكمة فكيف تطلب
تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك واذا من عليك
بصدق العبودية وهو سر الاخلاص فكيف تطلب الجزاء على صدق
هو مهدى به اليك وعبر فى جهة العمل بالصدقة التى تكون للمحتاجين
وفى جهة الصدق بالهدية التى تكون للمحبوبين لان العمل الناس
مشتركون فيه اذ جل الناس فى العمل والاخلاص قليل واهله اقل
من القليل وهم الخواص او خواص الخواص **قال** الشيخ ابو العباس
رضى الله عنه فى قوله عليه الصلاة والسلام انما انا نعمة مهداة
الانبياء لاممهم عطية ونبينا لنا هدية والعطية للمحتاجين
والهدية للمحبوبين **وقال** الواسطى رضى الله عنه مطالبة
الاعواض على الطاعة من نسيان الفضل **وقال** ابو العباس
ابن عطاء اقرب الاشياء الى مقت الله رؤية النفس وافعالها
واشد من ذلك مطالبة الاعواض على افعالها اه واعظم
الاعمال التى توجد ثمرتها عاجلا وآجلا هو ذكر الله وثمرته
هو النور الذى يشرق فى القلب فيضمحل به كل باطل والناس
فى هذا النور على قسمين قسم سكن النور قلوبهم فهم ذاكرون
على الدوام وقسم يطلبون وجوده باذكارهم والى هذا اشار
بقوله **قوم تسبق اذكارهم انوارهم** قلت اما القوم الذين
تسبق انوارهم اذكارهم فهم الواصلون واما الذين تسبق اذكارهم
انوارهم فهم السائرون الاولون لهم انوار المواجهة لاتفاقهم
فهم

فهم ذاكرون على الدوام فاذا ارادوا ان يذكروا باللسان سبقت
الى قلوبهم الانوار فكانت هى الحاملة لهم على وجود الاذكار
واما الآخرون فلهم انوار التوجه وهم طالبون لها محتاجون
اليها فهم يجاهدون انفسهم فى طلب تلك الانوار ثم بين حال
الفريقين فقال **ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان**
ذاكرا قلت فالذى ذكر ليستنير قلبه هو الذى يسبق ذكره
نوره فهو من القوم الذين تسبق اذكارهم انوارهم والذى استنا
استنار قلبه فكان ذاكرا هو الذى يسبق نوره ذكره فهو من القوم
الذين تسبق انوارهم اذكارهم وهم العارفون بالله لا تجدهم
الا فى حضرة الله بين ذكر او فكرة او نظرة او ارشاد الى الحضرة فقلوبهم
ممتلئة بالانوار وارواحهم دائما فى حضرة الاسرار ثم ان وجود
الذكر فى الظاهر عنوان وجود الشهود فى الباطن اذ لولا وارد ما
كان ورد وهو الذى ابانه بقوله **ما كان ظاهر ذكر الا عن**
باطن شهود او فكر قلت اذا كان الظاهر مشتغلا بذكر الله فهو
علامة وجود محبة الله فى الباطن اذ من احب شيئا اكثر من ذكره
ولا تكون المحبة الا عن ذوق ومعرفة فلا يكون ظاهر ذكر الا عن
باطن شهود اى شهود كان وان كان لا يشعر بشهوده فما
ذكرت الروح حتى فنيت ولا فنيت حتى شهدت فكل من فنى
فى ذكر الله فان روحه شهدت جمال الحضرة او تفكرت فى جمال
المذكور وبهائه او فى حسن ثوابه وجزائه فتحصل ان وجود
الذكر فى الظاهر ناشئ اما عن شهود فى الباطن وهو حال
المريدين او العارفين او ناشئ عن فكرة وهو حال الطالبين
للجزاء فان الناس فى الذكر على ثلاثة اقسام قسم يطلبون الاجور

وقسم يطلبون الحضور وقسم وصلوا ورفعوا الستور ثم بين
وجه كون ذكر الظاهر ناشئ عن شهود الباطن فقال **اشهدك**
من قبل ان استشهدك فنطقت بالوهيته الظواهر و
تحققت باحديته القلوب والسرائر قلت الروح فى اصل
ظهورها فى غاية الطهارة والصفا فحين ابرزها الله تعالى فى عالم
الذر كانت عالمة دراكة فاشهدها الله تعالى عظمته وجلاله وجماله
وبهاءه وكماله ووحدانيته فقال لها حينئذ الست بربكم قالوا بلى
فكلها اقرت بالربوبية فلما ركبها فى هذه القوالب فمنها من
اقرت بذلك العهد ومنها من جهلت وانكرت فقد اشهدك
الحق تعالى حين كنت فى عالم الارواح ربوبيته ووحدانيته
فعلمتها وحققتها من قبل ان يستشهدك اى يطلب منك
تلك الشهادة فحين طلبها منك وجد روحك عالمة فنطقت
بالوهيته التى عرفتها فى عالم الذر السنة الظواهر وتحققت
باحديته التى شهدتها قبل التركيب القلوب والسرائر
فكل ما ظهر من الاقرار بالربوبية فى عالم الشهادة فهو فرع
لما شهاد المتقدم فى عالم الغيب وكل ما ظهر من التحقق
بالاحدية للقلوب فهو فرع العلم السابق فى عالم الغيوب
فالواجب على العبد ان يكون جامعا بين اقرار الظاهر وتوحيد
الباطن فالاول فرق والثانى جمع والى هذا المعنى اشار الجنيد
رضى الله عنه بقوله

قد تحققتك بسرى حين ناجاك لسانى • فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان •
ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عيانى • فلقد صيرك الوجد من الاحشاء دانى •

ثم بين كرامات الذكر المتقدم فقال **اكرمك كرامات ثلاثا**
جعلك

فحينئذ (نسخه)

بالاحدية

جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك
وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا
عنده فتمم نعمته عليك قلت لقد اكرمك الحق تعالى ايها
الانسان كرامات كثيرة وانعم عليك نعما غزيرة قال تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجل الكرامات واعظمها كرامات
الذكر وفى الحديث ما من يوم الا ولله فيه نعم ينعم الله بها
على عباده وما انعم الله على عبد افضل من ان يلهمه ذكره
او كما قال عليه السلام ذكره المنذرى ومرجع هذه الكرامات الى
ثلاثة امور الكرامة الاولى جعلك ذاكرا له ومن اين لعبد ذليل
ان يذكر سيدا جليلا ولولا فضله عليك لم تكن اهلا لجريان ذكره
على لسانك الكرامة الثانية جعلك مذكورا به حيث ذكرك
بنفسه حين ذكرته قال تعالى فاذكرونى اذكركم واذا كنت مذكورا
بسبب ذكره لك فقد ثبتت خصوصيتك عنده فاى كرامة
اعظم من هذه فقد حقق نسبته لديك حيث اثبت لك الخصوصية
وقال لك يا وليى ويا صفيى فمن اين انت وهذه النسبة لولا ان
الله تفضل عليك قال بعضهم فى تفسير قوله تعالى ولذكر الله اكبر
اى ولذكر الله لعبده اكبر من ذكر العبد لله الكرامة الثالثة
حيث جعلك مذكورا عنده فى الملائكة المقربين ففى حديث
ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
انا عند ظن عبدى بى وانا معه حين يذكرنى فان ذكرنى فى نفسه
ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير من ملائه
وان تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب منى ذراعا
تقربت منه باعا وان اتانى يمشى اتيته هرولة اه وفى حديث

اخى ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله فيه الا غشيتهم الرحمة ونزلت
عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وكان يحيى بن معاذ رضى
الله عنه يقول يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين
يجرى فى اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا اه فاذا عمرت
اوقاتك بذكر الله فعمرك طويل وان قلت ايامه كما ابان ذلك
بقوله رب عمر اتسعت اماده وقلت امداده ورب عمر قليلة
اماده كثيرة امداده قلت رب هنا للتكثير فى الموضعين
فكثير من الاعمار تسعت اماده جمع امد وهو الزمان اى كثير
من الزمان الناس طالت اعمارهم واتسعت ازمنتهم وقلت
امدادهم اى فوائدهم فلم يحصلوا على شيء حيث اشتغلوا بالبطالة
والتقصير حتى مضت تلك الايام كطيف المنام واضغاث
احلام وكثير من الاعمار قلت اماده اى ازمنتهم وكثرت
امدادهم اى فوائدهم فادركوا من فوائد العلم والاعمال والمعارف
والاسرار فى زمن قليل ما لم يدركه غيرهم فى الزمن الكثير ومثال
ذلك اهل الجذب مع السلوك واهل السلوك وحده فان اهل الجذب
الموافقين للسالكين فى الاعمال يطوون فى ساعة واحدة
من مسافة القرب ما لا يدركه اهل السلوك فى سنين وكذلك
اهل الفكرة مع اهل الخدمة فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنه
وفى ذلك قال الشاعر كل وقت من حبيبى قدره كالف حجه
وقال الشيخ ابو العباس المرسى رضى الله عنه اوقاتنا كلها
ليلة القدر اى كل وقت عندنا افضل من الف شهر عند غيرنا
قال القاضى ابو بكر بن العربى المعافرى تلميذ الغزالى لمت
الشيخ ابا حامد على انقطاعه واعتزاله عن الخلق وقطع انتفاعهم
انتفاعهم

انتفاعهم بما وهبه الله له من العلم الظاهر والباطن فقال متمثلا
قد تيممت بالصعيد زمانا • وانا الان قد ظفرت بالماء
من سرى مطبق الجفون واضحى • فاتحا لا يردها للعماء
اى من كان يمشى مسدود العينين واضحى اى صار فاتحا لعينيه
لا يرجع للعماء قلت يا سيدى الاشتغال بالعلم نفع عام وهو
من افضل العبادات وقد قال صلى الله عليه وسلم لان يهدى الله
بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس فقال لما طلع
قمر السعادة فى افق الارادة واشرق شمس الوصول فى ارض
الاصول تركت هوى سعدى وليلى بمعزل • وصرت الى عليا اول منزل
فنادتنى الاكوان من كل جانب • الا ايها الساعى رويدك فامهل
غزلت لهم غزلا رفيعا فلم اجد • لغزلى نساجا فكسرت مغزلى
فانظر من اطلعه الله على بركة عمره واراه ثمرة وقته كيف اختار
الاكد فالاكد والاولى فالاولى ليدرك ما تلمحه من الفوائد
ويحظى بالخصائص والزوائد اه قال الشطيبى رحمه الله قال
احمد بن ابى الحوارى لابى سليمان الدارانى رضى الله عنهما
قد غبطت بنى اسرائيل قال باى شيء قال بثمانمائة عام
حتى يصيروا كالشنان البالية وكالحنايا والاوتار فقال ما ظننت
الا وقد جئت بشيء والله ما يريد الله منا ان تيبس جلودنا
على عظامنا وما يريد منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق
صدق فى عشرة ايام نال ما ناله الاخر فى اعماره الطويله
اه وقال فى القوت فان البركة فى العمران تدرك فى عمرك القصير
بيقظتك ما فات غيرك فى عمره الطويل بغفلته فيرتفع لك
فى السنة ما لا يرتفع له فى عشرين سنه والخصوص من المقربين

فى مقامات القرب عند التجلى بصفات الرب الحاف برفع الدرجات
وتدارك لما فات عند اذكارهم واعمال قلوبهم اليسيرة
فى هذه الاوقات فكل ذرة من ذكر فى تسبيح او تهليل او تحميد او
تدبر وتبصرة او تفكر وتذكرة لمشاهدة قرب ووجد برب ونظر
الى حبيب ودنو من قريب افضل من امثال الجبال من اعمال
الغافلين الذين هم لنفوسهم واجدون وللخلق مشاهدون
ومثال العارفين فيما ذكرناه من فنائهم بشهادتهم ورعايتهم
ورعايتهم لامانتهم وعهدهم فى وقت قربهم وحضورهم
مثل العامل فى ليلة القدر العمل فيها لمن وافقها خير من الف
شهر وقد قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة
القدر اه منه فالبركة فى العمر هى ادراك الامداد العظيمة
فى الامداد القليلة كما تقدم وكما بينه بقوله من بورك
له فى عمره ادرك فى يسير من الزمان من منن الله تعالى
ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة قلت
ليست البركة فى العمر بكثرة ايامه وطول ازمانه وانما
البركة فى العمر ان تصحبه العناية وتهب عليه ريح الهداية
فيدرك فى يسير من الزمان من منن الله تعالى اى من علومه
علومه ومعارفه واسراره ما لا يدخل تحت دوائر العبارة لان
ما دركه اوسع من ضيق العبارة اذ قال تعالى اعددت لعبادى
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر فقد يدرك العارف من دقائق الاسرار ما تعجز عنه عبارة
اللسان كل ذلك فى اقل زمان وغالب هذا يحصل من ملاقات
الرجال وصحبتهم فان المدد الذى يحصل للانسان فى ساعة
واحدة

واحدة معهم لا يحصل فى ازمنة طويلة مع غيرهم ولو كثرت
صلاتهم وصيامهم اذ ليس العبرة بكثرة الاوراد انما العبرة
بكثرة الامداد ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى احوالكم
وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم ذكره فى الجامع والذرة من اعمال
القلوب افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح والعمل مع المعرفة
ليس كالعمل مع الجهل وذلك معلوم قال الشيخ الحضرمى فى بعض
وصاياه من كان يستمد من محبرة الجمع فهو يكتب ما يكون وما
لا يكون طويل طويل طويل قصير قصير قصير شيئ شيئ شيئ
ما شيئ ما شيئ ما شيئ عدم عدم عدم وجود وجود وجود
اه فالمعنى طويل طويل والحس قصير قصير والموجود القديم
شيئ ثابت وما سواه ليس بشيئ والسوى عدم والواحد القهار
وجود فالذى يكتب من محبرة الجمع اى يستمد من حضرة الجمع يكتب
الاشياء كلها ويستمد من الاشياء كلها لمعرفته فى الاشياء كلها
كانت قصيرة او طويلة وجودية او عدمية وبالله التوفيق
وسبب البركة فى العمر هو التفرغ من الشواغل والشواغب فمن
كثرت شواغله وشواغبه لا بركة له فى عمره لانه منع من تصرفه
فى طاعة مولاه بمتابعة شهواته وتحصيل مناه ومن تفرغ
من الشواغل ولم يقبل على مولاه فهو مخذول مصروف عن طريق
استقامته وهداه كما ابان ذلك بقوله الخذلان كل الخذلان
ان تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك
ثم لا ترحل اليه قلت اذا قلت شواغلك فى الظاهر وعو
وعوائقك فى الباطن ثم لم تتوجه اليه فى ظاهرك ولم ترحل
اليه فى باطنك فهو علامة غاية الخذلان الكبير لان جل الناس

ما حبسهم عن التوجه الى الله الا كثرة اشغالهم الحسية
فاشتغلت جوارحهم بخدمة الدنيا فى الليالى والايام والشهور
والاعوام حتى انقرض العمر كله فى البطالة والتقصير فهذا
هو الخذلان الكبير ومن الناس من قلت شواغلهم الظاهرة
لوجود من قام لهم بها لكن كثرت علائقهم فى الباطن لكثرة
ما تعلق بهم من الشواغب فهم مغروقون فى التدبير والاختيار
والاهتمام بامور من تعلق بهم من الأنام لا سيما من كان له جاه
ورياسة وخطة او سياسة فهذا باعتبار العادة بعيد من
الاقبال على مولاه الا ان سبقت له سابقة عناية فتجره الى رحمة
ربه ورضاه والحاصل ان الخير كله فى التحقيق من الشواغل والعلائق
فمن تفرغ منهما فهو قريب من الحضرة واما من كثرت شواغله
وعوائقه فامره بعيد لان فكرته مشغولة بالعلائق والخاطف
فمهما هم بالسير جذبته الخاطف اليها وبقي مرهونا
معها وهو الذى اشار اليه بقوله **الفكرة سير القلب فى ميادين**
الأغيار فمن لا تفرغ له لا فكرة له ومن لا فكرة له لا سير له ومن
لا سير له لا وصول له فالفكرة هى سير القلب الى حضرة الرب
وذلك السير فى ميادين الاغيار اى فى مجال شهود الاغيار ليستدل
بها على وجود الانوار فهذه فكرة اهل الحجاب وفكرة اهل الشهود
سير الروح فى ميادين الانوار او سير السر فى ميادين الاسرار
فتكلم الشيخ على بداية الفكرة ولم يتكلم على نهايتها ولو تكلم
عليهما معا لكان احسن كما فعل فيما ياتى حيث قال الفكرة
فكرتان الخ **وقال** الشيخ زروق رضى الله عنه الفكرة انبعاث
القوة الادراكية فى عالم الغيب والشهادة ليدرك حقيقة

الاشياء

الاشياء على ما هى عليه ومن وجد ذلك فهو عارف اه وقيل انما
عبر الشيخ بالاغيار وهى المخلوقات لقوله عليه السلام وقد راى
قوما يتفكرون فقال لهم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانكم
لا تقدرون الله حق قدره اه **قلت** انما نهى عليه السلام على
التفكر فى كنه الذات وادراك الحقيقة واما التفكر فى عظمة الذات
وقدمها وبقائها ووحدانيتها وتجلياتها فى ظهورها وبطونها
فهذا لا ينهى عنه لانه سبب المعرفة مع العجز عن ادراك
الكنه والتحقيق ان اهل الحجاب لا يحل لهم التفكر الا فى المصنوعات
واما اهل العرفان فلا يتفكرون الا فى عظمة الذات اى فى عظمة
الصانع وتوحيده وقدمه وبقائه وظهوره واحتجابه او فى
الغيبة عن الحس وشهود المعنى او فى الغيبة عن الكون بشهود
المكون او فى الغيبة عن الظلمة بشهود النور وهو سراج القلب
الذى اشار اليه بقوله **الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت**
فلا اضاءة له قلت الفكرة فى عظمة البارى وتوحيده نور
فاذا كان القلب مشغولا بالفكرة فى عظمة الحق فهو منور بنور
الحق واذا خلا من الفكرة فى الحق دخلته الفكرة فى الاغيار
وهى ظلمة ولا تجتمع الظلمة والنور ابدا فالفكرة سراج القلب
فاذا ذهبت الفكرة فى الحق انطفا نوره بدخول ظلمة الكون
فلا اضاءة له ولذلك قال الجنيد رضى الله عنه اشرف
المجالس واعلاها الجلوس مع الله فى ميدان الفكرة على بساط
التوحيد اه **وقال** الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه
اربعة من حازهن فهو من الصديقين المقربين ومن حاز
منهن ثلاثة فهو من اولياء الله المقربين ومن حاز منهن

اثنين فهو من الشهداء المؤمنين ومن حاز منهن واحدة فهو من
عباد الله الصالحين اولها الذكر وبساطه العمل الصالح وثمرته
النور الثاني الفكرة وبساطه الصبر وثمرته العلم الثالث الفقر
وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه الرابع الحب وبساطه بغض
الدنيا واهلها وثمرته الوصول الى المحبوب اه ثم بين فكرة
البداية والنهاية فقال الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان
وفكرة شهود وعيان قلت فكرة اهل التصديق والايمان
هى سير القلب فى ميادين الاغيار فهم يتفكرون فى المصنوعات
ليتوصلوا الى معرفة الصانع وقدرته وعلمه وحياته وغير ذلك
من سائر صفاته وهم الذين قال الله فيهم يؤمنون بالغيب
وفكرة اهل الشهود والعيان هى سير الروح فى ميادين الانوار
قد انقلبت الاغيار فى حقهم انوارا والدلائل مدلولات
والغيب شهادة وهم الذين اطلعهم الله على سر قوله تعالى
قل انظروا ماذا فى السموات والارض ثم بين حال الفريقين
فقال فالاولى لارباب الاعتبار قلت الفكرة الاولى وهى
فكرة تصديق وايمان لاصحاب الاعتبار وهم اهل الاستدلال
يستدلون بالصنعة على الصانع وهم السائرون الى الله بانوار
التوجه والثانية لارباب الشهود والاستبصار قلت
الفكرة الثانية وهى فكرة شهود وعيان هى لارباب
الشهود والاستبصار لانهم ترقوا من شهود الدليل الى المدلول
ومن الاثر الى المؤثر ومن الاغيار الى شهود الانوار ومن
الفرق الى الجمع ومن الملك الى الملكوت فما يشهدون الا انوار
الملكوت قد فتقت وانصبت من بحار الجبروت فهم غرقى فى بحار

الانوار

الانوار ومطموس عنهم وجود الآثار فان ردوا اليه راوه قائما
بالله ومن الله والى الله فما اعظم قدرهم عند الله وفى مثلهم
قال القائل

هم الرجال وغبن ان يقال لمن * لم يتصف بمعانى وصفهم رجل

حققنا الله بما حققهم به آمين هذا آخر الباب الخامس والعشرين
وبها ختمت الابواب وما بقى الا المراسلات والمناجات
وحاصل المراسلات ثلاثة كتب وجواب فاول الكتب رسالة
فى السلوك الى حضرة ملك الملوك بدايتها ونهايتها وبص
ونصها وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه
اما بعد فان البدايات مجلات النهايات قلت البدايات
ما يظهر على المريد فى اول دخوله من مجاهدة ومكابدة وصدق
وتصديق وهو مظهر ومجلاة للنهايات اى يتجلى فيها ما يكون
فى النهايات فمن اشرقت بدايته اشرقت نهايته فمن رايناه
جادا فى طلب الحق باذلا نفسه وفلسه وروحه وعزه وجاهه
ابتغاء الوصول الى التحقق بالعبودية والقيام بوظائف
الربوبية علمنا اشراق نهايته بالوصول الى محبوبه واذا رايناه
مقصرا فى ذلك علمنا قصوره عما هنالك وانشدوا

بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلا سهر الليالى
تريد العز ثم تنام ليلا * يغوص البحر من طلب اللآلى

وبالجملة من رايته صادق العزم فى البداية فاعلم انه من اهل
العناية ومن كان فى سلوكه معتمدا على الله ومفوضا امره
الى الله كانت غاية سلوكه الوصول الى الله كما نبه بقوله
ومن كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته قلت البداية

بالله هي ان لا يرى لنفسه حولا ولا قوة لا في عمل ولا في حال
ولا في مجاهدة ولا مكابدة بل ما يبرز منها من الاعمال او من
الاحوال رااه منة من الله وهداية اليه فان كان هكذا فقد
صحت بالله بدايته واليه تكون نهايته ومما يتاكد النظر
اليه في البداية تصحيح ما يفتقر اليه في سلوكه من علم الشريعة
وعلم الطريقة فالعمل بلا علم جناية والعلم بلا عمل وسيلة بلا
غاية وفي ذلك قيل

اذا كنت ذا عمل ولم تك عالما ٭ فانت كذي رجل وليس له نعل ٭ عملا
وان كنت ذا علم ولم تك عاملا ٭ فانت كذي نعل وليس له رجل ٭
جوادك مسبوق الى كل غاية ٭ وهل ذي جواد ركب يسبقه البغل ٭

وقد ذيلتها ببيت تكميلا للاقسام فقلت

وان كنت ذا علم وحال وهمة ٭ جوادك سابق يصح له الوصل ٭ سباق

فاذا حصل المريد ما يحتاج اليه في بدايته من اتقان طهارته وصلاته
وصومه فليشتغل بطاعة ربه ويعرض عما يشغله عنه كما ابان ذلك
بقوله **والمشتغل به هو الذي احببته وسارعت اليه والمشتغل
عنه هو المؤثر عليه** قلت ال موصوله في الموضعين اي الذي
تشتغل به في جميع اوقاتك وتصرف اليه كليتك هو الحبيب الذي تسارع
اليه وافضل اشغالك ذكره وليكن ذكرا واحدا او قصدا واحدا تبلغ
مرادك ان شاء الله والذي تشتغل عنه اي تغيب عنه هو المؤثر
عليه بفتح الثاء اي هو الذي تركته واثرت حب الله عليه
والحاصل ان الذي تشتغل به وتقصده هو الذي احببته وسا
وسارعت اليه والذي تغيب عنه هو الذي تركته واثرت
حب الله عليه فلا جرم ان الله يبلغك ما تريد ان الله يرزق

العبد

وان كنت يا ذا خالي القلب من ذه فانت تدارك بالوصول حظك الوصل

العبد على قدر همته وانشدوا

اذا العبد القى بين عينيه عزمه ٭ واعرض عن كل الشواغل جانبا ٭
فقد زال عنه العار بالعزم جالبا ٭ عليه قضاء الله ما كان جالبا ٭

وقيل ان علامة الصادق ان لا يرضى بدون الغاية ابدا مع ان
الغاية لا تدرك ابدا **وقال** الفضيل من رايتموه وكلامه حكمة
وصمته فكرة ونظره عبرة فلا تتهموا منه فانه قد قطع عمره
في عبادة وسلوك ما بدا في زيادة ومن رايتموه يطيل الامل
وينسى العمل فاعلموا ان داءه عضال اه واعظم ما يشتغل
عنه المريد ويغيب عنه حب الدنيا فانه سم قاطع ولا يمكن
السير الى الله بصفاء القلوب مع بقاء شيء منها وقليلها ككثيرها
روي ان بعض المريدين قام ليلا لعبادته فلم يجد قلبه فقال
اذا اصبحت شكوت هذه الوسوسة للشيخ فوقف الشيطان على
الشيخ وقال ان فلانا يريد ان يشكوني وانا ما ظلمته ان الدنيا
بستاني وانا حرسها فمن اخذ مني شيئا لا اتركه حتى يترك
ما اخذ فلما اصبح جاء التلميذ للشيخ فقال له الشيخ جاء
ابليس يشتكي بك ما الذي اخذت له فقال يا سيدي خلق
ثوبي فطلبت ابرة لارقعه فقال له اخرجها له وقل النفسك
الموت اقرب من ذلك فطرحها فوجد قلبه وانشدوا

لا تحقرن ضعيفا عند رؤيته ٭ ان البعوضة تدمي مقلة الاسد ٭
وللشرارة حقر حين تنظرها ٭ وربما اضرمت نارا على بلد ٭

ثم هذا الذي تشتغل به وتسارع اليه هو الذي ايضا يطلبك
ويسارع اليك وان تقربت اليه شبرا تقرب اليك ذراعا
كما ابان ذلك بقوله **ومن ايقن ان الله يطلبه صدق**

الطلب اليه قلت اليقين هو سكون القلب وطمأنينته بحيث لم يبق
فيه اضطراب ولا ريب في جميع الامور وطلب الله لعبده من وجوه
منها انه يطلبه بالقيام بحقوق العبودية ووظائف الربوبية
ومنها انه يطلبه بالتوجه اليه والفرار مما سواه ويطلبه
بالعكوف في حضرته على بساط الادب والمحبة فمن ايقن ان
الله يطلبه بهذه الوجوه صدق الطلب اليه وصدق الطلب
هو اخذ القلب والقالب لجهة المطلوب بحيث لم يبق له
التفات لغيره فلا يثق الا به ولا يعتمد الا عليه كما اشار
الى ذلك بقوله ومن علم ان الامر كله بيده انجمع بالتوكل
عليه قلت قال تعالى واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل
عليه وقال قل ان الامر كله لله فمن علم ان الامور كلها بيد
الله امر الدنيا وامر الآخرة والنفوس والقلوب لم يبق له
نظر الى سواه وانجمع بكليته عليه قال تعالى ومن يتوكل
على الله فهو حسبه اى كافيه ومن كان الله كافيه ماذا يفوته
حكى عن بعض المشايخ انه دخل برية الحجاز مع اصحابه بغير زاد
فلما طالت عليهم المدة واجهدهم الجوع انحرف الشيخ عن الطريق
وهز شجرة فاسقطت رطبا جنيا فاكلوا منها الا شابا فقال
له الشيخ لم لم تاكل قال انى نويت التوكل على الله ورفضت
الاسباب جملة فكيف اجعلك عندى بمنزلة السبب حتى
تكون النفس متشوفة لما علمت منك ثم لم يصحبهم
تصحيحا ليقينه وانما مال لفقده ومما يعين على تحقيق
اليقين وصدق التوكل رفض الدنيا واهلها واليه اشار بقوله
وانه لابد لبناء هذا الوجود ان تنهدم دعائمه وان لحهذا
تسلب

تسلب كرائمه قلت قد حكم الله على هذا الوجود الظاهر
ان يصير باطنا فلا بد ان تنهدم دعائمه وهى ما يستقل
به وجوده فى العادة وهى هنا استعارة عن هدم وجوده
وتبديله فى خلق آخر قال تعالى يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات وقال تعالى كل شئ هالك الا وجهه
على تاويل اهل الظاهر ولا بد ايضا ان تسلب كرائمه
والمراد زوال بهجته وجماله وهى زينة الدنيا التى ذكرها
الله بقوله زين للناس حب الشهوات فمن تيقن بفناء
هذا الوجود وزوال هذا العرض الفانى جعل الدنيا محلا للعبور
يعبر منها الى دار البقاء فيصبر على شدتها ولأوائها
حتى تنقضى عنه ايام الدنيا فهذا هو العاقل الذى ذكره
بقوله فالعاقل من كان بما هو ابقى افرح منه بما هو يفنى
قلت لان من علامات العقل التجافى عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور
كما قال عليه السلام فالعاقل هو الذى يميز بين الحق والبا طل
والنافع والضار والحسن والقبيح وكل ما يفنى وان طال فهو
قبيح وكل ما يبقى وان غاب فهو مليح قال بعضهم يا عجبا
للمطمئن للدنيا والراكن اليها والحريص عليها وهو يرى
سرعة زوالها وكثرة تقلبها باهلها ومفاجاة نوائبها وانشدوا لهم
م ابن الملوك وابناء الملوك ومن ٭ كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا ٭
٭ كانهم قط ما كانوا ولا خلقوا ٭ ومات ذكرهم بين الورى ونسوا ٭
٭ حطوا الملابس لما ابسوا حللا ٭ من التراب على اجسامهم وكسوا ٭
قال مالك بن دينار مررت بمقبرة فوجدت بهلول المجنون

قاعد ابين القبور وهو عريان الاما يستر العورة فاتيت نحوه
لاستفيد من لطائفه فوجدته تارة ينظر الى السماء فيبتهل وتا
وتارة ينظر الى الارض فيعتبر وتارة ينظر عن يمينه فيضحك
وتارة ينظر عن شماله فيبكى فسلمت عليه فرد على السلام
فسالته عما رايت من حاله فقال يا مالك ارفع راسى الى السماء
فاذكر قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فابتهل
وانظر الى الارض فاذكر قوله تعالى منها خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فاعتبر وانظر عن يمينى
فاذكر قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فاضحك
وانظر عن شمالى فاذكر قوله تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال فابكى فقلت يا بهلول والله انك لحكيم اتاذن
لى ان اشترى لك قميص قطن قال افعل فسارعت للسوق
واتيته بقميص قطن فنظر اليه وقلبه يمينا وشمالا ورمى
به الى وقال لبس مثل هذا اريد قلت وكيف تريده قال اريد
قميصا من الاخلاص محفوظا من الدنس والانتقاص غرس
قطنه بالحقائق وحرس من جميع البوائق سقاه جبريل بماء
السلسبيل فاينع حسنا واثمر قطنا فلقطته ايدى الكرام
البررة التالين سورة الحمد والبقرة ثم حلجته اكف الوفاء
بعز وصفاء من غير جفاء ثم تخللته الاوتار المتصلة
بالانوار وغزلته مغازل الحمد والثنا بالمحبة والاعتناء
جعلت الجنة لناسجه ثوابا وكان هو للابسه من النار حجابا
فهل تقدر يا مالك على مثل هذا فقلت انما يقدر عليه
من خصك بوصفه والهمك لمعانيه وكشفه ثم قلت

يا بهلول

يا بهلول صف لى لالبس هذا القميص فقال نعم انما يلبسه
من خصه الله بانواره وكتبه فى ديوان ابراره واحباه بالسلا بقية
وقواه بالعزيمة الصادقة فجسمه بين الخلق يسعى وقلبه
فى الملكوت يرعى فلا يتكلم بغير ذكر الله لفظة ولا ينظر
لغير الله لحظة ثم صاح صيحة عظيمة وقام وهو يقول
اليك فى الهاربون ونحوك قصد الطالبون وببابك اناخ
التائبون الهى اللهم انا قد وقفنا ببابك فلا تطردنا ونحن
انتسبنا لجنابك فلا تحرمنا يا ارحم الراحمين ثم من فرح بالباقى
واعرض عن الفانى تشرق عليه الانوار وتلوح له الاسرار كما
ابان ذلك بقوله قد اشرق نوره وظهرت تباشيره قلت
قد اشرق نوره بحلاوة الزهد فى الدنيا والاقبال على المولى
لان حب الدنيا ظلمة فاذا خرج من القلب دخله النور
وهو حلاوة الزهد وراحة القناعة وبرد الرضى ونسيم
التسليم وظهرت تباشيره اى مبشرات تبشره بالاقبال وروح
الوصال وجنة المعارف والجمال وانشدوا

اذا هبت علينا من حماكم ٭ نسيمات تذكرنا الوصالا
مبشرة باقبال وسعد ٭ وعز دائم دهرا طويلا
مبلغة شذا تلك المعانى ٭ مذكرة رباها والطلولا
فذلك خير وقت بالمعنّا ٭ واحسن ما تعاطى السلسبيلا

فحين اشرق نوره وظهرت تباشيره اعرض عن الدنيا بالكلية
كما ابان ذلك بقوله فصدف عن هذه الدار معرضا واعرض
عنها موليا قلت الصدوف هو الاعراض والتولى اى فاعرض
هذا السائر الى الله عن الدنيا بحذافيرها معرضا بصواى

اى مغمضا عينى بصيرته عن النظر الى زهرة هذه الدار وبهجتها
ممتثلا فى ذلك قول المولى لرسوله المصطفى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم اى اصنافا من الكفار زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه واعرض عن هذا قلبا وقالبا موليا ظهره
عنها مقبلا بوجهه الى المولى قال الشطيبى واعلم ان الاعراض
عن الدنيا انما هو بالقلب ومتى كان القلب معلقا بها لم ينفع
زوالها من اليد ولا قطع اسبابها بل المطلوب زوالها من القلب
سواء كانت فى اليد او لم تكن قال تعالى لمن اعطاه ملك الارض
بحذافيرها سليمان عليه السلام هذا عطاؤنا فامنن
او امسك بغير حساب وقال فيه ايضا نعم العبد انه اواب
وقال تعالى لمن نزعها منه بحذافيرها سيدنا ايوب عليه
السلام ووهبنا له اهله ومثلهم معهم ثم قال انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب لكن من علامة حب الاخرة ترك
الدنيا وعلامة تركها ان لا يفرح بالموجود منها ولا
يتاسف على ما فاته منها ولا يمكن ذلك الا بترك الانتصار
للنفس ومخالفتها وانشدوا

يا نفس فى التغرب كل مذلة ، فتجرعى ذل الهوى بهوان
واذا حللت بدار قوم دارهم ، فلهم عليك تعزز الاوطان

وسئل الشيخ ابو محمد عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه
عن الدنيا فقال اخرجها من قلبك واجعلها فى يدك
فانها لا تضرك وقال الحضرمى رضى الله عنه ليس الرجل
الذى يعرف كيفية تفريق الدنيا فيفرقها انما الرجل
الذى يعرف كيفية امساكها فيمسكها قال الشيخ زروق
رضى

رضى الله عنه لانها كالحية وليس الشان فى قتل الحية انما
الشان فى امساكها حية اه وقد يقصد بترك الدنيا ما هو
اعظم من الدنيا كحب الجاه والرياسة وغيرذلك من الحظوظ
ولذلك قيل من اراد ان يكون منه شيء فلا ياتى منه شيء
لانه عبد ارادته وعامل لحظ نفسه فاذا انقطعت عنه
الحظوظ النفسية والشهوات الدنيوية صح قصده الى الله
وانفرد قلبه بالتوجه لمولاه اه قلت ولابى الانوار التطاونى
قصيدة فى هذا المعنى قال فى بعضها

ومن كان قصده فى نيل ما ، يريد فما قام بالحجة
واصل طريقنا رفض العلل ، مع الصبر والرفع للهمة
وحسب المحب مشاهده ، يقينا لما يبدو من حضره
وفضلك عنه جد برباب ، يعوضك المنع بالمنحه

وابو الانوار هذا التلميذ ابى المحاسن سيدى يوسف الفاسى
وقبره بتطاون بالمصلى القديمة لناحية القصبة نفعنا
الله بذكره ثم ان من اعرض عن الدنيا لا وطن له فيها وانما
وطنه عند مولاه كما بين ذلك بقوله فلم يتخذها وطنا ولا
جعلها سكنا قلت لان من توطن الشيء فقد قام
فيه والسائر لا مقام له الا عند مولاه وكان سيدنا عيسى عليه
السلام يقول فى شان الدنيا اعبروها ولا تعمروها وقال عليه
السلام مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كراكب سار فى يوم
صائف فاستظل تحت شجرة ثم راح عنها وتركها فليست
الدنيا دار اقامة ولا سكنا وانما هى قنطرة من هنا الى هنا
فالعارف لا يكون مع غير الله قراره لان همته كلها عند الله

كما قال بل انهض الهمة فيها الى الله وصار فيها مستعينا به
فى القدوم عليه قلت النهوض هو القيام كأن السائر الى الله
انهض همته واقامها من هذا العالم يريد بها دخول عالم
الملكوت وانهاض الهمة يكون بامتثال امره والاستسلام
لقهره والاستعانة به على سفره وهو معنى قوله وسار فيها مستعينا
به فى القدوم عليه والقدوم على الله هو الوصول الى معرفته وتحقق
العلم به ولا يصح ذلك الا بالتبرى من الحول والقوة ومن ظن ان
اجتهاده يوصله لمرغوبه فقد جهل ومن صح اعتماده على الله
وصل ثم بين السير فقال فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها
قلت المطية فى اللغة هى المركوب واستعيرها هنا للعزم القوى
اى فما زال عزمه قويا وروحه شائقة لا يقر قرارها اى لا يسكن
قرارها فى موطن دون سيدها لان الشوق اقلقها وخوف فوات
اللحوق ازعجها فهى فى السير على الدوام كما قال دائما تسيارها
قلت انما دام سيرها لقلة عوائقها لانها لما اعرضت عن
الدنيا مولية عنها قلت عوائقها لان الدنيا شبكة العوائق
واصل العلائق وكل من قطع عروقها من قلبه ذهبت عنه العلا
كالشيطان الذى هو ابوها فلما طلق له بنته تركه وكالنفس
لان قوامها الدنيا فلما ذهبت ماتت والناس لان الدنيا
جيفة والناس كلاب بها فلما تركت لهم جيفتهم سلمت منهم
فدام سيرها الى ان وصلت الى اصل وطنها وهى الحضرة
كما بينه بقوله الى ان اناخت بحضرة القدس وبساط
الانس قلت الاناخة هى النزول وحط الحمول ولما وصلت
الروح الى مشاهدة الاحباب وفتح لها الباب ازالت ما كان عليها
من

من الاثقال وجلست على بساط النزاهة والكمال وهى حضرة
القدس اى التنزيه التى هى دائرة الولاية المقتضية للعبد
تحققه بتقديس مولاه عن كل وصف لا يليق بذاته حتى
عرف انه اجل من ان يعرف واعظم من ان يوصف فيقول لا اد
لا احصى ثناء عليك فيغرق فى التعظيم ويتمكن فى التقديس
فينعكس تقديسه عليه بحيث يحفظه مولاه فلا يعطيه بل
يكون مقدسا بتقديس الحق اياه اذ قدس مولاه فقدسه
مولاه كل على ما يليق بوصفه ومن هذا التقديس ينسى كل
شئ بمولاه فيانس به دون ما سواه فى عين اجلاله والهيبة
منه تعظيما لا فرقا وتذللا فى عين الاذلال فافهم قاله الشيخ
زروق رضى الله عنه وبساط الانس هو محل الفرح بقرب
الحبيب ومناجاة القريب ليغيب عن كل شئ ويتانس به فى كل
شئ ثم بين اسرار الحضرة وهى ست فقال فى محل المفاتحة
والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطا لعة
قلت اما المفاتحة فهى مفاتحة علم الغيوب فانت تفاتحه
بطلب العطاء وهو يفاتحك بكشف الغطاء انت تفاتحه
بطلب الزيادة وهو يفاتحك بتوالى الافادة انت تفاتحه
بالترقى فى المقامات وهو يفاتحك باسرار العلوم والمكاشفات
واما المواجهة فهى مواجهة انوار الملكوت واسرار الجبروت
فانت تواجهه بانوار التوجه وهو يواجهك بانوار المواجهة
وهى كشف الحجاب وفتح الباب انت تواجهه بالطاعة وهو
يواجهك بالمحبة والتقريب انت تواجهه بالاقبال وهو يواجهك
بالوصال انت تواجهه باستكشاف انوار الملكوت وهو يواجهك

بكشف اسرار الجبروت **واما** المجالسة فهى مجالسة الادب
والهيبة فانت تجالسه بالادب والحيا وهو يجالسك بالتقريب
والاجتباء انت تجالسه بمراقبته وهو يجالسك بحفظه ور
ورعايته انت تجالسه بذكره وهو يجالسك ببره انا جليس من
ذكرنى كما فى الحديث **واما** المحادثة فهى المكالمة القلبية
وهى الفكرة والجولان فى عظمة الجبروت فانت تحادثه فى سرك
بمناجاته وسؤاله وهو يحادثك بمزيد احسانه وانواله انت
تحادثه بدوام حضوره فى سرك ولبك وهو يحادثك بالقاء
العلوم والاسرار والحكم فى قلبك انت تحادثه فى عالم الشهادة
وهو يحادثك فى عالم الغيب وفى التحقيق ما ثم الا عالم الغيب
ظهر فى عالم الشهادة وفى هذا المعنى قال الجنيد لى اربعون
سنة وانا نحدث الحق والناس يرون انى نحدث الخلق
وقالت رابعة العدوية رضى الله عنها

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى ۝ وابحت جسمى من اراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس ۝ وحبيب قلبى فى الفؤاد انيسى

واما المشاهدة فهى كشف حجاب الحس عن نور القدس
او تقول كشف رداء الصون عن الكون فانت تشاهد ذاته
فى عالم ملكوته وهو يشاهدك فى عالم ملكه انت تشاهد
ربوبيته وهو يشاهد عبوديتك والحاصل ان المشاهدة
من العبد هى شهود العظمة بالعظمة كما قال شيخنا
رضى الله عنه ومشاهدة الرب للعبد هى احاطة علمه
باحواله واسراره **واما** المطالعة فهى مطالعة اسرار الملك
والملكوت والجبروت واسرار القدر فانت تطالعه بالتوجه

اليه

اليه وهو يطالعك بالترقى اليه انت تطالع مواقع قضائه
وقدره فتتلقاها بالقبول والرضى وهو يطالع احوالك
وسرائرك فيكشف عنك الحجب ويوسع عليك لفضاء انت
تطالعه بالتقرب والاقبال وهو يطالعك بالمحبة والوصال
فيتلقاك بالاقبال والوصال وهذه الاسرار لا يذوقها
الا اهل الاذواق فكل واحد يذوق منها على قدر شربه ووجده
والله تعالى اعلم فان سكنت الروح فى هذه المراتب صارت
الحضرة ماواها ومثواها كما بين ذلك بقوله **صارت الحضرة
معشش قلوبهم اليها ياوون وفيها يسكنون** قلت
عش الطير وكره الذى ياوى اليه فكان ارواح العارفين
طيور الحضرة تطير فى الملكوت وتسرح فى الجبروت ثم تاوى
الى عش العبودية فى الظاهر وعش الشهود فى الباطن فالحضرة
التى هى معشش قلوب العارفين هى حضرة الذات اليها
ياوون اى يرجعون بعد الطيران الى فضاء الملكوت
واسرار الجبروت وفيها يسكنون لا يخرجون منها ابدا
كما قال تعالى لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين
ومحلها فى اعلا عليين وهو عرش قلوب العارفين **فان
نزلوا الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ فبالاذن
والتمكين والرسوخ فى اليقين** قال الشيخ زروق رضى الله عنه
التوحيد عرش والشريعة المطهرة كرسى ذلك العرش وا
والحقوق المفصلة فيها سماواتها والحظوظ النفسانية
ارضها فكل حقيقة لا تصحبها شريعة لا عبرة بصاحبها وكل
شريعة لا تعضدها حقيقة لا كمال لها اه قلت النزول هنا مجاز

كأن الحرية عرش والعبودية سماء او ارض او تقول الحقيقة عرش
والشريعة ارض فما دامت الروح في بحر الوحدة كانها في عرش
الرحمن فان نزلت الى العبودية كانها نزلت الى السماء او الى
الارض وظاهر كلام الشيخ ومن تبعه من الشراح ان النزول
الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ خروج عن الحضرة وليس
كذلك اذ من كان عمله بالله وتصرفاته كلها بالله لا خروج
له من الحضرة وانما النزول في حقه بالقالب فقط دون القلب
فالقلب لا يخرج من عشه ابدا بعد ان تمكن منه فكل من بلغ
ان يكون عمله بالله ومن الله والى الله لا يكون تنزله للشريعة
خروجا عن الحضرة لا سيما الصلاة التي هي موطن المصافات
فيها تتسع ميادين الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار
اللهم الا ان يحمل النزول في كلامه على انه بالقالب دون القلب
كما تقدم ويدل على هذا قوله فيما ياتي بارد خلوا في ذلك
بالله الخ قال الشعراني في ٢ اجوبته سالت شيخنا سيدي علي بعض صح
الخواص اي الحالتين افضل للعبد في حال الصلاة هل يكون
يعبد الله كانه يراه او كان الله يراه قال فاجابنا بان يكون
العبد يعبد الله كان الله يراه افضل من كونه كانه يراه ثم
اطال الكلام في توجيه ذلك قلت وقد كنت اعترضت هذا
الكلام وكتبت عليه ما مضمنه ان العارفين اتفقوا ان العمل
بالله افضل من العمل لله لان العمل بالله مشاهدة والعمل
لله مراقبة ومقام المشاهدة اعلا من مقام المراقبة فالصلاة
مع المشاهدة افضل من الصلاة مع المراقبة وما الزمه الخواص
غير لازم ثم عرضته على شيخ شيخنا مولاي العربي ففرح

به غاية واعجبه يعني اعتراضي على كلام الخواص ولا يستغرب
هذا من الخواص والشعراني قال في التسهيل واذا كانت العلوم
منحا الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر
لكثير من المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين اه ونزولهم
الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ انما يكون بالاذن والتمكين
اما الاذن في نزولهم الى الحقوق فاذن شرعي اذ حقوق الشريعة
كلها موقتة والتمكين فيها هو سهولتها والتمكين منها بحيث
لا يعارضه عارض يمنعه منها شرعا او طبعا واما الاذن
في نزولهم الى ارض الحظوظ فبالالهام والاعلام بحيث يتانى
في الامر حتى يفهم انه مراد الحق تعالى وقد كان شيخ المشايخ
الجيلاني رضي الله عنه في حال سياحته لا ياكل حتى يقال
له بحقي عليك الا ما اكلت قلت وكل من كان عنده الفهم عن
الله لا يتصرف الا بالاذن من الله وبعض من طبع الله على قلبه
من جلامدة الفقهاء ينكر هذا وهو معذور في بلاد الضعف
اذ من جهل شيئا عاداه والمراد بالتمكين هو صحة الفهم عن
الله حتى لا يبقى له تزلزل انه مراد الحق بحيث لم يبق له معارض
شرعي ولا عادي وكذلك الرسوخ في اليقين هو الثبوت في المعرفة
في حال ارادة الفعل وقد ضربت لهذا مثلا وهو ان رجلا حمل ولده
وانزله في بستان او دار ثم تركه فجاء قوم ينازعونه في اذن
ابيه له ويقولون له نزلت هنا بغير اذن فلا شك انه ان اقسم
بالله انه ما نزل الا باذن من ابيه كان بارا في قسمه فاذن ابيه
حين انزله هناك صريح ولو لم ينطق له بلسانه ولا يجحد هذا
الا غبي او مكابر فالله تعالى يمن علينا بالفهم عنه في امورنا كلها

امين ثم ذكر مفهوم قوله بالاذن والتمكين فقال فلم ينزلوا
الى الحقوق بسوء الأدب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة
والمتعة قلت اما النزول بسوء الأدب فهو ان يكون نزولهم
في طلب الأجور والخوف وهو الجزاء واما الغفلة فهي روية النفس
في حال العمل وهو عندهم ذنب يستغفرون منه فاستغفارهم
بعد الصلاة انما هو من حضور نفوسهم في عملهم ولذلك قيل

وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

والحاصل ان اهل الحضرة نزولهم بالله وعملهم بالله لا يرون
لانفسهم حولا ولا قوة ولا يطلبون من ربهم جزاء ولا اجرة
اذ محال ان يطلب الجزاء على عمل غيره هذا في حال نزولهم
الى سماء الحقوق واما نزولهم الى ارض الحظوظ فانما هو
لاداء حقوق العبودية فليس نزولهم بشهوة النفس ونيل
متعتها لتحقق فنائها وموتها قد انقلبت حظوظهم
حقوقا ولاجل هذا المعنى قال سيدنا عمر رضي الله عنه
اني لاتزوج النساء واجامعهن وليس لي في ذلك شهوة
قالوا ولم تفعل ذلك يا امير المؤمنين قال رجاء ان يخرج
الله من صلبي من يكثر به محمد صلى الله عليه وسلم امته
وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذا وافق
الحق الهوى كان كالزبد مع العسل يعني اذا وافقت النية
الصالحة الهوى كانت كالزبدة مع العسل وقال صلى الله
عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت
به فتحصل ان مقام النزول يقتضي الفناء عن الحظوظ
كلها ولم يبق الا الواحد الأحد كما ابان ذلك بقوله بل

دخلوا

دخلوا في ذلك بالله ولله ومن الله والى الله قلت بل للاضراب
عما تقدم من دخولهم في الحقوق بسوء الأدب والغفلة
او نزولهم لارض الحظوظ بالشهوة والمتعة وانما دخلوا
في الحقوق او الحظوظ بالله لتحقق فنائهم عن انفسهم ولله
لتحقق اخلاصهم ومن الله لشهودهم الفعل من الله والى الله
لتحققهم ان الامور ترجع كلها الى الله قال تعالى واليه يرجع
الامر كله فاعبده وتوكل عليه فامر العباد كله قائم بالله وصادر
منه ومنتهٍ اليه ثم استدل بالآية الكريمة على ان الدخول
في الاشياء والخروج منها يكون بالله فقال وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ليكون نظري الى قوتك
اذا دخلتني وانقيادي اليك اذا اخرجتني واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا ينصرني ولا ينصر علي ينصرني على شهود
نفسي ويغيبني عن دائرة حسي قلت الآية لها تفسير
ظاهر وتفسير باطن اعني على طريق اهل الاشارة اما تفسير
اهل الظاهر فقالوا هذه الآية نزلت في فتح مكة وان الله تعالى
امر رسوله صلى الله عليه وسلم بقول هذا الدعاء عند دخولها
حال فتحها ومعناه رب ادخلني مكة مدخل صدق اي ادخال
صدق بان يكون دخولي بك واعتمادي عليك ناصرا لدينك
بحولك وقوتك وهذا كقوله عليه السلام في بعض ادعيته
حين كان يقدم من سفره صدق الله وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده واخرجني من مكة مهاجرا الى جهاد عدوك
مخرج صدق اي اخراج صدق بان نكون منصورا بك معصوما
بحفظك ورعايتك واجعل لي من لدنك سلطانا اي برهانا

حولك وح

دامغا لكل باطل نصيرا ينصرنى على من عادانى واما تفسير
اهل الباطن فهو ما اشار اليه الشيخ رضى الله عنه مستدلا
بالآية على ان دخول العارفين فى الاشياء كلها يكون بالله
وخروجهم منها يكون بالله فقال وقل ايها العارف رب
ادخلنى فى الاشياء حقوقا او حظوظا مدخل صدق اى ادخال
صدق بان يكون ذلك الادخال بك معتمدا فيه على حولك
وقوتك متبرئا من حولى وقوتى ومن شهود نفسى واخرجنى
منها مخرج صدق اى اخراج صدق بان يكون ماذونا فيه
باذن خاص مصحوبا بالخشية وسر الاخلاص وهذا معنى
قوله ليكون نظرى الى حولك وقوتك اذا ادخلتنى فى
الاشياء وانقيادى اليك اذا اخرجتنى منها واجعلنى
من لدنك اى من مستبطن امورك بلا واسطة ولا سبب
سلطانا اى برهانا قويا وليس ذلك الا واردا قويا من
حضرة قهار لا يصادمه شيئ الا دمغه فيحق الحق ويزهق
الباطل ويكون ذلك السلطان نصيرا ينصرنى ولا ينصر علىّ
اى ينصرنى على الغيبة عن الحس وعن شهود السوى حتى
نغيب عنهما برؤية مولاهما ولا ينصر على الوهم والحس وشهود
الغيرية ثم بين ذلك فقال ينصرنى على شهود نفسى
اى يقوينى على الغيبة عنها فاذا انتصرت على شهودها
انهزم عنى وذهب شهودها وبقى شهود ربها فالنصر
على الشيئ هو غلبته حتى يضمحل وينقطع وكان شهود اى مغلوبيته
النفس عدو يحاربك ويقطعك عن شهود ربك فاذا
نصرك الله عليه غلبته ودفعته عنك فتتصل حينئذ بشهود
محبوبك

محبوبك واذا فنى شهود النفس فنى حينئذ وجود الحس
وهو معنى قوله ويغيبنى عن دائرة حسى فاذا فنيت
دائرة الحس بقى متسع المعانى وفضاء الشهود وهذه هى
الولادة الثانية فان الانسان بعد ان خرج من بطن امه
وهى الولادة الاولى بقى مسجونا بمحيطاته محصورا فى هيكل
ذاته قد التقمه الهوى وصار فى بطن الحس والوهم وسجن
الاكوان المحيطة بجسمانيته فاذا فنيت دائرة حسه وخرج
من بطن عوائده وشهوات نفسه نقبت روحه الكون
باسره وخرجت الى شهود مكونها فقد ولد مرة ثانية وهذه
الولادة لا يعقبها فناء ولا موت قال تعالى لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى وهذا معنى قول سيدنا عيسى
عليه السلام ليس منا من لم يولد مرتين هكذا ذكره الشطيبى
من قول عيسى عليه السلام وقال بعض الحكماء فى قوله عليه
السلام لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية قال الهجرة هجرتان
هجرة صغرى وهى هجرة الاجساد من اوطانها وهجرة كبرى
وهى هجرة النفوس عن مالوفاتها وعوائدها وهو
معنى قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر جعلوا الجهاد الاكبر هو جهاد النفس والجهاد الاصغر
هو جهاد الجسم وقال ايضا عليه السلام الهجرة باقية الى
يوم القيمة يعنى الهجرة الحسية والمعنوية فكل بلد لا يجد
فيها من يعينه على دينه او لا يجد فيها قلبه تجب الهجرة
عنها وكل شهوة تقطعه عن ربه تجب الهجرة عنها وبالله
التوفيق وهذا اخر الكتاب الذى ارسله الى بعض اخوانه

وحاصله بيان السلوك من اوله الى آخره فهو يكفى ذوى الالباب
عن مطالعة كل كتاب ثم ذكر الكتاب الثانى الذى ارسله لبعض
اخوانه ايضا فقال **وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض**
اخوانه قلت وكانت الرسالة المتقدمة فى بيان السلوك
بدايتها ونهايتها وهذه الرسالة فى بيان الوصول الى بحر
الحقيقة مع مراعات حرمة الشريعة ولما كان النظر الى الحقيقة
لها طرفان وواسطة قوم فى طوا وقوم افرطوا وقوم توسطوا
وجمعوا بين الشيخ الاقسام الثلاثة تتميما للتقسيم فاشار
الى اصل التقسيم فقال **اذا كانت عين القلب تنظر الى ان الله**
واحد فى منته فالشريعة تقتضى ان لا بد من شكر خليقته
قلت عين القلب هى البصيرة ومن شانها ان لا ترى
الا المعانى دون المحسوسات كما ان البصر لا يرى الا المحسوسات
دون المعانى والحكم للغالب منهما فمن غلب بصره على بصيرته
لا يرى الا الحس وهو الغافل ومن غلبت بصيرته على بصره
لا يرى الا المعانى وهى معانى التوحيد واسرار التفريد
فالبصيرة لا ترى الا نور الحق دون ظلمة الخلق لكن لا بد من
اثبات الحكمة وقد تقدم قوله الاكوان ثابتة باثباته
ممحوة باحدية ذاته فلا بد من اثباتها قياما بالحكمة
ونفيها قياما بالوحدة فان كانت عين القلب تنظر الى
ان الله واحد فى منته بل واحد فى جميع تصرفاته فالشريعة
والحكمة تقتضى اى تطلب ان لا بد من شكر خليقته قال
تعالى ان اشكر لى ولوالديك فاذا انعم الله عليك بنعمة
كانت دنيوية او دينية على يد واسطة فعليك فى ذلك
وظيفتان

٣٠
جعل لها طرفا
ولما كان للحقيقة طرفان

الهدايا

وظيفتان احداهما قلبية وهى اعتقادك انها من الله
بلا واسطة وان ما سواه مقهور على ايصالها والثانية
لسانية وهى ان تدعو له وتثنى عليه عملا بالشريعة
فقد روى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم عنه
انه قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس
لم يشكر الله ومن اسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك
وحكمة اعتبار الواسطة ثلاث اولها انها ارسال من الحق
محمل اليك ومن الكرم اكرام الرسل وثانيها انها اوانى تصل
فيها اليك المنافع ومن الحكمة ترفيع آنية المنافع وثالثها
ما فى ذلك من دفع منة الوهم اذ الوهم يقتضى بطبعه الميل
لمن احسن اليك فاذا كافاته باللسان فقد اعتقت من
رق احسانه ثم قسم الناس باعتبار الحقيقة الى طرفين
وواسطة كما تقدم فقال **وان الناس فى ذلك على اقسام**
ثلاثة اما واقف مع الحس ناظر للاسباب او غائب عن الحس
وعن رؤية الاسباب او جامع بينهما او تقول اما عامة او خاصة
او خاصة الخاصة ثم اشار الى الاول فقال **غافل منهمك**
فى غفلته اى مسترسل فى غفلته مستغرق فى نومه لا يبالى بما
وقع منه ولا ينتبه من نومه ثم بين اصل غفلته فقال **قويت**
دائرة حسه اى قوى تكثيف حسه الدائر به فتكثف حينئذ
حجابه وعظم جهله فعظمت غفلته ولو فنيت دائرة حسه
لاتصلت روحه بعالم الملكوت او الجبروت فلم تر الا الجمع او ترى
الجمع فى عين الفرق والفرق فى عين الجمع لكن لما قويت دائرة
حسه انطمس نور بصيرته كما قال **وانطمست حضرة قدسه**

اى انطمست عنه حضرة القدس وهى شهود المعانى الملكوتية
لانطماس بصيرته لان هذه المعانى لا تدركها الا البصيرة
فلما انطمست البصيرة بقوة كثافة الحس انطمس نور حضرة
القدس عنه ثم ذكر ما ترتب على انطماس حضرة القدس
وهو شهود الخلق دون الحق فقال **فنظر الاحسان من**
المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين قلت كل من لم
يغب عن دائرة حسه ولم يغب عن شهود نفسه بشهود ربه
لا يطمع ان يتحرر من رق احسان الخلق اما اعتقادا واما
استنادا ولو جاهد نفسه فى مراعات التوحيد فلا بد من
الطبع ان يسرق بخلاف من تحقق بالزوال وغرق فى بحر
الوحدة فلا يسرقه شيء وعلى تقدير غفلته فيكون سريع
الانتباه ثم بين حال الغير يقين فى نظر الاحسان من
المخلوقين فقال **اما اعتقادا فشرك جلى** اى لا خفاء فى
ان من نسب الفعل لغير الله استقلالا انه كافر خارج عن
الايمان وان كان ظاهره متوسما بوطائف الشريعة
لان من اعتقد خالقا او رازقا مع الله استقلالا فهو
كافر بالاجماع ثم ذكر الثانى بقوله **واما استنادا فشرك**
خفى قلت الاستناد هو الميل بحيث اذا قلت له من الخفي صح
الذى رزقك يقول الله لكن الغالب ان قلبه يسبق
الى رؤية الخلق قبل رؤية الخالق وربما يقول بلسان الحال
او المقال لولا الذى جاء من قبله ما كان ولولا الاسباب
ما كانت المسببات فوقوفه مع ارتباط الاسباب دون
النفوذ الى مسبب الاسباب لم يتبرأ من الشرك الجلى والخفى
والتحلى

٢٩٤

والتحلى بمقام الاخلاص الكامل الوفى واليه اشار بقوله
وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفنى
عن الاسباب بشهود مسبب الاسباب قلت الحقيقة هى
شهود نور الحق فى مظاهر الخلق او شهود نور الربوبية
فى قوالب العبودية فصاحب الحقيقة هو الذى يغيب
عن الخلق بشهود نور الملك الحق ويفنى عن الاسباب بشهود
مسبب الاسباب فان كان مع مراعات الحكمة فهو كامل وان كان
من غير مراعات الحكمة فان كان غائبا مصطلما فهو
معذور وهو الذى بينه بقوله **فهذا عبد مواجه**
بالحقيقة اى كوشف بنورها **ظاهر عليه سناها** اى نورها
فلما دهشته الانوار سكر وانكر الحكمة فهو باعتبار ما قبله كامل
لاستغراقه فى بحر الوحدة وهو معذور فى نفيه الحكمة
لغلبة وجده وظهور سكره وباعتبار ما بعده ناقص
لقصور نفعه على نفسه وان كان قد سلك الطريق
واتى على غايتها حتى وصل الى التحقيق كما بين ذلك
بقوله **سالك للطريقة** اى لولا سلوكه مع الطريق ما
ما استنارت له معالم التحقيق وانما فاته انوار التشريع
واسرار الحكمة واما الطريق فقد سلكها واتى على غايتها
كما ذكره **قد استولى على مداها** يعنى على غايتها فلا وصول
للحقيقة الا بعد سلوك الطريقة وتحقيق ظاهر الشريعة
قال تعالى واتوا البيوت من ابوابها فلا باب لبيت
الحقيقة الا من جهة الشريعة والطريقة فاذا وصل الى
الحقيقة فمن الناس من يكون صدره ضيقا فلا يحتمل تلك

الانوار ولا يطيق مشاهدة تلك الاسرار فيغيب فى شهود
الوحدة وينكر الحكمة ومن الناس من يكون واسع الصدر
قوى النور فاذا اشرقت عليه انوار الحقيقة لم تغلبه عن
القيام بالحكمة وصار برزخا بين حقيقة وشريعة هكذا
يكون سيره بين فناء وبقاء حتى يتمكن فيهما ويعتدل
امره بينهما وهذه حالة الاقوياء والطريقة الشاذلية
جلها هكذا يسير اهلها بين حقيقة وشريعة حتى
يقع التمكين والاعتدال ثم كمل الشيخ هذا القسم الذى
غلبت عليه الحقيقة فقال غير انه غريق الانوار اى
غلبت عليه انوار الحقيقة حتى غاب عن احكام الشريعة
مطموس الاثار اى غائب عن شهود الكون من حيث
ان الحق اثبته ليعرف به وهذا لما اشرقت عليه انوار
الحقيقة ضم الفروع الى اصولها وانوار الملكوت الى الجبروت
وانكر الوسائط لغلبة السكر عليه كما بينه بقوله قد غلب
سكره على صحوه السكر وارد قوى يغيب القلب عن شهود
الحس والصحو ذهاب ذلك الوارد حتى يرجع القلب الى
الاحساس بعد الغيبة وغلب عليه ايضا جمعه على فرقه الجمع
رؤية الحق بلا خلق والفرق رؤية الخلق بلا حق فان كان
بعد الجمع فهو رؤية الخلق والحق والحاصل ان اهل الجمع لا
يشهدون الا الحق واهل الفرق لا يشهدون الا الخلق و
يستدلون به على الحق واهل الفرق فى الجمع يشهدون الخلق
والحق اعنى يشهدون الواسطة والموسوط من غير فرق
بينهما وغلب عليه ايضا فناؤه على بقائه الفناء المغيبة

عن

عن الخلق بشهود الحق والبقاء شهود الخلق بالحق ان كان
بعد الفناء وان كان قبل الفناء فهو شهود خلق بلا حق
وهو محل اهل الحجاب وغلب عليه ايضا غيبته على حضوره
الغيب انقطاع القلب عن ملاحظة الخلق والحضور مشا
هدة — ٢ الحق فى مظاهر الخلق
حضرة المولى بعد الغيبة عن شهود الحس والسوى فهذه
احوال اهل الجذب من السالكين فان كان لهم شيخ فلابد
ان يخرجهم الى السلوك وهو مقام البقاء فان البقاء
يطلب الجذب حتى يدركه كما يدركه غيره المطالب له فكان
بعض اشياخنا يقول اربنا من يغرق لنا نحن ضامنون
له الخروج الى البر وهو البقاء الذى اشار اليه الشيخ بقوله
واكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا
فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه
يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطى كل
ذى قسط قسطه ويوفى كل ذى حق حقه قلت هذا هو
القسم الثالث وهو مقام خاصة الخاصة وهم اهل الرسوخ
والتمكين فكلما شربوا من خمر الحقيقة زاد صحوهم وتجوهر
عقلهم وكلما غابوا عن شهود الخلق بشهود الحق زاد حضورهم
فتراهم مستغرقين فى الفكرة والنظرة ومع ذلك يحسون بدبيب
النملة حتى يظن من لم يبلغ مقامهم انهم من اهل الغفلة
لكثرة ما بهم من الفطنة وهم مستغرقون فى الحضرة وقد
كان عليه السلام يصلى بالناس فاذا سمع بكاء الصبى خفف
شفقة على امه فاهل هذا المقام الكامل لا يحجبهم جمعهم
عن فرقهم فهم مجموعون مجموعون فى فرقهم مفروقون
ولا فرقهم عن جمعهم

في جمعهم يشهدون الحق في حال شهودهم الخلق ولا يصدهم
فناؤهم عن بقائهم فهم فانون عن انفسهم باقون بربهم
ولا بقاؤهم يزدهيهم يصدهم عن فنائهم فظاهرهم مشغول
بالحس مثلا وباطنهم معمور بالمعنى يعطون كل ذي حق
حقه فيعطون الحقيقة حقها بشهود الحق في الباطن
والشريعة حقها باستعمال الجوارح في حقوقها في الظاهر
ويوفون كل ذي قسط قسطه فيوفون الناس قسطهم من
الاحسان والحق حقه في توحيده بالجنان **او تقول** افردوا
الحق بالالاء نعام وشهود الاحسان واثنوا على الوسائط
باللسان **او تقول** اعطوا الربوبية حقها بشهود الاحسان
منه وحده واعطوا الخليقة حقها بشكر الواسطة اقامة
لرسم العبودية والحاصل ان هذا المقام هو كما قال الشاذلي
رضي الله عنه الجمع في باطنك مشهود والفرق على لسانك
موجود **تنبيه** قد رأينا كثيرا من الناس يترامون على
هذا المقام الكامل من غير صحبة ولا جذب ويزعمون انهم
يصلون اليه باتقان علم الشريعة وعملها وهو غلط
اذ لا سبيل الى هذا المقام الا بمروره على المقام الذي قبله
وهو الجذب والاختطاف من شهود الاكوان الى شهود المكون
ولا بد من سكر ثم صحو وجذب ثم سلوك وجمع ثم فرق
وفناء ثم بقاء نعم قد يكون بعض الافراد اقوياء يجذبون
الى حضرة الحق مع مشاهدة الخلق ويسيرون بين جذب
وسلوك كما تقدم في الطريقة الشاذلية وامثالها واما من
لم يصحب العارفين الذين سلكوا هذه المقامات فلا يطمع
في نيل

في نيل هذا المقام ابدا الا المفرد النادر الذي لا حكم له
والله تعالى اعلم ثم استدل على المقام الثاني وهو الجذب
والفناء والثالث وهو الصحو والبقاء بقضية السيدة
عائشة مع ابيها في قضية الافك فقال **وقال ابو بكر الصديق**
وقال الصديق
رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها لما نزلت
براءتها من الافك على لسان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اشكري رسول الله فقالت والله لا اشكر الا الله قلت
قضية الافك مشهورة مذكورة في سورة النور تولى شرحها
اهل الظاهر الا ان ظاهر كلام الشيخ رضي الله عنه
ان القائل لها هو ابوها والذي في الصحيح ان الذي قال
لها اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم هي امها وفي رواية
فقالت لي امي لما نزلت براءتي من السماء قومي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا اقوم اليه ولا اشكر الا الله
ويمكن الجواب بان ذلك وقع باشارة ابيها او قالاه معا او
سكوته كانه وفاق والله تعالى اعلم ثم ذكر الجواب عن امتناعها
من شكر الواسطة فقال **دلها ابو بكر على المقام الاكمل مقام**
البقاء المقتضي لاثبات الاثار قلت المراد باثبات
الاثر بعد الفناء عنه اثباته بالله وتغيبه بالله جمعا بين
القدرة والحكمة وانما كان هذا اكمل مما قبله لان هذا حاز
المقامين اعطى القدرة حقها في الباطن وهو الشهود
والحكمة حقها في الظاهر وهي العبودية فهو سالك
بنفسه دال لغيره كامل مكمل عالم معلم عارف معرف وهي
غاية القصد والطلب لانه مقام الخلافة التامة والمنافع العامة

ولا شك ان الخير العام خير من الخير الخاص والخير العام هو الذى
يعطى كل ذى حق حقه ويوفى كل ذى قسط قسطه وسئل
بعضهم عن قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته مع قوله تعالى
اتقوا الله ما استطعتم فقال اتق الله حق تقاته بقلبك
واتق الله بجسمك ما استطعت فتكون جامعا للشريعة
والحقيقة اه ثم استدل على اثبات الاثر بالكتاب والسنة
فقال وقد قال تعالى ان اشكر لى ولوالديك فامرا ولا
بشكر من تولى نعمة الايجاد وامرنا ثانيا بشكر من ظهرت
على يديه نعمة الامداد فالواسطة ثابتة باثباته ممحوة
باحدية ذاته والاية صريحة فى اثبات الواسطة ادبا
والغيبة عنها عقدا لاجل التوحيد ثم ذكر دليل السنة
فقال وقال صلوات الله وسلامه عليه لا يشكر الله من لا
يشكر الناس قلت يصح فى اسم الجلالة الرفع على الفاعلية
والنصب على المفعولية ومعنى الاول الله تعالى لا يشكر
فعل من لم يشكر الناس ولا يحبه وعلى الثانى من لم يشكر الناس
فلا يشكر الله اى فلا يسمى شاكرا لله وتقدم حديث
النعمان بن بشير من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم
يشكر الناس لم يشكر الله ثم بين الجواب عن امتناعها من شكر
الواسطة فى ذلك الوقت فقال وكانت فى ذلك الوقت
مصطلمة عن شاهدها قلت الاصطلام نعت الحيرة
ومحل الدهشة والغيبة اى كانت رضى الله عنها فى ذلك
الوقت غائبة عن حالها فانية عن حسها كما هو حال الجذب
وقوله فى ذلك الوقت يقتضى انه لم يكن ذلك شانها
على الدوام

على الدوام وانما هو عارض قهرى ووارد الهى اختطفها
عن حسها كما عرض ذلك لخليل الله ابراهيم حين عرض
له جبريل فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا واما
الى الله فبلى فلم يلتفت الى الواسطة فقال له سله
فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى وكقوله عليه السلام
لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى فكانت عائشة رضى الله
عنها فى ذلك الوقت غائبة عن الاثار فلم تشهد الا الوا حد
القهار قلت ومما يقوى عذرها فى شكر الله وحده
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكرى
الله فان الله تعالى قد برأك فهى راجعة لامره فى عدم
شكره كما قاله ابن ابى جمرة لكن بضميمة ما ذكره المؤلف
اذ لا يصح مع الصحو اهمال الوسائط فى المقام الاكمل
قاله الشيخ زروق رضى الله عنه فهذا اخر الرسالة
التى كتبتها لبعض اخوانه وهى فى غاية الاتقان والكمال
فلو لم يكن فى هذا الكتاب الا هذه الرسالة مع التى قبلها
لكانت كافية فجزاه الله عن اهل الطريقة خيرا ولما كانت
صلاة العارفين ليست كصلاة الغافلين تكلم فى هذه
الرسالة الثالثة على قرة العين التى تكون فى الصلاة هل
هى خاصة بالانبياء او للاولياء نصيب من ذلك فقال
وقال رضى الله عنه لما سئل عن قوله صلوات الله وسلامه
عليه وجعلت قرة عينى فى الصلاة هل ذلك خاص بالنبى
صلى الله عليه وسلم ام لغيره منه شرب ونصيب فاجاب
ان قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود

قلت قرة العين كناية عن شدة الفرح لان بكا الفرح
دمعه بارد والقر بالضم هو البرد يقال فى الدعاء اقر
الله عينك اى افرحك حتى تبرد عينك بدموع الفرح
ومضمن كلام الشيخ فى جوابه ان قرة العين فى الصلاة متفاوتة
على قدر التفاوت فى المعرفة والشهود والمعرفة على قدر التخلية
والتحلية فمعرفته عليه السلام لا يوازيها معرفة وشهوده
عليه السلام لا يقرب منه شهود لكن قد تحصل المشاركة
فى مطلق الشهود من حيث هو وتكون القرة على قدره فاذا الورثة
عليه السلام قسط ونصيب من قرة العين على قدر صفا مشربهم صفاء
وتفرغ قلوبهم واسرارهم فالعلماء ورثة الانبياء فمن
جملة ما ورثوه قسط من قرة العين فى الصلاة ولذلك كانوا
يغيبون فيها ويجدون من النعيم واللذة فيها ما تعجز عنه
العبارة وقد كان منهم من يقطع الليل كله فى ركعة ويختم
القرءان فى كل ليلة فلولا ما كانوا يجدون من حلاوة المناجاة
مادامت لهم تلك الحالة ويفهم هذا من قول الشيخ فى الجواب
ان قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فهى عبارة
عامة تصدق بكل من له نصيب من الشهود لكن قرة عين
الرسول صلى الله عليه وسلم لا يوازيها قرة عين احد وكذلك
الانبياء عليهم السلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم والى هذا
اشار بقوله **والرسول صلوات الله وسلامه عليه ليس
معرفة كمعرفته فليس قرة عين كقرته** قلت لم يؤنث
الفعل لمجازى التانيث فى الموضعين وانما كانت معرفته
عليه السلام لا يساويها معرفة لانه اول قدم فى مقام الاحسان

اذلامجاهدة

اذلامجاهدة له ولا سير له باعتبار الوصول لانه واصل من اول قدم
فنهاية الاولياء بداية الانبياء ونهاية الانبياء بداية
الرسل وبدايته عليه السلام من نهاية الرسل وانما قلنا
لا سير له باعتبار الوصول لان السير فى مجاهدة الاوصاف
المذمومة وهو مطهر منها كما قال القائل

خُلِقتَ مطهَّرًا من كل عيب ، كانك قد خلقت كما تشاءُ

واما السير بمعنى الترقى فهو ثابت له على الكمال فقد كان عليه
السلام يترقى فى الساعة الواحدة مقامات ويستغفر من المقام
الذى يترقى منه **حكى** عن الشيخ ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه
انه كان يستشكل قوله عليه السلام انه ليغان على قلبى
فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة وفى رواية مائة مرة
حتى راى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا مبارك غين
انوار لا غين اغيار ففهم حينئذ ان ذلك الغين وهو
التغطية انما هى انوار الشهود وهى تتفاوت بالقوة
والضعف باعتبار الكشف فكلما كشف له عن مقام راى
ذلك المقام نقصا باعتبار ما بعده وراه حجابا وتغطية
لما فوقه وهكذا وعظمته تعالى لا نهاية لها ولذلك قال
له وقل رب زدنى علما وقال ابو العباس رضى الله عنه
الانبياء عليهم السلام خلقوا من الرحمة ونبينا عليه
السلام هو عين الرحمة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وقال الشيخ الحضرمى رضى الله عنه بعد كلام ذكره
فهو صلى الله عليه وسلم مظهر الحق الاكبر وهو اكبر مظاهر
الحق فى الوجود فلذلك كان كل حرف من كلماته يوازى الجم الغفير



وكل قطرة من فيض بحره توازى البحر الزاخر الكبير واعظم من ذلك
بالف الف نقير وقطمير لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون
اه المراد منه فتحصل ان مقامه عليه السلام فى العرفان لا يوا
لا يوازيه مقام وكذلك قرة عينه عليه السلام لا ينالها غيره
من الانبياء والاولياء وانما يكون لهم من ذلك شرب
ونصيب على قدر شهودهم ومعرفتهم قال الشيخ ابو العباس
المرسى رضى الله عنه انما قال الله تعالى سبحان الذى
اسرى بعبده ولم يقل بنبيه ولا برسوله ليفتح باب السراية
لغيره فمن له قسط من العبودية له قسط من الاسراء ولما
كان له عليه السلام كمال العبودية كان له كمال الاسراء
فاسرى بروحه وجسده وليس ذلك لغيره اه فاذا وقع
الاسراء بالروح الى الملكوت حصلت له قرة العين فى العبادة
على قدر اسرائها واسرؤها على قدر تصفيتها من العلائق
والعوائق والله تعالى اعلم ولما كان جوابه بان قرة العين
بالشهود على قدر معرفته بالمشهود فيه خفاء عن المقصود
بينه بقوله وانما قلنا ان قرة عينه فى صلاته بشهوده
جلال مشهوده لانه اشار الى ذلك بقوله فى الصلاة
ولم يقل بالصلاة قلت لان الاصل فى الظرفية ان تكون
على بابها فقرة عينه صلى الله عليه وسلم انما هى بشهود
ربه ومسامرته ومكالمته فالصلاة انما هى محل لتلك
القرة لا بها تكون القرة واما قوله عليه السلام ارحنا بها
يا بلال فالباء سببية اى ارحنا بسببها وراحته عليه السلام
انما هى بمناجاة ربه لا بغيره ثم ذكر علة كونه عليه السلام

لا تقر

لا تقر عينه بالصلاة وانما تقر عينه بربه فقال اذ هو صلوات
الله وسلامه عليه لا تقر عينه بغير ربه فلا فرح له الا به
ولا سرور له الا فى اقباله قد رفع همته عن الكونين وخلع نعله
من الدارين ولاجل ذلك قال فيه القائل

له همم لا منتهى لكبارها ، وهمته الصغرى اجل من الدهر
له راحة لو ان معشار جودها ، على البر كان البر اندى من البحر

كيف وهو يدل على هذا المقام وهو مقام الاحسان اذ به
تحصل قرة العين ويامر به من سواه من الانام لقوله
صلوات الله وسلامه عليه اعبد الله كانك تراه قال
الشيخ زروق رضى الله عنه لم يقع فى الحديث بهذا اللفظ وا
وانما وقع فى تفسير الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان
لم تكن تراه فانه يراك اه قلت وفيه نظر فان فى حديث
معاذ بن جبل رضى الله عنه قلت يا رسول الله اوصنى
قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك فى الموتى واذكر الله
عند كل حجر وعند كل شجر واذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة
تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية اه رواه الطبرانى كما
فى المنذرى ثم من كان يعبد الله كانه يراه فلا يمكن ان يلتفت
الى رؤية ما سواه كما بينه بقوله ومحال ان يراه ويشهد
معه سواه قلت لان ثبوت السوى حجاب فلا يصح الشهود
حتى يزول كل موجود ولا يبقى الا الواجب الوجود ويرى ما سواه
كانه ظلال او خيال عند التحقيق مفقود فان قلت اذا كان
السوى مفقودا فلم قال عليه السلام فى تفسير الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه وقال لمعاذ اعبد الله كانك تراه فاتى بكاف

التشبيه اذا كانت الرويا حاصلة فكيف يشبهه عليه السلام بمن
يرى فالجواب انه عليه السلام فى محل التشريع والتحقيق وهذا
الحديث وقع فى محفل كبير فيه من هو من اهل المراقبة وفيه من
هو من اهل المشاهدة فاتى بكلام يقبله الخاص والعام فالكل
مخاطب باتقان العبادة كانه يشاهد فمنهم من بلغ ذلك
ذوقا ومنهم من يكون ذلك منه مجاهدة وايضا شهود
انوار الملكوت سر من اسرار الربوبية لا تفشى لغير اهلها
ولو قال عليه السلام ان تعبد الله لانك تراه اى ترى انوار
جبروته مندفقة لرياض ملكوته لكان فيه افشاء لسر الربوبية
ولا يفهمه الا الخواص وقد قال عليه السلام خاطبوا الناس
بقدر ما يفهمون فاتى بكلام موجه يقبله اهل الظاهر
واهل الباطن فاهل الظاهر يتركون الكاف على بابها واهل
الباطن يجعلونها بمعنى اللام لان رؤية البصيرة عندهم
فى معد العيان لان البصر اذا فتحت البصيرة غلبت عليه
ولم يبق له حكم اصلا وايضا الرؤية اذا اطلقت انما تنصرف
للبصر فلو لم يات بالتشبيه لتوهم ان الله تعالى يرى بالبصر
الحسى وهو محال قال الله تعالى لا تدركه الابصار اى الحسية
وانما تراه البصائر المفتوحة فاذا انفتحت البصيرة استولت
على البصر فلا يرى البصر الا ما تراه البصيرة من انوار الملكوت
والله تعالى اعلم ولما قرر الشيخ ان قرة عينه صلى الله عليه وسلم
انما هى بالله لا بالصلاة بحث معه باحث فاشار الى البحث
بقوله قال له سائل قد تكون قرة العين بالصلاة لانها
فضل من الله وبارزة من عين منة الله فكيف لا يفرح
بها

بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال تعالى فبذلك
فليفرحوا قلت مضمن البحث ان قوله عليه السلام وجعلت
قرة عينى فى الصلاة يمكن ان تكون فى بمعنى الباء اى بالصلاة
ويكون وجه الفرح بها لانها فضل من الله ورحمة وبارزة
من منة الله وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا فقد امر الله تعالى عباده بالفرح بفضل الله
وبرحمته والصلاة من ذلك فيجب الفرح بها وهى
معنى قرة العين فاجاب فقال اعلم ان الآية قد اومات ٢ هذه
اى اشارت الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك
فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم
ليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك انت
بالمتفضل كما قال فى الآية الاخرى قل الله ثم ذرهم
فى خوضهم يلعبون قلت مضمن الجواب ان قرة العين
بالصلاة انما يصح ان تكون فى حق غيره صلى الله عليه
وسلم من اولياء امته لانهم يفرحون بفضل الله واحسانه
لانها علامة على رضوانه واما هو صلى الله عليه وسلم
فلا تكون قرة عينه الا بالله ويدل عليه قوله تعالى فبذلك
فليفرحوا ولم يقل فبذلك فافرح يا محمد فدل خطاب الآية
ان الفرح بالفضل والرحمة انما هو لامته صلى الله عليه
وسلم وهو انما يكون فرحه بالله لا بشيء دونه كقوله فى
آية الانعام قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون والتحقيق
هو ان يقال من تحقق بنعيم شهود الربوبية لم يكن فرحه
الا بشهود محبوبه دون غيره كائنا من كان ومن كان مقيما

في محل العبودية ولم يذق شيأ من مطالعة انوار الربوبية لم
يكن فرحه الا بفضل الله ومن ذاق ولم يتحقق يكون فرحه بهذا
اى تارة بهذا وتارة بهذا فعلى هذا يكون لاكابر امته
صلى الله عليه وسلم قسط من الفرح بالله دون ما سواه
لكن لا يبلغون مقام الرسول عليه السلام لانه شهوده عليه
السلام لا يساويه شهود فتكون قرة عينه كذلك والله
تعالى اعلم **خاتمة** فى ذكر الحديث الذى اشار اليه الشيخ
وما يتعلق به روى ان جابر بن عبد الله صنع طعاما
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع هو ونفر من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ابو بكر وعمر وعثمان
وعلى رضى الله عنهم فتذاكروا فى الطاعة لله ولرسوله
الى ان قال ابو بكر انما حبب لى من الدنيا يا رسول الله ثلاث
انفاق مالى عليك والجلوس بين يديك وكثرة الصلاة عليك
وقال عمر وانا حبب الى من الدنيا ثلاث اكرام الضيف وا
والصيام فى الصيف والضرب بين يدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالسيف **وقال** عثمان حبب الى من الدنيا ثلاث
اطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس
نيام **وقال** على مثل ذلك **فقال** لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت
قرة عينى فى الصلاة **فنزل جبريل** فقال وانا حبب الى من
الدنيا ثلاث تبليغ الرسالة واداء الامانة وعيادة المرضى
ثم غاب وظهر وقال يا رسول الله ورب العزة يقول **وانا**
حبب الى من الدنيا ثلاث لسان ذاكر وقلب شاكر وجسم على البلاء
صابر

صابر هذا ذكره الشطيبى فالله اعلم بصحته غير انه كلام
صحيح فى نفسه والحكمة فى حب النساء الترغيب فى كثرة
التناكح ليكثر النسل بمن يعمر هذا العالم واما الطيب
فانه عليه السلام كان طيبا نفحه الله فى الوجود فتعطرت
به الاكوان فكان عليه السلام ينفح طيبا مس طيبا ولم يمسه
لكن كان يستعمل الطيب الكسبى يستر به الطيب الوهبى خشية
ان يتغالى الناس فيه كما تغالوا فى عيسى عليه السلام وقيل
ان الطيب من صبغة اهل الجنة وقد كان عليه السلام فى الجنة
فتطيب بطيبها والله تعالى اعلم ثم ذكر الرسالة الثالثة
فى الفرح بالمنن بعد ان قدم الفرح بالله فقال **وقال رضى**
الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه الناس ٢ وورود المنن — ٢ فى ورود
عليهم على ثلاثة اقسام يعنى عوام وخواص وخواص
الخواص ثم ذكر مقام العوام فقال **فرح بالمنن لا من حيث**
مبديها ومنشيها ولكن بوجود متعته فيها قلت وهذا
كالبهيمة ليس شانه وهمته الا نفسه وحسه ولله در ابن البنا حيث
قال، واعلم ان عصبة الجهال ، بهائم فى صورة الرجال،
ثم ذكر حكمه فقال **فهذا من الغافلين** لان هذا اى النعم اذا اقبلت
عليه اشتغل بها عن ذكر معطيها تلذذا وترفها واذا ادبرت
اشتغل قلبه فكره بطلبها والحرص عليها واذا نالها شغلته
متعتها عن شكرها فيكون ذلك سببا فى زوالها قال تعالى
ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وربما **يصدق عليه قوله**
تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فالاية
وان نزلت فى الكفار فحكمها عام فكل من اشتغل بنعم الدنيا

وزخارفها عن ذكر الله وما طلب منه يصدق عليه انه فرح بها اوتى
فبينما هو منهمك فى غفلته مستغرق فى شهوته اخذته الموت
بغتة فاذا هو مبلس اى ايس من الرجوع اليها ومن الاستمتاع
بها وقد تؤخذ منه قبل موته فتشتد حسرته عليها وقد
تقدم من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها من لم يعرف قدر
النعم بوجدانها عرف بفقدانها ثم ذكر القسم الثانى
وهو مقام الخواص فقال **وفرح بالمنن من حيث انه**
شهدها منة ممن ارسلها ونعمة ممن اوصلها قلت
ويستفيد ايضا اقبال من ارسلها عليه وذكره بها اوحى
الله تعالى الى سيدنا موسى عليه السلام ياموسى اعلم انى
اذا اعطيتك تمرة مسوّسة فانى قد ذكرتك بها فاشكرنى
عليها فانه لا يعطيكها غيرى اه فتكون تلك النعمة سببا
يجره الى محبة المنعم فيترقى الى الدرجة الثالثة ثم ذكر
شاهد هذا القسم من القران فقال **فصدق عليه قوله**
تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قلت
يعنى فيكون فرحه بفضل الله وهو الايمان ورحمته وهو
القران وغيره ذلك اى فضل الله ورحمته خير مما يجمعونا
من حطم [حطام] الدنيا وشهواتها الغرارة وانشدوا

طلق الدنيا ثلاثا ، والتمس زوجا سواها ،
تب الى ربك منها ، واحترس قبل اذاها ،
انها زوجة سوء ، لا تبالى من اتاها ،
انه نفسك عن الغنى ، وجانب هواها ،

قيل ان بعض العباد اراد ابليس فتنته فجاءه من باب
الرغبة

الرغبة فى الدنيا فوجده قد سده بالزهد والقناعة فجاءه
من باب الشهوة فوجده قد سده بدوام الحزن والكآبة
فجاءه من باب الغضب والحدة فوجده قد سده بالتواضع
والاستكانة فصاح وقال هذا عبد قد تحصن منى فليس
لى عليه سبيل **وفى الخبر** ان المنادى ينادى يوم القيمة اين اصحاب
المتاجر الرابحة من اهل الاعمال الصالحة فيقوم الاولياء والاصفياء
والعباد والزهاد فيؤتون بنجائب من النور فتطير بهم نحو العرش
وتسبقهم الملائكة بين ايديهم الى ان تنزلهم فى منازلهم
من الجنة ويقولون لهم هذه احمالكم وفيها اعمالكم وينادى
المنادى ايضا اين ابناء الدنيا اى المخلفون والمقصرون
اين من عصى المولى هلموا الى دار البلوى فيؤتون بحمول
اوزارهم على ظهورهم الاسافل يزيرون فيؤمر بهم الى العذاب
اه ثم ذكر القسم الثالث وهم خواص الخواص فقال
وفرح بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا با
طن منتها قلت ظاهر متعتها هو حظ البشرية وهى
اللذة الحسية وهو حال اهل المقام الاول اعنى الغافلين وباطن
منتها هى ذكر المنعم واقباله عليه وهو حال اهل المقام
الثانى واشار الى حال اهل المقام الثالث فقال **بل شغله**
النظر الى الله عما سواه من المتعة الحسية او المعنوية **وشغله**
الجمع على الله بالتوكل **عليه** فكفاه شؤنه واموره حتى لم يبق
له اهتمام بغير مولاه بل اغناه به عما سواه **فلا يشهد الا اياه**
ولا يحب شيئا سواه ومما وجد فى بعض الكتب المنزلة يقول الله
تعالى عبدى ان اطعتنى واليتك وان تقيتنى قربتك وان

استجيبت منى اكرمتك وان توكلت على كفيتك وان عصيتنى عاقبتك
فهعوجبتى لك من اجلك لامن اجلى جل قدرى وعظم فضلى عبدى
انى اعلم منك مالو علمته زوجتك لسالتك الطلاق ولو علمه عبدك
لسالك العتاق ولو علمه ابوك لهان عليه الفراق عبدى ان جئتنى
تقول اسات اقول لك وانا فقد غفرت وان قلت تبت اقول وانا
قبلت اه ثم ذكر مصداق هذا القسم الثالث فقال **قل الله ثم
ذرهم فى خوضهم يلعبون** قلت المراد بالقول فى هذا المقام
القول القلبى اى اذكر الله على الاشياء كلها تفن ولم يبق لامولاها
ثم اترك الناس فى وهمهم يلعبون ومن جملة الاشياء النعم التى
يتجلى بها فاذا ذكر الله عليها غاب فى شهوده عنها واستغنى
به عن كل ما سواه **قال** الشبلى رضى الله عنه الشكر رؤية المنعم
لا رؤية النعمة وقال ابو محمد الجريرى رضى الله عنه من راى
النعم ولم يرى المنعم فقد حجب عن الشكر ومن راى المنعم
بغيبة النعم فقد شكره اه **تنبيه** كثيرا ما يستدل الصوفية
بهذه الاية على الانقطاع الى الله والغيبة عما سواه وهو تفسير
اشارة لا تفسير معنى اللفظ لانها نزلت فى الرد على اليهود حيث
قالوا ما انزل الله على بشر من شئ فقال لهم الحق تعالى قل من
انزل الكتاب الذى جاء به موسى فلما لم يجيبوا قال الله تعالى
لنبيه قل الله اى قل لهم انزله الله ثم لا تجادلهم بل ذرهم فى
خوضهم يلعبون والصوفية رضى الله عنهم يقرون الظاهر
على ظاهره ويقتبسون اشارات خفية لا يعرف مقصودهم
غيرهم ولذلك رد عليهم بعض المفسرين حيث لم يعرف قصدهم
قد علم كل اناس مشربهم واما ذكر هذا الاسم باللسان مجردا ففيه
تلاثة

قف على جواز ذكر
اسم الله مفردا
مطلقا

ثلاثة اقوال احدها الجواز مطلقا والثانى الكراهة مطلقا و
والثالث التفصيل يجوز لاهل النهايات دون اهل البدايات
والمشهور الاول وعليه طريق الشاذلية ومن تعلق بهم والله تعالى
اعلم ولما استدل بما فى كتابنا ذكر ما فى كتاب من قبلنا فقال **وقد
اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين
بى فليفرحوا وبذكرى فليتنعموا** قلت لا يكمل الفرح بالله
حتى يخلو القلب من محبة ما سواه فما دام العبد متعلقا بشئ
من السوى فلا يكمل فرحه بالله ولا يتم تنعمه بذكر الله **او تقول**
ما دامت الروح مسجونة فى سجن الهيكل لا يتم فرحها بالله
ولا تتنعم بذكر الله فان تخلصت من سجن البدن وتحررت
من رق الاكوان كمل فرحها بالواحد المنان وانشدت
انتم سرورى وانتم مشتكى المنى ، وانتم فى ظلام الليل اقمارى
فان نطقت لم انطق بغيركم ، وان صمت فانتم عقد اضمارى
وهذا هو الفرح الحقيقى والسرور الاصلى وما سواه اعراض لاغراض
قال المقدسى السرور اعلى من الفرح لان الفرح ربما شيب
بالحزن الذى هو مقابله والسرور لا حزن معه وقيل هما شئ
واحد **وقال** بعضهم السرور على ثلاثة اقسام بداية ووسط
ونهاية فبداية السرور يذهب به خوف القطيعة وظلمة الجهل
ووحشة الفراق واما وسطه فانه يكشف حجاب العلم ويفل رق
التكليف وينفى التدبير والاختيار واما غايته فانه يمحوا
اثار الوحشة ويقرع باب المشاهدة ويضحك وجه الروح
لبشارة التجلى ففى بداية الفرح والسرور يحصل التصديق وفى
وسطه يحصل الانس وفى نهايته يحصل الجمع والوصال اه

وقد ضرب بعضهم مثلا للاقسام الثلاثة اعنى من يفرح بالنعم
من حيث انه ينال فيها شهوته اويشهد فيها منته ومعونته او
يفرح بالمنعم وحده فقال مثل ذلك كثلاثة رجال قدموا على
السلطان فاعطى لكل واحد فرسا وسيفا اما احدهم فقال هذا
فرس نتمتع به ونركب عليه فى حوائجى ونقاتل به عدوى ففرح به
من حيث انه يقضى به مآربه وشهواته وليس فى قلبه محبة
للملك انما جاء لقضاء حاجته واما الاخر فقال هذا فرس نستعين
به على خدمة الملك وعلى القدوم عليه وعلى مجاهدة عدوه
ففرح بالفرس من حيث انه يستعين به على حوائج الملك
ومآربه دون حوائج نفسه واما الثالث فقال ان الملك
يحبنى ويعظمنى حتى اعطانى هذا الفرس فهذا اعتناء
من الملك واقبال على ففرح بالفرس من حيث انه يدل على
محبة الملك له واعتنائه به فهذا مثل للاقسام الثلاثة
وقد اشبع الغزالى الكلام فى هذا المعنى فى باب الشكر فانظره
ان شئت ثم ختم رسالته بدعاء مناسب فقال والله يجعل
فرحنا واياك به اى دون غيره والمخاطب هو المرسل اليه
هذه البطاقة اوكل من يطالع كتابه او يحفظه او يعمل به او
من يسمعه وقرى عليه واذا كان فرحنا به وحده كنا من القسم
الثالث الذى هو مقام خواص الخواص ومن كان فرحه بالله
كان راضيا به ومرضيا عنه كما قال وبالرضى منه اى ويجعل
فرحنا بالرضى من قبله بحيث لانرضى بشئ دون رضاه
عنا فنكون راضين به مرضيا عنا قال تعالى رضى الله عنهم
ورضوا عنه ومن تحصن بها تحصن من الغفلة بحصن منيع

ولذلك

ولذلك قال وان لا يجعلنا من الغافلين الذين يفرحون
بالنعم دون شهود المنعم وقد اشتمل دعاوه على الاقسام الثلا ثة
من باب التدلى فالفرح بالله هو المقام الثالث وبالرضى
منه هو الثانى واحترز من الاول بعدم جعله منه واذا خرج
من حرز الغفلة حصل على اليقظه وهى جماع التقوى الذى اشار
اليه بقوله وان يسلك بنا مسالك المتقين الذين اتقوا
الشرك والمعاصى اولا والشهوات والعوائد ثانيا والسوية
والغيرية ثالثا وهو معنى قوله تعالى ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا
الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين
فالتقوى على ثلاثة اقسام بحسب المقامات فتقوى اهل مقام
الاسلام حفظ الجوارح من المخالفات اتقاء سخط الله واليهم
توجه الخطاب بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وتقوى
اهل مقام الايمان حفظ القلوب من الهفوات والخطرات
واليهم توجه الخطاب بقوله تعالى فاتقون يا اولى الالباب
فاذا تطهر القلب من الهفوات والخطرات منح بشهود معانى
الصفات وتقوى اهل مقام الاحسان حفظ السر مما سوى الله
فاذا انطهر السر من الاغيار منح بشهود الانوار وهى عظمة
الذات ولكل مقام من مقامات التقوى بواعث تبعث
على تقواهم فالباعث لاهل مقام الاسلام على تقواهم رجاء
الثواب وخوف العقاب فتقواهم على سبيل الخوف والرجاء
والباعث لاهل مقام الايمان على تقواهم شهود الجلال والجمال
فتقواهم على سبيل الهيبة والحياء والباعث لاهل مقام الاحسان

على تقواهم شهود العظمة والكمال فتقواهم على المحبة والتعظيم
وانشدوا فكن ايها العبد لمعنى خالقى ... حيث الترقى فى المعارج باللطف
وثق بلطيف الصنع تحظ بفضله ... وخلص اليه القصد يغنيك بالعطف
وفوض وسلم وارق فى درج الصفا ... على الكون تحظ بالمعارف والعرف
وتدرك ما امسى الورى عنه فى غنى ... وتعرف اشيا تجل عن الوصف
ومن حصل مقام التقوى وحاز منها الغاية القصوى دام عليه
السرور والفرح وذهب عنه الحزن والترح روى ان رابعة العدوية
رضى الله عنها لقيت عتبة الغلام وهو يتبختر فى قميص جديد
فقالت له ما هذا التيه والعجب الذى ما رايته منك قبل اليوم
فقال ومن اولى بهذا منى وقد اصبح لى مولى واصبحت له
عبدا وقال ذو النون رايت شيخا فى الركب يمشى وبيده مصحف
وهو يقرا ويهتز ويرقص فى مشيته فقلت يا شيخ ما هذا الرقص
فقال قلت فى نفسى عبد من انا وكلام من انا اتلو وبيت
من انا قاصد فهزتنى حالة الفرح واطربنى ذلك من غير
قصد منى اه ثم توسل فيما طلب بمنة الله وكرمه فقال بمنه وكرمه
اى انما طلب ما تقدم من منة الله وكرمه لا بسبب عمل ولا حال وكل
هذا اعتماد على مولاه فيما ولاه وتولاه فى مبداه ومنتهاه
وهاهنا انتهى الكتاب وما بقى الا المناجات الكريم الوهاب
قال بعض الشراح هذه المناجات على قسمين قسم يقضى
بالتعريض والتناصب وقسم يشهد بالتحقيق والتادب واكثر
ما يظهر فضلها للتالى فى وقت الاسحار وبعد صلاة الصبح
فلها هناك سر عظيم وفتح جسيم فمن لازمها فى ذينك الوقتين
وجد بسطا زائدا على العادة ولها خواص واسرار عجيبة فها
منجربها

من جربها من العباد والزهاد والطالبين لمعرفة رب العالمين
وقد ذكر بعضها الشيخ ابن عباد فى نظم الحكم فقال
لم يبق الا ما به المناجات ... وسياقه حقت له المراعات
لكونه يجذب الاسرارا ... ويجلب الاضواء والانوارا
وانت يا خلى ويا صفيى ... ان انتهجت منهج ذا الولى
وسقته مساقة الجميلا ... منكسرا وخاضعا ذليلا
رايت فى باطنك الزيادة ... والخير واستبشرت بالسعادة
ووجه مناسبتها لما قبلها ان القلب اذا انبسط بالفرح بالله
بالحبيب انطلق اللسان لمناجات القريب فقال فى اولها
الهى انا الفقير فى غناى فكيف لا اكون فقيرا فى فقرى
قلت انما ابتدا مناجاته بالتحقيق بالفقر لما يعقبه من سرعة
الغنى وقد قلت فى قصيدة تقدمت
تحقق بوصف الفقر فى كل لحظة ... فما اسرع الغنى اذا صحح الفقر
قال الشيخ ابو عثمان فى قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
التضرع هو ان تقدم افتقارك وعجزك وعارك وضرورتك
وقلة حولك وقوتك وليس التضرع بالاجهار ولان يكون
للطاعات اظهار اه يقول رضى الله عنه انا الفقير فى غناى
الوهمى الادعائى فكيف لا اكون فقيرا فى فقرى الحقيقى الاصلى
فغناى بموافقة الاسباب الظاهرة ليس وجوده منى ولا بقاؤه
بيدى فانا فقير فى حالة وجوده فكيف لا اكون فقيرا فى حالة
فقده او يقول انا الفقير فى حالة حياتى التى يظهر فيها صورة
غناى بعشيرتى واحبابى فكيف لا اكون فقيرا بعد مماتى
حين يتخلف عنى احبابى وجيرتى او يقول انا الفقير اليك

فى حال غناءى بك فكيف لا اكون فقيرا فلا غنالى عن زيادة مددك
وهذا كما قال القائل

انا الفقير اليكم والغنى بكم ، وليس لى بعدكم حرص على احد ،

فكيف لا اكون فقيرا فى حال فقرى اليك اذا كنت فقيرا فى حال
نظرى الى غناءى بك فكيف لا اكون فقيرا فى حال نظرى الى
فقرى اليك ولله در القائل

انا اليك مع الانفاس محتاج ، لو كان فى مفرقى الاكليل والتاج ،

وفى اظهار الفاقات الى الله وانزال حوائجه بساحة مولاه مع
رفع الهمة عما سواه من الحظوظ والمكانة وعزازة القدر عند
الله ما يكل عن وصفه اللسان ويعجز عن حمله واسع الجنان
قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما اظهر عبد فقره الى
الله تعالى فى الدعاء الا قال له الحق لبيك لكنه لا يستطيع
سمع ذلك وقد تقدم كلام الله تعالى فى بعض الكتب المنزلة
يقول الله تعالى ما رفع عبد حاجته الى دون خلقى اعلم ذلك
من نيته فتكيده السموات السبع والارضون السبع الا جعلت
له فرجا ومخرجا من امره او كما قال وقال ابو القاسم القشيرى
من اشار الى الله ثم رجع بحوائجه الى غيره افقره الله الى الخلق
ثم نزع له الرحمة من قلوبهم ومن شهد محل افتقاره الى الله
ورجع بحوائجه اليه اغناه الله من حيث لا يحتسب واعطاه
من حيث لا يرتقب قيل لبعض المحققين ايطلب العبد الرزق
قال ان علم اين هو فليطلبه قال قيل ايسال الله قال ان علم انه
نسيه فليذكره قيل ايتوكل على الله قال ان كان فى شك فليجربه
قيل فاى شئ يعمل قال ما امره الله فليشتغل العبد بربه وليشتغل

بما

بما امر به وليكن كما قال بهلول المجنون نعبده كما امرنا وهو
يرزقنا كما وعدنا ولا يتعلق بمخلوق اصلا قلبا ولا قالبا ولا يمحو الخواطر طر
التى تخطر بباله من هذا المعنى قبل ان تستحكم فيه فيعاقب
بالحرمان ويرمى بالخذلان قال ابراهيم الخواص رضى الله
عنه تهت فى البادية حتى ضرنى الحال فسمعت نباح كلب
فاصغيت اليه واخذت نحوه فاذا بلص قد صفعنى فقلت
فى نفسى هذا جزاء من توكل على مخلوق فقيل لى فى سرى يا ابراهيم
ما دمت فى خفارتنا اى جوارنا وعهدنا كنت عزيزا فلما دخلت
فى خفارة كلب سلط عليك الخلق فتبت الى الله تعالى واذا بالذى
صفعنى قد سقط عن جرف وطار راسه انه وانشدوا

مددت يدى ارجو نوالا ورحمة ، ومالى شفيع غير جودك والرجا ،
فجد لى بعفو منك وارحم تذللى ، فانت الذى اعطيتنى الفقر والالتجا ،

ثم ان الفقر والجهل من اوصاف العبودية كما ان الغنا والعلم من
اوصاف الربوبية فلما دلى بفقره الى غنى مولاه ادلى بجهله الى
سعة علم مولاه فقال فى المناجات الثانية الهى انا الجاهل
فى علمى فكيف لا اكون جهولا فى جهلى ثم يقول رضى جاهل
الله عنه انا الجاهل فى علمى العارض الذى علمتنى فكيف لا اكون
جاهلا فى جهلى الاصلى الذى فيه اركزتنى او يقول انا الجاهل
فى حال نسبتى الى العلم الذى علمتنى فكيف لا اكون جهولا
فى جهلى الذى هو اصلى ومحلى وما نسبة علم العبودية فى جانب
علم الربوبية الا كنقرة العصفور من البحر كما قال الخضر عليه
السلام لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى وما اوتيتم
من العلم الا قليلا وقال ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء

وقال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً فالعلم
العارض لا يدفع الجهل الاصلى هذا باعتبار الحكمة والنظر الى اصل البشرية
واما الروحانية فاصلها علامة دراكة لانها نموذج ربانى ولطيفة
نورانية فانما حجبها كثافة البشرية وظلمة الطبيعة كما قال فى العباحث

فلم تزل لكل نفوس الاحياء • علامة دراكة للاشيا
وانما تحجبها الابدان • والانفس النزع والشيطان
فكل من اذاقهم جهاده • اظهر للقاعد خرق العاده

ثم ان من تحقق بفقره الاصلى لا يسكن الى غناه العارض ومن
تحقق بجهله الاصلى لا يسكن الى علمه الفرعى فان الامور
كلها بيد الغنى الكريم والقلوب كلها بيد المدبر الحكيم
كما ابان ذلك فى المناجات الثالثة بقوله ان اختلاف
تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك
العارفين بك من السكون الى عطاء واليأس منك
فى بلاء قلت اختلاف التدبير هو اقامة كل عبد فى حكمته
على حسب ارادته ومشيئته من فقر او غنى من علم او جهل
من عز او ذل من قبض او بسط من سقم او مرض من ايمان
او كفر الى غير ذلك من اختلاف آثار القدرة وتنوع مظاهر
الحكمة وسرعة حلول المقادير هو تبديل تلك الاحوال فى اسرع
حال من فقر الى غنى ومن غنى الى فقر ومن علم الى جهل ومن جهل
الى علم ومن عز الى ذل ومن ذل الى عز ومن قبض الى بسط ومن
بسط الى قبض ومن سقم الى صحة ومن صحة الى سقم ومن
ايمان الى كفر والعياذ بالله ومن كفر الى ايمان فقلوب
الخلق بيد الله الواحد القهار يقلبها كيف يشاء ويختار
ويفعل

صحة

ويفعل بها ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فاذا
تحقق العبد بهذا امتنع من ان يسكن الى ما اعطاه مولاه
لانه قد يسلبه ذلك فى ساعة واحدة وامتنع ايضا ان
ييأس من مولاه فى وقت شدته وبلواه قال تعالى فان مع
العسر يسرا ان مع العسر يسرا ودوام حال من قضايا المحال
لكن لم يتحقق بهذا ذوقا الا العارفون فلذلك لا يسكنون
الى عطاء ولا ييأسون فى بلاء بل يسكنون الى من بيده
المنع والعطاء فلذلك لا يزول اضطرارهم ولا يكون
مع غير الله قرارهم ودليل ما قاله الشيخ قوله تعالى كل
يوم هو فى شان ولا مفهوم لليوم بل فى كل لحظة هو
فى شان يرفع قوما ويخفض آخرين يعز قوما ويذل
آخرين يميت قوما ويحيى آخرين يعطى قوما ويمنع
آخرين من امور يبديها ولا يبتديها وقال بعضهم
فى تفسير الآية كل يوم يجهز ثلاثة عساكر عسكرا
من الاصلاب الى الارحام وعسكرا من الارحام الى الدنيا
وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرحلون الى الله جميعا اهـ
وقد تقدم بعض الكلام على علامات العارف وقال ال
الششترى فى هذا المحل فقلوب العارفين تشاهد بنوره
ولا مشاهد للحق سواه ومنازلات الربوبية خارجة عن
رسوم البشرية فعلامة العارف ان يكون قلبه مرآة يرى
فيه ما غاب عن غيره وجلاء القلب لا يكون الا بنور
الايمان والايقان فعلى قدر قوة الايمان يكون نور القلب
وعلى قدر نور القلب تكون مشاهدة الحق وبقدر مشاهدة

لحق تكون المعرفة باسمائه وصفاته وبقدرهما يكون
التعظيم لذاته وبقدر التعظيم لذاته يكون كمال العهد وبقدر
كماله يكون استغراقه فى اوصاف العبودية وبقدر استغراقه
فى اوصاف العبودية يكون قيامه بحقوق الربوبية وما
قدروا الله حق قدره اه قلت وبقدر قيامه بحقوق الربوبية
يكشف له عن اسرار الالوهية وانشدوا

كانت محادثة الركبان تخبرنى ، عن فضلكم وسناكم اطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ، اذنى باحسن مما قد راى بصرى

ومن اوصاف العبودية بعد الفقر والجهالة الخساسة واللئامة
كما ان من اوصاف الربوبية بعد الغناء والعلم الاحسان
والكرم فادلى الشيخ بذكر لئامة نفسه الى كرم مولاه
واحسانه فقال فى المناجات الرابعة الهى منى ما يليق
بلؤمى ومنك ما يليق بكرمك اللؤم بضم اللام وسكون
الهمزة هو الشح والدناءة وفى القاموس لؤم بالضم
ضد كرم يقول رضى الله عنه الهى يظهر منى من الدناءة
والخساسة واللئامة والمساوى ما يليق بلامتى ودناءتى
ويظهر منك من المبرة والاحسان والكرامة والامتنان
وتغطية المساوى والنقصان ما يليق بكرمك الزاخر
وكمال احسانك الباهر فقابل اساءتنا باحسانك
وغط مساوينا بوصف كرمك وامتنانك فانك اهل التقوى
واهل المغفرة يا اكرم الاكرمين حكى عن بعض الناس
انه قال الهى كم اعصيك وانت تسترنى فسمع قائلا
يقول لتعلم انى انا وانت انت وقيل ان الله تعالى خلق

ملكا

ملكا ينادى يا ابن آدم يا مسكين كنت فى العدم مفقودا
فمن ذا الذى صيرك نسخة الوجود الا الكريم ذو الجود
من ذا الذى ابرزك من عالم الغيب لعالم الشهود من ذا الذى
استنقذك من ظلمة الكفر الى نور الايمان من ذا الذى
تكفل بشؤونك الا الكريم المنان فكن مطيعا لله تكن عبده
حقا ولا تطع نفسك وهواك فتكون لهما رقا اه ومن كرمه تعالى
تعالى ان سبقت رحمته غضبه ومن كرمه ايضا اقباله على
العاصى والمطيع ففى الحديث الصحيح لما خلق الله الخلق
قال للقلم اكتب قال وما اكتب قال اكتب رحمتى سبقت غضبى
فكتبه والقى الكتاب فوق العرش زاد بعضهم فاذا كان
يوم القيمة راى الناس ذلك الكتاب فيقراه كل من سبقت
له السعادة ويحجب عن اهل الشقاوة وفى الحديث
ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق
مائة رحمة انزل منها واحدة الى الارض وامسك عنده
تسعة وتسعين فمن تلك الرحمة الواحدة التى اهبطت
الى الارض تراحمت الخلائق بينهم حتى ان الدابة لترفع حافرها
عن ولدها خشية ان تصيبه فاذا كان يوم القيمة ضم تلك
الرحمة الى التسع والتسعين ونشرها بين عباده فتسع الخلق
كافة ويحرم منها من هو كافر وهو معنى قوله تعالى ورحمتى
وسعت كل شيء الاية اه بالمعنى ويروى ان رجلا اصطاد
افراخا فلما اخذهم جعلت امهم تطير فوقهم ثم سقطت
عليهم فضمها مع اولادها فاتى بها النبى صلى الله عليه وسلم
فاخبره خبرها فقال عليه السلام اتعجبون لهذا الطائر

والله لله ارحم بعبده المؤمن من هذا الطائر بافراخه
وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج من النار رجلان
ثم يمثلان اى يوقفان بين يدى الله فيؤمر برجوعهما
الى النار فيسرع احدهما فيلقى نفسه فيها ويتعاصى
الآخر عن الرجوع فيقال للذى رمى بنفسه لم القيت نفسك
فى النار فيقول لئلا اكون عاصيا فى الدنيا ثم اكون عاصيا
فى الآخرة ويقال للآخر لم لم تمتثل الامر كما فعل هذا فيقول
رجوت من كرم الله ان لا يعيدنى اليها بعد ان اخرجنى
منها فيؤمر بهما الى الجنة وانشدوا

ولو ان فرعون لما طغى ، وقال على الله قولا عظيما ،
اناب الى الله مستغفرا ، لما وجد الله الا رحيما ،

وكيف لا يرجى حلمه وكرمه وشمول لطفه ورحمته وقد سبق
وجود العباد لطفه ورافته كما ابان ذلك فى المناجات
الخامسة حيث قال الهى وصفت نفسك باللطف
والرافة بى قبل وجود ضعفى افتمنعنى منهما بعد
وجود ضعفى قلت اللطف بالضم الرفق والبر وصلاح
العبد فى عاقبته وفى القاموس لطف لطفا بالضم رفق ودنا
ولطف الله بك اوصل اليك مرادك بلطف اهـ والرافة
شدة الرحمة وارقها قاله فى القاموس ايضا والضعف
ضد القوة يقول رضى الله عنه شاكيا الى الله ضعفه وفقره
ومستمدا من الله لطفه ورافته الهى وصفت نفسك فى كتابك
العزيز الذى انزلته الينا باللطف والرافة فقلت فيه الله
لطيف بعباده وقلت وان الله بكم لرؤف رحيم واتصافك
باللطف

٢ مولاه ج

باللطف والرافة قد بهم فاذا كنت بنا لطيفا رحيما قبل
وجود ضعفنا فكيف لا تمنعنا من لطفك ورافتك بعد
ظهور ضعفنا لطفت بنا ونحن للطف غير محتاجين
افتمنعنا منه عند احتياجنا اليه وانت ارحم الراحمين
اجريت علينا رفقك قبل ان تبرزنا الى دارك افتمنعنا
منه بعد ظهورنا مع عظيم ابرارك ومن تفكر فى عجائب
صنع الانسان وما خصه الله به من كمال الخلق والاتقان
وما يلحقه من ضروب المنن والاحسان وجد نفسه مغمورا
فى لطف مولاه مرفوقا به فى اول منشئه ومنتهاه قال
بعض الحكماء قد ادركت العقول مما اودع فى الانسان
اثنى عشرة الف حكمة واما الذى لم تدركه العقول فلا
يعلمه الا الله هذا فى خصة خاصة نفسه واما فى غذائه
وشرابه ولباسه وسائر لوازمه فاكثر من ذلك قال تعالى
لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وقال فلينظر الانسان
الى طعامه الآية فسبحان من اعجزت العقول بدائع الطافه
وقصرت الافكار عن عظيم اوصافه وهو اللطيف الخبير
ما اكثر لطائفه للمبتدئين واوضحها للمستيقظين
واعظمها فى جميع المخلوقين قد سرى لطفه فى جميع الاكوان
وابهرت حكمته افكار الانس والجان وانشدوا

احاط بتفصيل الدقائق علمه ، فاتقنها صنعا واحكمها فعلا ،
فمن لطفه حفظ الجنين وصونه ، بمستودع قد مر فيه وقد حلا ،
تكنفه باللطف فى ظلماته ، ولا مال يغنيه هناك ولا اهلا ،
ويأتيه رزق سابغ منه سائغ ، يروح له طولا ويغدو له فضلا ،

وما هو مستدع غذاء بقيمة ... ولا هو ممن يحسن الشرب والاكلا
جرى في مجاري عرقه بتلطف ... بلا طلب جريا على قدره سهلا
واجرى له في الثدي لطف غذائه ... شرابا هنيئا ما الذ وما احلا
والهمه مصا بحكمة فاطن ... بخلا لارباب العقول بها اولا
واخر خلق السن عنه لوقتها ... فابرزها عونا وجاد بها طولا
وقسمها للقطع والكسر قسمة ... وللطحن اعطى كل قسم لها شكلا
وصرف في لوك الطعام لسانه ... يصرفه علوا اذا شا او سفلا
ولو رام حصرا في تيسر لقمة ... والطافه فيما تكنفها كلا
فكم خادم فيها وكم صانع لها ... كذلك مشروب وملبسه كلا
وكم لطف من حيث تحذر اكرمت ... وما كنت تدري الفرع منها ولا الاصلا
ومن لطفه تكليفه لعباده ... يسيرا واعطاهم من النعم الجزلا
ومن لطفه توفيقهم لاقامة ... توصل للخيرات من حبلهم حبلا
ومن لطفه بعث النبي محمد ... ليشفع في قوم وليسوا لها اهلا
ومن لطفه حفظ العقائد منهم ... ولو خالف العاصي المسيئ وان زلا
ومن لطفه اخراجه عسلا لهم ... تشاهد مما كان اودعه النحلا
واخراجه من بين فرث مجاور ... دما لبنا صرفا بلا شائب رسلا
واخراجه من دودة ملبسا له ... رواقا عجيبا احكمته لنا غزلا
واعجب من ذا خلقه القلب عارفا ... به شاهدا بلا تشبيه ولا مثلا
والطافه البحر المحيط فخذ بها ... بدا لا دوا شهدها واياك والجهلا
وصل على المختار افضل مرسل ... على خالص العرفان بالله قد دلا

تشكلا

فهذه الطافه الواصلة الينا ومحاسنه الجارية علينا فان وفقنا سبحانه للقيام بشكرها بمحاسن الاقوال والافعال فذلك من فضله وكرمه وان صرفنا عن شكرها بظهور مساوى

مساوى افعالنا فبقهره وعدله كما ابان ذلك في المناجات السادسة فقال الهي ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي وان ظهرت المساوى مني فبعدلك ولك الحجة علي قلت ظهور المحاسن على الانسان في اقواله وافعاله واخلاقه هو من منة الله العظيمة وهداياه الجسيمة لانه عنوان المحبة والقبول وذلك هو غاية المطلوب والمامول وظهور المساوى على العبد في اقواله وافعاله هو من عدله تعالى وقهره واظهار الحجة عليه قال تعالى قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين فالعبد ليس له مع الحق اختيار ولا قدرة على نفع ولا ضر فان صرفه سيده فيما يرضى فلظهور اسمه الكريم وان صرفه فيما لا يرضى فلتصريف اسمه الحكيم او لاظهار اسمه القهار او المنتقم او الجبار فالنواصي بيده والقلوب بين اصبعيه ولله در الشيخ ابي الحسن رضي الله عنه حيث قال يقول في بعض ادعيته اللهم ان حسناتي من عطائك وسيئاتي من قضائك فجد اللهم بما اعطيت على ما به قضيت حتى تمحو ذلك بذلك لا لمن اطاعك فيما اطاعك فيه الشكر ولا لمن عصاك فيما عصاك فيه العذر لانك قلت وقولك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون اللهم لولا عطاؤك لكنت من الهالكين ولولا قضاؤك لكنت من الفائزين وانت اجل واعظم واعز واكرم من ان تطاع الا برضاك او ان تعصى الا بقضائك الهي ما اطعتك حتى رضيت

ولا عصيت حتى قضيت اطعتك بارادتك ولك المنة على
وعصيتك بقدرتك ولك الحجة على فبوجود حجتك وا
وانقطاع حجتى الا ما رحمتنى وبفقرى اليك وغناك عنى
الا ما كفيتنى اللهم انى لم ات الذنب جرأة منى عليك
ولا استخفافا بحقك لكن جرى بذلك قلمك ونفذ به
حكمك ولا حول ولا قوة الا بك والعذر اليك وانت ارحم
الراحمين اللهم ان سمعى وبصرى ولسانى وقلبى وعقلى
بيدك لم تملكنى من ذلك شيئا فاذا قضيت بشيء
فكن انت وليى واهدنى الى اقوم سبيل يا خير من سئل
ويا اكرم من اعطى يا رحمن الدنيا والاخرة ارحم عبدا
لا يملك دنيا ولا اخرة اه وهو الذى اختصره الشيخ فى هذه
المناجات باحسن عبارة واوجز لفظ فلله دره وهذا شانه
فى تهذيب طريق الشاذلية جزاه الله عن المسلمين خيرا
ومثل هذه المناجات وقعت من بعض الصالحين روى
ان شابا من العباد تعلق باستار الكعبة وقال الهى ان
اطعتك بفضلك ولك الحمد وان عصيتك فبجهلى ولك
الحجة على فبا ثبات حجتك وانقطاع حجتى الا ما غفرت
لى فسمع هاتفا يقول انت عتيق من النار اه وقال
ذو النون رضى الله عنه رايت جارية والمجانين والصـ
والصبيان يرمونها بالحجارة فكففتهم عنها فنظرت
الى وقالت كانها تعرفنى يا ذا النون ما علامة الصدق
قلت صيام النهار وقيام الليل فقالت يا ذا النون
كيف يلذ النوم لمن علم حبيبه لا ينام ثم بكت وقالت
الهى

الهى ان فكرت فى احسانك الى لم ابلغ كنهه بفكرى
وان ذكرت سترك على لم اقم فيه بشكرى فيا محبا القلوب
العارفين بك كيف لا تتقطع اجلالا لقدرك واعظاما
لوصفك تباركت يا مولانا ما احلمك على من عصاك
وما افضلك على من لم تدع له شغلا بسواك ثم انشدت

يا حبيب القلوب انت الحبيب ، انت انسى وانت منى قريب
يا طبيبا بذكره يتداوى ، كل ذى سقم فنعم الطبيب
طلعت شمس من احب بليل ، واستنارت فما تلاها غروب
ان شمس النهار تغرب بليل ، وشمس القلوب ليست تغيب
فاذا ما الظلام اسبل سترا ، فالى ربها تحن القلوب

واذا حنت القلوب الى مولاها وانضمت اليه بعشقه
وهواها كيف يكلها الى غيره وهو قد تولاها وكيف لا ينصرها
وهو اليه قد اواها كما ابان ذلك فى المناجات السابعة
بقوله الهى كيف تكلنى اى تخرجنى الى غيرك وقد
تكفلت لى بامورى وشؤنى كلها حيث قلت ومن يتوكل
على الله فهو حسبه وقلت وما من دابة فى الارض الا على
الله رزقها وكيف اضام اى اظلم وتنتهك حرمتى وانت
الناصر لى فتنصرنى وتنتصر لى وتنصرنى وقد قلت فى كتابك
الحكيم ان الله يدافع عن الذين امنوا وقلت وقولك الحق
ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقلت وقولك حق
وكان حقا علينا نصر المؤمنين فانصرنا يا خير الناصرين
كما نصرت انبياءك ورسلك وخاصة اولياءك المقربين
يا ارحم الراحمين ام كيف اخيب اى احرم وامنع من الخير

وانت الحفى بى اى المعتنى باموري او الرفيق بى فى جميع
احوالى قال تعالى الله ولى الذين امنوا وقال وهو يتولى
الصالحين فتولنا يا مولانا برعايتك وحفنا بعنايتك
واجعلنا بك منتصرين وعليك متوكلين يا رب العالمين
ها انا اتوسل بفقرى اليك حتى من فقرى وافتقارى
اذ لا نسبة لى منك سوى فقرى اليك فانا فقير اليك من كل
شيء حتى من فقرى فان كان الاغنياء قد قدموا بين ايديهم
الاموال فانا اقدم اليك فقرى فى جميع الاحوال وان كان
الاقوياء قد قدموا اليك صالح الاعمال فانا اقدم اليك التضرع
والابتهال

مالى سوى فقرى اليك وسيلة ... فبالافتقار اليك ربى اضرع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة ... فلئن رددت فاى باب اقرع

واى نسبة لفقر العبد من غنى مولاه كما قال وكيف اتوسل
اليك بما هو محال ان يصل اليك لانك غنى عن الانتفاع
بالمنافع فاغننا بك عن الاحتياج الى غيرك حتى الفاك
بك لا بغيرك انك على كل شيء قدير روى ان شيخ اشياخنا القطب الجامع مولاى عبد السلام بن مشيش
رضى الله عنه قال للشيخ ابى الحسن رضى الله عنه يا ابا
الحسن بم تلقى الله قال بفقرى قال له والله لئن لقيت الله
بفقرك لتلقاه بالصنم الاعظم هلا لقيته به وكانه رضى
الله عنه دله على الزوال عن نفسه وعن كل ما ينسب اليها
من فقر وغيره قال الشيخ زروق رضى الله عنه ويجاب عن ابى
الحسن بانه اراد بفقره حتى من فقره المنسوب اليه وهو الزوال
فاذا

فاذا صح افتقاره من كل شيء فقد صح غناه بالله عن كل شيء
واذا صح غناه بالله فما يلقى الله الا بالله قال الهروى رضى
الله عنه فقر العامة ترك الدنيا وفقر الخاصة ترك الدنيا
والاخرة وفقر خاصة الخاصة ترك الدنيا والاخرة والنفس
اهـ واظهار هذه الامور بين يدى العليم الخبير عبودية
فقط ولذلك قال ام كيف اشكو اليك حالى وهو لا يخفى
عليك اذ محال ان يخفى عليك شيء فى الارض او فى السماء
وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى واسروا قولكم
او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير فحسبى من سؤالى علمه بحالى ام كيف اترجم
اليك بمقالى عما فى ضميرى وهو اى مقالى منك برز اذ لا
موجود سواك غير ان مقام الربوبية يقتضى وظائف
العبودية وهى اظهار الفاقة والاحتياج والتضرع باللسان
والابتهال دون طلب دفع ما قدر او جلب ما لم يقدر كما قال
الشيخ ابو الحسن ولا نسئلك دفع ما تريد ولكن نسئلك التأييد
بروح من عندك فيما تريد كما ايدت انبياءك ورسلك
وخاصة الصديقين من خلقك انك على كل شيء قدير ام
كيف تخيب امالى اى مطامعى وحوائجى وهى وفدت
اليك اى نزلت بساحة كرمك وعلى ساحل بحر جودك وحطت
الاحمال على باب فضلك والتجات لحصن عزك وكيف
تخيبون امال الطامعين وباب كرمكم مفتوح ام كيف
يحرم قاصدكم وبحر فضلكم واحسانكم ممنوح ام كيف يضام
جاركم وجاه عزكم منيع ام كيف يخفر جواركم ونفوذ امركم

واليك

عليك

فى الاشياء سريع وانشدوا

ايضام عبد فى حماكم قد نزل ، يامن لهم كل الامانى والامل

امر كيف لا تحسن احوالى بل لا تكون الا فى غاية الحسن والكمال
والحال انها بك قامت اذ لا قيام للعبد الا بالله ولا وجود
له من ذاته بذاته وكل من كان بالله ومن الله والى الله فكيف
يلحقه النقص والخلل ولذلك قال واليك اى قامت بقدرتك
وانتهت الى امرك ومرادك فالامور كلها انت مبداها
ومصدرها واليك منتهاها ومرجعها قال تعالى واليه
يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وانشدوا

اقبل علينا ولا تخف فلنا الهدى ، ولنا الجلال مع الجمال خذ الصفا
واقصد حمانا فما انا مذنب ، الا نجا لو كان من الذنوب على شفا

لوكان منها

اللهم انا قصدنا حماك خاضعين ولجنابك منتسبين وبجل
جوارك متمسكين وبعز جاهك مستعزين وبنصرك
السريع منتصرين فانصرنا ولا تنصر علينا يا خير الناصرين
حاشا عهدك الوافى ونصرك الكافى ان تخذل من دخل
تحت جوارك او تطرد من وقف ببابك يا خير من سئل
ويا اكرم من اعطى ارحم عبدا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
برحمتك يا ارحم الراحمين الهى ما الطفك بى مع عظيم
جهلى وما ارحمك بى مع قبيح فعلى قلت هذه المناجات
الثامنة وهى تتميم لما قبلها لان الحق اذا كان وكيلا
لك وناصرا لك وحفيا بك فقد لطف بك وانت
لا تشعر فاللطف هو سوق المسار من حيث المضار
او سوق المنافع فى قالب الفجائع والحاصل ان اللطف هو
جلب

٢١٢

جلب الخير جلبا لطيفا لا يعرفه الا اهل البصائر فاللطف
الجميل هو الذى يكون باطنه نعمة وظاهره نقمة باطنه
جمال وظاهره جلال فالعارف بالله يرى نفسه مغمورا
فى اللطف فى كل حال ولذلك قال الشيخ رضى الله عنه
فيما تقدم من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك
لقصور نظره واما الجاهل بالله فلا يشعر باللطف الا اذا كان
حسيا ظاهرا جليا ولذلك قال الشيخ فى هذه المناجات
تواضعا وتنزلا الهى ما الطفك بى مع عظيم جهلى حيث
جهلت لطفك الخفى وطلبت لطفك الجلى ولو عاملنا
الحق تعالى بمقتضى جهلنا لنزع لطفه الخفى عنا وتركنا
مع مرادنا ولكنه سبحانه حليم فلم يعاملنا بمقتضى جهلنا
فلطف بنا مع عظيم جهلنا ولذلك تعجب الشيخ من
شدة لطف الله به مع عظيم جهله وهذا كما قال الشيخ
ابو العباس المرسى رضى الله عنه اذا سالت الله العافية
فاطلبها من حيث يعلم انها لك عافية وقال ايضا فى
مرضه حين قال له انسان اسئل الله لك العافية قال له
ما انا فيه هو العافية وقد سال العافية ابو بكر رضى الله
عنه فمات مسموما وسالها عمر رضى الله عنه فمات
مطعونا وسالها عثمان رضى الله عنه فمات مذبوحا
وسالها على رضى الله عنه فمات مقتولا اه فالعافية
واللطف هو الرضى والتسليم وسكون القلب عند مجارى
الاقدار والرحمة هى اللطف والمحبة والتقريب فالحق
تعالى يريد ان يقرب عبده اليه ويطوى مسافة البعد

بينه وبينه بما يسلط عليه من اذاية الخلق والفقر
والامراض وغير ذلك مما يؤلم النفس ثم ان العبد يفر
منها ويسئل الله ان يبعده منها لاجل جهله وقبيح
فعله ولذلك ورد فى بعض الاخبار يقول الله تعالى
ياعبدى كيف ارحمك بدفع ما به ارحمك اوكما قال وهذا
معنى قوله الهى ما ارحمك بى مع قبيح فعلى وهو هروبى
مما به رحمتنى ويحتمل ان يريد بقبيح الفعل الذنوب
والمعاصى فانها توجب المقت والبعد فلو عاملنا
بمقتضى فعلنا الذميم لاذاقنا من باسه الاليم لكن
رحمه الرحمن الرحيم غلبت عذابه الاليم اوحى الله
تعالى الى سيدنا موسى عليه السلام ياموسى خاطب
المذنبين باللطف واللين وادعهم الى بالقول الجميل
ورغبهم فى النعيم المقيم ولا تغلظ عليهم فلو شئت
ان اعجل عقوبتهم لما امهلتهم طرفة عين واعلمهم
انه من تاب الى قبلته ومن تمادى امهلته ومن عصانى
عذبته ياموسى من ذا الذى قصد نى صادقا فخيبته
اولجاء الى فاسلمته اوسالنى فمنعته اورجع الى فطردته
اوتاب الى وماقبلته اوتضرع الى وما رحمته اه ولما انزل
الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفوا عن كثير قال سيدنا على كرم الله وجهه مامعناها
يارسول الله قال يا على من اخذه الله بذنبه فى الدنيا
فهو اكرم من ان يعذبه عليه فى الاخرة ومن عفا عنه
فى الدنيا فهو اعز من ان يعاقبه فى الاخرة ومن ستره فى الدنيا
فهو

فهو اجل من ان يفضحه فى الاخرة قال على فكانت عندى
خيرا من الدنيا ومافيها وانشدوا
سبحان من ابدع الاشيا وقدرها ۰ ومن يجود على العاصى ويستره ۰
يخفى القبيح ويبدى كل صالحة ۰ ويغمر العبد احسانا ويشكره ۰
ولما كان اللطف يقتضى التهذيب والرحمة تقتضى التقريب
تعجب الشيخ من شدة قرب الحق للعبد مع بعد العبد
عنه فقال فى المناجات التاسعة الهى ما اقربك منى
وما ابعدنى عنك ما ارافك بى فما الذى يحجبنى
عنك قلت قرب الحق من العبد قرب رحمة واجتباء وتقريب
واصطفاء هذا فى حق الخواص وفى حق العوام هو قرب
احاطة وقدرة وعلم ومشيئة وتصريف وقهرية والمراد هنا
هو الاول فان بعد العبد من ربه انما هو بسوء ادبه
والا فالحق تعالى قريب من كل شئ محيط بكل شئ ليس
شئ اقرب اليه من شئ ولا شئ ابعد اليه من شئ
وما بعد العبد من ربه الا وهمه وسوء فعله ولذلك قال
تواضعا وادبا الهى ما اقربك منى بلطفك ورافتك
وعلمك واحاطتك وما ابعدنى عنك بوهمى وسوء
ادبى اوما اقربك منى باوصاف الربوبية رفيعة القدر
عظيمة الشان واوصاف العبودية خسيسة القدر دنية
المقدار فلا مناسبة بينهما فى القدر مع تلازمهما
فى المحل بتحقيق الوحدة فهما متلازمان فى القيام
متضادات فى الاحكام والرافة شدة الرحمة والعطف
وذلك يقتضى شدة القرب والوصال وينفى وجود السوية

وما ابعدنى عنك باوصاف العبودية فاوصاف
الربوبية

السوى

والانفصال وهو الحجاب ولذلك تعجب الشيخ من وجود الحجاب
بينه وبين مولاه مع شدة رحمته له وحباه اذ من تعطف
عليك واواك لا يمكن ان تلتفت عنه الى سواه وفي الحكمة
مكتوب **يا عبدى** قد اسجدت لك الكون بما فيه الملك
واملاكه والملكوت واملاكه فانت انا بما ايدتك وانا
انت بما قلدتك فعش للابد فمقامك لا يزاحمك
فيه احد يا عبدى خرقت لك الحجاب وفتحت لك الباب
واظهرت لك الامر العجاب فابلغ قومك اللباب ولو
قالوا ساحرا وكذاب فانا قد وهبتك الاخلاق فدعهم
يقولون ان هذا الاختلاق يا عبدى قد جعلتك تقول
للشيء كن فيكون وما عليك ان قالوا ساحر او مجنون
انت تشرب من رحيق الكوثر وهم يقولون ان هذا الا
سحر يؤثر عرجت بسرك الى السماء وعلمتك خصائص
الاسماء فانت امين جعلتك مؤتمنا خزائن التحقيق الدال
لجميع الخلق على الطريق يا عبدى من طعن في الوزير وسفه
امره فقد رد امر الامير وجهل قدره من اطاع الرسول
فقد اطاع الله اهـ فالله تعالى بجوده وفضله اذا اصطفى
عبدا من عباده قربه بفضله واجتباه لحضرة قدسه وصفاه
من كثائف طبعه وحمى شخصه من رعونات نفسه
فيصير من اهل قربه قد ارتفع الحجاب عن عين قلبه فزجت
روحه في بحار الاحدية وغاب سره في سبحات الالوهية
فان كان ممن اريد الاقتداء به رد الى شهود سر وجوده
وقد كحلت عين قلبه بسر الحقيقة وكسيت ذاته وجودا
معارا

معارا عليها وهو وجود الحق المفاض على جميع المم
الممكنات فيرى ذاته المتوهمة كسراب بقيعة
يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد
الله عنده هنالك يصير العبد بالله ولله امره بامر
الله حيث لم يبق فيه شائبة لسواه ولا شيء يحجبه
عن الله فهذا الذى احبه مولاه واصطفاه لحضرة
قدسه واجتباه لمناجاته وانسه فكان سمعه وبصره
وناصره وحافظه في متقلبه ومثواه هنالك يصير عارفا
به في كل حال وخصوصا عند اختلاف الاحوال كما اشار الى
ذلك في المناجاة العاشرة فقال **الهى قد علمت باختلا** ف
الآثار وتنقلات الاطوار ان مرادك منى ان تتعرف
الى في كل شيء حتى لا اجهلك في شيء قلت انما اختلفت
آثار القدرة لتعرف عظمة القادر واختلافها يكون
في الاجسام كالعلويات والسفليات والجمادات والمائعات
والنورانيات والظلمانيات والمائيات والناريات
وكاختلافها في الحيوانات كاجناس بني آدم والانعام
والبهائم والطيور والسباع والوحوش والحشرات وبا
وباختلافها في الاعراض كالبياض والسواد والحمرة وا
والصفرة والزرقة والشهوبة وغير ذلك من الالوان لتعرف
من ذلك سعة قدرته وعلمه وعظمة ذاته المقدسة
وانما تنقلات اطوارها من شباب وكهولة وشيخوخة
ومن مرض وصحة وفقر وغنى وعز وذل وسلب ورد
ومنع وعطاء وقبض وبسط وجلال وجمال وحياة وموت

الى غير ذلك لتعرفه تعالى فى كل حالة من هذه الاطوار وعند
اختلاف اجناس هذه الاثار حتى لا تجهله فى شيئ منها
فان الحق تعالى قد تعرف لعباده فى اجناس مصنوعاته وفى
اختلاف احوال قدرته جهله من جهله وعرفه من عرفه فلا
يسمى الانسان عارفا حتى يعرف الله فى الاشياء كلها
مع اختلاف اثارها وتنقلات اطوارها فيعرفه فى الذل كما
يعرفه فى العز ويعرفه فى السلب كما يعرفه فى العطاء و
ويعرفه فى المرض كما يعرفه فى الصحة ويعرفه فى الجلال
كما يعرفه فى الجمال الى غير ذلك مما تقدم ويتلون مع كل
لون ويتطور مع كل طور فالعارف هو الذى يتطور بجميع
الاطوار ليقضى جميع الاوطار والتلون مع الاشياء
هو الادب معها والحضور مع الحق فيها واما من كان يعرف
فى الجمال دون الجلال وفى العطا دون المنع وفى العز دون
الذل او فى الصحة دون المرض او فى العافية دون المحنة
او فى الغنى دون الفاقة او فى الرخاء دون الشدة فانه
كذاب وانظر الى قول القائل حبيبى ومحبوبى على كل حالة
وما اقبح الانسان يدعى الخصوصية والمعرفة ونفى السوى
فاذا تعرف الحق تعالى باسمه الجليل انكره وهرب منه له صح
وهذه عادة الله تعالى فى عباده كل من ادعى خصوصية
او قوة اختبره فى الحين ليسئل الصادقين عن صدقهم
واعد للكافرين عذابا اليما فيفتضح المدعون
ويثبت الصادقون وقد ذاق الشيخ رضى الله
عنه هذا المعنى بعد ان كان يعرف فى البعض وينكر
فى البعض

فى البعض فلما تحقق علم ان اختلاف الاثار وتنقلات
الاطوار انما سرها ليعرف الحق بها فقال الهى قد علمت
اى تيقنت باختلاف الاثار اى الاثار القدرة وتنقلات
الاطوار اى الاعراض والاحوال ان مرادك منى
ان تتعرف الى فى كل شيئ من اختلافات اجناس القدرة
وتنقلات اطوارها حتى لا اجهلك فى شيئ منها
قال فى التنوير كل حالة زائلة لا محالة لان مراد
الحق ان يتنقل عبده فى الاطوار ويخالف عليه الاثار
حتى يتعرف اليه فى كل حالة خاصة بتعرف خاص ومن
اراد حالة واحدة لم يرد الكمال اه فالله تعالى انما اراد
من عباده معرفته قال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون قال ابن عباس اى ليعرفون ومعرفته
انما تكون بتخالف الاثار وتنقلات الاطوار وذكر
غيره فى تفسير قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
ان احدى الجنتين معرفة الله وهى جنة المعارف
والاخرى جنة الزخارف ومن دخل جنة المعارف لم يشتق
الى شيئ سواها وقال مالك بن دينار خرج الناس
من الدنيا ولم يذوقوا طيب شيئ فيها قيل وما ذاك
قال معرفة الله تعالى وقيل انه وجد حجر مكتوب بقلم
القدرة من احسن كل شيئ ولم يعرف الله لم يحسن
شيئا حتى يعرف الله فاذا عرف الله فقد احسن كل
شيئ ولم يخف عنه شيئ اه ويكفى من عرف الله الراحة
من كد الرزق وتعب الحرص وتشويش البال منه وتعلق

الوهم به فانه لم يؤت اكثر الخلق الا من الاهتمام به ولو
قنع العبد لاستغنى المغنى الذى لا فقر بعده والتوكل
على الحى الذى لا يموت هو الغنى الاكبر الذى لا يلحقه
فقر ابدا قال الفضيل رضى الله عنه لا ينبغى للعبد
ان يثق بعافيته ولا بغنى ولا بحالة تسره غير الله بينما
العبد معافا تراه مبتلى بينما العبد غنيا تراه فقيرا وبينما
العبد ضاحكا تراه باكيا وبينما العبد مسرورا تراه حزينا
بينما العبد حيا واذا به ميت تعس من وثق بغير الله
اوركن لشيء سوى الله انتهى حكى ان رجلا ضاق
حاله من اجل المعيشة وطال به الكد والتعب فخرج هائما
على وجهه ودخل الصحراء فوجد قصرا دارسا خربا
قد كشف عنه الريح الرمل واذا بلوح من الرخام فى حائط
ذلك القصر وفيه مكتوب هذه الحكمة

لما رايتك جالسا مستقبلا … ايقنت انك للهموم قرين
ما لا يقدر لا يكون بحيلة … ابدا وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته … واخو الجهالة متعب محزون
يجرى الحريص ولا ينال بحرصه … شيئا ويحظى عاجز ومهين
فدع الهموم وتعر من اثوابها … ان كان عندك بالقضاء يقين
هون عليك وكن بربك واثقا … فاخو الحقيقة شانه التهوين
طرح الاذى عن نفسه فى رزقه … لما تيقن انه مضمون

ومن نظر الى سعة كرم الله وبره ثم نظر الى عجز نفسه وفقره
طرح احمال الهموم عن ظهره واكتفى بعلم مولاه ونظره
كما اشار الى ذلك فى المناجاة الحادية عشرة بقوله الهى

كلما

كلما اخرسنى لؤمى انطقنى كرمك وكلما ايأستنى
اوصافى اطمعتنى مننك قلت العبد اذا نظر الى اوصاف
نفسه اللئيمة وافعالها الذميمة استحيا من الله ان يرفع
اليه حاجة يطلبها وخرس لسانه عن النطق بها لانه
يرى من خساسة نفسه ولؤم امتهانها لا تستحق بذلك
الا العقوبة والطرد فاذا نظر الى سعة كرم الله وجوده
واحسانه وبره انطلق لسانه بالسؤال وطمع فيما له من
سعة العطاء والنوال وقد تقدم قوله ان اردت ان يفتح
لك باب الرجاء فانظر ما منه اليك وان اردت ان يفتح
لك باب الحزن فانظر ما منك اليه ولا شك ان من
نظر نفسه بعين الانصاف لم يجدها اهلا لغير العقوبة
اما من جهة الغفلة والتقصير واما من قلة الوفاء بالشكر
والحمد ولهذا ورد فى بعض الادعية اللهم افعل بنا ما انت
له اهل ولا تفعل بنا ما نحن اهله وقال بعض اهل التشديد
من العباد لا ينبغى للعبد ان يرى نفسه الا شبه بجس
ان جلس مع الداعين لم يرهم منعوا الاجابة الا من سببه
ولو سجد على الجمر لم ير نفسه اهلا للقبول ولو كانت نفسه
فى غاية التزكية لم يرها اهلا لمدح ولا لثناء ومتى ما مسح
الناس بثيابه تبركا فانما يرى نفسه كالبكر الزافة
لبعلها وهى مفتضة بفجور كلما طافوا بها وعظموا
شأنها زاد حزنها من خوف الفضيحة اه قلت كل من
تحقق زواله عن نفسه وبقاؤه بربه فلا حرج عليه
فى ثنائه ومدحه اذ ليس هو الممدوح وانما الممدوح

من فضله عليك ممنوح وكل من مد يده للتقبيل ولم
يرها يد الجليل كان القطع في حقها من القليل ان
الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا يكون يد
يد الجليل حتى تتحقق خلافته في الارض ولا تتحقق
الخلافة حتى يستولي على الوجود باسره من عرشه الى
فرشه ويصير في قلبه كحلقة في الارض فاذا صار هكذا
هكذا كان خليفة الله في ارضه ويده يد الملك فكل
من بايعه فانما يبايع الله يد الله فوق ايديهم
والله ذو الفضل العظيم وانشدوا في مثله

قد استقام على المنهاج يسلكه ، ولم يزغ حائدا عنه وما عدلا
من حاله يعمر الدنيا بظاهره ، وقلبه في اعالي الخلد قد نزلا
وابصر الامر يجري في مسالكه ، من اول النشء حتى شب واكتهلا
وناطقته البرايا وهي صامتة ، وميز الضد والارواح والعللا
واظهر الصورة العليا بصورتها الحسنى ومن قبل كانت البست ظللا

قال بعضهم اشتريت جارية سوداء فلما جن الليل
واردت ان انام قالت يا مولاي اما تستحي مولاك
لا ينام وانت تنام ثم قامت تصلي فانتبهت وهي
ساجدة فسمعتها تقول في سجودها بحق حبك لي لا
تعذبني فقلت لها غلطت قولي بحبي اياك لا تعذبني
فلما سلمت قالت يا مولاي ما غلطت بل اصبت ولا محبته
لي ما اقامك واقامني فقلت اذهبي فانت حرة لوجه الله
قالت هذا العتق الاصغر وبقي العتق الاكبر اه وكانت
بعض الوالهين يقول في بعض مناجاته الهي لو اردت
اهانتي

اهانتي ما وفقتني لطاعتك ولو اردت فضيحتي
ما سترتني عند مخالفتك الهي لولا ذنوبي ما خفت
العذاب ولولا كرمك ما رجوت الثواب اه ثم فسر
الشيخ الاوصاف التي ايسته ان نظر اليها من منه
الله ورحمته فقال في المناجاة الحادية عشرة الهي
من كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي
ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه
دعاوي قلت محاسن الانسان لا تخلو من خلل ونقصان
ولو لم يكن الا نسبتها لنفسه وفعله ورؤيتها من قوته
وحوله لكان كافيا في خللها ونقصها فتنقلب حينئذ
مساوي بعد ان كانت في الصورة محاسن واذا كانت
محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي وكذلك
حقائق العبد وهي ما تحقق به من المقامات والمنا زلات
واذواق العارفين ومواجيد المحبين لا تخلو من شوائب
الدعوى فاذا نسبها لنفسه كانت كلها دعاوي فكيف
لا تكون دعاويه الفارغة دعاوي فاذا علم العبد هذا
استحيي من مولاه ان ينسب لنفسه شيئا من المحاسن
او يثبت لها نوعا من الحقائق فربما يفتضح على رؤوس الخلائق
ويكفي المريب وجدان السلامة قال ذو النون رضي الله عنه
الحياء من الله يقطع العبارة ويدقق الاشارة وقال السري
السقطي رضي الله عنه الحياء من الله يطرق القلب فاذا
وجد فيه شيئا من حب الدنيا رحل وقال ابو سليمان الداراني
رضي الله عنه يقول الله تعالى عبدي انك ما استحييت

منى أنسى الناس عيوبك وأنسى بقاع الارض ذنوبك
وامحوا من ام الكتاب زلاتك ولا اناقشك بالحساب
يوم القيمة اه وقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم الحياء فقال الحياء
من الله ان تحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر
القبر والبلا وتترك افضل زينة فمن فعل ذلك فقد استحيى
من الله حق الحياء اه ووجد رجل نائما فى موضع مخوف
كثير السباع والافات ودابته حوله ترعى فقيل له انك
فى موضع مخوف فقال انا نستحيى ان نخاف غير الله ثم
رجع لنومه ومكتوب من استحيى من الله وهو مطيع استحيى وفى الحكمة ح
الله منه وهو مذنب وسئل الجنيد عن الحياء ما هو فقال
شئ يتولد بين رؤية النعماء ورؤية التقصير وقال
الفضيل علامة الشقاوة خمسة قلة الحياء وقسوة القلب
وجمود العين والرغبة فى الدنيا وطول الامل اه ثم على
تقدير سلامة محاسنه من المساوى وتصفية حقائقه
من الدعاوى فامر المشيئة مبهم والسابقة والخاتمة
غير معلوم امرهما فلا يدرى ما يفعل الله به كما اشار
ذلك فى المناجات الثالثة عشرة بقوله الهى حكمك
النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذى حال حالا ولا لذى مقال
مقالا قلت لا شك ان حكم الحق نافذ فى خلقه لا معقب لحكمه
ولا راد لقضائه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما
يفعل وهم يسئلون وهذا هو الذى حرك قلوب العارفين
فلم يطمئنوا بحال ولم يعتمدوا على عمل ولا مقال بل صاروا
مضطرين الى الله فى كل حال لانهم قد علموا ان حكم الله
نافذ

نافذ كلمح البصر او هو اقرب ومشيئته قاهرة لا يصرفها عن انفاذ
مرادها صارف ولا يردها همة ولى ولا عارف ففى لحظة واحدة يقرب
البعيد ويبعد القريب ويرفع الوضيع ويضع الرفيع ويعز الذليل
ويذل العزيز ويغنى الفقير ويفقر الغنى ويبسط المقبوض
ويقبض المبسوط ويمرض الصحيح ويصحح المريض فكيف يصح
لعاقل ان يركن الى حاله ومقامه ويعتمد على علمه واعماله
او يغتر ببسط لسانه ومقاله والله تعالى يقول واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون قال
بعضهم من اين للعبد ثبوت حال او مقال وهو عين المقال
فى الحال ذرة جلة جالت على معناها فلم تبلغ منتهاها
فوالله ما بلغ العبد شغفيه معناه فانى له بوتريه معناه
جوهرة رامت فلاحت واومضت فغمضت وسكنت فتمكنت
فبرزت من قعر بحر الغيب فغارمنها القدر فاجناها فى سواد
عينها خيفة ان تنال او تسمى او تعرف فلا كيف لها ولا اين
ولا رسم ولا عين ولا وصل ولا بين ومعنى قوله عين المقال
فى الحال يعنى ان امر العبد بين الكاف والنون فهو عين
قول كن فى اسرع حال فالمراد بالمقال هو قول كن فيكون تصريف
ذلك الامر فى الحال قوله ذرة جلة الذرة النملة الصغيرة
وجلة عظيمة اى ذرة صغيرة فى الحس عظيمة فى المعنى
جالت بفكرها فى ادراك معناها فلم تبلغ منتهاها كناية
عن عجائب صنعة البارى فى اصغر شئ فكيف بالانسان
ولذلك قال فوالله ما بلغ العبد شغفيه معناه وشغفيه معنى
العبد هى بشريته الظاهرة لانها محل العبودية التى هى

شفع باعتبار الربوبيه ووترية معناه هى روحانيته لانها
واحدة وقوله جوهرة رامت المراد بالجوهرة هى الروح رامت
اى قصدت الظهور فلاحت اى ظهرت فى هذا القالب البشرى
واومضت اى اشرقت انوارها على ذلك القالب فغمضت اى
استترت واحتجبت فلم يعلمها الامن اوجدها ونفخها
وسكنت فى قفصها فتمكنت فيه وقوله فبرزت من قعر بحر
الغيب يشير الى اصل بروزها من بحر الجبروت فلما برزت
الى عالم التكوين عالما باسرار الغيب وهى اسرار الملك
غار منها القدر وخاف عليها ان تفشى اسرار الملك
فاجناها اى اجنا عليها فى سواد عينها فحجبها عن تلك الاسرار
خيفة ان تنال تلك الاسرار او تظهرها وتعرف فلا كيف للروح
ولا مكان ولا رحم لها بل هى درة يتيمة ولا عين لها تعرف
ولا وصل لها بشيء ولا قطع لها عن شيء جل ربنا ان يتصل
به شيء او يتصل هو بشيء والله اعلم وانشدوا

فالكل يطلب نعمى حيث ضلوا ما ۞ يحظى بنعمى سوى فرد بافراد
مهلا عليك وعد من حيث جئت وسل ۞ فى الدار تسئ غدا عن ساكن الوادى
عساك تلقى خبيرا عالما بهم ۞ ينبئك عنهم ولم يلمم بميعاد

قال بعض الحكماء تالله ما ظفر بسعدى الا من تاه فى ارض
التقديس وتنزه عن الخسيس والنفيس فاصبح جسمه موسى
وروحه العصى ونفسه فرعون فكلامه صمت وصمته
كلام ولسان حاله يخاطب جميع الاكوان بتمام فلو عرضت
عليه الشهادة فى باب الحجرة والموت داخلها على حسن الختام
لترك الشهادة واختار الموت على التمام عملا على اليقين دون

الشك

الشك والله خبروا بغى يا هذا اما طيب عيش من دعى فاجاب
ما اعلى قدر من لازم الباب ما اخس قدر من ابعد عن الجناب
ما اخس قيمة من له على الغفلات انكباب اذا غلب الطبع فلا
تنفع الحيلة ومن سبق له القضاء لم تنفعه الوسيلة فسبحان
من يعطى ويمنع ويضر وينفع جذبت العناية سلمان الفارسى
من ارض فارس ونودى بلال من بلاد الحبشة وابو طالب على
باب التحقيق وقد حرم التوفيق وقع الحكم ونفذ الامر وسبقت
المشيئة وجف القلم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت
بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم اه وكما ان حكمه النافذ يهدم
الاعتماد[3] على الاعمال كما ابان ذلك فى المناجات الرابعة عشرة
حيث قال الهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها
هدم اعتمادى عليها عدلك بل اقالنى منها فضلك
قلت لا ينبغى للعبد ان ينظر الى شيء من طاعته وان عظمت
عظمت ولا ان يستحسن شيئا من احواله وان حسنت
فان الناقد بصير والرقيب على الضمائر خبير فكم من
طاعة تعظم فى عين صاحبها كامثال الجبال لا تساوى
عند الله جناح بعوضة وكم من احوال تصفو عند صاحبها
وهى عند الله مدخولة وقد تقدم قوله لا كبيرة
اذا قابلك فضله ولا صغيرة اذا واجهك عدله فمن قابله
بفضله عادت كبائره صغائر ومن واجهه بعدله
رجعت صغائره كبائر ولذلك قال هنا كم من طاعة
بنيتها اى نميتها وكثرتها هدم اعتمادى عليها عدلك
اى نظرى الى عدلك فلما نظرت الى عدلك تلاشت اعمالى

سى

[3] على الاحوال كذلك لا عليه القاهر يهدم الاعتماد صح

واضمحلت احواله وكم من حالة شيدتها ورفعتها فلما
نظرت الى عدلك وشدة مناقشتك انهدمت وتلاشت
برا فالمعا منها بان زالت بنسبتها عني فضلك وهدايتك
وتوفيقك فلم تبق لي طاعة ولا حال ورجع ذلك الى الفاعل
المختار الكبير المتعال فالواجب على العبد ان ينسلخ من
علمه وعمله وحاله ونفسه وروحه وحوله وقوته ويبقى
فقيرا بين يدي سيده عبدا مملوكا لا يقدر على شيء قال
بعضهم والله ما غاص في بحر الغنا الا من باع نفسه من الله
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة كيف يخوض في بحر الحقائق من لم يخلص علمه وعمله
من الزيف وصيارفة الحق بالمحك المحمدي على الساحل
يردون من لا يخلص واين الاخلاص هذا المن وصل الى
ساحل البحر فكيف بمن ينكره ولا يصدق به او يسير اليه منحرفا
دون استقامة كما قيل

ذلك الرجح

ليس من بات في براعينه ، مثل من اصبح قمرا دارسا ،
ليس من اكرم بالوصل كمن ، ظل يهذي بلعل وعسى ،
ليس من البس اثواب التقى ، مثل الذي البس ثوبا دنسا ،
ليس من سير به مثل الذي ، بات يرعى الحمى مبتئسا ،
ليس من شاهد صبحا واضحا ، مثل الذي شاهد ليلا غلسا ،
ليس من تو روضات الحمى ، مثل الذي اسكن قفرا يبسا ،
ليس من اشبه غصنا يانعا ، مثل من اشبه عودا يابسا ،

ثم ان عدم الاعتماد على العمل لا يقتضي ترك العمل بل
يجب على العبد ان يداوم على العمل ولا يتكل عليه فان لم يقدر
على

على مداومته بالفعل فبالمحبة والعزم كما بين ذلك في المناجاة
الخامسة عشرة بقوله الهي انك تعلم وان لم تدم الطاعة
مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما قلت طاعة
العبد لربه يجب ان تكون فعلا ومحبة وعزما في كل لحظة
ووقت فان لم يقدر على ذلك فليعزم على البر والتقوى وينو
فعل الخير فنية المؤمن خير من عمله ان يعلم الله في قلوبكم
خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي يعطيكم افضل مما اخذ
منكم من مال او عمل وقال بعضهم الفعل الجزم هو وجود العمل
والمحبة والعزم هو التوجه للعمل وكم من متوجه يلحق وكم
من مجد لم يسبق لكن في العزم ظهرت الحقائق وبه جاءت
الشرائع وليس على العبد الا القصد والجد والعزم واما نفوذه
فقد يقدر وقد لا يقدر والله غالب على امره والمراد بالعزم
القصد والنية هي توجه القلب للامر المطلوب اه واعلم
ان متابعة العلم اختيارية ومتابعة الحال اضطرارية فما
دام العبد معه بقية اختيار وجب عليه اتباع العلم وهو
مقام السلوك فان غلب الحال وجب اتباعه وهو مقام الجذب
ومثل ذلك قضية الصديق حين اتى بماله كله فقال له
الرسول عليه السلام ما تركت لاهلك فقال لهم تركت لهم الله
ورسوله ولم يلتفت لقوله صلى الله عليه وسلم في حال التشريع
لان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون
الناس ولما غلب الحال على العلم صار الحكم للحال فيا له من مقام
ما اعز شانه وارفع قدره عند المحققين وانشدوا

وحاشاهم من قادح في طريقهم ، ومطلوبهم اسنى المطالب كلها ،

حباهم بتاييدوعصمة   فاكرم باوصاف لهم مااجلها
واعلم ان العازم على الخير فاعل والعازم على الوصول واصل وليس
على العبد الا الاجتهاد فاذا بذل مجهوده واخلص مقصوده
فهو والواصل سواء وكان شيخ شيخنا يقول من مات وهو فى
الطريق ادركته الولاية بعد الموت على التحقيق اه وقال
تعالى والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
منكم وفى الحديث من مات فى طريق الحج فهو حاج ومن مات
فى طريق الجهاد فهو مجاهد قال تعالى ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله
ومن مات فى طريق الله فهو شهيد وفى الحديث من مات وهو
يطلب العلم اى النافع ليس بينه وبين النبوة الا درجة واحدة
ومن توجه لامر ولم يدركه فكانما ادركه ولا بد فى مبادى
الامور من الصبر والتحمل للمشاق وقمع النفس عن الهوى
والراحة ولذلك سمى الجهاد جهادا والقاصد يطلب الباب
بعد ان كان يطلب سواء السبيل فاذا وصل الباب انفتح
له طلب الدخول فاذا دخل انفتح له الوصول فاذا وصل فلا
تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وانشدوا

من فاته طلب الوصول ونيله ۝ منه فقل له ما الذى هو يطلب
حسب المحب فناؤه عما سوى ۝ محبوبه ان حاضر ومغيب

ثم ان عزم العبد على الطاعة ليس هو بيده حقيقة لكنه
مامور به شرعا وهو الذى نبه عليه فى المناجاة السادسة عشرة
بقوله الهى كيف اعزم وانت القاهر ام كيف لا اعزم
وانت الآمر قلت محبة الطاعة والعزم عليها والعمل بها
ليس

ليس هو من قدرة العبد وفعله فى الحقيقة وهو مامور
به من جهة الشريعة لتقوم الحجة وتظهر المحجة قل
فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين ان الله
لا يظلم مثقال ذرة فمن نظر الى الباطن وجد العبد مجبورا
ومن نظر الى الظاهر وجده غير معذور فالواجب على
الانسان وخصوصا العارف ان ينظر بعين الحقيقة
لبواطن الامور فيعذر الخلق لانهم مجبورون فى
قوالب المختار وينظر بعين الشريعة لظواهر الامور
فينفذ الحقوق ويقيم الحدود سترا لسر الربوبية وا
اظهارا لوظائف العبودية لكن ذلك بلطف ولين
قلبه يحن عليه وظاهره يغلظ عليه كالعبد يؤدب
ابن سيده وهذا مضمن هذه المناجات اى كيف
اعزم على الطاعة واعقد عليها وانت القاهر لى فلا
طاقة لى على فعلها وانت تقهرنى عنها وهذه هى
الحقيقة وكيف لا اعزم عليها وانت الآمر لى بها فان
لم اعزم عليها عذبتنى وهذه هى الشريعة فالواجب
ان اعزم وانظر ما تفعل فان وفقتنى للعمل فانت اهل
التقوى واهل المغفرة وان لم توفقنى فانت اهل العفو
والمعذرة وانت الفاعل المختار فالامر امرك والعبيد
عبيدك ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا
ولو شاء ربك لهدى الناس جميعا قال الشطيبى رحمه
الله اراد المؤلف ان يدل المريدين على مقام الجمع بين
الحقيقة والشريعة لان عزم العبد مطلوب منه شريعة
ونتيجته مسلوبة منه فى الحقيقة ولا يثبت بينهما الا

من ثبته الله فلهذا تعجب الشيخ رحمه الله من تضاد الطال
الطالبين لأنه خارج عن مقدور البشر لكن لما كان الانسا
نسخة الوجود واشرف كل موجود اودع فيه من اسرار
حكمته ما يؤلف بين الضدين ويجمع بين الكفؤين
قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا
لا يبغيان فمن ظهر اثر البرزخية على جوارحه جمع اعمال
الدنيا واعمال الاخرة ومن ظهر اثر البرزخية على
قلبه جمع بين اعمال الاخرة ومشاهدة الحضرة واشرق
نورها عليه ومن ظهر اثر البرزخية على روحه جمع بين
المشاهدة والمحبة ثم قال واعلم ان الاجسام تموت وتبعث
وتنشر وكذلك النفوس والارواح فاما موت الاجسام
فهو عند الخروج من الدنيا وتبدل القصور بالقبور
واما موت النفوس فهو عند الخروج من الحظوظ
وتبدلها بالحقوق واما موت الارواح فهو رجوعها
لعالمها النوراني وصفحة الملاء الاعلى على الهاجس
النفساني فاذا لم يبق للنفس نظر الا لله ولا للروح
تعلق الا بالله وفنى من لم يكن وبقى من لم يزل انجمع
الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر وتعينت الـ
المشاهدة من كل وجهة وخوطب من سوى الحق بقوله
تعالى كل شيء هالك الا وجهه وحينئذ يهتف هاتف
التجريد من مقام التفريد لمن الملك اليوم فلم يجبه
من عوالم البشرية والصور الاثرية مجيب فيجيب نفسه
بنفسه لله الواحد القهار اهـ المراد منه مختصرا وانما
امر الله تعالى بالطاعة والعزم عليها لانها سبب

الوصول

الوصول اليه حسبما جعلها الحق تعالى حكمة وسر
وشريعة كما بين ذلك في المناجات السابعة
عشرة بقوله **الهي ترددي في الآثار يوجب
بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني
اليك** قلت التردد في الآثار هو التردد بين اثباته
ونفيه وهي حالة المستشرفين فاذا اثبته مستقلا كان في
حالة البعد واذا نفاه كان في حالة الجمع فطلب الجمع على الدوام
بحيث لا يبقى له تردد في نفيه واثباته بالله وهو مقام
البقاء فاثبات الاثر بالنفس على الدوام هو بعد على الدوام
وهو مقام اهل الحجاب من العوام ونفيه على الدوام هو مقام اهل
الجمع من اهل الفناء والجذب ونفيه ثم اثباته بالله هو مقام
اهل البقاء قياما بوظائف الحكمة والقدرة وجمعا بين الحقيقة
والشريعة وهذه المناجات انما تليق باهل الاستشراف
ولو اراد الشيخ رضي الله عنه ان ينبه على مناجات السائرين
والواصلين والمتمكنين لقال بعد هذه المناجات هي
للسائرين الهي تنزهي في الانوار يوجب قرب المسار فاجمعني
عليك بفكرة توصلني اليك وهذه مناجات الواصلين قبل
الرسوخ والتمكين ثم يقول الهي تنزهي في الاسرار
يوجب وصل المسار فاجمعني عليك بنظرة تقيمني بين
يديك وهذا غاية الجمع وهو تمكن النظرة ودوام شهود
الحضرة ولا يذوق هذا الا من سبقت له الخدمة وتداركته
عناية الجذبة فاصبح من الفائزين والمحبوبين من الواصلين
وقد قيل اذا بغض الله عبدا والعياذ بالله طرده عن
بابه وشغله عنه بمكابدة رفع حجابه وليس له طاقة على

ذلك مالم يكن له فى عونه وهو معنى لاحول ولا قوة الا بالله لكن العنين
لايدرك لذة الجماع والاعمى لايدرك وجه الساحات والبقاع قيل
ان بعض المجهولين على الله اراد المتستر عن مقامه فكان لا يسئل عن شئ
الا قال هو فقيل له لعلك تعنى الله فسقط ميتا ويسمى هذا عندهم جمع
الجمع وهو خاص بخواص الخواص وقيل بالانبياء عليهم السلام وقيل بالرسل
وقيل بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يمكن الوصول الى هذا الا برفع الهمة عن
عن الكونين وخلع النعلين من الدارين قال بعضهم عرضت على الدنيا بزخرفها
وزينتها فاعرضت عنها فعرضت على الجنات بقصورها وحورها وحللها
فاعرضت عنها فقيل لو وقفت مع الدنيا لحجبناك عن الآخرة ولو التفت
للآخرة لحجبناك عنا فارض بنا عما سوانا وقسطك باق من الدنيا والآخرة
وقال آخر رايت رجلا وضع سجادته على الماء ومضت به فقلت فى
نفسى لا فاز الرجال وانا لم اصلح للدنيا ولا للآخرة فسمعت هاتفا
يقول من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا قاله الشطيبى ثم ان التردد
فى الآثار والنظر اليه انما هو لاهل الدليل المفتقرين للنظر اليه
ليستدلوا به على صانعه واما اهل الشهود فهم اغنياء عن الآثار لان ظهور
الحق عندهم اظهر من غيره بل لا وجود لغيره اصلا والى هذا اشار فى
المناجات الثامنة عشرة بقوله الهى كيف يستدل عليك بما هو
فى وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون
هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى
بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك قلت قد تعجب
الشيخ رضى الله عنه ممن يستدل على الله بنوره بعد كمال ظهوره فكيف
يفتقر النور بعد ظهوره الى دليل يدل على وجوده وكيف يحتاج الى دليل من هو
اظهر من كل دليل ام كيف يفتقر الى دليل من نصب الدليل ولله در القائل
عجبت لمن يبغى عليك شهادة * وانت الذى اشهدته كل شاهد

شهادة

وقال

وقال الشيخ ابو الحسن رضى الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف
ام كيف يعرف بشئ من سبق وجوده كل شئ اه قلت فيا عجبا كيف تكون
الفروع اظهر من الاصول ولولا الاصول لم يكن للفروع حصول ام كيف تكون
السواقى والانهار الجارية من البحار اظهر من تلك البحار وما فاضت
انوار الملكوت الا من بحار الجبروت لكن البصيرة العمياء لا ترى الشمس فى افق
السماء ومن اين ترى الشمس مقلة عمياء قال مريد لشيخه يا استاذ اين الله
فقال له اسحقك الله اتطلب مع العين اين وقال رجل للجنيد رضى الله عنه
يا ابا القاسم هل رايتم ربكم حين عبدتموه ام اعتقدتم الوصول اليه بعقولكم
فقال الجنيد رضى الله عنه ايها السائل ما كنا لنعبد ربا لا نراه وما كنا بالذى
نراه اعيننا فنشبهه وما كنا بالذى نجهله فلا ننزهه فقال له الرجل
فكيف رايتموه فقال له الكيفية معلومة فى حق البشر مجهولة فى حق الرب
لم تره الابصار فى هذه الدار بمشاهدة العيان ولكن تعرفه القلوب
بحقائق الايمان ثم تترقى من المعرفة الى الرؤية بمشاهدة نور الامتنان
فهو سبحانه مرئى بالحقائق القدسية منزه عن الصفات الحدثية مد
مقدس بجماله منعوت بكماله متفضل على القلوب بمواهبه ونواله معروف
بعد له منعوت بفضله انتهى فلما سمع الرجل مقالة الجنيد قام وقبل
يده وتاب ولازمه حتى ظهر عليه الخير ولزم صحبته حتى مات رحمة الله
عليهما واعلم ان اهل الدليل يستدلون بالصنعة على الصانع وبالشاهد
على الغائب واهل العيان صار الغيب عندهم شهادة والدليل عين المدلول
فالقسم الاول اهل علم اليقين والثانى اهل عين اليقين او حق اليقين
فالقسم الاول عوام والثانى خواص او خواص الخواص قال الشيخ ابو
الحسن اهل الدليل والبرهان عموم عند اهل الشهود والعيان قد سوا
الحق فى ظهوره ان يحتاج الى دليل يدل عليه فهو معنى قول الشيخ هنا الهى
كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك ايكون

لغيرك على تقديرك وجوده من الظهور ما ليس لك متى غبت عن البصائر والعيان
حتى تحتاج الى دليل يدل عليك وذلك الدليل لا قيام له الا بك فمحال ان
يظهر فى الوجود غير نورك ومتى بعدت عن الاشياء التى قامت بك
اى بقدرتك حتى تكون الاثار هى التى توصل اليك لا مسافة بينك
وبين خلقك ولا قطعة تقطعهم عنك الا وجود الوهم وقاهر به الحجاب
اعاذنا الله منه بمنه وكرمه آمين . وكيف تجوز الغيبة عليه وهو الرقيب
القريب كما ابان ذلك فى المناجات التاسعة عشرة بقوله الهى
عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل
له من حبك نصيبا قلت الظاهر ان هذا اخبار بان كل عين خلت
من مراقبة الحق تعالى فهى عمياء وكل صفقة خلت من محبة الله فهى
خاسرة ويكون العمى فى حقها معنويا فكان حيث لم تراقب الله
تعالى ولم تستحى منه عمياء لان الله سبحانه نبه بقوله ان الله كان
عليكم رقيبا وقال تعالى وما تكون فى شان وما تتلوا منه من قران ولا
تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا فمن لم يعتقد هذا فهو كافر ومن اعتقد
اعتقده ولم يستح من الله فهو جاهل اعمى البصيرة وقد قالوا
ان الحياء جله من البصر الا ترى ان الاعمى قليل الحياء فدل ان البصر
الذى لم يراقب الله تعالى ولم يستح منه ليس ببصر وانما هو عمى
ويحتمل ان يريد بالعين عين البصيرة قال بعضهم اذا اعصيت الله
فاعصه بموضع لا يراك فمن لم يستح من نظر الحق وبارز مولاه
بانواع المعاصى فقد عميت عين بصيرته وسئل بعضهم بم يستعين
العبد على حفظ بصره فقال بعلمه بان رؤية الحق تسبق بصره اه
وفى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث
كان والصفقة هى ما يشترى جملة وكنى بها عن حظ العبد وقسمته
الازلية

الازلية فمن كان حظه من الله المقت والبعد فصفقته خاسرة
نسئل الله العافية كان بعض السادات يبكى فقيل له لم هذا البكاء
فقال له ليس بكاءى من ذنوبى وعصيانى لان ذلك من صفة نفسى
وانما بكاءى على ان كانت اقساما قسمت وحظوظا اجريت وكان
حظى منها البعد وفى بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء
عليهم السلام يا عبدى انا لك محب فبحقى عليك كن لى محبا فمحبة
الله لعبده تقريبه واجتباؤه لحضرته ومحبة العبد لله طاعته
بامتثال امره واجتناب نهيه والاستسلام لقهره فهذه اوائل
المحبة وهى كسبية ونهايتها كشف الحجاب وفتح الباب والدخول مع
الاحباب وهذه وهبية نتيجة الكسبية والى هذا المعنى اشارت
رابعة العدوية فى شعرها حيث قالت

احبك حبين حب الهوى ... وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذى هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواكا
واما الذى انت اهل له ... فكشفك لى الحجب حتى اراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

فاشارت الى ان محبة العبد لله على قسمين قسم ناشئ عن شهود
الاحسان وقسم ناشئ عن شهود الجمال فاما الاول الذى هو ناشئ
عن شهود الاحسان فلا شك ان العبد اذا نظر الى احسان الله
تعالى وانعامه عليه بضروب النعم الحسية والمعنوية احبه لا محالة
لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها وهذا هو المسمى بحب
الهوى اى الميل وهو مكتسب لان الانسان مغمور باحسانات الله اليه
وهو متمكن من النظر فيها فلا يزال يطالع نعمة بعد نعمة ومنة
بعد منة وكل نعمة اعظم من التى قبلها فتعظم محبته لمولاه وبذلك
يبلغ قصده ومناه واما الثانى وهو الناشئ عن شهود الجمال

فان العبد اذا كشف الحجاب عن قلبه وزالت عنه الموانع والقواطع
راى جمال الحق وكماله واشرقت انوار الحضرة وسناها على قلبه و
والجمال محبوب بالطبع فانعقدت المحبة بينه وبين مولاه وانما خصصت
خصصت رابعة رضي الله عنها الحب الناشئ عن شهود الجمال بالاهلية
دون الاول وان كان اهلا للجميع لان هذا منة الله لا كسب للعبد فيه
والآخر فيه سبب وعمل العبد معلول وقولها فشغلني بذكرك عمن
سواك من باب التعبير بالمسبب عن السبب والاصل فثمرته شغلي
بذكرك الخ وقولها ايضا فكشفك لي الحجب حتى اراك من باب التعبير
بالسبب عن المسبب عكس ما قبله والاصل فسببه ومنشاؤه كشف
الحجاب حتى رايتك بعين قلبي وقولها فلا الحمد الخ اخبار منها
بان الجميع معامنه واليه وفي الحقيقة لا كسب لها في ذلك و
وادراك التفاوت بين ما تؤثره شربة المحبة الناشئة عن شهود
الاحسان وما تؤثره شربة المحبة الناشئة عن شهود الجمال ونعوت
الكمال وان اثر الثانية اقوى من اثر الاولى بل لا نسبة بينهما ضروري
عند كل ذائق اهـ قاله الفاسي في شرح الرائية فقول الشيخ رضي
الله عنه لم تجعل له من حبك نصيبا يحتمل ان يكون من اضافة المصدر
الى الفاعل والمفعول والاول ابلغ لان محبة الله لعبده اعظم لانها اصل
محبة العبد لمولاه قال تعالى يحبهم ويحبونه فمن اعطاه الله تعالى نصيبا من
حب المذكور فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت
صفقته وبان غبنه وخيبته نسأل الله منته ورحمته قال زيد بن اسلم رضي الله عنه
ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول له اصنع ما شئت فقد
غفرت لك اهـ من ابن عباد ولما كانت نهاية المحبة الفناء في المحبوب ونهاية
الفناء البقاء وهو الرجوع الى الآثار اشار الى ذلك الشيخ فقال في المناجاة
الموفية عشرين الهي امرت بالرجوع الى الآثار فارجعني اليها بكسوة الانوار
وهداية

وهداية الاستبصار حتى ارجع اليك منها كما دخلت اليك
منها مصون السر عن النظر اليها مرفوع الهمة عن
الاعتماد عليها انك على كل شيء قدير قلت الرجوع الى
الآثار هو النزول من عش الحضرة التي هي الاغراق في بحر الوحدة
والغيبة عن السوى بالكلية الى سماء الحقوق وارض الحظوظ
فينزلون الى سماء الحقوق ادبا مع الربوبية ووفاء بحقوق
العبودية والى ارض الحظوظ ادبا مع الحكمة واظهار الوظائف
العبودية ومثال الاول وهو النزول الى سماء الحقوق ما يلزم العبد
من العبادات البدنية او المالية موقتة او غير موقتة ومثال الثاني
وهو النزول الى ارض الحظوظ ما تقتضيه البشرية من ماكل
ومشرب وملبس ومنكح وغير ذلك من الامور الحاجية وقد امر الله
تعالى بهما معا ليتميز سر الربوبية من سر العبودية او ليظهر
استغناء الربوبية بافتقار العبودية فطلب الشيخ رضي الله عنه
ان يرده اليها بعد ان كان رحل عنها بهمته بكسوة الانوار
وهي انوار الشهود فيكون رجوعه الى الآثار بالله غائبا
عن حظه وهواه وقد كان قبل ان يرحل عنها يتعاطاها
بنفسه بعد متعته وحظه فلما عرف الحق غاب عن نفسه فاذا
رجع الى رسم بشريته رجع اليه بالله قد كساه انوار الشهود
عن الالتفات الى سواه وطلب ايضا ان يكون رجوعه
الى الآثار متلبسا بهداية الاستبصار وهي تحقيق
المعرفة في الاشياء التي يتعاطاها كانت عبادات او عادات
فلا يسترقه فيها طبع ولا حس بل يتصرف فيها بالله ومن الله
والى الله ويخرج منها كذلك وهو معنى قوله حتى ارجع
اليك منها اي حتى تكون تلك الاشياء هي التي ترد تحمل اليك

حين نحرخذ فيها ونشاهد عظمتك ونور جبروتك فيها اذ
الوجود كله مستمد من بحر جبروتك فالعارف يشرب من كل
شيئ ويتقوت من كل شيئ ياخذ النصيب من كل شيئ ولا ينقص
من نوره شيئ فتحصل ان كسوة الانوار هى دخوله فى العبادات
وفى العادات بالله لا بنفسه وهداية الاستبصار هى معرفته فى تلك
الآثار التى نزل اليها ورجع لها وقوله كما دخلت اليك منها
معناه انه كان مع الاكوان وهى حاجبة له عن شهود المكون
فلما عرف فيها كان دخوله على الله منها وهذا كما قال شيخ
شيوخنا المجذوب رضى الله عنه
الخلق نوار وانا رعيت فيهم هم الحجب الاكبر والمدخل فيهم
واذا دخل فى الاشياء بالله وشاهد فيها انوار الاله قطعا
كان مصون السر عن النظر اليها على انها كونية مرفوع
الهمة عن الاعتماد عليها كانت عبادات او اسبابا او عادات
لان العارف غنى بالله لا يفتقر الى شيئ سواه قط ولا يعتمد
الا على مولاه فانه غنى حميد سميع بصير على كل شيئ قدير
ثم اذا رجع العبد الى الآثار فلا بد ان يظهر على ظاهره اثر
الذل والافتقار تحقيقا لوظائف العبودية وقياما بآداب
الربوبية كما ابان ذلك فى المناجات الواحدة والعشرين بقوله
الهى هذا ذلى ظاهر بين يديك وهذا حالى لا يخفى
عليك منك اطلب الوصول اليك وبك استدل عليك
لا بغيرك فاهدنى بنورك اليك واقمنى بصدق
العبودية بين يديك قلت هذا اعتراف منه رضى الله
عنه بغاية الذل والانكسار واظهار لشدة والاضطرار
وانطراح على باب مولاه فى اظهاره له وبث شكواه

باسقاط لا بغيرك ن

مولاه

فلاشك

فلاشك ان الله سبحانه قد كساه حلة العز والافتخار
وبهاه بين خلقه بالظهور والاشتهار حتى صار كلامه
تتحلى به القلوب والاسماع ويعظم به التاثير والانتفاع
وذلك ثمرة من تذلل بين يدى العزيز الحكيم الغنى
الكريم كما قيل
تذلل لمن تهوى لتكسب عزة فكم عزة قد نالها المرء بالذل
وقال آخر
تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل اذا رضى المحبوب صح لك الوصل
تذلل له تحظى برؤيا جماله ففى وجه من تهوى الفرائض والنفل
قال ذو النون المصرى رضى الله عنه ما اعز الله عبدا
بعز هو اعز له من ان يدله على ذل نفسه وما اذل الله عبدا
بذل هو اذل له من ان يحجبه عن ذل نفسه اه والحال الذى
لا يخفى على مولاه هو حال الضعف والافتقار والذل
والانكسار وانما يكون ظهور ذلك الحال بتحقيق ل
المعرفة والوصال ولذلك وصله بقوله منك اطلب الوصو
اليك لا من غيرك ولا على يد غيرك ولا الى غيرك بل
انت تتولى قبض ارواحنا الى حضرتك بيدك وتحول
بيننا وبين غيرك وهو معنى قوله وبك استدل عليك
لا بغيرك اذ لا وجود لغيرك معك على التحقيق وقد تقدم
قول من قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربى بربى ولولا
ربى ما عرفت ربى وقال احمد بن ابى الحوارى رضى
الله عنه لا دليل على الله سواه وانما يطلب العلم
لآداب الخدمة اه وكما لا دليل عليه غيره كذلك لا هادى
اليه سواه كما قال فاهدنى بنورك اليك اى اهدنى

بنور التوجه فى حالة سيرى اليك وبنور المواجهة
بعد وصولى اليك واقمنى بصدق العبودية بين يديك
حتى نتحقق بالوصول اليك فنرجع الى رسم العبودية
فى عين شهود انوار الربوبية والله ذو الفضل العظيم
هنالك تفيض العلوم اللدنية والاسرار الربانية كما ابان
ذلك بقوله فى المناجات الثانية والعشرين الهى
علمنى من علمك المخزون وصنى بسر اسمك المصون
قلت العلم المخزون هو العلم الموهوب الذى يفيض على القلوب
من حضرة علام الغيوب لا ينال بحيلة ولا اكتساب ولا
يؤخذ من دفتر ولا كتاب وانما يعطى من حضرة الكمال
مع حكمة صحبة الرجال او محض الفضل والنوال
وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله
تعالى فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله اه وهى
اسرار الربوبية التى اخفاها الله عن خلقه ولم يطلع
عليها الا خواص اوليائه فاذا نطقوا بها مع غير اهلها
ردوا عليهم وربما اباحوا دماءهم ومنها الاطلاع على اسرار
القدر وعجائب المغيبات ومنها الاطلاع على مفاتح العلوم
ومخازن الفهوم فيستخرجون بنتائج افكارهم من درر
الحكم ويواقيت العلم ما تكل عنه الالسن وتعجز عن حمله العقول
قال ابو بكر الواسطى فى قوله تعالى والراسخون فى العلم
يقولون هم الذين رسخت ارواحهم فى غيب الغيب وفى
سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا فى بحار الفهوم العلوم
بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من ذخائر خزائن
الغيب

الغيب تحت كل حرف من كتاب الله وآية من كلام الله عجائب
الادراكات الوهبية فنطقوا بالحكمة البالغة والالفاظ
السابغة اولئك حزب الله اولئك حزب الله اولئك
حزب الله وقال بعض التابعين اسرار الله تعالى لا يبديها
الا لأمنائه اوليائه من غير سماع ولا دراسة وكان الشيخ
ابو العباس المرسى رضى الله عنه يقول شاركنا الفقهاء
هما فيما هم فيه ولم يشاركونا فيما نحن فيه وكان اكثر
كلامه فى العقل الاكبر والاسم الاعظم وشعبه الاربع ود
ودوائر الاولياء ومقامات الموقنين والاملاك المقربين
وعلوم الاسرار وامداد الاذكار ويوم المقادير وشان
التدبير وعلم البدء وعلم المشيئة وشان القبضة ورجال
الغيب وعلوم الافراد واخبار القيامة وهذا كله من العلم المخزون
واما المصون الذى طلب فهو صيانته من رؤية الاغيار او
الوقوف مع الانوار دون معرفة الواحد القهار واسمه
المصون هو اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا
سئل به اعطى وسره هو ظهور تصرفه فيما طلب به والله
تعالى اعلم ثم اذا تحقق الصون من الاغيار دخل القلب فى
حضرة الاسرار وهى حضرة المقربين من السالكين وا
والمجذوبين كما ابان ذلك فى المناجات الثالثة والعشرين
بقوله الهى حققنى بحقائق اهل القرب واسلك بى
مسالك اهل الجذب قلت الحقائق جمع حقيقة وهى ادراك
معرفة الاشياء على ما هى عليه بالاصالة وحقائق اهل القرب
هى علومهم ومعارفهم واذواقهم وكشوفاتهم واهل القرب
هم المقربون سواء كانوا من اهل المراقبة الكاملة او المشاهدة

او المكالمة فالقرب بتفاوت بتفاوت السير والتصفية فيكون
اولا مراقبة ثم شهودا ووصولا ثم محوا واضمحلالا ثم بقاء
وتنزلا وهذا يكون بالمجاهدة والمكابدة وهو مقام اهل
السلوك من المحبين ويكون جذبا وعناية وهو مقام اهل
الجذب من المحبوبين وقد يكون اولا بمجاهدة وآخرا جذبا
وعناية وهو اعظم قدرا واعم نفعا وانفع تربية وهو الذى
اراد الشيخ رضى الله عنه لانه طلب اولا التحقق بحقائق
اهل القرب وهم اهل التقرب حتى احبهم الله ثم طلب ثانيا
سلوك اهل الجذب وهم المحبوبون الذين اجتباهم الله وا
واختطف ارواحهم من شهود الاغيار الى شهود الانوار
قال تعالى الله يجتبى اليه من يشاء وهم المحبوبون
ويهدى اليه من ينيب فاراد الشيخ ان يكون جامعا
بين سلوك وجذب وهو اعظم من غيره وقال بعضهم
اهل القرب هم اهل الحضرة المستغرقون فى الشهود كان
الله تعالى ليس فى حقه قرب ولا بعد وانما ذلك فى حق
العبد فمتى رفع الحجاب عن عين قلبه وفاضت عليه
انوار قربه رمته المراقبة للمشاهدة والمشاهدة
للمكاشفة والمكاشفة للمعاينة والمعاينة
للمسامرة والمحادثة والمكالمة وصار الحق ابدا
جليسه وانيسه فهذا هو التقريب للعبد بعد
البعد وخرق جميع الحجب وهذا المقام هو الذى
طلب الشيخ ابو الحسن بقوله واقرب منى بقدرتك
قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك
الخ وقال الشيخ ابو العباس المرسى رضى الله عنه

اهل

اهل المحبة والشوق على قسمين قوم اشتاقت نفوسهم
على الغيبة فلا سكون لهم الا باللقاء وقوم اشتاقت ارواحهم
على الحضور والمعاينة والشهود فلا سكون لهم الا بالغوص
فى بحر الاسرار وتنزل المعانى على قلوبهم وقال ابو يزيد
رضى الله عنه لله رجال لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته
لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث اهل النار من النار
لكنهم على الارائك ينظرون وقال سمنون ذهب
المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لانهم معه ابدا
والنبى صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وسأل جماعة
من المشايخ الجنيد رضى الله عنه عن المحبة فبكى
وقال كيف اصف عبدا ذاهبا عن نفسه متصلا بذكر
ربه قائما باداء حقوقه ناظرا اليه بعين قلبه قد احرق
قلبه نار هيبته وصفا شربه من كأس وده وانكشف
له الجبار من استار غيبه فان تكلم فبالله وان نطق فمن
الله وان تحرك فبامر الله وان سكن فمع الله وهو بالله
ولله ومع الله فقالوا ما على هذا مزيد يا تاج العارفين
وهذا الوصف صادق باهل السلوك والجذب والله تعالى
اعلم ولا شك ان من بلغ هذا المقام ورسخت المحبة فى قلبه
على التمام لم يبق له مع محبوبه تدبير ولا اختيار ولا تشوف
ولا انتظار كما ابان ذلك فى المناجات الرابعة والعشرين
بقوله الهى اغننى بتدبيرك عن تدبيرى وباختيارك
عن اختيارى واوقفنى على مراكز اضطرارى
قلت الاستغناء بالكلية بتدبير الله عن تدبير النفس
وباختيار الحق عن اختيار العبد انما يكون بعد الغيبة

والمعرفة صح

عن النفس بشهود مدبر الامور والمتصرف فيها وهو
الفاعل المختار الواحد القهار لأنه هو المنفرد بالتدبير
والاختيار والمشيئة والاقتدار واما قبل الغيبة عنها
بمعرفة سيدها فلا يتخلص العبد من كد التدبير وظلمة
التكدير ولذلك طلب الشيخ ان يغيبه الله بمعرفته حتى
تجتمع همومه وقصوده وارادته واختياراته فى هم واحد
وهو شهود محبوبه كما قال القائل

كانت لقلبى اهواء مفرقة ۝ فاستجمعت مذ راتك العين اهوائى
فصار يحسدنى من كنت احسده ۝ وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركت للناس دنياهم ودينهم ۝ شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى

فقوله اغننى بتدبيرك اى بشهود تدبيرك وشهود تف
تدبيره لا يكون الا بعد معرفته كما تقدم وطلب ايضا الوقوف
على مراكز الاضطرار وهو التعزز فى مقام العبودية فى
الظاهر على الدوام لأن العارف لا يزول اضطراره ولا يكون
مع غير الله قراره باطنا وقد تقدم هذا ومركز الشيء محل استقراره
الذى يركز فيه وهى هنا استعارة عن تحقق العبودية
وهى ان يعرف قدره ولا يتعدى طوره فمن تخلص من
ظلمة التدبير والاختيار ووقف على مراكز الاضطرار
فقد تحرر من ذل نفسه وتطهر من شرك تخمينه وحدسه
كما ابان ذلك فى المناجات الخامسة والعشرين بقوله
الهى اخرجنى من ذل نفسى وهو ذلها لغير الله بالطمع
والحرص اللذين هما بذرة شجرة الذل وطهرنى من شكى
وشركى قبل حلول رمسى قلت لعل المراد بالشك هنا خطور
خصم الفرق وهو لخصيم الظلمانى او يريد بالشك خواطر الرزق
الرزق

الرزق التى لا تثبت وقال الشيخ ابن عباد رضى الله عنه
الشك ضيق الصدر عند احساس النفس بامر مكروه
يصيبها فاذا ضاق صدره بسبب ذلك اظلم قلبه واصابه
من اجله الهم والحزن وطهارته منه انما تكون بوجود
ضده وهو اليقين فبه ينفسح الصدر وينشرح ويزول عنه
الحرج والضيق وبقدر امتلاء القلب من نور اليقين
يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد القلب
الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفى الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بقسطه وعدله
جعل الروح والفرح بالرضى واليقين وجعل الهم والحزن
فى السخط والشك اه والشرك تعلق القلب بالاسباب
عند غفلته عن مسبب الاسباب تعلق الصيد بالشرك
ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة
الشك على القلب فيحلو له حينئذ الهوى فيفزع اذ ذاك
الى الاسباب التى يتوصل بها الى بغيته لا يرى غيرها
فيشتبك من اجل ذلك فى حبائل الشرك وطهارته منه
بضده وهو نور التوحيد الذى يقذفه الحق تعالى فى قلبه
فتطمئن بذلك نفسه وتسكن من الشره والطيش الذى
اصابها وكلما قوى التوحيد فى قلبه كان خلاصه من الشرك
اكثر فتمحى من قلبه الاسباب ويثبت فيه خالص التوحيد
فاذا تطهر العبد من الشك والشرك تولاه الله بالهداية
بالهداية والتسديد والمعونة والتأييد وفى اخبار
داود عليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه يا داود
هل تدرى متى اتولاهم اذا طهروا قلوبهم من الشرك

ونزعوا من قلوبهم الشك اه و يحتمل ان الشيخ انما
طلب طهارته من الشك والشرك عند نزول
الدواهي الطوام لانها مظنة الشكوك والاوهام
فلا يشك في لطف الله عند نزول قدره ولا يتعلق
بسبب ولا غيره فيكون ابراهيميا حنيفيا اذا القي
في نار الجلال وقال له الكون الك حاجة فيقول له
له بلسان حاله اومقاله اما اليك فلا واما الى الله فبلى
فاذا قال له سله يقول له علمه بحالي يغني عن سؤالي
فلا جرم ان الله تعالى يقول لنار الجلال كوني على وليي
بردا وسلاما فتنقلب جمالا محضا فاذا تخلص العبد من
الشك والشرك في ذلك الوقت كان موحدا حقيقيا و
وابراهيميا حنيفيا فلا يعتمد الا على الله ولا يستنصر الا
به كما قال الشيخ **بك استنصر** لا بغيرك **فانصرني وعليك
اتوكل فلا تكلني** اي تحوجني الى غيرك **واياك اسئل**
حوائجي كلها لا من غيرك **فلا تخيبني** مما رجوت لانك
كريم تستحي ان ترد من رفع يديه اليك صفرين
اي خائبتين **وفي فضلك ارغب فلا تحرمني** من فضلك
العظيم **ولجنابك** اي حماك وحرمك **انتسب فلا تبعدني**
من حماك وجوارك بسوء ادبي معك وانت عفو
حليم **وببابك اقف** واتضرع والزم تلك الباب
واقرع **فلا تطردني** اذ ليس من شان الكريم ان يطرد
عن بابه العظيم او يرد من امّ بحر جوده العميم
ونحن كلاب الدار طبعا ولم نزل ۞ نحب مواليها ونحرس بابها
اذا طردت يوما كلاب قبيلة ۞ فقومي كرام لا نخيب كلابها
قال

والتحقيق

[illegible]

قال علي بن هند الفارسي رضي الله عنه اجتهد في ان لا
تفارق باب سيدك بحال فانه ملجأ الكل فمن فارق تلك
السدة لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما وان لزمت
الباب اعطاك قبل الطلب ومنحك بلا سبب والى ذلك
اشار في المناجات السادسة والعشرين بقوله **الهي
تقدس رضاك ان تكون له علة منك فكيف
تكون له علة مني** قلت رضي الله تعالى لا ينال
بسبب ولا عمل ولا طلب وانما هو منح الهية ومواهب
اختصاصية يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
فقد تنزه وتقدس رضى الله تعالى ان تكون له علة
منه لانه قديم فكيف تكون له علة من غيره وهو الغني
الكريم ولذلك قال **انت الغني بذاتك عن ان
يصل اليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عني**
فكما تنزه رضاه وسخطه ان تكون لهما علة او سبب
كذلك تنزهت ذاته المقدسة عن ايصال المنافع
منه او من غيره فكما ان ذاته المقدسة قديمة
كذلك اوصافه المطهرة قديمة ازلية **قال**
ابو بكر الواسطي رضي الله عنه الرضى
والسخط نعتان من نعوت الحق يجريان
على الابد بما جريا به في الازل يظهران
الوسمين على المقبولين والمطرودين فقد
بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم
كما بانت شواهد المطرودين بظلمتها عليهم
فاني تنفع من ذلك الالوان المصفرة والاكمام

المقصرة والاقدام المنتفخة ٥ لكن جرت
عادة الله تعالى وسنته ان من ظهرت عليه
الطاعات والاحسان كان ذلك علامة الرضى
والرضوان ومن ظهرت عليه المخالفة
والعصيان كان ذلك علامة السخط
والخسران وبهذا جائت الشرائع والمرء يموت
على ما عاش عليه والنادر لا حكم له والله تعالى
اعلم وقد قال بعض العلماء في قوله عليه
السلام ان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى
ما يبقى بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وان
الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل النار فيدخل النار ان الاول كثير
بفضل الله والثاني نادر لا حكم له لسبقية
رحمة الله غضبه والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل ومع هذا لم تزل الاكابر
تخاف من السابقه

اوالخاتمة

من السابقة او الخاتمة اذ لا يدري ما سبق به القضاء والقدر
كما اشار اليه الشيخ في المناجات السابعة والعشرين بقوله
الهي ان القضاء والقدر قد غلبني فكم اعزم على الطاعة
والقضاء يغلبني وكم افر من المعاصي والقدر يقحمني
فلا حيلة لي الا رجاء حولك وقوتك وان الهوى بوثائق اي
بحبائل الشهوة اسرني اي ربطني وحبسني عن النهوض الى
حضرتك والفوز بدخول جنتك فكن انت الناصر لي
دون واسطة من غيرك حتى تنصرني على من يصدني عنك
وتنصرني من تعلق بجنابي اولاذ بسببي وهذا كما قال الشيخ
ابو الحسن رضي الله عنه واغننا بلا سبب واجعلنا سبب
الغنا لاوليائك وبرزخا بينهم وبين اعدائك ثم سال
الغنا الاكبر فقال واغنني بفضلك حتى استغني بك عن طلبي
فان العبد اذا تعمر قلبه بالله استغنى به حتى عن طلبه رجاء لهم
الادب على ترك الطلب وهذه هي السعادة العظمى والولاية الكبرى
كما قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه والسعيد حقا من اغنيته عن
السؤال منك وهذه نتيجة انوار الولاية التي اشرقت في قلوب
العارفين وهذا معنى قوله انت الذي اشرقت الانوار في قلوب
اوليائك حتى ظهر لهم الحق وزهق عنهم الباطل فعرفوك ووحدوك
وانت الذي ازلت الاغيار من قلوب احبائك فملاتها بانوار
شهودك فاحبوك ولم يحبوا سواك لانهم لم يشهدوه وانت
المؤنس لهم بحلاوة ذكرك وشهود نورك حيث اوحشتهم
العوالم فلم يستانسوا بشيء منها بل استوحشوا منها من حيث
كونيتها واستانسوا بصانعها والمتجلي فيها فابدلهم الله

ومشتهم

الانس به فى الخلوات والمجالسة معه فى الفلوات بحلاوة المشاهدة
والمكالمة والمسارة والمناجات وهذا هو النعيم المقيم
والفوز العظيم قال ذو النون المصرى رضى الله عنه بينما انا
امشى فى البادية اذ لقيتنى امراة فقالت من انت فقلت
رجل غريب فقالت وهل توجد مع الله غربة وكتب مطرف بن
الشخير الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما وليكن انسك بالله
وانقطاعك اليه فان لله عبادا استانسوا بالله فكانوا فى وحدتهم
اشد استئناسا منهم من الناس فى كثرتهم واوحش ما يكون
الناس انس ما يكونون وانس ما يكون الناس اوحش ما يكونون
١٥ انت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم اى انت
الذى هديتهم طريق الوصول الى حضرتك حتى استبانت
اى ظهرت لهم معالم اى علامات التحقيق وهذا من الشيخ
رضى الله عنه تعريض بالسؤال وهو اعظم من التصريح
وكانه يقول الهى كما اشرقت الانوار فى قلوب اوليائك
حتى عرفوك وكما ازلت الاغيار من قلوب احبائك حتى
احبوك وكما انستهم حيث اوحشتهم العوالم وهديتهم حتى
استبانت لهم المعالم فاشرق انوار المعارف فى قلبى حتى
اعرفك وازل الاغيار من قلبى حتى احبك وانسنى بك
حيث اوحشتنى العوالم واهدنى الى طريق التحقيق حتى
تتبين لى المعالم فاستغنى بك عن كل شئ واجدك عند
كل شئ كما قال ماذا وجد من فقدك ولو ملك الدنيا بحذافيرها فهو افقر الفقراء كما قال الشاعر

لكل شئ اذا فارقته عوض ، وليس لله ان فارقت من عوض

قيل

قيل للشبلى اى الخسران اعظم قال من فاتته الجنة ودخل
النار فلما مات رئى فى المنام بعد فقيل له ما فعل الله بك
فقال لم يطالبنى بالبراهين على الدعاوى الا على شئ واحد
قلت ذات يوم لا خسارة اعظم من خسران الجنة ودخول النار
فقال لى واى خسارة اعظم من خسران لقائى اى شهودى
ومعرفتى وما الذى فقد من وجدك لقد ملك الوجود
باسره واستغنى غنى لا فقر بعده ابدا لدهر لقد خاب
من رضى دونك بدلا اى لقد خاب وخسر من احب شيئا
دونك ورضيه بدلا بك وانشدوا

سهر العيون لغير وجهك باطل ، وبكاؤهن لغير فقدك ضائع ،
ايظن انى فيك مشترك الهوى ، هيهات قد جمع الهوى بك جامع ،
بصرى وسمعى طائعان وانما ، انا مبصر بك فى الحياة وسامع ،

ولقد خسر من بغى عنك متحولا اى ولقد خسر من اوقفته
ببابك ثم طلب باب غيرك وتحول اليها والتجا الى غير
جنابك فلا اخسر منه ولا ابخس صفقة من تجارته ترك
باب الكريم والتجا الى باب العبد اللئيم فقوله متحولا
مفعول لبغى بمعنى طلب وهو اسم مفعول بمعنى المصدر
وعنك متعلق بالمصدر اى ولقد خسر من طلب تحولا عن
جنابك العظيم وبابك الكريم كيف يرجى سواك وانت
ما قطعت الاحسان ولا تقطعه ابدا عن الانسان ام كيف
يطلب من غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان
بل امتنانك فائض على الانام وهو واصل اليهم على
الدوام عرفه العارفون وجحده الغافلون يا من اذاق

اولياء حلاة مؤانسته وذلك حين استوحشوا من مؤانسة غيره فقاموا بين يديه متملقين قلت التملق هو التلطف في بث الشكوى والتودد بمسارة النجوى وفي الحديث اذا احب الله عبدا قال للملائكة اذا دعى اخروا حاجته فاني احب ان اسمع صوته فالتملق بين يدى الحبيب ومسارة القريب هى من اعظم الرغائب وافضل المطالب لا يعرفها الا اهل الشوق والاشتياق كما قال الشاعر

احبابه

عبدى

سفينة الحب في بحر الهوى وقفت ... فامنن على من يحب منك يجريها

لا يجى في الشوق الامن يجابده ... ولا الصبابة الامن يعانيها

لا اوحش الله منكم من يحبكم ... وانس الله دارا انتم فيها

يامن البس اولياءه العارفين ملابس هيبته حتى هابهم كل شيء وخاف منهم كل شيء ولم يخافوا من شيء وفي الحديث من خاف الله خاف منه كل شيء ومن لم يخف الله اخافه كل شيء وحيث البسهم لباس هيبته فقاموا بعزته مستعزين لما رفعوا همتهم عن الخلق اعزهم الله ولما رفعوا همتهم عن الدنيا اعزهم الخلق فان الولى اذا اراد الله ان يرده الى خلقه لينفع به عباده البسه حلتين حلة البهاء والجمال ليقبل الناس عليه بالمحبة والوصال فيغنيهم الله به وحلة الهيبة والجلال ليمتثل امره اذا امر ويجتنب نهيه اذا نهى بكساهما عند الرسوخ والتمكين والز دلما شار الشعراء والله اعلم بقوله

انعم فان ذى الجلال لعز ... وضياء وبهجة وسرور

وعلى العارفين ايضا بهاء ... وعليهم من المحبة نور

فهنيئا

فهنيئا لمن عرفك الهى ... هو والله دهره مسرور

فلما كانوا لله وبالله ومع الله اعزهم الله واعز من اعزهم قيل في تفسير قوله تعالى تعز من تشاء قال بان يكون لك بين يديك معتمد بين يديك اه وسبب العز من الله هو ذكر الله كما قال انت الذاكر من قبل الذاكرين اى انت الذاكر لهم من قبل ان يذكروك فلولا ذكرك اياهم ما ذكروك قال ابو يزيد رضى الله عنه غلطت في بداية امرى في اربعة اشياء توهمت انى اذكره واعرفه واحبه واطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى ومعرفته سبقت معرفتى ومحبته اقدم من محبتى وطلبه لى اولا حتى طلبته وانت البادى بالاحسان من قبل توجه العابدين فلما بدأتهم بالاحسان توجهوا اليك بالطاعة والاذعان وانت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين جل حكم الازل ان يضاف الى الاسباب والعلل وانت الوهاب ثم انت لما وهبتنا من المستقرضين فقد وهبت لنا النعم وامرتنا بالسخاء والكرم ووفقتنا لعطائها ووعدتنا بالنعيم الجزيل عليها فلله ما اعطى وله ما اخذ فاذا عرف العبد هذا لم يبق له وسيلة يتوسل بها الا فضل الله وكرمه وفي مناجات الجنيد رضى الله يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه ويا بادى العارفين بما فيه عرفوه ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذى يشفع عندك الا باذنك من ذا الذى يذكرك الا بفضلك واستقراض الرب من عبده ما وهبه له غاية في ترفيعه لقدره وابانته لشرفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب نهاية في اكرامه له وتفضله عليه

وقال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه
نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض
اضعافا يبين فيه ان نعمه وعطاياه بعيدتان ان تكونا
مشوبتين بالعلل اه قاله ابن عباد رضى الله عنه ولما بين
ان طلب الحق سابق على طلب العبد طلب منه ان يطلبه
ليتحقق منه الطلب فقال فى المناجات الثامنة والعشرين
الهى اطلبنى برحمتك حتى اصل اليك اى اطلبنى برحمتك
الازلية حتى اطلبك واصل اليك فان الطلب سابق الوصول
وهذه طريقة السلوك ثم اشار الى طريق الجذب والعناية
فقال واجذبنى بمنتك حتى اقبل عليك قلت ولو عكس لكان
احسن فيقول اطلبنى برحمتك حتى اقبل عليك واجذبنى
بمنتك حتى اصل اليك فان الجذب هو الاختطاف من شهود
الاكوان الى شهود الملكوت والغالب انه يكون بعد التوجه
والطلب والمجاهدة والتعب وقد يجذب اولا ثم يرد الى السلوك
والاول اكمل ثم اذا حصل طلب الرب لعبده حتى وصل اليه لا ينقطع
عنه خوفه ورجاؤه كما ابان ذلك فى المناجات التاسعة
والعشرين بقوله الهى ان رجائى لا ينقطع عنك وان
عصيتك كما ان خوفى لا يزايلنى وان اطعتك قلت لما
كانت السابقة مبهمة والخاتمة مجهولة كان العبد بين خوف
ورجاء ولو بلغ ما بلغ فان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء
والنواصى بيد قدرته تقودها حيث شاءت قال الشاعر
حسبى الله توكلت عليه * من نواصى الخلق طرا فى يديه
ليس للهارب فى مهربه * ابدا ملجاء الا اليه
فكيف يصح للعبد ان ينقطع خوفه ان اطاع او يقل رجاؤه
ان عصى

ان عصى وقد تقدم فى اول الكتاب ان خوف العارفين
ورجاءهم ناشئ عن شهود صفة الجلال والجمال وهما لا يتغيران
فكذلك ما ينشاء عنهما ولذلك وصف الشيخ نفسه بهذه
الحالة الشريفة وهو الاعتدال على الدوام ظهرت منه طاعة
او معصية وراجع ما تقدم وانظر عند قوله لا كبيرة اذا قابلك
فضله الخ فاذا تحقق ان العبد لا مهرب له فى حال عصيانه
الا وقوفه ببابه ولا سكون له فى حال طاعته الا الى كرمه واحسانه
علم انه مدفوع اليه على كل حال وهذا معنى قوله قد دفعتنى
العوالم اليك فمهما ملت الى شيء دفعتنى عنه او ركنت اليه
حركته على حتى تدفعنى اليك فما ارحمك بى مع عظيم جهلى
وهذه علامة العناية من الله لعبده فمهما رءاه وقف
مع شيء او ركن الى شيء ولو كان طاعة شوشه عليه ورحله
منه وقد تقدم ان من جملة العقوبة التى يعاقب بها المريد
تركه وما يريد وقال شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه
اذا رايتم الفقير بقوم الفوات والتشويش عليه من كل جهة
فاعلموا ان الله تعالى يريد ان يسكنه عنده او كلاما هذا معناه
والحاصل ان الحق تعالى غيور لا يحب قلب عبده ان يركن الى
غيره وهذا من كرمه تعالى واحسانه الى عباده ولذلك قال
وقد اوقفنى علمى بكرمك عليك قلت لما دفعته العوالم
العوالم اليه لم يجد كريما سواه فاوقفه كرمه على بابه
ولاذ بجنابه والكريم لا تتخطاه الآمال قيل معنى كرم الله
احسانه لعباده وقيل الذى لا يدع حاجتهم لغيره وقيل
الذى يعطى قبل السؤال قال الجنيد الكريم الذى لا يحوج

الى سؤال وقال المحاسبى الذى لا يبالى من اعطى ولا كم اعطى
وقيل ان من فهم كرم الله تعالى لم يجزع من سوء قضاه لانه
يرى المصيبة نعمة مستورة عن ادراك الخلق كما قال سيدنا
عمر رضى الله عنه ما اصابتنى الله بمصيبة الا رايت لله
فيها ثلاث نعم الاولى حيث لم تكن فى دينى الثانية حيث
لم تكن اعظم مما وقعت الثالثة ان الخطايا تكفر بها
فانا اشكر الله عليها اه ولهذا قالوا ليس العجب ممن يلتذ
بالنعيم انما العجب ممن يلتذ بالعذاب الاليم وذلك لا يكون
الا بخرق عادة النفس حتى تلتذ بما يتالم به الناس كما قال
القائل ، اريدك لا اريدك للثواب ، ولكنى اريدك للعقاب
، وكل مآربى قد نلت منها ، سوى ملذوذ وجدى بالعذاب ، وقال
اخر ، اذا كانت المقدار من مالك الملك ، فسيان عندى ما يسر وما يبكى
والحاصل ان المحبة اذا قويت غيبت المحب عن الالام والا فهى
ناقصة ومنشأ المحبة شهود الكرم كما تقدم ومن وقف بباب
كرم مولاه لا يخيب امله ومناه كما جاء ذلك فى المناجات الموفية
ثلاثين بقوله الهى كيف اخيب وانت املى اى محل طمعى
ورجاءى والكريم لا يخيب امال الطامعين وهو اكرم الاكرمين
ام كيف اهان وعليك متكلى وقد قلت فى كتابك العزيز
ومن يتوكل على الله فهو حسبه اى كافيه ومن كنت كافيه
وناصره لا يهان ابدا حكى ان بعض الاولياء ولدت له بنية
فى اخر عمره وماتت امها وحضرته الوفاة فقال له رجل اوصنى
عليها اكفلها قال لا ولكن اذا انا مت فاحملها الى حرم الله
ودعها فى الحجر وامض ودعها فى كفالة الله فلما مات فعل

الرجل

الرجل ذلك وصار يرقبها على بعد فراتها ام الخليفة وهى
تطوف فامرت بحملها لها فتبنتها وربتها حتى بلغت ور
وزوجتها لابن الوزير واصدقتها عشرين الف دينار
فانظر حال من توكل على كفالة مولاه واوى الى حصن رعايته
وحماه وانشدوا
، ايحسن بى فى داركم ونزولكم ، اوجه يوما للعباد رجاءى ،
، يحق لمثلى ان يعود لمثلكم ، وان اتركن جمع العباد وراءى ،
وحكى ان رجلا كانت له امرأة حاملة واراد سفرا فلما خرج
لسفره قال اللهم انى استودعتك ما فى بطن هذه المرأة
ثم غاب فلما قدم من سفره سال عنها فقيل له انها ماتت
وهى حامل فلما كان الليل خرج الى المقابر فرأى نورا فتبعه
فاذا هو فى قبرها فنبش عليها فاذا بالصبى يرضع فى ثديها
فهتف به هاتف يا هذا انك قد استودعتنا الولد فوجدته
اما انك لو استودعتنا امه لوجدتهما جميعا اه من التنوير
فما الطفه سبحانه بمن استرعاه وما احفظه لمن دخل حماه
اللهم اجعلنا ممن تحصن بك فكفيته وممن استرعاك
فى تركته فرعيته يا ارحم الراحمين ولا شك ان من دخل تحت
خفارة العزيز كان عزيزا بالله ذليلا له واليه اشار فى
المناجات الحادية والثلاثين بقوله الهى كيف استعز
وفى الذلة اركزتنى اى كيف استعز عليك وانت فى ذل العبودية
اركزتنى اى اقررتنى واقمتنى ام كيف لا استعز واليك
نسبتنى اى ام كيف لا استعز فى قلبى وروحى وسرى
واليك نسبتنى لما اودعت فى قلبى من سر الخصوصية ونور

المعرفة وقوة الحرية فقلت يا عبدى ويا وليى ولا شك ان هذه
النسبة توجب الافتخار على الوجود والتيه على كل موجود فذل
العارف يرجع الى ظاهره عبودية وعزه يرجع الى باطنه حرية
بما شهد من انوار الربوبية واليه اشار بعضهم بقوله

نحن ان كنا به تهنا دلالا ... على سائر الجائر والعبيد
وان نحن رجعنا الينا ... عطل ذلنا ذل اليهود كذا

قال بعضهم رايت ذل كل ذى ذل فزاد ذلى على ذلهم ونظرت
فى عز كل ذى عز فزاد عزى على عزهم اه وقال الشبلى رضى
الله عنه لقد ذللت حتى عز فى ذلتى كل ذل وعززت حتى
ما تعزز احد الا بى ومن به تعززت ثم ان الفقر اخو الذل
ولذلك قرنه به فى المناجات الثانية والثلاثين فقال الهى
كيف لا افتقر اليك وانت الذى فى الفقر اقمتنى لان انفاسى
بيدك فانا فقير اليك فى كل لحظة فى ايجادى وامدادى
قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله وهذا هو
الفقر الى نعمة الايجاد ثم قال تعالى ان يشا يذهبكم ويات
بخلق جديد وهذا هو الفقر الى نعمة الامداد ام كيف
افتقر الى غيرك وانت الذى بجودك اغنيتنى حيث كفيتنى
ما اهمنى وتكفلت لى برزقى وما تقوم به بنيتى واغنيتنى
بمعرفتك حتى لا احتاج الى غيرك وفى الحديث ليس الغنى
بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس اى الروح وغناها انما
يكون بربها انت الذى لا اله غيرك تعرفت لكل شيء
بما اظهرت له من نورك جلالك وجمالك فصار مسبحا
بحمدك وساجدا لك فما جهلك شيء فالكل عارف بك ومقر

لك

لك بالربوبية اما طوعا ظاهرا وباطنا واما باطنا فقط لتظهر حكمتك
وانت الذى تعرفت الى فى كل شيء من اختلاف الاثار وتنقلات
الاطوار فرايتك ظاهرا فى كل شيء بنورك الازلى الذى افنى
وجود كل شيء فانت الظاهر لكل شيء وانت الباطن لكل شيء
وفى الحديث اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر
فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن
فليس دونك شيء وقد تقدمت اقسام الظهور مستوفاة فى
اول الكتاب وعبر هنا بعبارة لم تتقدم فقال يا من استوى برحمانيته
على عرشه فصار العرش غيبا فى رحمانيته كما صارت العوالم
غيبا فى عرشه قلت اشار الى تفسير قوله تعالى الرحمن على العرش
استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن فذكر ان
استواء الحق تعالى على العرش انما هو برحمانيته فهو مغمور
فى رحمانية الحق تعالى حتى صار غيبا فى رحمانيته اذ لا نسبة له
معها ورحمانية الحق تعالى وصف قائم بذاته والصفة لازمة
للموصوف فاذا غاب العرش وانطوى وجوده فى رحمانية الحق
غابت العوالم ايضا فى رحمانيته لانها غابت فى وجود العرش
فلما انطوى وجود العرش فى عظمة الحق ورحمانيته انطوى
وجود العوالم كلها لانها فى جوف العرش كحلقة فى الارض
وهو محيط بها كما احاطت الرحمانية بالعرش فلا نسبة له معها
ثم فسر ذلك فقال محقت الاثار بالاثار فالاثار الاول
هى العوالم والاثار الثانية هو العرش فقد امتحقت الاكوان
كلها فى عظمة العرش حتى صارت كالعدم ومحوت الاغيار
بمحيطات افلاك الانوار قلت المراد بالاغيار هو العرش

وما احتوى عليه من الآثار وتقول هو كل ما دخل عالم التكوين من
العرش الى الفرش اوما فرض وجوده خارجا عن العرش وافلاك
الانوار وهى انوار الذات والصفات فاذا امتحت الاغيار وهى
الآثار وبانوار عظمة الذات بقيت الانوار وانفرد بالوجود
الواحد القهار فانوار الصفات هى انوار الذات وانوار الذات
هى انوار الصفات والله تعالى اعلم **يا من احتجب فى سرادقات**
عزه عن ان تدركه الابصار قلت السرادقات فى اللغة هى الاسوار
المحيطة بالدار وهى هنا كناية عن الحجب القهرية وهى
حجب العزة التى احتجب الحق تعالى بها عن عباده مع شدة ظهوره
ومرجعها الى دوائر الحس والوهم والغفلة والأكنة التى على القلوب
وتنحصر فى خمسة امور **الاول** حب الدنيا الذى زرعه الحق تعالى
بقهره فى قلوب الناس حتى انصرفت اليها الهمم وتاهت
فيها العقول وتظلمت بصور خيالها القلوب واشتبكت فيها الفكر
فلا تنصرف الى غيرها وبهذا احتجب جل العباد الا من عصمه الله
الثانى ارتباط الاسباب مع مسبباتها والعوائد مع ما تعودت
بها كتوقف امر الرزق على حركة المسبب والنبات على وجود
الامطار وغير ذلك من ارتباط الأسباب فظن الجهال انها لا تنفك
عن مسبباتها فحجبوا بها عن مسبب الاسباب والحكيم العليم يرزق
من غير اسباب ويعطى بلا حساب وبهذا احتجب كثير من الناس
فوقفوا مع الاسباب وحجبوا عن شهود رب الارباب الا من نفذت
بصيرته من ذوى الالباب **الثالث** الوقوف مع ظاهر الشريعة
ترغيبا وترهيبا علما وعملا فقوم وقفوا مع الترغيب فانكبوا على العمل
طلبا للجزاء وهم العباد وقوم وقفوا مع الترهيب فغلب عليهم الخوف
وهم

٣ قوله امحت الاغيار اى [illegible] وجودها [illegible] اعتبار

وهم الزهاد وقوم وقفوا مع ترغيب العلم فاشتغلوا بعلم الرسوم
والحروف وتركوا علم اليقين والخشية والمعرفة وهم علماء الظاهر
حجبوا بالعلم عن المعلوم وهى معرفة الحى القيوم **الرابع** الوقوف
مع حلاوة الطاعات ولذيذ المناجات وهى سموم قاتلة لمن وقف
معها وهى لاهل المراقبة وبها احتجب كثير من العباد والزهاد
وقد تظهر لهم خوارق وكرامات حسية فتزيدهم حجابا عن الله
الخامس ظهور اثر القدرة على هذه التجليات واتصافها باوصاف
العبودية كالفقر والذل والجهل والمرض والموت وغير ذلك من
اوصاف البشرية التى سترت سر الخصوصية وبهذا احتجب بعض
المستشرفين على الفناء فى الذات فرجعوا من حيث جاؤا والله قاهر
فوق عباده وهو الحكيم الخبير فهذه سرادقات العز التى احتجب الحق
تعالى بها فان العزيز هو الذى لا يترقى اليه وهم طمعا فى تحديده
ولا يسمو الى حمدا نبيه فهم قصدا الى تصويره **وقيل** العزيز من
ضلت العقول فى بحار عظمته وحارت الالباب فى ادراك نعته
وكلت الالسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احصى ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك اه **يا من تجلى بكمال بهائه** اى حسنه وجماله
فتحققت عظمته الاسرار اى اسرار العارفين فدام سرورهم
وحبورهم الى يوم الدين ثم تتصل نضرتهم بنظرتهم الى
رب العالمين وانشدوا

سرورى بكم اضحى يجل عن الوصف ۔ وقربى منكم بالمودة والعطف
وانتم معى حيث اشتغلت بى الهوى ۔ فلى بكم شغل عن الدانى والالف
سويداء قلبى اصبحت حرما لكم ۔ تطوف بها الاسرار من عالم اللطف

وسائل ما بين المحبين اصبحت * تجل عن التعريف والرسم والعرف
رسائل جاءتنا بريا جنابكم * عوارف عرف فاق كل شذا عرف

كيف تخفى عن بصائر العارفين وانت الظاهر وحدك لا ظاهر
معك قال تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن فالحق هو الظاهر
لكن لا تدركه ابصار المخلوقين ولا يرى الحادث القديم ولا يرى
الحق الا الحق فاذا فنى الخلق الحادث وبقى القديم راى القديم القديم
وعرف الحق الحق فما دمت لم يغط الحق تعالى وصفك بوصفه
ونعتك بنعته لا تطمع فى شهوده ومعرفته مع شدة ظهوره ونوره
ام كيف تغيب وانت الرقيب الحاضر الذى لا يخفى عليه شيء
ولا يغيب عنه شيء وهو المحيط بكل شيء والله الموفق الى سواء الطريق
والموصل الى عين التحقيق وبه استعين فانه القوى المعين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما دائما
الى يوم الدين نجز ما قصدنا جمعه بحول الله وقوته فان وافق
الحق والصواب فالمنة لله العلى الكبير والا فالعبد محل الخطاء وا
والتقصير ولا سيما مع الباع القاصر والعلم القصير واقول كما
قال الشيخ خليل واعتذر لذوى الالباب من التقصير الواقع فى هذا
الكتاب واسئل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع
ان ينظر بعين الرضى والصواب فما كان من نقص كملوه وما كان
من خطاء اصلحوه فقلما يخلص مصنف من الهفوات او ينجو مؤلف من
العثرات وكما قال ابن مالك فى التسهيل اعاذنا الله من حاسد يسد باب
الانصاف ويصد عن جميل الاوصاف والهمنا شكرا يقتضى توالى الالاء
ويقضى بانقضاء اللأواء اى الشدة وكما قال فى حرز الامانى فيا عاطر

الانفاس

الانفاس احسن قولا وانا اسئل الله ان ينفع به من كتبه او طالعه
او حصل شيئا منه او سمعه او عمل بما فيه وان يكسوه جلباب
القبول ويبلغ محصله كل مطلوب ومامول بجاه خير الانام
مولانا محمد الشفيع المقبول صلى الله وسلم عليه وعلى آله
واصحابه وعترته واحزابه اهل المحبة والوصول وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين ووافق الفراغ من تبييضه عشية
الاربعا وثامن جمادى الاولى سنة احدى عشرة ومائتين
والف وابتدئ جمعه فى شهر المحرم الحرام من ذلك العام وآخر
دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيئين وامام المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على
سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم وقد تم هذا
الشرح المبارك نسخا بالاسكندرية ضحاء يوم الاربعا
غرة رمضان سنة ست وثلاثماية والف اللهم اغفر
لكاتبه ووالديه واشياخه واخوانه ومن له نسبة اليه
واغفر لكافة مباشريه قراءة وسماعا وكتابة او حملا
او مسا او نظرا كلا او بعضا ولجميع المسلمين والمسلمات
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما امين